مَسعُود الخوَند

القَارّات . المنَاطِق . الدّوَل . البُلدَان . المُدُن

الموسوعة التاريخية الجغرافية

معَالِم . وَثـَائِق . موضُوعَات . زُعَمَاء
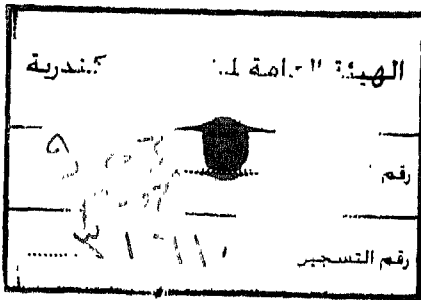
الجزء الخامس

باراغواي ـ البوسنة

مقدمة أولى

مروان حماده
نائب ووزير لبناني

يتميز عمل الاستاذ مسعود خوند عن سواه من الاعمال المشابهة بأنه ينبثق ليس فقط عن علم، ومعرفة، وسعة إطلاع، وإنما عن منهجية متفوقة، ترتكز إلى دقة البناء ووضوحه، وغزارة المعلومة وكثافتها، من دون إطناب ولا حشو. ففي كل باب أو موضوع من المواضيع، يأخذك الاستاذ مسعود خوند في رحلة موسوعية، بآفاق شاملة تكاد تغطي جميع الزوايا التي يسعى القارئ إلى سبرها واستكشافها.

وموسوعة الاستاذ خوند تبدو للوهلة الأولى وكأنها تتوجه شطر العمل الأكاديمي، ولكن سرعان ما نكتشف أنها تريد أن تطاول جميع المستويات والشرائح. فيجد الطالب فيها عناوين المعرفة، ويمتلك الأكاديمي عبرها مفاتيحها، ويكتشف القارئ العادي، كنزًا علميًا بلا تكلف ولا عجز. إنها ميزة الموسوعة التي تحتاجها كل مكتبة، وهي ترافق الأجيال في سعيها الدائم للإطلاع في زمن أصبحت فيه المعرفة القيمة الأساسية في التصنيف الإنساني.

نحن نشاطر الاستاذ خوند رأيه بأن بين المعلومة والمعرفة مسافة. ونضيف، أنهما تتكاملان لأن المعلومة هي الذخيرة؛ والمعرفة هي الأفق، والمنهاج، والرؤيا، والعقل، التي بدونها تبقى المعلومة مجردة وميتة، لا تجد مكانًا في سياق تطوّر الإنسان والتاريخ.

نحن، إذ نقيّم عمل الاستاذ مسعود خوند تقييمًا عاليًا، نعتبر أنه يشكل مثالاً وقدوة في المثابرة والسعي إلى المعرفة التي هي وجه من وجوه السعي إلى الله. وهو مشكور على إجتهاده. ولا نغالي إن قلنا إن كل مَن سيقتني هذه الموسوعة سيجد فيها الرفيق الدائم يغرف من معينه ويغتني...

إن المعرفة رسالة على مستوى الإنسان والحضارة، والاستاذ خوند هو بلا شك أمين من الأمناء عليها في لبنان والوطن العربي .

مقدمة ثانية

نعم للموسوعات بشرط أن تكون في جدّيّة هذه.

الموسوعة المعرفيـة، علـى اختـلاف النـوع والحجـم والمنحـى، تبـدو لنـا طرفًـا في معـادلتين، تشكلان مَيزة ثقافية لزماننا، هي:

- معادلة العلم والاعلام؛
- ومعادلة التخصص والتعميم.

ذاك أن الموسوعة محاولة جادة ودؤوبة لتعميم ما يبلغه التخصص المعـرفي مـن إنجـازات، ومـن ثـم للإعلام بما يتحقق على صعيد العلم، بوصفه معرفةً منهجية مجنّحة.

ومن شأن التعميم ان يُداني التسطيح، وهو بذلـك يكـاد ان يمسـخ الحقـائق، وان يوردهـا مـوارد مجتزأة حتى التسرع!

ومن شأن الإعلام ان يتساهل في الموجبات العلمية، القاضية بالتدقيق والتحقيق، وبتوظيـف عـامل الوقت، مع عامل التجرد عن الهوى والمصلحـة الآنية، في خدمـة الحقيقـة المجرّدة. والسبب في تساهله يكمن في المسارعة، الموسومة بالسبق الصحافي أو الإعلامي.

وظاهرٌ أن التسرع والمسارعة وجهان لعملـة واحـدة، وينمـوان بـالضرورة علـى حسـاب الـترّوي والتمحيص والتبويب، والتحقّق اليقيني. وهل الموسوعة غير هذا؟

كان هذا ترجمة عملية، بل تأويلاً على مسؤوليتنا، لكلمة القاهـا وزيـر التربيـة الوطنيـة والشـؤون الخارجية، في لبنان، الدكتور شارل مالك، قبل نحو أربعين سنة، عندما دعي إلى منبر القاعـة الكـبرى في قصر الاونسكو ببيروت، لتكريم رئيس الجامعة اللبنانية، فؤاد افرام البستاني، بمناسبة صدور المجلـد الاول من موسوعته: دائرة المعارف اللبنانية.

ثُمّ إن خصمًا آخر يناصب الموسوعات المطبوعة العداء، فضـلاً عـن دعـاة التخصـص والتمحيـص المعرفي، هو الموسوعة المحسابية، أي «المكمترة» (المنزلـة علـى صفـائح الكمبيوتـر)، الـتي تتحلّـى بتوسـع وشمولية وحركية تبدّلية او تجدّدية، لا يطيق مثلها الحرف المطبوع علـى ورق: فالديسـكات الالكترونيـة اقل كُلفةً، وأسرع أداءً، واكرم تلبية، من مجلدات الموسوعة التقليدية.

ورغم ذلك كله، يصر الصديق مسعود الخوند على إنتاج موسوعة جديدة، ويختار لها ان تكـون متخصصة، وينتقي لتخصصها حقلاً معرفيًا طالما ظلمه العلماء والمعلمون، قبـل ان يعـترفوا لـه بالعلميـة، وبحقه في أن يشارك الرياضيات وسائر العلـوم البحتـة، والآداب والفلسـفة، في ان يكـون منـه موضـوع للامتحانات الرسمية الخطية.

لكن ذلك هو ما يسوق إليه ظاهر الامور والنظرة السطحية إلى أشياء الحداثة:

- فمن نحو ليست الموسوعة منبرًا اعلاميًا، مثل الصحافة المكتوبة او المسموعة او المرئية. بـل هـي كتاب متأنٍّ، يكفّي لإثبات جدّيّته امتدادُه، إعـدادًا وتنفيـذًا، علـى سـنوات عديـدة، واسـتغراقه جهـودًا

د. مفيد ابو مراد
باحث تربوي وأستاذ في الجامعة اللبنانية

واموالاً كثيرة، وبقاؤه – عنيدًا وفخورًا معًا – في واجهة المكتبات العامة والخاصـة، لا تنطوي صفحته على نحو ما يقع لوسائل الاعلام الجماهيري، ولا يعاني الجمود والصمت اللذين يصحبان صفائح الحساب.

وفي غالب الأحوال تتوزع الموسوعة على جملة مجلدات. ولا تخلو لغة حية من الموسوعات، سواء منها العام او المتخصص.

– ومن نحو آخر، لا يطلب العلم المتخصّصَ إلا قلةٌ من الناس، فيما جمهرتهم تنشد معرفة بالأمور موجزة، ميسورةَ المتناول، موثوقًا بصحتها.

– ثم إنه من قال ان العمل الموسوعي متسرّع او متسطح؟

قال ابن المقفع في وصف البلاغة، بأنها «ان سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها». ولكني لـن أتهـم خصوم الموسوعات بالجهل او الهوى. ويكفيني القول إن أشد الغلاة خصومة للموسوعة، يمتلكـون منها بالضرورة غير واحدة. فهي خصومة غير جدية، في وجه سعي لتوزيع المعرفة، المتخصصة والمحقّقة، على الجمهور الواسع.

وربما كان لفظ الموسوعة قد اشتق من اتساع مدى الجمهور المعني بها، قبل سعة المعرفة وتنوع المعلومات والحقائق التي تضعها في متناول الناس، كلّ الناس.

صرّح واضع هذه الموسوعة بأنه، لولا حياءٌ شبيه بذلك الذي حال دون جرير وزيارة ضريح زوجته، لأسمى موسوعته هذه: الموسوعة السياسية. ولكن القارئ اللبيب لا يفوته أن السياسة، بما هي ارفع اشكال الحياة العامة وتعبيراتها الملموسة، لا يعجزها ان تشق حجاب التمويه الذي سمي هنا تاريخًا وجغرافية، واتخذ له في أمكنة أخرى اسماء أخرى، لكنه لا يطمس حقيقة «البركسيس» التي صدع بها الأغريق، فلخصها من بعدهم ابو حامد الغزالي في معادلة العمل والعلم، قائلاً بأن «العلم بغير عمل جنون» كما جاء في «ايها الولد» من موسوعة «إحياء علوم الدين».

ولكنما العمل، كما حدده ارسطاطاليس، سياسة ذو ثلاثة مستويات:

– سياسة المرء امور نفسه، وهي المناقبية،
– وسياسته امور عيلته، وهي الاقتصاد،
– وسياسته امور مدينته، وهي السياسة العامة.

فهنيئًا لقارئ «الموسوعة التاريخية والجغرافية» سياسةٌ يرتقي إلى فهمها، تمهيدًا لارتقائه إلى ممارستها والتزامها، من خلال هذه المعرفة المدقّقة والمختارة والمنوّعة، تغطي مساحة المعمورة كلها، وعلى امتداد الأعصر التاريخية، مع توقف مشروع عند الحقبة المعاصرة.

فهرست

بـــاراغواي

بطاقة تعريـــف

الاسم: إتخذت البلاد إسمها من نهر «باراغواي» الذي يشــكل حدودهـا الجنوبية والشرقية (مع الارجنتين)، ويبلغ طوله ١٢٦٢ كلم.

الموقع: في وسط أميركا الجنوبية. بـلاد داخلية، أقرب نقطة منها إلى البحـر تبعـد ١٦٠٠ كلـم. طول حدودها مع الارجنتين ١٦٦٨ كلم، ومـع البرازيل ١٠٢١ كلم، ومع بوليفيا ٧٩٥ كلم.

المساحة: ٤٠٦٧٥٢ كلم م.

العاصمـــة: أسّانســـيون. وأهـــم المــــدن: أنكارناسيون، كونسبسيون، فيلاريكا.

اللغات: الاســبانية (رسميــة)، ولغــة الغــاراني (guarani)، وهي لغة الهنود الأصليـين الـتي طـرأ على شكلها الأساسي بعض التعديلات الطفيفة. الإسـبانية يتكلمهـا نحـو ٧٥٪ مـن السـكان، والثانية ٩٠٪، فتكون الباراغواي البلد الاميركي اللاتيني الوحيد الثنائي اللـغة؛ في معظم بلـدان

أميركا اللاتينية ثمة نسب من السكان، بعضها مرتفع، تتكلم لهجات هندية مختلفة، لكن لا توجد لهجة منها في أي من هذه البلدان توصلت إلى أن تكون لغة ثانية كما هي الحال مع لغة الغاراني في الباراغواي . وغالبًا ما يضطر الاجانب الذين يفدون إلى الباراغواي للإقامة فيها إلى أن يتعلموا اللغتين، الاسبانية والغاراني.

السكان: في العام ١٨٦٥، كان عدد سكان الباراغواي ٥٢٥ ألف نسمة؛ وهم اليوم (في العام ١٩٩٥) حوالي ٤،٥ ملايين نسمة؛ ٩٠٪ منه من الخلاسيين (نتيجة إختلاط العنصر الاسباني والعنصر الغاراني)؛ ٨٪ من البيض و٢٪ من الهنود الحمر. من المتوقع أن يصبح عدد السكان حوالي ٥،٤ ملايين في العام ٢٠٠٠. هناك نحو مليون ونصف باراغوياني يعيشون خارج البلاد، وعرفت البلاد موجة هجرة بين العامين ١٩٤٥ و ١٩٧١. الديانة الغالبة: الكاثوليكية(٩٧٪ من السكان).

الاقتصاد: القطاع الاقتصادي الأهم هو القطاع الزراعي. أهم المزروعات: الذرة، المنيهوت (جنس جنبيات يُستخرج من جذورها دقيق نشوي)، القطن، قصب السكر والحمضيات. تربية الماشية مزدهرة، والباراغواي إحدى أهم دول أميركا اللاتينية المصدّرة للحوم والجلود. في العام ١٩٨٧، وبعد انقضاء عشرة أعوام على استمرار العمل (بالتعاون مع البرازيل) ببناء سدّ إيتا بو، أصبح هذا السدّ قادرًا على إنتاج أكبر كمية من الطاقة الكهربائية في العالم (٧٠ مليار كيلوات-ساعة في السنة، أي ما يعادل إنتاج السدود الفرنسية جميعها). وبعد سنوات قليلة، أضيف إليها ١٨ مليار كيلوات-ساعة بسبب انتهاء العمل بسدّ ياسيريتا الذي تمّ بناؤه بالتعاون مع الارجنتين. حاجة البلاد لا تتعدى ١،٣ مليار كيلوات-ساعة، فتكون الطاقة المتبقية معدّة للتصدير..الصناعات الأساسية غذائية (تعليب اللحوم)، وأقمشة، وجلود وإسمنت. السياحة آخذة في الازدهار (نحو ٣٠٠ ألف سائح في العام ١٩٩٢).

نبذة تاريخية

عندما وصل المستكشفون الإسبان الأوائل إلى الأجزاء الوسطى من قارة أميركا الجنوبية في القرن السادس عشر صادفوا هنودًا مختلفين عن هنود المناطق الشمالية الذين عُرفوا بقسوتهم (هنود الإنكا والكتشوا). فهنود المنطقة الوسطى، الغاراني، الذين سكنوا المنطقة الممتدة من فنزويلا الحالية حتى ريو دو لابلاتا في الارجنتين، وأحيانًا، حتى الباراغواي، تفاعلوا بسرعة مع الاسبان، واختلطوا بهم حتى انهم كانوا يساعدونهم في صد غزوات هنود الشمال الذين كانوا يغيرون على مناطقهم فيتلفون المزروعات ويهدّدون حياة المستوطنين. وبعد مدة من الزمن، نشأ بفعل هذا الاختلاط العنصر الخلاسي الذي أصبح يشكل الاكثرية الساحقة من السكان.

في القرن السابع عشر، أسّس اليسوعيون الاسبان إرساليات انتشرت على أراض واسعة ضمّت الشمال الشرقي من الارجنتين، والأوروغواي وجنوبي البرازيل، وكان عدد قليل من هذه الارساليات يقع ضمن حدود الباراغواي الحالية. وتمكن اليسوعيون من إقناع الهنود بالكاثوليكية وضموهم في مجموعات تعيش في قرى تعاونية حيث تمّ تلقينهم أنماط العيش على الطريقة الاسبانية. لكن هذا النشاط اليسوعي أثار غيظ بعض الملاّكين الكبار وسواهم من رجال دين، فأقنعوا ملك اسبانيا بخطر اليسوعيين على المستعمرة. وتمّ طرد هؤلاء في ١٧٦٧.

لم يبدأ الباراغويون بالتعبير عن رغبتهم في الاستقلال إلا في بداية القرن الثامن عشر. –وأول انتفاضة باتجاه هذا الهدف قادها خوسيه دو أنتيكرا إيكاسترو في العام ١٧٢١.

وبعد تسعين عامًا، أي في ١٨١١ نالت الباراغواي استقلالها سواء بالنسبة إلى إسبانيا أو بالنسبة إلى مملكة ريو دو لابلاتا السابقة التي كانت تضم الارجنتين والاوروغواي والباراغواي وجزءًا من بوليفيا.

وبعد أن أصبحت الباراغواي جمهورية مستقلة، عاشت سلسلة من الازمات والنزاعات. كان أولها في ١٨١٤ مع بداية حكم الديكتاتور رودريغز فرنتشيا الذي فرض نظامًا صارمًا وإرهابيًا وعزل بلاده بشكل كامل حتى وفاته في ١٨٤٠. فعاشت البلاد فترة قصيرة تحت حكم قنصلين (أو مديرين) أصدرا دستورًا ينص على انتخاب رئيس للجمهورية وأعضاء الكونغرس. وكان كارلوس أنطونيو لوبيز أول رئيس انتخب بموجب هذا الدستور، وكان رئيسًا مستنيرًا فتح حدود بلاده للعلاقات المتبادلة مع الخارج، وأنشأ مشاريع إنمائية في الداخل؛ وبقي في سدّة الحكم حتى وفاته في ١٨٦٢؛ فخلفه إبنه الجنرال فرنشيسكو سولانو لوبيز الذي أراد أن يجعل من الباراغواي الدولة الأقوى في منطقة ريو دو لابلاتا، فقادها، منفردة، إلى حرب ضد «الحلف الثلاثي» (البرازيل، الارجنتين والأوروغواي). وقد قاتل الباراغويون ببسالة واستطاعوا ان يصدّوا أعداءهم مجتمعين طيلة خمس سنوات. ولكن، عند نهاية الحرب، عام ١٨٧٠، كان هناك مئات الآلاف الباراغويين (نحو نصف مجموع السكان) قد لاقوا حتفهم، منهم رئيسهم نفسه الذي قتل في المعركة الأخيرة.

وكانت مهمة إعادة بناء الدولة مهمة صعبة للغاية طيلة نحو عقدين من الزمن. وبين ١٩٢٣ و ١٩٣٠، عرفت الباراغواي عهدًا من الاستقرار والديمقراطية والانماء بفضل السياسة الاصلاحية التي انتهجها رئيسها إليغيو أيالا. ولكن، ما كادت تستعيد عافيتها حتى اندلعت الحرب بينها وبين بوليفيا، في ١٩٣٢، حول إقليم شاكو (راجع «الارجنتين»، ج١، ص١٥٩). وبعد ثلاث سنوات من الحرب عقدت معاهدة سلام بين البلدين احتفظت الباراغواي، بموجبها، بإقليم شاكو، ولكنها وجدت نفسها ضعيفة ومنهكة. وبفعل هذه الحروب، أخذ العسكريون يسيطرون تدريجيًا على الحياة السياسية في البلاد التي عرفت فترة طويلة من عدم الاستقرار السياسي.

وبعد فترة طويلة من الاضطراب السياسي، نجح حزب «الكولورادو» بفرض نفسه ممثلاً لأغلبية الشعب، واستلم السلطة، وألغى الأحزاب الأخرى. وفي ١٩٥٤ أصبح الجنرال ألفردو ستروسنر رئيسًا للدولة عن طريق انقلاب دبّره. وجدّد انتخابه على التوالي بدءًا من ١٩٥٨ حتى إطاحته في العام

كنيسة في الريف ومصلون. الاغلبية الساحقة من سكان باراغواي كاثوليك.

١٩٨٩. وكان حزب «الكولورادو» الداعم الرئيسي له.

توصل ستروسنر طيلة هذه المدة، لحل عدد من المعضلات السياسية الداخلية، كما اتخذ اجراءات إقتصادية عملت على تحسين الوضع المعيشي للسكان. وأظهر تسامحًا حيال أحزاب المعارضة. وأكثر معارضيه تطرفاً هم الطلاب ورجال الدين. ولتأمين دعم الولايات المتحدة لحكمه (وكانت الولايات المتحدة في تلك السنوات-أواخر السبعينات- ترفع شعار حقوق الإنسان «مبدأ كارتر»)، أطلق ستروسنر نحو ٦٠٠ معتقل سياسي بين ١٩٧٧ و ١٩٧٩. لكن تقارير لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة اعتبرت ان الوضع لم يتغير وان الحكم يقوم بمناورات فقط. ومع افتتاحه المؤتمر الدولي الثاني عشر للرابطة العالمية المناهضة للشيوعية، في نيسان ١٩٧٩، في العاصمة أسّانسيون، تلقى الجنرال ألفردو ستروسنر مساعدة مالية لبلاده من الحكومة الاميركية بمبلغ ١٧ مليون دولار.

وفي شباط ١٩٨٣، أعيد انتخاب ستروسنر لولاية تمتد خمس سنوات أخرى وبنسبة نحو ٩٠٪ من المقترعين.

في ١٩٨٧، رفع ستروسنر الاحكام العرفية المعمول بها منذ العام ١٩٤٧. وفي ١٦-١٨ أيار ١٩٨٨، زار البابا يوحنا بولس الثاني الباراغواي وأعلن قداسة ثلاثة يسوعيين قُتلوا في العام ١٦٢٨. وفي شباط ١٩٨٩، عيّن ستروسنر ابنه غوستافو (كولونيل في سلاح الجو) نائبًا للرئيس، لكنه ما لبث أن اطاحه انقلاب عسكري قاده الجنرال أندرس رودريغز (مولود ١٩٢٣)، ففرّ إلى البرازيل.

باشر رودريغز حكمه بإعادة حريات التعبير والسماح للاحزاب بالعمل؛ وفي أواخر الشهر عينه (شباط ١٩٨٩) وُجهت تهمة الثراء غير المشروع بحق ستروسنر. وفي الأول من أيار (١٩٨٩) انتخب رودريغز (من حزب كولورادو) رئيسًا للجمهورية بأكثرية ٧٤،١٨٪ من الاصوات في وجه منافسه دومينغو لينو.

في أيار ١٩٩١ جرت انتخابات بلدية اسفرت عن نيل حزب كولورادو ٤٣٪ من الاصوات في ٢٤ دائرة من أصل ٢٠٦ دوائر انتخابية. وفي الأول من كانون الأول ١٩٩١، جرت انتخابات في الجمعية التأسيسية فاز بها حزب «الرابطة الوطنية الجمهورية» (ANR)؛ وفي ٩ أيار ١٩٩٣، انتخابات رئاسية فاز بها خوان كارلوس وُسْموزي (مولود ١٩٣٩، حزب كولورادو)، وانتخابات تشريعية فاز بها حزب كولورادو بأغلبية ٣٩،٩٪ من الاصوات، في حين نال الحزب الليبرالي بزعامة دومينغو لينو ٣٢،١٣٪.

الباراغواي جيوسياسيًا

في «المعجم الجيوبوليتيكي للدول» (إيف لاكوست، فلاماريون، باريس ١٩٩٤، ص ٤٤٣ و ٤٤٤) جاء:

كانت الباراغواي أرض المبادرات اليسوعية في العهد الاستعماري. وقد أقام اليسوعيون، بين العام ١٦١٠ والعام ١٧٦٠ دولة تيوقراطية لحماية الغاراني من هجمات تجار العبيد البرتغاليين، ولتنصيرهم. وعندما تمّ للسلطات الاسبانية والبرتغالية طرد اليسوعيين من البلاد، كان عليها أن تستمر

في قمع مقاومة الغاراني طيلة ستة أعوام متواصلة.

الرئيس الأول للباراغواي (أعلن الاستقلال في العام ١٨١٣)، غاسبارو فرانسيا، أعاد إلى حد كبير تجربة الحكم اليسوعي باعتماد تنمية مستقلة و «مركزية». وقد تابع خليفتاه، كارلوس أنطونيو لوبيز وابنه فرنشيسكو سولانو، النهج عينه لمدة نصف قرن (١٨١٥-١٨٦٥).

تعرضت الباراغواي، لوقوعها بين دول جبال الاندز ودول الواجهة الأطلسية، لضغوطات جيرانها الأقوياء. ففي العام ١٨٦٤، وبسبب عدم الاستقرار السياسي الذي أعقب انتهاء حكم لوبيز، هاجمتها كل من الارجنتين والأوروغواي والبرازيل (الحلف الثلاثي). فاستبسل الباراغويون (الغاراني) دفاعًا عن بقائهم. وفي نهاية هذه الحرب (١٨٧٠) هبط عدد سكان الباراغواي من مليون إلى ٣٠٠ ألف، وضمت الارجنتين إليها المناطق التي ستحمل في ما بعد إسم مقاطعة «ميزيون» الارجنتينية، واقتطعت البرازيل جزءًا من مناطق الباراغواي الشرقية، وكان نصيب بوليفيا أراض في شاكو واقعة شمالي الخط ٢٢. وبعد هذه الحرب، وقعت البلاد ضحية سلسلة انقلابات عسكرية وخلافات حزبية أعاقت نهوضها الاقتصادي (الحزبان الرئيسيان: حزب الزرق «أزول» ويضم الليبراليين والمناهضين للإكليريكيين، وحزب الحمر من المحافظين الكاثوليك).

بعد عقود قليلة نشبت حرب شاكو (١٩٢٨-١٩٢٩ و ١٩٣٢-١٩٣٥) بين الباراغواي وبوليفيا التي كانت تسعى إلى منفذ لها على الاطلسي من خلال نهر الباراغواي يعوّض عليها خسارتها لمنفذها على الباسيفيكي متذرعة بأن الباراغواي كانت تابعة لنيابة ملكية البيرو في عهد الامبراطورية الاسبانية التي ضمّت اليها الشاكو.

لكن وراء هذه الامور والمطالب السياسية والجغرافية كانت تقف، وراء الدولتين، الشركات النفطية: شركة «ستاندرد أويل أوف نيوجرسي» التي كانت تدعم بوليفيا لتتمكن من الحصول على آبار محتملة على حساب الشركات الانكليزية مثل شركة «شل» التي كانت تعمل في جنوبي القارة، إضافة إلى مستشارين أجانب (ألمان لبوليفيا) تقنيين وخبراء سلاح. وكانت النتيجة هزيمة ساحقة للجيش البوليفي الذي لم يكن تعوّد القتال في ظروف شاكو الطبيعية والمناخية (حرارة مرتفعة)، واستعادة الباراغواي لجزء من شاكو، وتبخر أحلام العثور على نفط في المنطقة. لكن حالة عدم الاستقرار السياسي في الباراغواي ظلت طاغية، ووقعت سلسلة من الانقلابات العسكرية (خمسة رؤساء في ١٩٤٨-١٩٤٩)، آخرها تزعمه قائد الجيش الجنرال ألفردو ستروسنر الذي استلم السلطة في ١٩٥٤ بدعم حزب كولورادو وظل ممسكًا بها حتى ١٩٨٩.

ثروات البلاد الطبيعية (البلاد تخترقها أنهار قابلة للملاحة) أثارت شهية الرأسماليين الانكليز والأرجنتينيين منذ نهاية القرن التاسع عشر. فقاموا باستثمار ملايين عدة من الهكتارات لزراعة المتّي ولتربية المواشي. وكانت الارجنتين أكبر مستثمر في الباراغواي طيلة النصف الأول من القرن العشرين، كما كانت أكثر البلدان استقبالاً

لنزوح الريفيين الباراغويين (في إحصاء ١٩٧٤، كان هناك ٦٨٠ ألف باراغوياني يعيشون في الارجنتين، أي نحو ربع سكان الباراغواي).

انقلب الوضع ابتداءً من ١٩٦٠ مع دخول البرازيل القوي وتنامي نفوذها. فطرق المواصلات النهرية باتجاه الجنوب والارجنتين حلّت محلها طرق المواصلات الشرقية-الغربية باتجاه البرازيل. الطريق المعبّدة والطائرة محل الطريق المائية وسكة الحديد. الغابات الاستوائية الشرقية في الباراغواي بدأت تعرف استثمارات ضخمة جعلت من الباراغواي رابع مصدّر عالمي للسوجا.

سدّ إيتابو (أحد أهم السدود في القارة) نفذه البرازيليون بين ١٩٧٤ و ١٩٨٠، وقامت بالقرب منه مدينة حديثة هي «سيوداد». والعاصمة أسّنسيون أصبحت تضم أكثر من مليون نسمة بعد ان كانت مرفأً صغيرًا وهادئًا في الخمسينات. والقسم التابع للباراغواي من شاكو (وهو يغطي نحو نصف مساحة البلاد) لم يعد موضوع مطمع من الدول المجاورة، والدولة آخذة باستثمار ثرواته سنة بعد سنة.

هندي «غارالي» في الباراغواي.

مدن ومعالم

* **أسّنسيون Asuncion** : جميع مدن الباراغواي تقريبًا تقع في المنطقة الشرقية من البلاد. أكبرها وأقدمها هي العاصمةأسّنسيون. نحو مليون و٣٠٠ ألف نسمة. كرسي أسقفي. مرفأ نهري نشط. صناعات أقمشة وغذائيات ومعلبات وتبغ. جامعات ومتحف ومسرح. أسسها الاسبان في ١٥٣٧. حاصرها البرازيليون في ١٨٦٩ إبان حرب الباراغواي.

في السنوات الأخيرة والمدينة تشهد نزوحًا كثيفًا إليها بحثًا عن العمل خصوصًا من المدن الصغيرة القريبة منها (سان لورنزو، لوك، فرناندو دي لامورا)، وكذلك من الباراغويين العائدين من الارجنتين.

* **أنكرناسيون Encarnacion**: مدينة ومرفأ نهري (على الضفة اليمنى من نهر بارانا). تقع قبالة بوزاداس (في الارجنتين). نحو ١٥٠ ألف نسمة، وهي قاعدة مقاطعة إيتابو.

* **سيوداد إيتابو Ciudad Itaipu**: مدينة حديثة. دعيت سيداد جنرال ستروسنر حتى ١٩٨٩. أصبحت ثاني أهم مدينة في البلاد، بعد العاصمة، خلال سنوات قليلة بسبب تجاورها لسد إيتابو.

* **فيلاّريكا Villarica**: مدينة يعود بناؤها إلى العصر الاستعماري. تقع على مسافة ١٦٠ كلم من العاصمة. صناعات الاقمشة والاحذية. فيها كاتدرائية قديمة يقصدها السياح.

في ريفها المجاور يزرع قصب السكر ونبتة المتّي وأنواع من الفاكهة.

* **كونسبسيون Concepcion**: مدينة ومرفأ نهري (ريو دي باراغواي). نحو مئة ألف نسمة. كرسي أسقفي. أكبر مدينة تجارية في شمالي الباراغواي. قاعدة المقاطعة التي تحمل الاسم عينه.

زعماء ورجال دولة

* **ستروسنر، ألفريدو .Strossner, A**: (١٩١٢-): دكتاتور عسكري ورئيس دولة الباراغواي منذ ١٩٥٤ وإلى ١٩٨٩ حيث أطاحه انقلاب عسكري قاده الجنرال أندرس رودريغز. منذ توليه السلطة بانقلاب عسكري انتهج نظامًا سياسيًا يمينيًا متشددًا، فعلّق الحريات العامة وأعلن الاحكام العرفية. معادٍ للشيوعية فنال مساعدات مالية من الولايات المتحدة والبرازيل، ما مكّنه من اجراء إصلاحات محدودة في الحقل الاقتصادي.

ولد في ٣ تشرين الثاني ١٩١٢ في مدينة أسّنسيون لوالد ألماني الأصل كان مهاجرًا في الباراغواي حيث تزوج من امرأة باراغويانية. تلقى تربية صارمة، ووجهه والده نحو الجندية. في العشرين من عمره أصبح برتبة ملازم. شارك في حرب شاكو ضد بوليفيا. عندما قام الجنرال مورينيغو بانقلاب عسكري وتسلم زمام السلطة في البلاد، رُقّي ستروسنر إلى رتبة كولونيل (كان نقيبًا في نهاية حرب شاكو)، وعهد إليه قمع محاولة انقلاب قام بها بعض الضباط الليبراليين. فوقعت أثناءها حرب أهلية دامت ستة أشهر أظهر فيها ستروسنر قسوة كبيرة. أوجد محازبين له عديدين في صفوف حزب «كولورادو» المحافظ، فعاونوه على إطاحة النظام القائم، وأصبح رئيسًا للبلاد. حلّ المجلس، وأعلن الاحكام العرفية وسحق اضرابات ١٩٥٨ و ١٩٥٩ وهجمات المقاومة في الاعوام ١٩٦٠ و ١٩٦١ و ١٩٦٥ وطهر الجيش من العناصر المناوئة له وحلّ الاحزاب. هرب في عهده أكثر من ٤٠ ألفًا من السكان ولجأوا إلى البلدان المجاورة خاصة الارجنتين. ساعدته الولايات المتحدة على تحقيق بعض الانجازات الاقتصادية، كجر المياه إلى العاصمة، وشق ٤٥٠٠ كلم من الطرقات (لم يكن في الباراغواي أكثر من ٥٠٠ كلم من الطرقات)، ووزع أراض على ٤٠ ألف عائلة وأنشأ محطات لتوليد الكهرباء. وأهم مشروع أنجزه سدّ إيتابو بمساعدة البرازيل التي تعاظم نفوذها في البلاد حتى قيل إن الباراغواي أصبحت بمثابة «مستعمرة برازيلية». عدّل الدستور بشكل يسمح له بتجديد ولايته قدر ما يشاء وكان يُعاد انتخابه بنسبة تفوق ٨٠٪، وكان يخصص نحو ثلث الميزانية للجيش حتى يأمن استمرار دعمه له ويتجنب انقلابًا عسكريًا عليه، وقد اعتاد الاتصال يوميًا بالقيادة العسكرية ليتأكد من ان أحدًا لا يدبّر مؤامرة عليه.

باكستان

بطاقة تعريف

دولة حديثة وإسم «باكستان»: أرض مأهولة قديمة جداً عليها بعض المدن الاقدم في التاريخ- موهنجو دارو، هارابا اللتان بُنيتا منذ الألف الثالث قبل الميلاد- لكنها دولة حديثة جداً نشأت فجأةً فور اعلان البريطانيين استقلال الهند وإنشاء دولة باكستان في ٥ آب ١٩٤٧ ورسمهم لحدود الدولة الجديدة وفق الأقاليم التي بها أغلبية مسلمة دون مراعاة من جانبهم (البريطانيين) لأية عوامل أخرى اقتصادية أو ثقافية أو جغرافية. فظهرت باكستان- بقسميها الشرقي (الذي سيصبح دولة بنغلادش) والغربي- وهي تحمل منذ اليوم الأول تناقضات وألغامًا موقوتة.

بعكس «الهند» فإن كلمة «باكستان» حديثة. وضعها، في العام ١٩٣٣، شباب مسلم مثقف كانوا يتلقون العلم في جامعة كامبريدج: حرف «ب» للدلالة على البنجاب، وحرف «أ» لأفغانستان في إشارة إلى المقاطعة الواقعة على الحدود مع أفغانستان، وحرف «ك» لكشمير، وحرف «س» للسند، أما المقطع الأخير «تان»

فهو نفسه المقطع الأخير من بلوشستان. لكن البعض يذهب إلى ان باكستان تعني-لغة- «الأرض الطاهرة»، وان اختيار هذا الاسم كان مناسبًا ومناسقًا مع ما أعلنه الشاعر الكبير محمد إقبال لأول مرة بشكل علني في خطاب عام له في مدينة الله آباد عام ١٩٣٠ حيث طرح فكرة تقسيم الهند لان الاختلاف واضح بين المسلمين والهندوس من حيث الدين والمعتقدات.

الموقع: جنوب آسيا. تحيط بها أفغانستان، إيران، الصين، بحر العرب، الهند، وكشمير جامو المتنازع عليها بين الهند وباكستان.

المساحة: ٧٩٦٠٩٥ كلم م. (باستثناء كشمير)

العاصمة: إسلام آباد. أهم المدن: كراتشي، لاهور، فيصل آباد، روالبندي.

المناطق: المقاطعة الشمالية الغربية الحدودية: سهول بيشاور وبانو إلى الغرب من نهر الإندوس، وعدد سكانها نحو ١١ مليونًا ومئة ألف نسمة. -البنجاب: سهول غرينية، نحو ٤٨ مليون نسمة. - السند إلى جنوبي البنجاب، صحاري تخترقها قنوات ومشاريع للري، أكثر مناطق باكستان تخلفاً، الأمية هناك تصل إلى حدود ٩٩٪ من السكان، نحو مئة امرأة تقتل أسبوعيًا في هذه المنطقة بسبب أنهن شوهدن يتكلمن مع رجال من غير قبيلة، الاقطاع الزراعي (مثل عائلة بوتو) هو المسيطر على مختلف نواحي الحياة، صدامات من حين إلى آخر بين السنديين والمهاجرين المسلمين الذين جاؤوا من الهند عقب إعلان الاستقلال وأحداث ١٩٤٧، وعدد سكان السند نحو ٢٠ مليون نسمة. - بلوشستان، وتقع غربي البلاد، هضاب جدباء، وتحتل مساحة نحو ٥٠٪ من البلاد، وعدد سكانها نحو ٥ ملايين نسمة، وتمتد هذه المنطقة إلى إيران وأفغانستان، قاعدتها كيتا. - منطقة فاتا (أرض العاصمة الفدرالية)، عدد سكانها نحو ٢،٥ مليون نسمة. وتدير باكستان جزءاً من كشمير: أزاد كشمير، أي كشمير الحرة. ويحكم كل منطقة حاكم فدرالي.

السكان: في ١٩٦١ كان عدد السكان٤٩،٩ مليونًا، وفي ١٩٧٢ أصبح ٦٤ مليونًا، وفي ١٩٨٤ وصل إلى٩٦،٢ مليونًا، وفي ١٩٩٢ نحو ١١٧ مليونًا، وتشير التقديرات إلى أن عدد سكان باكستان سيصبح حوالي ١٥٦ مليونًا في العام ٢٠٠٠. الأمية لا تزال متفشية بنسبة عالية: ٧٥٪. ويعيش في باكستان نحو مليوني لاجىء أفغاني.

اللغات: الانكليزية (لغة رسمية) ويتكلمها ٢٪، والأوردية (لغة قومية) ويتكلمها نحو ٢٠٪. وهناك لغة البنجاب (٦٤٪)، والسندية (١٢٪)، ولغة الباستو، ولغة البلوش.

يشكل المسلمون أكثر من ٩٧٪ من الباكستانيين، ٧٤٪ منهم من السنّة (البنجاب)، والباقون من الشيعة (خاصة في السند) منهم نحو مليونين من الاسماعيليين (زعيمهم الروحي كريم آغا خان). وهناك أقليات صغيرة من الهندوسيين والمسيحيين والبوذيين.

في باكستان (الغربية) مشكلة قوميات، حادة في أحيان كثيرة، واستمرت على هذا النحو منذ ولادة دولة باكستان (١٩٤٧) حتى اليوم. وذلك على عكس ما هو قائم في باكستان الشرقية (بنغلادش) التي تمثل تجانسًا قوميًا حيث ان ٩٨٪ من سكانها من البنغاليين، ولا يتجاوز عدد الاقليات القومية فيها (بنغلادش) ٣٠٠ ألف نسمة.

تضم باكستان أربع قوميات متباينة تمثل سكان مناطق البنجاب والسند والباحتون والبلوش. ومنذ قيام باكستان والبنجابيون هم المجموعة الأكثر سيطرة، فهم الأكثر من الناحية العددية (٦٠٪ من إجمالي السكان)، وهم المسيطرون

سياسيًا واقتصاديًا (٨٠٪ من القوات المسلحة، و ٨٠-٨٥٪ من الوظائف الادارية العليا، وحوالي ٨٠٪ من رجال الأعمال).
يشكل السند القومية الثانية، والباحتون الذين يعيشون في منطقة الحدود الباكستانية-الأفغانية القومية الثالثة، ثم أخيرًا البلوش الذين يعيشون في منطقة بلوشستان (هولاً-أي البلوش- مستبعدون إلى حد كبير عن تولي المناصب العليا).

الاقتصاد: عند تقسيم الهند وتأسيس باكستان كان نصيب الدولة الجديدة أقاليم تتسم بالانخفاض الشديد في مستوى التطور الاقتصادي، فكان ٨٥٪ من سكان باكستان يعيشون في الريف؛ ولم يكن نصيب باكستان الحالية من المشروعات الصناعية الموجودة في شبه القارة الهندية إلا ١٠٧٩ مشروعًا من بين ١٤٦٧٧ مشروعًا، وكانت المشروعات الصناعية الصغيرة التي وجدت في باكستان غداة التقسيم عاجزة عن توفير أبسط احتياجات البلاد من السلع الصناعية، كما تأثر الوضع الاقتصادي للدولة على نحو سلبي من جراء ضرورة تخصيص عشرات الملايين من الروبيات سنويًا من ميزانيتها لتسدد لبريطانيا ثمن نظام الري والسكك الحديدية التي آلت إلى باكستان بعد التقسيم. وكان الانتاج الزراعي يتم بوسائل بدائية، وكان توزيع الملكية في المجتمع معقدًا، فقد كان هناك ٦٠٦٠ من كبار المالكين يمتلكون من الاراضي أكثر مما تمتلكه ٣،٣ مليون عائلة من الفلاحين.

لكل ذلك لم تكن البداية سهلة، ولم يكن هناك من نمو اقتصادي يعوّض مصاعب تعدد القوميات وافتقاد العدالة الاجتماعية. وهكذا تفاعلت جذور عديدة سياسية واقتصادية وعرقية لتصوغ حقل الالغام الذي سارت فوقه باكستان
كانت قمته انفصال القسم الشرقي (بنغلادش) عن الغربي (باكستان). في باكستان ١٦ مليون هكتار من الاراضي المروية إضافة إلى وجود مساحات واسعة من الغابات والمراعي. معدل الانتاج (في السنوات الاخيرة) من القصب السكر٣٥،٥٪ مليون طن، ومن القمح ١٤ مليونًا، ومن الأرز ٤،٨ ملايين، ومن القطن ١،٦مليون، ومن الذرة١،٤. هناك ٦٥٪ من إجمالي الانتاج الزراعي ينحصر في البنجاب.
مصادر الطاقة: الفحم، النفط (الاحتياط ١١ مليون طن)، ألغاز (الاحتياط ٣٥٠ مليار متر مكعب)، الطاقة الكهرمائية (مشروع سدّ تاربيلا على نهر الاندوس بطاقة ٢٩٠٠ ميغاواط)، الطاقة النووية: مشروع بمساعدة تقنية فرنسية (مفاعل بطاقة ٩٠٠ ميغاواط وكلفة ١٢ مليار فرنك) ومساعدة صينية (مفاعل بطاقة ٣٠٠ ميغاواط).
المناجم، أهمها الكلس، والجيبس، والملح، والمرمر، والفوسفات، والكروم، والسولفات.
أهم الصناعات: الجلود، القطن، والصناعات اليدوية (السجاد وأدوات الرياضة).
تحتل باكستان المرتبة العالمية الخامسة في إنتاج القطن، والسابعة في قصب السكر، والعاشرة في القمح، والرابعة عشرة في الأرزّ.

نبذة تاريخية

حتى بداية القرن العشرين

كانت وادي الهندوس (التي أضيفت إليها أقاليم أخرى عندما تكونت باكستان الحالية في ١٩٤٧) مهد إحدى أعظم الحضارات التي كانت توازي بأهميتها الحضارة المصرية، وحضارة بلاد ما بين النهرين والحضارة الصينية. فحوالي العام ١٥٠٠ ق.م. توالت هجرات الشعوب الآرية إلى وادي الهندوس (أو «الإندوس») حاملة معها السنسكرية، أصل كل اللغات الهندو-أوروبية، كما أدخلت معها التقاليد الدينية الممتزجة ببعض الطقوس الدراويدية (نسبة إلى شعوب الدراويد القاطنة شمالي الهند) التي عملت الهندوسية على صقلها وتنميتها في ما بعد. وقد قامت عدة ممالك آرية على كافة الأراضي الهندو-باكستانية، وذلك قبل أن يغزو الفرس الأراضي المكوّنة لباكستان الحالية ويضموها إلى أمبراطوريتهم في القرن السادس ق.م. وانتهت سيطرة الفرس على تلك الاراضي في العام ٣٢٧ ق.م. مع فتوحات الاسكندر المقدوني الكبير.

بين القرن الرابع والقرن الثاني ق.م. فرضت أسرة موريا سيطرتها على كامل البلاد، وبرز من هذه الأسرة إسم الملك أسوكا الذي عاش في القرن الثالث ق.م.، والذي اعتنق البوذية ودعا إلى انتشارها.

ومنذ بداية القرن الثاني ق.م. بدأت امبراطورية موريا في الوهن، ما سهّل على الاغريق احتلال بعض الاقاليم. واصبح ديميتيوس الاغريقي سيّد جميع الاراضي التي تشكل حوض نهر الهندوس (الإندوس). وخلفه أحد مساعديه، ميننذر، فحكم مملكة واسعة الارجاء في البنجاب. وفي هذه المرحلة، عرفت البلاد تفاعلاً صميميًا بين الهلّينية والبوذية أنتج فنا جديداً عرف بالفن «الإغريقي-البوذي».

اضمحلت الممالك الهندو-اغريقية بعد قليل من العصر المسيحي تحت ضربات شعوب السيت الهاربة من سهول آسيا الوسطى أمام تقدم الهون. ومع ذلك استمرت الحضارة الهندو-اغريقية في الامبراطورية التي اعادت توحيدها من جديد أسرة كوتشان التي تعود بأصلها إلى السيت. ثم تفسّخت الامبراطورية ثانية في أواسط القرن الثالث عندما غزاها الفرس الذين لم يستطيعوا البقاء أكثر من عقود قليلة، إذ طردتهم أسرة غوبتا الهندية التي تسنى لها، في القرن الخامس، ان تسيطر على امبراطورية هندية شبيهة بتلك التي أسستها أسرة موريا. وقد وصلت الحضارة الهندية إلى أوجها في عهد ملوك أسرة غوبتا الذين حموا الهندوسية والبوذية على السواء. وحوالي العام ٥٠٠، غزت قبائل من الهون قادمة من آسيا الوسطى المناطق الشمالية الغربية من امبراطورية غوبتا، أي المناطق التي تشكل معظم أجزاء باكستان الحالية. وبعد هذه الغزوات، انقسمت البلاد إلى ممالك متناحرة حينا ومتحالفة أحيانًا، ولم تستطع، في نهاية المطاف، من الصمود في وجه الفتوحات العربية الاسلامية، ثم المغولية.

ففي القرن الثامن، فتح العرب المسلمون بلاد السند، أي المناطق الواقعة في جنوبي باكستان الحالية. وبعد قرنين توصلوا إلى اخضاع مناطق الشمال بكاملها. وقد

كان للاسلام أثر كبير هناك، إلا انه لم يقض بشكل نهائي على آثار الغزاة السابقين الذين قدموا من آسيا الوسطى. وآخر امبراطورية آسيوية أخضعت البلاد كانت امبراطورية المغول التي ازدهرت بين القرنين السادس عشر والثامن عشر. ثم بدأت بالانحطاط، فدخل البريطانيون وكانت لهم السيطرة التامة على شبه القارة الهندية حتى منتصف القرن العشرين.

إنفصال واستقلال

فكرة «باكستان»: مع بداية القرن العشرين بدأت المشاعر الوطنية والقومية تلهب نفوس سكان شبه القارة الهندية وتؤدي إلى مظاهرات واضطرابات وحركات سياسية وقومية تطالب بالاستقلال عن بريطانيا. فأصدر البريطانيون قانوني ١٩١٩ و ١٩٣٥ اللذين كانا بمثابة دستور لامبراطوريتهم الهندية، ولم يتوصلوا من خلالهما لإرضاء الهنود وزعمائهم السياسيين.

في العام ١٩٣٠، أعلن الشاعر الكبير محمد إقبال، في خطاب له في مدينة الله آباد، فكرة تقسيم الهند لأن الاختلاف واضح بين المسلمين والهندوس، ولأن المسلمين أمة منفصلة عن غيرها ويجب أن تتمتع بدولة مستقلة. والجذور القريبة لهذه الفكرة تتصل بأفكار «الجماعة الاسلامية» التي كانت في ذلك الحين حركة تحديثية تستقي مبادئها من أفكار الشاعر نفسه (محمد إقبال) وسيّد أحمد خان، وشبلي نعمان، وغيرهم من المفكرين الاسلاميين المحدثين (راجع «دولة حديثة وإسم باكستان» في بطاقة تعريف).

حركة سياسية: وتحولت الفكرة إلى حركة سياسية قادها مؤسس باكستان محمد علي جناح. وسرعان ما لاقت الدعوة إقبالاً من كثير من المسلمين الذين كانوايعانون افتقاد معنى العدل في ظل احتكار الهندوس للسلطة والثروة في الهند. وشهدت الفترة بين عام ١٩٣٨ إلى ١٩٤٤ تنامي الحركة الباكستانية الإسلامية من مجرد تكتل يعبر عن مصالح أقلية مسلمة إلى حركة لأغلبية المسلمين تبحث في جوهرها عن المساواة الإقتصادية والإجتماعية. وهذا الوضع استغله البريطانيون إلى أقصى الحدود واستثمروه في مشروعهم «الهندي». عشية الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا قد أصدرت وعدًا بمنح «البلاد الهندو-باكستان» استقلالها. وكانت حركة انفصال باكستان تقف في مواجهة دعوات غاندي ،ثم نهرو، وكان حزب الرابطة الإسلامية يواجه حزب المؤتمر

انفصال واستقلال: في ١٤و١٥ آب ١٩٤٧، أعلن البريطانيون فجأة، استقلال الهند وإنشاء دولة باكستان. وتمّ رسم حدود الدولة الجديدة وفق الأقاليم التي بها أغلبية مسلمة، فكانت باكستان بقسميها الشرقي (بنغلادش) والغربي (باكستان الحالية). لكن، سرعان ما ظهرت الخلافات والانشقاقات بين مختلف فئات وطوائف السكان. وأخطر هذه الخلافات تلك التي أدت إلى طلاق شبه كامل بين المسلمين والهندوس. فمنذ مجيء الاسلام وسيطرته على جزء من القارة الهندية، عمل المسلمون على حماية هويتهم الدينية والثقافية بمواجهة الأكثرية الهندوسية. فعندما أصبح الاستقلال حقيقة واقعة، أعلنت الرابطة الاسلامية،

بزعامة محمد علي جناح، قيام دولة اسلامية مستقلة علـى مناطق يشكل المسلمون الأكثرية الساحقة من سكانها (٩٧-٩٨٪). وبذلك، ولدت دولة باكستان (١٩٤٧).

من الاستقلال إلى ضياء الحق: عقب وفاة محمد علي جناح (١٩٤٨) تولى السلطة رئيس الوزراء ياقوت علي خان الذي اغتيل في تشرين الأول ١٩٥١، ثم اندلعت حرب أهلية، سرعان ما توقفت، فساد نظام ديمقراطي برلماني حتى عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ اللذين شهدا صراعًا إقليميًا وتدهوراً في الاوضاع، ما أدّى بالجيش إلى التدخل في ٧ تشرين الأول ١٩٥٨ وسلّم السلطة إلى المارشال محمد أيوب خان الذي استمرت فترة حكمه قرابة عشر سنوات (نظام رئاسي) عاشت البلاد خلالها أجواء الاستقرار السياسي. وفي العام ١٩٦٨، أبدى الشعب رغبته في العودة إلى النظام البرلماني. فوقعت إضطرابات جعلت من الصعب إجراء انتخابات برلمانية.

وفي العام ١٩٦٩، انفجرت المعارضة ضد أيوب خان على شكل أعمال عنف انتهت باستقالته في ٢٥ آذار من العام ذاته، واستيلاء الجنرال يحي خان رئيس هيئة أركان الجيش على الحكم، فألغى الدستور وفرض الاحكام العرفية. لكن الاضطرابات لم تهدأ.

في اواخر العام ١٩٧٠، جرت إنتخابات تأسيسية لجمعية وطنية بهدف وضع دستور جديد للبلاد. وفازت «رابطة عوامي»، في باكستان الشرقية، بأغلبية المقاعد. ورفضت الحكومة، مدعومة بحزب الشعب الباكستاني، نتائج هذه الانتخابات، وتمسكت بقوة بالوضع القائم السائد في باكستان الغربية والشرقية. فأعلنت باكستان الشرقية (بنغلادش) إضرابًا عامًا مصحوبًا باضطرابات وعمليات تهدّد بالانفصال. فردّت الحكومة بحل رابطة عوامي، التي كان يتزعمها مجيب الرحمن، وارسلت جيشها إلى باكستان الشرقية حيث مورست أقصى عمليات القمع والعنف. فلجأت عدة ملايين من الباكستانيين الشرقيين إلى الهند. وبعد سلسلة من حوادث الحدود، دخل الجيش الهندي (١٩٧١) باكستان الشرقية، ونشبت حرب بين باكستان والهند، هزم على أثرها الجيش الباكستاني، وأعلنت باكستان الشرقية انفصالها، ثم استقلالها واتخذت إسم بنغلادش. فاستقال الجنرال يحي خان وحلّ محله ذو الفقار علي بوتو. وفي العام ١٩٧٣، صدر دستور جديد، وانتخب بوتو رئيسًا للوزراء. وفي شباط ١٩٧٤، اعترفت باكستان رسميًا ببنغلادش.

ضياء الحق: في آذار ١٩٧٧، جرت انتخابات نيابية فاز بها حزب الشعب الذي يرأسه ذو الفقار علي بوتو. إلا ان المعارضة الدينية الاسلامية طعنت في نتائجها وقادت حملة تظاهرات عنيفة مطالبة بتنحي رئيس الوزراء (بوتو) ومتهمة إياه ب«الاشتراكية»، إضافة إلى الاضطرابات التي تفجرت في إقليم بلوشستان. فاستغلّ الجيش هذا الوضع المضطرب، وقاد ضياء الحق انقلابًا عسكريًا أطاح النظام البرلماني، وأعلن حالة الطوارى واعتقل رئيس الوزراء (ذو الفقار علي بوتو) وحكم عليه بالاعدام وسط احتجاجات واسعة من مختلف بلدان العالم (نفذ الحكم في نيسان ١٩٧٩).

في آذار ١٩٨١، قام أنصار مرتضى بوتو (نجل الرئيس بوتو) باختطاف طائرة تابعة لخطوط باكستان الجوية الدولية واحتجاز ركابها في محاولة لتنبيه الرأي العام الدولي للحكم العسكري الدكتاتوري في باكستان. وبعد أيام من هذه الحادثة، عرضت الولايات المتحدة على باكستان تقديم مساعدة اقتصادية هامة و«ضمانة أمنية». وفي اليوم التالي لهذا العرض (٢٤ آذار)، صدر دستور مؤقت يعطي الرئيس حق حلّ الاحزاب. وعندما عارضه رئيس المحكمة العليا، فقد وظيفته. كانت إدارة الرئيس الاميركي، جيمي كارتر، تعارض طموح باكستان امتلاك أسلحة نووية.

وقد سخر ضياء الحق من عرض الرئيس الاميركي مساعدة باكستان بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار في كانون الأول ١٩٧٩. لكن الوضع تغير كليًا بعد أحداث أفغانستان، وعودة أنديرا غاندي إلى السلطة في الهند، ونجاح الرئيس رونالد ريغان في الانتخابات الاميركية.

ففي حزيران ١٩٨١، قدّم ريغان لضياء الحق مساعدة عسكرية واقتصادية بلغت قيمتها ٣،٢ مليار دولار، بما فيها تسليمه طائرات فانتوم-١٦. وأبقى ضياء الحق على علاقات حسنة مع الصين (زارها في ١٧ تشرين الأول ١٩٨٢)، كما عرض على الهند توقيع ميثاق عدم اعتداء، وزارها في أول تشرين الثاني ١٩٨٢ من ضمن جولته التي شملت بالاضافة إلى الهند، تايلاند وأندونيسيا وماليزيا وسنغافورة. وفي ٥ كانون الأول ١٩٨٢، زار الولايات المتحدة حيث بحث مع ريغان مسألة الوجود السوفياتي في أفغانستان، وجرت لقاءات (النصف الأول من ١٩٨٣) باكستانية-أفغانية حول هذا الوجود.

وعلى الصعيد الخارجي أيضًا، فسّرت مغادرة ضياء الحق لموسكو (شباط ١٩٨٤، مشاركته في مراسم دفن الزعيم السوفياتي أندروبوف) من دون ان يلتقي أي مسؤول رفيع فيها بأنه تصلب في موقف الكرملين من اسلام آباد التي تدعم الثوار الأفغان، وتقرب من الهند وابراز لأهمية التحالف الهندي-السوفياتي. وبالنسبة إلى إبرام معاهدة عدم اعتداء بين باكستان والهند المطروحة بين البلدين منذ قبل سنوات، بدا ضياء الحق (آب ١٩٨٤) مرنا في حين بدت غاندي متشدّدة في رفضها في «الوقت الحاضر».

على الصعيد الداخلي، بدأت المعارضة (صيف ١٩٨٣) التي تضم ١١ حزبًا في جبهة معارضة واحدة تحت إسم «حركة استعادة الديمقراطية»، نوعًا من العصيان المدني، فوقع بعض القتلى وجرت اعتقالات واسعة. وفي آب ١٩٨٤، عقدت المعارضة اجتماعًا سريًا وكررت مطالبها ومن أبرزها إجراء انتخابات عامة ونقل السلطة إلى ممثلي الشعب. وكان الرئيس ضياء الحق وعد باجراء الانتخابات في آذار ١٩٨٥. وفي كانون الأول ١٩٨٤، أصدر مرسومًا يحظر على المعارضة القيام بحملة تدعو إلى مقاطعة الاستفتاء في ١٩ من الشهر المذكور او الانتخابات التي وعد بإجرائها. وفي خريف ١٩٨٤، عرفت مدينة كراتشي اشتباكات بين السنّة والشيعة بسبب ان الشيعة، وهم الاقلية، اعتبروا ان اتجاه الرئيس إلى تطبيق الشريعة الاسلامية إنما هو خطوة لفرض أحكام السنّة عليهم.

وفي كانون الأول ١٩٨٤، أجرى ضياء الحق استفتاءه على الشريعة الاسلامية، ففاز ب٩٧،٧٪ وسط مقاطعة كبيرة دعت إليها المعارضة التي اتهمت السلطة بالتزوير، فبلغت نسبة المقاطعين ٣٨٪ وقد أتاح هذا الاستفتاء لضياء الحق ولاية حكم مدتها خمسة أعوام.

في ١٩٨٥، عادت بنازير بوتو من منفاها (وكانت طردت من البلاد قبل نحو سنة)، ثم طردت من جديد. وفي أواخر شباط ١٩٨٥، جرت انتخابات تشريعية واقليمية لم تشترك بها الاحزاب كونها محظورة، ثم جرى تعديل على دستور ١٩٧٣.

في ١٠ نيسان ١٩٨٦، عادت بنازير بوتو من جديد من منفاها واستقبلتها جماهير حاشدة خاصة في لاهور ومولتان. وفي تموز، جرى تاسع تعديل على الدستور حيث أصبح من صلاحية المحاكم إلغاء كل قانون لا يتلاءم وأحكام الاسلام. وفي آب، جرى اعتقال بوتو، وقامت اضطرابات في السند؛ ثم، في الخريف، وقعت اضطرابات دامية بين الباتون والبلوش في كيتا وكراتشي.

في آذار ١٩٨٧، توتر في كيتا وإلقاء قنابل في لاهور، واضطرابات (في الصيف) في كراتشي. وفي تشرين الثاني، انتخابات محلية أسفرت عن فوز جزئي للرابطة الاسلامية (في السلطة)، وفوز المهاجرين (المهاجرين) في كراتشي.

في ٢٠ كانون الثاني ١٩٨٨، وفاة غفّار خان (الملقب «غاندي الحدود») عن عمر يناهز ٩٨ سنة. وفي ٢٩ أيار، ضياء الحق يقيل رئيس الوزراء محمد خان جنجو ويمسك بجميع السلطات بين يديه. وفي ١٥ حزيران، الشريعة الاسلامية تصبح القانون الأعلى في الدولة، فتسير مظاهرات نسائية (خاصة في كراتشي ولاهور) ضد الاجراء. في ١٧ آب، ضياء الحق يقتل في حادثة طائرة تودي بحياة ٢٩ راكبًا بينهم أيضًا السفير الاميركي في باكستان. فاستلم غولان اسحق خان (رئيس البرلمان) مهام الرئاسة مؤقتًا. وفي ١٦ تشرين الثاني، انتخابات عامة فاز بها الحزب الشعبي الباكستاني (بزعامة بوتو)، وتعيين بنازير بوتو رئيسة للوزراء (٢ كانون الأول ١٩٨٨)؛ وفي ٢٩ كانون الأول، راجيف غاندي يزور باكستان في أول زيارة يقوم بها رئيس وزراء هندي لباكستان منذ ١٩٦٠.

أهم أحداث السنوات الأخيرة (١٩٨٩ - صيف ١٩٩٥)

١٩٨٩: في كانون الثاني، اضطرابات في كراتشي. في ١٣ شباط، متظاهرون يهاجمون المركز الثقافي الاميركي احتجاجًا على طبع كتاب «آيات شيطانية» لسلمان رشدي في الولايات المتحدة (راجع «سلمان رشدي» في مادة إيران، ج٤، ص ١٨٥). في ٢٣ آذار، نورسات بوتو (زوجة ذو الفقار علي بوتو ووالدة بنازير بوتو رئيسة الوزراء) وزيرة دولة من دون حقيبة.

١٩٩٠: في ٥ كانون الثاني، الجيش الهندي يحتل سريناغار. وفي ٢٦ كانون الثاني، مليون متظاهر ضد الفساد الحكومي في كراتشي. في ١٩ شباط، فرنسوا ميتران في أول زيارة لرئيس فرنسي لباكستان. في

٦ آب، إقالة بنازير بوتو من رئاسة الوزراء بسبب الفساد الحكومي والاداري واتهامها بسوء استعمال السلطة، وتعيين غولام مصطفى جاتوا رئيسًا مؤقتًا للوزراء. في ١٠ تشرين الأول إعلان حالة الطوارىء، وتعليق الولايات المتحدة لمساعدتها (٥٧٧ مليون دولار المقررة للعام ١٩٩٠) بسبب النشاط الباكستاني في المجال النووي المفترض انه لأغراض عسكرية. في ٢٧ تشرين الأول، انتخابات إقليمية وهزيمة حزب بوتو «الحزب الشعبي الباكستاني» (٤٧٪ من المقاعد).

١٩٩١: في ٢٦ كانون الثاني، الكونغرس الأميريكي يوافق على ٢٠٧ مليون دولار مساعدة لباكستان. في ٥ أيار، تبرئة اصيف علي زرداري،زوج بنازير بوتو، من تهمة الإختلاس والإحتيال (في السجن منذ ١٠ تشرين الأول ١٩٩٠). في ٢٧ تشرين الثاني، اعتقال أكثر من ٥٠٠ ناشط في الحزب الشعبي الباكستاني. في ١٩ كانون الأول، مجابهات وحوادث دامية بين الشرطة وبين أنصار بنازير بوتو.

١٩٩٢: في ١٤-١٩ كانون الثاني، نواز شريف رئيس الوزراء في زيارة لفرنسا.في ١١ شباط، مسيرة لأنصار جبهة تحرير جامو كشمير ومحاولتهم إجتياز الحدود الهندية ومقتل ١٦ منهم. في ٣٠ آذار، فشل مسيرة ثانية لأنصار تحرير كشمير؛ وصدامات بين السنة والشيعة، واحداث دامية في بيشاور وكراتشي امتدت إلى شهر تموز. في ٢٨ آب، اقفال الحدود امام اللاجئين الأفغان. في أيلول، معارك بين الباشتون. في ١٨ تشرين الثاني، وضع بنازير بوتو في الاقامة الجبرية. في كانون الأول، ذكر الدين على بطاقة الهوية أصبح إجباريًا. في ٢ كانون الأول، إعلان باكستان انه أصبح بمقدورها بناء سلاح نووي. في ٧-٨ كانون الأول، صدامات بين المسلمين والهندوس على أثر هدم مسجد أيوديا (في الهند) ومقتل ٣٠ شخصًا.

١٩٩٣: في ١٧ نيسان، الرئيس غولان إسحق خان يعزل رئيس الوزراء نواز شريف بتهمة سوء الادارة والفساد والمحسوبية، ويحل الجمعية الوطنية (البرلمان). في ٩ حزيران، أي بعد ٤٠ يومًا عاد رئيس الوزراء نواز شريف إلى الحكم طبق قرار المحكمة الشرعية العليا القاضي بالغاء المرسوم الرئاسي في حل المجلس الوطني (البرلمان)، وكانت دارت في غضون الايام الاربعين معركة سياسية وقانونية بين الشرعية المدنية والدستورية الانتخابية التي جاءت به إلى الحكم في العام ١٩٩٠ في حين استند العسكر برئاسة الرئيس الجنرال غولام اسحق خان إلى الدستور وتعديلاته التي سبق للعسكر أن أجروها. في ١٨ تموز، استقالة نواز شريف وتنحي خصمه الرئيس اسحق خان، تسوية توصل إليها الرجلان تقضي باستقالتهما معًا وحل البرلمان والدعوة إلى انتخابات جديدة وجرت بوساطة قام بها قائد القوات المسلحة الجنرال عبد الوحيد. وحكومة انتقالية لتصريف الاعمال اختير لرئاستها نائب رئيس البنك الدولي سابقا معين قريشي.
في تشرين الأول، انتخابات اشتراعية اسفرت عن فوز الحزب الشعبي الباكستاني بزعامة بنازير بوتو بـ ٨٦ مقعدًا من

مجموع ٢١٧ مقعدًا، في مقابل ٧١ مقعدًا لحزب الرابطة الاسلامية الذي يقوده نواز شريف؛ وكانت القوة الثالثة في الإنتخابات حزب الرابطة الاسلامية-جناح جونيجو المنشق عن رئيس الوزراء السابق (نواز شريف)، ولم تفز الجبهة الاسلامية الباكستانية إلا في ثلاث دوائر من أصل ١٠٣ قدمت فيها مرشحين، وذلك كشف ان قوة الجبهة في الانتخابات السابقة كانت بسبب تعاونها مع حزب نواز شريف.

في ١٩ تشرين الأول انتخبت الجمعية الوطنية (البرلمان) زعيمة حزب الشعب (أو الحزب الشعبي) الباكستاني بنازير بوتو رئيسة للوزراء للاعوام الخمسة المقبلة ب ١٢١ صوتًا مقابل ٧٢ صوتًا نالها منافسها نواز شريف. وبعد أيام قليلة (٢٣ تشرين الأول) قامت بزيارة دولة الامارات العربية المتحدة والعربية السعودية. وفي ١٣ تشرين الثاني، فاز مرشح بوتو (مرشح حزب الشعب الباكستاني) فاروق ليغاري في الانتخابات الرئاسية. ويعطي ذلك دعمًا سياسياً كبيرًا لبوتو نظراً إلى ما يتمتع به الرئيس من صلاحيات تخوله الدعوة إلى انتخابات وإقالة الحكومة وتعيين قائد الجيش.

وفي خطاب القسم الدستوري (ليغاري ثامن رئيس دولة للبلاد منذ ١٩٤٧) وعد ليغاري بالعمل على توطيد الديمقراطية عن طريق الحد من الصلاحيات الواسعة للرئاسة والتي من بينها حق إقالة رئيس الوزراء.

في كانون الأول، انفجر الخلاف بين نصرت بوتو وإبنتها رئيسة الوزراء بنازير بوتو بعد صراع خفي للسيطرة على زعامة حزب الشعب الباكستاني. وتحول هذا الصراع إلى حرب علنية بعدما عمدت بنازير إلى إقصاء والدتها عن رئاسة الحزب خوفا من ان تتنازل الاخيرة عن منصبها (رئيسة الحزب منذ ١٩٧٧ لأن «زوجي ذو الفقار علي بوتو عيّنني رئيسة للحزب مدى الحياة») لنجلها مرتضى (شقيق بنازير). وكان الخلاف نشب بين الأم وابنتها منذ عودة مرتضى من منفاه في دمشق لينافس شقيقته في الانتخابات العامة، وكانت والدته تولّت قيادة حملته الانتخابية بنفسها.

وفي ٩-١٠ كانون الأول، زارت بنازير بوتو إيران وسط كلام عن تعاون باكستاني-إيراني في المجال النووي، ثم زارت تركيا لبحث التعاون العسكري وإقامة مشاريع مشتركة في آسيا الوسطى. وفي اواخر هذا الشهر عينه، زارت الصين وكوريا الشمالية حيث حظيت باستقبال شعبي. وعقب هذه الزيارة قالت ان العقوبات الاميركية المفروضة على الصين وبلادها تستند إلى « معلومات خاطئة»، وطالبت واشنطن برفع العقوبات التي «ترفضها باكستان».

١٩٩٤: في آذار، باكستان تعرب عن قلق عميق إزاء الزيادة التي طرأت على موازنة وزارة الدفاع الهندية بنسبة ١٥٪ والمواكبة لحملة من التهديدات الهندية بشن حرب محدودة على الحدود بين البلدين ونشر قوات وأسلحة متطورة في إقليمي البنجاب وكشمير المجاورين لباكستان. واتهمت المعارضة الباكستانية بزعامة نواز شريف حكومة بوتو بالتراخي إزاء الموضوع مذكّرة بمساعدة بوتو رئيس وزراء الهند الأسبق راجيف غاندي في مواجهة حركة

السيخ الانفصالية في إقليم البنجاب الهندي.
وفي اواخر آذار، وإبان زيارة لعُمان دعت بوتو إلى مفاوضات لترسيم الحدود البحرية بين عُمان وإيران وباكستان. والمعروف ان المسافة بين مكران على الساحل الباكستاني وعُمان لا تزيد على مئة ميل ما يجعل السلطنة «أقرب جار لباكستان».

في نيسان، حلّت الحكومة المركزية الحكومة المحلية في إقليم بيشاور، ما أدّى إلى تصاعد الأزمة السياسية في البلاد خاصة بعد مقاطعة المعارضة بزعامة شريف جلسات اقليم بيشاور وجلسات البرلمان الفدرالي. وصعّدت المعارضة حملتها، في أيار، لدى إعلان الحكومة قبولها اقتراح أميركي بمراقبة المنشآت النووية الباكستانية عن بعد؛ وقد وقفت إلى جانب المعارضة اوساط سياسية وعسكرية عديدة، ما دفع بوزير الخارجية أصف أحمد علي إلى إصدار بيان يؤكد ثوابت سياسة الحكومة وهي عدم التفرد في ابرام معاهدة الحد من الانتشار النووي وعدم السماح بتفتيش المنشآت الباكستانية ما لم تشمل هذه الاجراءات الهند المجاورة.

في تموز، حوادث عنف مذهبي شيعي-سني في كراتشي (العاصمة الاقتصادية لباكستان)؛ وتجددت هذه الحوادث في كانون الأول، وفي ١٨ منه أصيبت المدينة بالشلل التام من جراء إضراب دعت إليه منظمة «سباه الصحابة» (جيش الصحابة) السنية.

في ١٠ آب، انتكاسة في العلاقات الباكستانية-الاميركية على أثر قرار واشنطن إلغاء صفقة طائرات «ف-١٦» إلى اسلام آباد، وقرار الأخيرة البحث عن خيارات بديلة لسدّ الفراغ الدفاعي الناجم عن إلغاء الصفقة. وكانت إسلام آباد وقعت عقدًا مع شركة «لوكهيد» الاميركية عام ١٩٨٩ لشراء ٧١ طائرة من طراز «ف-١٦»

بوتو (الى يسار الصورة) لدى زيارتها القرة (١١ كانون الاول ١٩٩٣)، والى جانبها رئيسة الوزراء التركية تشيلر.

ودفعت أقساطًا قيمتها ٦٥٩ مليون دولار. غير ان الادارة الاميركية جمّدت الصفقة بعد حوالي ١٢ شهرًا في عهد رئيس الوزراء السابق نواز شريف بحجة ان باكستان تملك قدرات نووية، ما يتعارض مع قانون «برسلر» الذي لا يسمح بتقديم مساعدات اقتصادية أو إبرام صفقات عسكرية مع دول تملك سلاحًا نوويًا.

١٩٩٥: بدأت هذه السنة (خلال كانون الثاني) بثلاثة مواقف خارجية لإسلام آباد: تأكيد بنازير بوتو انها لم تتخذ بعد قرارًا بالاعتراف باسرائيل وذلك بعد تأجيلها لزيارة كانت تنوي القيام بها لغزة-أريحا؛ تصاعد وتيرة الجدل السياسي بين باكستان ودول الغرب (خصوصًا بريطانيا) بسبب قضية كشمير التي طالب وزير الخارجية البريطانية دوغلاس هيرد (أثناء زيارته لإسلام آباد في ٨ كانون الثاني) بعدم التغاضي عن القرارات الدولية في شأنها؛ وتوقيع باكستان والولايات المتحدة اتفاقًا يقضي باحياء الهيئة الاستشارية المشتركة التي تتولى التنسيق بين الجانبين في شأن القضايا الأمنية في المنطقة، ووقّع الاتفاق وزير الدفاع الباكستاني أفتاب شعبان ميراني ونظيره الاميركي وليام بيري أثناء زيارة هذا الأخير لإسلام آباد في ١٦ كانون الثاني؛ وقد غادر الوزير الاميركي إلى الهند وسط اتهامات باكستانية بازدواجية الموقف الاميركي.

في ٧ آذار، مقتل محمد علي نقوي (في لاهور) وهو زعيم شيعي متشدّد عضو المجلس الاعلى لجماعة تحريك الجعفرية، واضطربات في لاهور وتخوف السلطات من تجدّد الصدامات بين أنصار جماعة تحريك الجعفرية وجماعة سباهي الصحابة السنّية المتشددة، ويتنصل قادة الجانبين من مسؤولية العنف ويتهمون جهات خارجية بالتخطيط لضرب الاستقرار في البلاد بعد كل حادثة طائفية.

شهد شهر حزيران (١٩٩٥) لوحده مقتل أكثر من ١٤٠ شخصًا في كراتشي (عاصمة باكستان التجارية) نتيجة أعمال عنف عرقية، طرفها الأساسي حركة المهاجرين القومية (زعيمها إلطاف حسين يعيش منفيًا في بريطانيا) التي تطالب باقليم مستقل وبتسوية عادلة لمشاكل المهاجرين في إقليم السند (مطلب الاستقلال ينفيه زعيم المهاجرين إلطاف حسين-راجع «حسين، إلطاف» في زعماء ورجال دولة).

وشهد النصف الأول من تموز بدء محادثات بين الحكومة وحركة المهاجرين لكن في أجواء استمرار التوتر وأعمال العنف في كراتشي. وقد اعتبر رئيس وفد المهاجرين في المفاوضات، اسماعيل دهلوي، ان رفض اي مطلب من جانب الحكومة

وزير الخارجية الباكستاني سردار أصف أحمد علي.

سيترتب عليه وقف المحادثات، أي «الفرصة الأخيرة للحفاظ على وحدة باكستان». وقال إن المهاجرين الذين يشكلون أكثر من ٥٠٪ من سكان إقليم السند سيطالبون باقليم مستقل لهم اذا ما فقدوا الامل في الحصول على حقوقهم. وان ذلك سيكون «مأساة كبيرة لا تقل حجمًا عن انفصال بنغلادش في ١٩٧١».

القنبلة النووية الباكستانية

يقال لها ايضًا «القنبلة الاسلامية» تبعًا للتعبير الذي اطلقه رئيس الوزراء الباكستاني ذو الفقار علي بوتو عام ١٩٧٩ يصف به القنبلة النووية الباكستانية ومحاولة باكستان في ان تكون قوة نووية بمستوى الدول العظمى. وقد اطلق بوتو هذا التصريح بعد ان غدت القنبلة النووية سلاحًا تمتلكه القوى العظمى وبعض دول العالم الثالث، مثل الهند العدوة التقليدية لباكستان، واسرائيل كذلك - حسب رأي بوتو وبالرغم من عدم تصريح قادتها بذلك -، ولذلك فإن بوتو يؤمن بأن نجاح باكستان بالحصول على قنبلة نووية هو كسب للعالم الاسلامي كله لكون باكستان دولة اسلامية. كتب ذو الفقار علي بوتو في كتابه المعروف «إذا قُتلتُ» (If I am Assassinated): «نحن نعرف بأن اسرائيل ودولة جنوب افريقيا يمتلكان قدرة نووية كبيرة، وان الحضارات المسيحية واليهودية والهندوسية تمتلك هذه القدرة النووية ايضًا. ثم إن القوى الشيوعية العظمى (يقصد الاتحاد السوفياتي والصين) تمتلكها ايضًا، بينما ظلت الحضارة الاسلامية تفتقر إلى القوة النووية، لذلك إن هذا الوضع ينبغي ان يتغير».

إن بوتو لا يرى باكستان إلا جزءاً من العالم الاسلامي بما فيه البلدان العربية، ولهذا فإنه يعتبر امتلاك باكستان للقنبلة النووية هو امتلاك الحضارة الاسلامية لها. فهو لا يفرق بين القوى الكبرى على أساس ايديولوجي سياسي بقدر ما يميزها على أسس دينية، وذلك بسبب التحدي الهندي الذي يواجه باكستان على أساس ديني، والكتلة الوحيدة التي يسبغ بوتو عليها صفة سياسية وليست دينية هي الكتلة الشيوعية التي لا يصنفها ضمن المعسكر المسيحي أو اليهودي أو الهندوسي.

ومن هنا فإن تعبير «القنبلة الاسلامية» يتجاوز نطاق البعد اللفظي السياسي أو الديني الايديولوجي المحض ويتعداه إلى المجال الديني الحضاري الشامل للاسلام. فالاسلام ليس ديناً فقط بل هو كتلة حضارية في نظر بوتو لها ثقلها الدولي الذي عليها ان تلعبه بالدرجة الموازية لحجمها.

وهو باطلاقه تعبير القنبلة الاسلامية، يهدف إلى توظيف القدرة الجغرافية-السياسية والعسكرية الإستراتيجية للعالم الاسلامي توظيفًا حضارياً. ولا يرى بوتو وجود اية عقبة تستطيع منع البلدان الاسلامية من امتلاك القنبلة النووية، فليس هناك اي تعارض بين الاسلام وبين امتلاك السلاح النووي. ولذلك جاء إعلانه عن القنبلة الاسلامية بمثابة الدعوة إلى المساواة وحق الدفاع عن النفس من قبل الشعوب الاسلامية ضد الشعوب ذات الانتماءات الدينية الاخرى. لقد كان تصريح بوتو ذا أثر فعّال ومتجاوب بشكل كبير داخل

البلدان الاسلامية. وكانت فكرة امتلاك القنبلة النووية همّاً سياسياً يسيطر على ذهن بوتو منذ زمن طويل. فخلال فترة نشاطه السياسي الممتدة من العام ١٩٥٨ وحتى العام ١٩٧٧ كان يلّح دائماً على ضرورة امتلاك باكستان للقنبلة النووية كحاجة أساسية على الصعيد السياسي والعسكري والحضاري. فقد ركّز كثيرًا في كتابه «أسطورة الاستقلال» (The Mythe of Independance) المنشور العام ١٩٦٩، على ضرورة امتلاك قوة نووية تخدم باكستان استراتيجياً.

وتجدر الاشارة إلى ان اسرائيل قد لمحت مراراً وتكرارًا إلى إمكانية قيامها بتدمير المنشآت النووية الباكستانية للحيلولة دون تصنيع «القنبلة الاسلامية» على غرار ما فعلت عندما قامت في العام ١٩٨١ بضرب المفاعل النووي العراقي «تموز» (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠, ج ٤ ص ٨١٠ و ٨١١).

كانت باكستان بدأت نشاطها في المجال النووي في العام ١٩٧٢ بعد سنوات من تأسيس هيئة الطاقة الذرية في العام ١٩٥٥. وحصلت إسلام آباد على أول مفاعل نووي من الولايات المتحدة في العام ١٩٥٥. وفي ١٩٨٨ حصلت على مفاعل من الصين طاقته ٢٧ كيلوواط، ثم بحثت بمساعدة من كندا في بناء مفاعل ثالث قرب مدينة كراتشي طاقته ١٢٥ كيلوواط.

ومعروف ان ما شجع باكستان على اعتماد برنامج نووي اجراء الهند تجربة نووية في ١٩٧٤. فباشرت إسلام آباد على الأثر اتصالات دولية أثمرت إعلان بكين وباريس (في ١٩٨٩ و ١٩٩٠) موافقتهما على تزويدها مفاعلات طاقتها ٣٠٠ ميغاواط و ٩٠٠ ميغاواط. واحترمت الصين تعهدها، لكن فرنسا رفضت توقيع عقد لبيع المحطة النووية بسبب ما قيل، وقتها، عن تعرضها لضغوط أميركية. ويقول خبراء في معهد «سبري» (في ستوكهولم) لبحوث السلام ان باكستان تملك حوالي عشرة رؤوس نووية على الأقل في مقابل ٦٠ رأسًا للهند وحوالي مئة لاسرائيل. وقدّر المعهد امتلاك باكستان يورانيوم مشبعًا يكفي لانتاج عشرة رؤوس نووية أخرى.

«ويراقب المسؤولون الباكستانيون التصريحات الاسرائيلية بقلق، وقال أحدهم ان الحديث الاسرائيلي عن الاعداد لتوجيه ضربة إلى هدف في إيران (راجع «إيران»، «القنبلة النووية»، ج ٤، ص ١٨٦) ربما كان تحويلاً للانظار عن خطة لاستهداف برنامج باكستان النووي. وأشار الجنرال ميرزا اسلام بيغ، الرئيس السابق لاركان الجيش الباكستاني (١٩٨٨- ١٩٩١) ان التعاون الاسرائيلي- الهندي العسكري واضح، ولا شيء يمنع اسرائيل من المغامرة بتوجيه ضربة إلى منشآت باكستانية نووية» (مجلة الوسط»، العدد ١٥٦، ٢٣ كانون الثاني ١٩٩٥، ص ١٢ و ١٣).

أثير موضوع المفاعل النووي الباكستاني، بطريقة جديدة (في اوائل ١٩٩٣) متزامنة مع الضغط الاميركي بالتخلي عن المشروع النووي او فتحه امام التفتيش الدولي مقابل استئناف الدعم المنقطع عن باكستان منذ تشرين الأول ١٩٩٠، مع ضجة أثيرت في داخل باكستان حين طالبت المعارضة المتمثلة بحزب الرابطة

الاسلامية بزعامة نواز شريف طرح الموضوع في البرلمان وكانت باكستان ثالث أكبر دولة تستلم مساعدات اميركية في سنوات الغزو السوفياتي لأفغانستان (١٩٧٩-١٩٨٩) بعد اسرائيل ومصر؛ واستفاد الجنرال ضياء الحق من بعض هذه المساعدات لتطوير المشروع النووي الباكستاني وامتلاك صواريخ وأسلحة متطورة. لكن، مع أنهيار الاتحاد السوفياتي، فقدت باكستان أهمية موقعها «الجغراسي» (الجيوبوليتيكي) كدولة حدودية بين العالم الحر والعالم الدائر في فلك الاتحاد السوفياتي.

وسعت واشنطن (في نيسان ١٩٩٣) لاقناع إسلام آباد بالسماح بتفتيش منشآتها النووية، وتصدّى الجيش الباكستاني وأكّد معارضته لأي خطوة من هذا النوع.

وفي نيسان ١٩٩٤، أكدت إسلام آباد من جديد رفضها السماح بتفتيش منشآتها النووية ما لم يتم إجراء مماثل بالنسبة إلى المنشآت الهندية. وفي ٢٣ آب ١٩٩٤، أعلن نواز شريف، رئيس الوزراء الباكستاني السابق وزعيم المعارضة في وجه بنازير بوتو، إن باكستان تملك بالفعل القنبلة الذرية، وحذر الهند من انها إذا هاجمت باكستان فإن ذلك سيشعل حرباً نووية (هذا الكلام قاله في اجتماع في نيل آباد في كشمير الخاضعة لباكستان)، في حين أعلنت الحكومة الباكستانية من ان باكستان تملك القدرة النووية ولكنها لن تلجأ للخيار النووي.

لكن الحكومة نفسها عادت ولوّحت بالرد النووي لردع أي عدوان هندي يستهدف «احتلال كشمير الحرة الخاضعة للسيطرة الباكستانية» (١٣ أيار ١٩٩٥). وكان سبق ذلك (أي في كانون الثاني ١٩٩٥) فشل وزير الدفاع الاميركي، وليام بيري، في أقناع الباكستانيين بالتخلي عن البرنامج النووي في ظل تعزيز أميركا علاقاتها الدفاعية مع الهند.

وفي أيار ١٩٩٥، امتنعت باكستان عن توقيع معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية إلى أجل غير مسمّى؛ وامتنعت كذلك الهند. وكان التأييد الذي حظي به التمديد اللانهائي للمعاهدة قوياً بين القوى الخمس التي تملك أسلحة نووية (الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وروسيا والصين)، كذلك بين الدول النامية الأصغر التي لا تملكها. وكانت المعاهدة دخلت حيز التنفيذ قبل ٢٥ عامًا.

قضية كشمير

(أفردنا مادة خاصة بعنوان «كشمير» في موقعها في جزء لاحق من الموسوعة؛ ونكتفي هنا بنبذة عامة).

تقع كشمير وجامو في أقصى شمال شبه القارة الهندية وتتاخم حدودها كلاً من باكستان وأفغانستان والصين الشعبية والهند والاتحاد السوفياتي سابقاً، وتبلغ مساحتها الاجمالية ٨٤٤٧١ ميلاً مربعاً ويزيد عدد سكانها على ١٢ مليوناً تبلغ نسبة المسلمين بينهم حالياً ٨٥٪ وكانت هذه النسبة تتعدى ٩٥٪ قبل ضم الهند للجزء الأكبر منها. تشتهر بأصوافها وبكونها ذات موقع استراتيجي مهم ومركز مواصلات.

عندما قسمت شبه القارة الهندية بين الهند وباكستان واستقلتا عن الحكم

البريطاني اختلفت الدولتان على كشمير. إذ أعلن حاكم كشمير ضمها إلى الهند، ولكن شعبها رفض ذلك واصبحت البلاد مسرحًا لقتال ضار بين قوات الهند وباكستان.

تمكنت الهند من الاستيلاء على الجزء الأكبر من كشمير وجامو وضمها إليها في العام ١٩٥٧ كجمهورية ذات استقلال ذاتي بينما ضمت باكستان الجزء الباقي.

تجددت الاضطرابات من قبل الغالبية المسلمة في ١٩٦٣-١٩٦٤، وحاول الزعيم الهندي نهرو ايجاد حل للمشكلة إلا ان المنية عاجلته قبل ان يتمكن من تحقيق ذلك في العام ١٩٦٤. وعندما اعلن شاستري (رئيس الوزراء الهندي عقب وفاة نهرو) تصميم الهند على اعتبار كشمير جزءاً لا يتجزأ منها توترت العلاقات بين الهند وباكستان، الأمر الذي أدّى إلى نشوب حرب بينهما في آب وأيلول ١٩٦٥. وفي ١٩٦٥، اجتمع أيوب خان وشاستري بوجود رئيس الوزراء السوفياتي في طشقند لتسوية النزاع بالطرق السلمية. ومع ان الحرب تجددت في ١٩٧١ على نطاق واسع بين الهند وباكستان وأدت في النتيجة إلى انفصال بنغلادش عن باكستان عقب انتصار الهند العسكري في هذه الحرب، إلا ان ذلك لم يؤد إلى حل للمشكلة الكشميرية بشكل يرضي الاطراف المعنية، وبالتالي فإن كشمير لا تزال في أساس كل علاقة سلبية بين باكستان والهند.

قد يكون هناك قدر من الاهمية الاستراتيجية لكشمير من الوجهة الجغرافية البحتة باعتبار انها تقع على الملتقى الجبلي الوعر لحدود ثلاث من أكبر دول القارة الآسيوية وأهمها، الهند وباكستان والصين. لكن هذا العامل يظل جزئياً إلى حد بعيد. إذ إن كشمير لا تتميز بأي موارد طبيعية أو اقتصادية حيوية تذكر. وفي المقابل، فإن الدوافع الأساسية التي تحرّك السياسة في كل من نيودلهي وإسلام آباد حيال القضية الكشميرية تظل في الدرجة الأولى مزيجاً من الاعتبارات العاطفية والدينية والقومية.

والمواقف الهندية والباكستانية حيال كشمير كانت ولا تزال متعارضة في صورة كلية تقريبًا منذ بدء الصراع عليها. فالهند اعتبرت ان هذه المنطقة جزء لا يتجزأ من أراضيها انطلاقاً من انها كانت محكومة تاريخياً، وحتى ما قبل الاستعمار البريطاني، من سلالات من المهراجات الهندوس. اما باكستان فأصرّت على ضرورة ضمّ كشمير إليها بالاستناد إلى الغالبية السكانية المسلمة فيها، وذلك كما كان الحال بالنسبة إلى المقاطعات الاخرى المشابهة. وهكذا خاضت الدولتان ثلاث حروب (١٩٤٨ و ١٩٦٥ و ١٩٧١) أسفرت عن واقع سياسي «جامد» بالنسبة إلى كشمير، إذ استمر الوضع غير المستقر على حاله، واحتفظت كشمير بموقعها كنقطة احتكاك دائمة قابلة للانفجار في أية لحظة.

تميزت الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٩٣ باستئناف المحادثات بين باكستان والهند لحسم خلافاتهما التاريخية العميقة بينهما، بما في ذلك مشكلة كشمير حيث تستمر الثورة الاسلامية المسلحة ضد حكم نيودلهي. وحددت الدولتان موعداً لاجتماعهما الأول في أول كانون الثاني ١٩٩٤، وسيكون هذا أول اجتماع مهم بينهما منذ آب ١٩٩٢، كما ستكون هذه هي المرة الأولى التي سيجريان فيها محادثات

شاملة عن كشمير منذ نشوب الانتفاضة الانفصالية فيها قبل أربع سنوات.

وعقد الاجتماع بالفعل (في إسلام آباد) في موعده، واختتمت المحادثات من دون تحقيق أي تقدم في ظل اصرار الجانبين على مواقفهما: إصرار باكستاني على الالتزام بقرارات الأمم المتحدة بشأن إعطاء الكشميريين حرية تقرير المصير، ورفض الهند ذلك. وسرعان ما بدأت الدولتان تصعدان من موقفيهما: باكستان تطالب باستعادة كل كشمير وتتضامن معها، وتسعى لدى المحافل الدولية فتتمكن من كسب تأييد الادارة الاميركية في قضية كشمير (شباط ١٩٩٤)، والهند تلوّح بالحرب وبرلمانها يدعو باكستان إلى الانسحاب من كشمير وأنباء عن ان اسرائيل تساعد الهند على ترتيبات اغلاق الحدود بين شطري كشمير.

وتميزت الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٩٤ (خاصة شهر أيلول) بموقف دولي من الامين العام للامم المتحدة الدكتور بطرس غالي الذي أعلن (أثناء زيارته إسلام آباد في ٨ أيلول ١٩٩٤) «ان دور الامم المتحدة في كشمير يقف عند حدود تشجيع كل من الهند وباكستان على المفاوضات لايجاد تسوية سلمية للقضية الكشميرية وتدخل الامم المتحدة للقيام بدور وساطة بين الطرفين مرهون بموافقة كل من نيودلهي وإسلام آباد على ذلك»؛ وكذلك تميزت بموقف واشنطن التي اعلنت تأييدها لانتخابات مبكرة في كشمير لكنها ضد اعطاء السكان حق تقرير المصير. وقد فسّر المحللون هذا الموقف على انه تشجيع للدولتين للمضي في طريق الحرب، إذ أي معنى يبقى للانتخابات اذا جرت تحت سقف محدّد وضمن شروط معينة ؟!.

في ١١ أيار١٩٩٥ انفجر الوضع في كشمير، ووقعت مواجهات دموية بين الشرطة والسكان المسلمين اسفرت عن سقوط عشرات القتلى والجرحى واحراق مسجد ومزار يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر. وتبادلت السلطات والمنظمات الاسلامية الاتهامات حول احراق المزار في بلدة شار الشريف التي تبعد ٣٠ كلم عن مدينة سريناغار العاصمة الصيفية لولاية كشمير. وتبع ذلك ردود فعل غاضبة في باكستان وتحركات هندية وإحكام السيطرة على كشمير وإعادة نشر القوات الهندية في محاذاة السند.

وفي آخر ما كُتب، تحليلاً، عن قضية كشمير، ما أوجزه رغيد الصلح (كاتب وباحث لبناني) بهذه العبارات («الحياة»، تاريخ ٣٠ أيار ١٩٩٥، صفحة القضايا):

«هدأت الأزمة الهندية-الباكستانية ولكن المشاكل الحادة بين البلدين لم تنحل، فالنار الكشميرية لا تزال تتفاعل تحت الرماد، ولا تستبعد أوساط دولية ان ينفجر الخلاف بين البلدين وان تتجدد الحرب بينهما. اذا صحّت هذه التوقعات، فإن شرارة الحرب سوف تنطلق من مزار شرار شريف، ذلك ان التدمير المبرمج لرمز ديني تاريخي أمر لا يطيقه المؤمنون، ولا يملك حاكم يشاركهم ايمانهم السكوت عنه. هذا ينطبق على بنازير بوتو، رئيسة الحكومة الباكستانية، المضطرة إلى الرد على التصعيد الهندي.

من هنا التوتر الشديد الذي خيّم على الحدود الهندية-الباكستانية خلال الايام

الأخيرة (اواخر أيار ١٩٩٥). ومن هنا ايضاً تلويح باكستان باستخدام السيف النووي ضد الهند. صحيح ان الحبر لم يجف بعد على أوراق التمديد الابدي لمعاهدة منع انتشار السلاح النووي، ولكن إسلام آباد مضطرة إلى اعتبار الالتزام بمثل هذه النصوص الدولية نوعاً من أنواع الرفاه الذي لا تستطيع ممارسته حالياً. إن ظهرها للحيط. في الحرب السابقة خسرت بنغلادش ومكانة الباكستان كأكبر بلد إسلامي. في الحرب الجديدة المتوقعة قد تخسر قضية كشمير فضلاً عن الجزء الباكستاني من منطقة النزاع الملتهبة هذه. بل ان البعض يخشى ان يصبح استمرار باكستان نفسه موضع شك.

إن دقة الوضع بين البلدين جعلت أوساطاً إسلامية كثيرة تهب إلى نجدة إسلام آباد. ومما زاد الحماس لمساندة باكستان ان الهند تصرفت حيال الازمة الأخيرة بغطرسة الدولة التي تتسلق سلّم النفوذ الدولي والبأس الاقتصادي بسرعة كبيرة.

ويتعمق الحماس لمساندة باكستان والكشميريين أيضاً بفعل الذاكرة الاسلامية، التي لم تبرأ بعد، رغم مرور خمس سنوات تقريبًا على الحادث، من مضاعفات تدمير مسجد بابري في مدينة ايوديا الهندية، ومن مظاهر التشنج الديني الهندوسي، المرافقة لذلك العمل. ولئن كان احراق المسجد من صنع حزبي «فيشوا هيندو باريزاد» و «بهاراتيا جاتنا»المعارضين بحيث يصعب محاسبة الهند الرسمية عليها، فإن تدمير مزار شرار شريف هو من صنع القوات المسلحة التابعة لحكومة المؤتمر، فلا مجال، إذن، للتنصل من تبعتها».

باكستان والأزمة الأفغانية

(راجع: ج ٢، ص ٢٦١-٢٦٣، و ص ٢٦٩، و ص ٢٧٩، و ص ٢٨٨، و ص ٢٩٢؛ و ج ٤، ص ٣٦، و ص ١٦٠).

«طالبان»: «حتى صباح ٢٣ تشرين الثاني ١٩٩٤ كانت الامور تسير في أفغانستان على الوتيرة ذاتها التي اعتاد عليها الشعب الأفغاني منذ استقالة الرئيس نجيب الله في ١٦ نيسان ١٩٩٢ ودخول حكومة المجاهدين بعدها بأسبوعين تقريبًا. معارك بين الاطراف المتصارعة من دون ان تستطيع أي قوة التغلب على الأخرى بسبب ميزان القوى المتعادل. لكن حدثًا لفت الانتباه وكان يمكن ان يظل عادياً في مسار الحرب الأفغانية لو لم يؤشر إلى بداية انعطاف جذري. فقد كانت قافلة امدادات انسانية باكستانية تتوجه من مدينة كويتيه الباكستانية باتجاه الولايات الاسلامية المجاورة لأفغانستان تتألف من ٣٠ شاحنة برفقة العقيد إمام من الإستخبارات العسكرية الباكستانية المعنية بالملف الأفغاني منذ بداية الجهاد، إلى جانب فريق تلفزيوني باكستاني عندما هاجمتها ميليشيات أفغانية للاستيلاء عليها. وتصدت للمهاجمين مجموعة لم يكن احد سمع بها وتمكنت من تخليص القافلة والفريق الباكستاني بعد معركة حامية دامت يومين في مدينة «جمن» الحدودية سقط فيها ١٥ قتيلاً وأصيب ٢٨ بجروح من الجانبين، وللمرة الأولى ظهر إسم «طالبان» التي قادت الهجوم وانقذت القافلة، وما هي إلا سنة حتى كانت طالبان، التي تضم الطلبة الشرعيين تسيطر

على سبع ولايات أفغانية كاملة الأمر الذي غيّر في ميزان القوى العسكري الذي كان قائمًا منذ سقوط نجيب الله وانقلاب دوستم عليه» (الوسط»، العدد ١٦١، ٢٧ شباط ١٩٩٥، ص ٢٩).

بعد معركة «جمن»، واصلت طالبان تحركها باتجاه منطقة سبين بولداك معقل الحزب الاسلامي الأفغاني فسيطرت عليها، ثم قصدت العاصمة الشتوية لأفغانستان (قندهار) فسقطت في أيديها، ثم تلتها مدينة غزني.

وبدت حركة طالبان قوية جدًا في طريقها من قندهار إلى العاصمة كابول مكتسحة معاقل المعارضة بزعامة قلب الدين حكمتيار؛ لكنها (طالبان) ما لبثت ان بدت ضعيفة جدًا (في آذار ١٩٩٥) لدى وصولها إلى أبواب كابول في مواجهة قائد القوات الرئاسية وزير الدفاع السابق أحمد شاه مسعود.

والملفت ان مسعود الذي لم يتمكن خلال عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٤ من حسم المعركة ضد المعارضة ظهر مجددًا كقوة عسكرية فاعلة، وتمكن من طرد مقاتلي طالبان وأجبرهم على الانسحاب إلى معاقلهم، أي إلى محافظة لوغار التي تبعد نحو ٢٥ كلم جنوبًا, فكانت تلك المعركة احد الأحداث الأخيرة في سلسلة أحداث مثيرة بدأت منذ اوائل ١٩٩٥، لكنها غيرت معالم الخريطة السياسية والعسكرية الأفغانية تغييرًا جذريًا في إطار تحديد مستقبل الحرب الأهلية الأفغانية وخطة السلام التي اقترحتها الامم المتحدة.

عناصر من حركة «طالبان» في موقع عسكري قرب كابول (اواخر ايلول ١٩٩٥) ،بعد هزيمتها، قبل أشهر، عند ابواب العاصمة، عادت الحركة تهدد باجتياحها ساعية للتحالف مع المعارضة واسقاط نظام الرئيس برهان الدين الرباني؛ وكانت قبل وصولها الى مشارف كابول، اجتاحت هراة وأثارت معارضة ايرانية شديدة اللهجة.

لكن من هم «الطالبان»؟

حديثو النشأة، والمعلومات حولهم يحرص كتّابها على ذكر انها غير مؤكدة بعد. مجلة «الوسط» (في عدديها ١٦١ تاريخ ٢٧ شباط ١٩٩٥، و ١٦٥ تاريخ ٢٧ آذار ١٩٩٥، ص ٢٩-٣٩ و ص ١٣-٣٢) كتبت من بيشاور في باكستان وقرب الحدود الأفغانية والتقت بعض قادتهم وزعماء أفغان آخرين، ومنها هذه المقاطع التي يمكن اعتبارها تعريفاً ممكناً وأولياً بحركة «طالبان»:

انهم مجموعة من طلاب الشريعة في أفغانستان درست غالبيتهم في مدارس دينية أهلية تشرف عليها جمعية علماء الاسلام بشقيها، مولانا فضل الرحمن، حليف الحكومة الباكستانية برئاسة بنازير بوتو، ومولانا سميع الحق الذي يدير أهم مدرسة دينية أهلية في باكستان وتدعى «المدرسة الحقانية»، وهي على الطريق بين بيشاور وإسلام آباد وخرّجت كثيرين من القيادات الأفغانية وعلى رأسها جلال الدين حقاني الذي لمع إسمه إبان الجهاد الأفغاني.

ويقود «طالبان» مولوي محمد عمر الذي تلقى تعليمه في المدارس الدينية في مدينة كويتا الباكستانية... في الثلاثينات من عمره يقيم حالياً في مدينة قندهار.

تتهم الاوساط الأفغانية المعارضة السفير البريطاني السابق في باكستان نيقولاس بارينغتون بدعم «طالبان». وقال رئيس الوزراء الأفغاني قلب الدين حكمتيار ان «الحركة من بنات أفكار السفير بارينغتون وكذلك جماعات دينية باكستانية». ويربط البعض بين وصول مبعوث الامم المتحدة محمود المستيري اواخر تشرين الأول ١٩٩٤ إلى قندهار ودعوته إلى تشكيل قوة أفغانية محايدة وبين ظهور الحركة بعد الدعوة مباشرة ما دفع الكثيرين من الأفغان إلى اطلاق إسم «ميليشيات المستيري» على الحركة. لكن الواضح ان «طالبان» خرجت عن الطوق الذي رسمته لها القوى التي دعمتها.

وتقول معلومات ان دورها تركز على اخضاع الولايات الجنوبية الغربية المحاذية لباكستان من اجل تأمين حدودها من المشاكل والتوترات، كما حصل في الولايات الجنوبية الشرقية، وهذا ما تسعى إليه الدول المجاورة لأفغانستان لحماية حدودها، إلى جانب الرغبة الاميركية الملحة في مكافحة المخدرات التي تعد تلك المناطق مستودعًا لها. إضافة إلى ان سيطرة «طالبان» على هذه المناطق تجعل باكستان تتحكم بالطريق التي تربطها بالجمهوريات الآسيوية، ما يعني انتعاشًا اقتصاديًا تسعى إليه باكستان منذ انهيار الاتحاد السوفياتي لتصل بضائعها إلى أسواق جديدة؛ وتؤكد بالتالي انها قادرة على حماية القوافل من هجمات قادة محليين.

تهدف حركة «طالبان» إلى نزع السلاح من جميع الاطراف في أفغانستان ... ويبلغ تعداد الحركة ٢٥ ألف طالب أبلغهم علماؤهم ومدرّسوهم «أن الجهاد فرض عين بينما العلم فرض كفاية». وطلبت الحركة التعاون مع الحكومة المقبلة التي يجب ألا تشترك فيها الفصائل الأفغانية «المجرمة»... ويتوقع الجنرال المتقاعد حميد جول رئيس الاستخبارات العسكرية الباكستانية الأسبق ان تضمحل الحركة مع مرور الوقت إذ ليس لديها برنامج سياسي
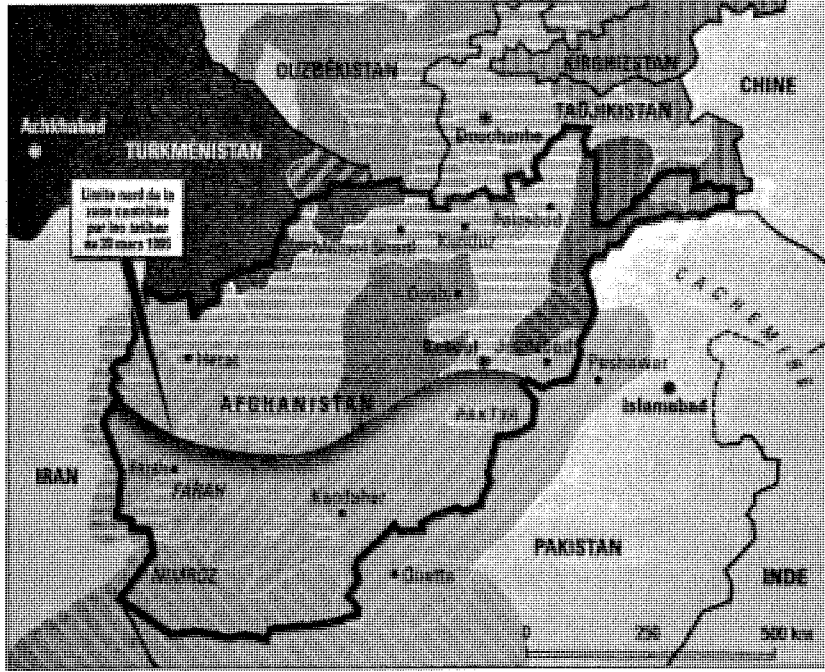
خريطة افغانستان، والخط المبين في وسط الخريطة تقريبا، والمشار اليه، يمثل الحد الشمالي للمنطقة التي اصبحت تحت سيطرة «طالبان» حتى ٢٠ اذار ١٩٩٥ («لوموند ديبلوماتيك»، عدد نيسان ١٩٩٥، ص ٢٤).

ولا أطر تنظيمية. ذاع صيت «طالبان» حركة نقاء أخلاقي وطهر ثوري. وكسبت قلوب العامة بمعارضتها جميع فصائل المجاهدين االمتخاصمين. ويقول احد الناطقين باسم «طالبان المُلاّ محمد رباني – وهو ليس من أقارب الرئيس ربّاني «إن ميليشيا الحركة كونت خصيصًا لتدمير الفصائل التي دمّرت أفغانستان» (انتهى ما جاء في «الوسط» في عدديها المذكورين).

إضافة إلى هزيمة «طالبان» العسكرية على أبواب كابول فإنها تعرّضت لمأزق ديني–سياسي حقيقي بعدما أقدم بعض ناشطيها على اعتقال زعيم حزب الوحدة الشيعي عبد العلي مزاري في ١٢ آذار ١٩٩٥، وما لبث ان قتل في ظروف غامضة مع تسعة من كبار معاونيه.

وقد اثار مقتل مزاري الموالي، وحزبه، لطهران، موجة استياء عنيفة في شمالي أفغانستان، فعمد الزعيم الأفغاني دوستم (أوزبكي) والزعيم الجديد لحزب الوحدة عبد الكريم خليلي إلى تسييس جنازة مزاري، إذ أبقوا جثته تطوف في الولايات الشيعية وولايات الشمال حيث تنتشر الأقليات (الأوزبك والتركمان) مدة ١٤ يوماً، من أجل تأييد العامة وحشدهم ضد طالبان. وترددت، خلال الجنازة، هتافات «الموت لطالبان»، و «الثأر من تحالف رباني–مسعود–سيّاف». ووجه دوستم رسالة عزائية أشار فيها إلى تكبيل أرجل مزاري وأيديه خلال أسره في معقل طالبان، وقال: «لقد كسرنا هذه القيود ولن نسمح لأحد بعد الآن بتكبيلنا بها». وكان

دوستم يشير بذلك إلى حكم البشتون للبلاد كافة على مدى ٢٥٠ عاماً. وردّ عليه مندوب قلب الدين حكمتيار فقال: «إن هذه الجريمة ليست عرقية فالبشتون هم الذين تعرّضوا لهجمات طالبان في البداية». وعلّق أحد القادة الذي حضر الجنازة بالقول: «نحن الآن نسمع في هذا التجمع ان طالبان هم الذين قتلوا مزاري لكن من المؤكد انه بعد سنوات سيتحول الامر إلى اتهام البشتون بقتل زعيم الشيعة (الهزارة) وهنا يكمن الخطر على الوحدة الوطنية الأفغانية» («الحياة»، العدد ١١٧٣٦، تاريخ ٩ نيسان ١٩٩٥، ص ٨).

باكستان و «الأفغان العرب» والأزمة الأفغانية: تميزت سنة ١٩٩٤ بمواجهة مكشوفة بين السلطات الباكستانية و «الأفغان العرب»، خاصة بدءاً من ١٥ أيار عندما شنت الحكومة الباكستانية حملة اعتقالات ودهم للمقيمين منهم في مدينة بيشاور وضاحية حياة آباد الغربية من المدينة، وطاولت أشخاصًا من جنسيات متعددة. وفي تموز، وقعت اشتباكات بين قبائل فريدي الباكستانية و «أفغان عرب» يتزعمهم محمد الرفاعي (ابو عبد الله، وهو أردني من الكرك) الذي قتل في هذه الاشتباكات. وفي آب، امتدت المداهمات والاعتقالات إلى العاصمة إسلام آباد، وجرت في مجلس الشيوخ الباكستاني بين الحكومة وبين زعيمين إسلاميين هما قاضي حسين أحمد والشيخ سميح الحق اللذان تساءلا عن أسباب الحملة على «الأفغان».

وقد تزامنت هذه الحملة الباكستانية (خاصة في آب ١٩٩٤) مع ما صدر عن طهران التي أعربت عن قلقها إزاء تزايد «الإجرام» في اوساط اللاجئين في شرق إيران. واعتبر ذلك مؤشراً إلى عزم السلطات الإيرانية على طرد ما تبقى من الأفغان في اراضيها.

واعتبر رئيس وزراء باكستان السابق نواز شريف ان «قضية الافغان العرب هي من نتائج الحرب الباردة. ولقد كانت الولايات المتحدة تعتبر النضال في أفغانستان جهادًا. والآن يعتبر هؤلاء (الأفغان العرب- الاسلاميون) خطرًا بعد ان دربتهم أجهزة مخابراتها. وبما ان تحرير أفغانستان مهمة انتهت، فقد عاد بعضهم إلى مصر وتونس والجزائر... ومشكلة العرب الأفغان لها علاقة بالدول العربية وسياستها والولايات المتحدة وتوجهاتها، فالاميركيون يقولون ان ابناء (الشيخ) عمر عبد الرحمن يعيشون في باكستان، كما ان المتهم بتفجير مركز التجارة العالمي (في نيويورك) عراقي يحمل جواز سفر باكستانيًا مزورًا وكان يعيش في بلادنا» («الوسط»، العدد ١٣٦، تاريخ ٥ أيلول ١٩٩٤، ص ٣٦).

بالنسبة إلى الأزمة الأفغانية، ذكرت الصحافة العالمية، أكثر من مرة خلال شهر أيار ١٩٩٤، أنباء مفادها ان السلطات الباكستانية سمحت بفتح مكتب للملك الأفغاني السابق ظاهر شاه في بيشاور. وقد تزامن ذلك مع لقاء عقده محمود المستيري مبعوث الأمين العام للامم المتحدة إلى أفغانستان مع ظاهر شاه في روما. وقد بدا ان إسلام آباد فقدت الثقة في امكان حل الصراع الأفغاني من خلال الأحزاب التي سهرت على اعدادها خلال سنوات الجهاد ضد الحكم الشيوعي.

وإزاء محاولة منظمة المؤتمر الاسلامي (بشخص أمينها العام حامد الغابد) حل الازمة الأفغانية من خلال عقد مجلس شورى موسع للزعماء الأفغان، رأى المسؤولون الباكستانيون ان «المنظمة لم تقدر على حل أي مشكلة اسلامية لتكون سابقة». وكانت مدن أفغانية عرفت مظاهرات تندّد بالتدخل الباكستاني في الشؤون الداخلية الأفغانية قبل أيام قليلة من الوساطة التي سعى إليها الغابد وبدأها في زيارة لإسلام آباد.

كذلك، فشلت وساطة سودانية- باكستانية (كانون الثاني ١٩٩٥) لتقريب وجهات النظر وتنقية الاجواء بين الرئيس الأفغاني برهان الدين رباني وخصمه رئيس الوزراء قلب الدين حكمتيار.

وحيال استمرار المعارك في أفغانستان والمواجهة بين «طالبان» والحزب الاسلامي بزعامة حكمتيار (شباط ١٩٩٥)، والمفترض ان باكستان تدعمهما، أعلنت إسلام آباد، مرة جديدة، «حيادها» في المعارك الدائرة بين الفصائل الأفغانية المختلفة. وفي ١٨ آذار ١٩٩٥، ذكرت رئيسة الوزراء الباكستانية بنازير بوتو انها رفضت شكوى قدمتها الحكومة الأفغانية بان إسلام آباد تدعم سرًا ميليشيات «طالبان» التي يشكل قوامها طلبة دراسات دينية، وانها تحضّ العالم على دعم مساعي الامم المتحدة (جهود المستيري مبعوث الامم المتحدة) لاحلال السلام في أفغانستان «لمعالجة جذور عدم الاستقرار في هذه المنطقة التي ترتبط بالتطرف والعنف».

والمعروف، وفق أنباء وتحليلات أجنبية وعربية، ان السياسة الباكستانية، حيال أفغانستان تشارك في وضعها مراكز عدة للسلطة هي، إضافة إلى رئيسة الوزراء، الجيش الذي كانت أجهزة الاستخبارات التابعة له ناشطة جدًا خلال الحرب ضد الجيش السوفياتي (١٩٧٩-١٩٨٩) ووزير الداخلية نصر الله بابر، الجنرال البشتوني السابق في الجيش الذي يعتبر خبيرًا في شؤون أفغانستان.

ووفق هذه الأنباء والتحليلات ايضًا، ان لسياسة إسلام آباد حيال أفغانستان هدف مزدوج.

فهي تسعى إلى عدم تحول أفغانستان المجاورة دولة معادية لها يمكنها ان تقيم في المستقبل «تحالفًا» مع عدوتها الهند. اما الهدف الثاني فيتلخص في فتح طريق تجاري بري يربطها بآسيا الوسطى في أسرع وقت ممكن قبل ان تسبقها إيران إلى ذلك. ويعتقد (أقله حتى ربيع ١٩٩٥، أي حتى هزيمة «طالبان» على أبواب كابول) ان إسلام آباد اعطت دفعًا حاسمًا لحركة طالبان التي جرى تثقيف عناصرها باشراف الزعيم الديني الباكستاني فضل الرحمن زعيم «جمعية علماء الاسلام»، علمًا ان كثيرين من المسؤولين الباكستانيين كانوا يخشون ان يأتي يوم يطغى فيه الطابع الاتني على الطابع الديني في حركة طالبان، إذ إن غالبية أعضائها من أتنية البشتون. فأي نظام يسيطر عليه البشتون في كابول قد يؤدي إلى تأجيج مشاعر ملايين البشتونيين المقيمين في باكستان فيطالبون بالانضمام إلى أفغانستان. وثمة مؤشران، في هذا الاطار، أثارا شكوك الحكومة الباكستانية: أولهما ان عناصر من حركة طالبان تظاهروا في كانون الأول ١٩٩٥ في خوست (شرق البلاد) مردّدين

شعارات قومية خاصة بالبشتون. وثانيهما ان أجهزة الاستخبارات الباكستانية، التي لا تزال تقيم علاقات مميزة مع حكمتيار، طلبت من طالبان الامتناع عن الهجوم عليه. ومع ذلك حصل الهجوم، ما أكدّ خشية المتخوفين في باكستان الذين باتوا يردّدون ان لا حكمتيار ولا طالبان باتا يحترمان توجيهات الجهات التي تدعمهما في باكستان.

مناقشة جغراسيّة: باكستان وأفغانستان والمحاور الدولية: في إطار الأحداث الأفغانية، وأحداث المنطقة التي تقع أفغانستان في قلبها، أخذت الأنباء العالمية (منذ بداية ١٩٩٥) تقرن نقلها هذه الأحداث بتحليلات تركّز على ظهور محاور دولية في المنطقة: محور روسي-هندي-إيراني يقف إلى جانب الحكومة الأفغانية، ومحور أميركي-باكستاني يدعم المعارضة الأفغانية. مقال، في «الحياة» (العدد حزيران ١٩٩٥) كتبه أحمد موفق زيدان يعطي البعد التاريخي لواقع المحاور الدولية حول أفغانستان:

«تعيش أفغانستان منذ ظهورها كوحدة سياسية عام ١٧٤٧ على يد مؤسسها أحمد شاه الابدالي الذي يدعوه الأفغان «دره دوران» (أي درة العصر)، أزمة الموقع الاستراتيجي وعقدة الجغرافيا التي ابتليت بها.

طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت أفغانستان «دولة مصد» أو «منطقة عازلة» بين الامبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس في حينه، والامبراطورية القيصرية. ومع بداية العشرينات من هذا القرن وبدء أفول نجم الامبراطورية البريطانية وحلول الاميركية مكانها، وزوال القيصرية عن خريطة الكون وظهور القيصرية الجديدة بثوب الشيوعية، تدفع أفغانستان ثمن الموقع.

وقد انعكست قوة وصلابة وشكيمة الشعب الأفغاني على صلات الجيران والمعنيين، حتى ان بعض الاستراتيجيين يرى ان البواعث التي جعلت بريطانيا توافق على تأسيس دولة باكستان، إيجاد دولة عازلة بين ربيبتها الهند وأفغانستان التي طالما شنت الهجمات ضدها. لذلك يقال انه في زمن محمود الغزنوي تعرضت الهند لإثنتي عشرة حملة في حين انها تعرضت أيام حكم الملك شاه لحملتين. ويردد الهنود المثل الهندي الذائع الصيت: «ايتها الآلهة خلّصينا من سم أفعى الكوبرا، وأسنان النمر وانتقام الأفغان».

ودفع الأفغان غاليًا ثمن موقفهم الاستراتيجي، بأن حُملوا على لعب دور الحرب بالوكالة. ورغم ان الجهاد الأفغاني كان في بدايته محليًا، ورغم ان الدعم الغربي لم يرد إلى أفغانستان الا بعد ان برهن الافغان على مقدرتهم في مواصلة العمل العسكري لطرد الدب الروسي، رغم هذا وذاك، فإن الغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة الاميركية، كان المستفيد الأول من هذه الحرب. فقد تمّ تمريغ الكرامة والعزة الروسيتين في الاوحال الأفغانية، وكان تخلي موسكو عن الشيوعيين الأفغان في أحلك الظروف، بل ذهبت تتآمر عليهم، وكان ذلك واضحًا في ارغام الرئيس الشيوعي نجيب الله على التنحي عن السلطة لصالح خطة السلام الدولية.

وتأتي واشنطن الآن لتصب الزيت على النار، كغيرها من دول الجوار الأبعد والأقرب، حيث يقف على الجانب الأول محور موسكو-نيودلهي-طهران لدعم حكومة رباني والحفاظ على الامر الواقع والسعي الحثيث إلى تهميش المعارضة وقطعها عن الجذور الأفغانية. ولا اعتقد (كاتب المقال) اننا بحاجة للتدليل على هذا بعد تولي موسكو طباعة العملة الأفغانية لحكومة كابول وتزويدها قطع الغيار العسكرية، ووقوف نيودلهي إلى جانب الاستخبارات الأفغانية حيث يُعد جهاز الاستخبارات في البلدين صنوّين منذ تأسيسهما ويشتركان او يتقاطعان في هدف ضرب الجهاز الباكستاني، فيما تتولى طهران حماية الأقلية الشيعية وتشجيعها ودفعها إلى الوقوف إلى جانب رباني ضد المعارضة.

أما المحور الثاني الذي بدأ بالظهور في الافق فهو المحور الاميركي-الباكستاني. وهو، وان كان لم يتخذ حتى الآن خطوة عملية في دعم المعارضة، لكن المؤشرات تشير إلى مثل هذا الاحتمال». واستكمل الكاتب نفسه (أحمد موفق زيدان) تحليله في مقال ثان كتبه بعد نحو شهر («الحياة»، العدد ١١٨٤٠، ٢٣ تموز ١٩٩٥، ص ١٨) حيث جاء: «لعل العامل الملكي الذي تطرحه هذه الدوائر (الدولية) تريد من ورائه دفع المنطقة إلى التمزق ورسمها من جديد خصوصًا وان خريطة جديدة للمنطقة تسربت قبل سنوات صادرة عن الخارجية الاميركية تشير إلى تغيير ملامح المنطقة جغرافيًا. فالسفير الاميركي في إسلام آباد لوحظ طرحه لعودة الملك الأفغاني (يقيم في روما) في غير مناسبة. واستقبل المبعوث الملكي إلى باكستان على أعلى المستويات حتى من رئيس الدولة فاروق ليغاري ورئيسة الوزراء بنازير بوتو ووزير الخارجية سردار أصف علي خان. وكان خان صريحًا حين كشف عن اتفاق خطة الملك الأفغاني مع خطة المبعوث الدولي إلى أفغانستان محمود المستيري» (انتهى ما كتبه أحمد موفق زيدان).والمعلوم ان إسلام آباد اعطت تأشيرة دخول لاحد المقربين للملك الأفغاني ومبعوثه إلى باكستان السردار عبد الوالي خان، وذلك بعدما سبق للحكومة الباكستانية ان حظرت زيارة الملك والمقربين منه إلى باكستان طوال السنوات ال ٢٢ الماضية. وفي اواسط صيف ١٩٩٥، بدأت باكستان تبدي مخاوف جدية من التقارب الروسي-الهندي-الإيراني-الأفغاني.

معالم تاريخية

□ **الأحزاب الباكستانية:** (مادة هذا الموضوع من «الحياة»، العدد ١١٤٦٤، ٨ تموز ١٩٩٤، ص ١٩):

١- حزب الشعب الباكستاني: يعد أحد الاحزاب المهمة التي استأثرت بالاهتمام منذ ١٩٧٠ حتى الآن. أسسه عام ١٩٦٧ ذو الفقار علي بوتو والد بنازير، وجودري أحمد رحيم والشيخ محمد رشيد وغيرهم.

ولد الحزب وشعاراته «الملبس، المأكل،

المسكن» قويًا لاستفادة بوتو من رصيده السياسي كأمين عام لمنظمة الرابطة الاسلامية التي أسسها الرئيس الاسبق أيوب خان.

ويعود سرعة اجتذاب حزب الشعب للناس إلى قدرة بوتو الخطابية وشخصيته الجذابة والكاريزما التي كان يتمتع بها. فقد تبنى الحزب اتجاهًا اشتراكيًا يدعو إلى تأميم البنوك والصناعات الكبرى وتحديد الملكية الزراعية، ووجدت دعوة الحزب هذه استجابة سريعة من قبل الطبقات الفقيرة والمسحوقة، وظهر الحزب كقوة سياسية في الانتخابات التي أجريت عام ١٩٧٠ حيث نال ٨١ مقعدًا في الجمعية الوطنية من أصل ١٣٨ مقعدًا خصصت لباكستان الغربية، لكن حزب عوامي وطني في بنغلادش (باكستان الشرقية) اكتسح الانتخابات ولم يفز حزب الشعب بأي مقعد، واستطاع مجيب الرحمن ان يفوز ب ١٦٠ مقعدًا من أصل ١٦٢، فيما أدى تشدد بوتو في صلاحيات الدستور مع مجيب ورفضه تسليم الأخير الحكم إلى اضطرابات في البلاد ما أسفر عن تدخل هندي وانقسام البلدين. وتولى حزب الشعب السلطة في باكستان منذ ١٩٧٢ وحتى نيسان ١٩٧٧.

وخلال هذه الفترة ظهرت شخصية بوتو الحقيقية الاستبدادية والباطشة بالمعارضة حيث أعلن حل حكومتي سرحد وبلوشستان، كما أعلن حالة الطوارىء، واتهمته محكمة لاهور العليا فيما بعد بإصدار أوامر أغتيال معارضيه السياسيين وتم تشكيل التحالف الوطني الباكستاني بزعامة مولانا مفتي محمود ضد بوتو في ١٩٧٧ الأمر الذي مهد لانقلاب الجنرال ضياء الحق، فأعدم بوتو عام ١٩٧٩.

وكان التحالف الوطني قد اتهم بوتو بتزوير انتخابات ١٩٧٧ واضطر بعض قادة حزب الشعب كغلام مصطفى كهر وممتاز بوتو للاستقالة من الحزب بعد الخلافات مع ذو الفقار، ومع تسلم الحق للسلطة حاول إضعاف الحزب فلجأ نجلا بوتو (شاه نواز، ومرتضى) إلى كابول وفرنسا، ثم قتل الأول في ظروف غامضة في فرنسا، وأقام الأخير في دمشق بعد خطفه طائرة تابعة للخطوط الجوية الباكستانية إلى كابول، واستقرت زوجته نصرت بوتو في باريس وابنته بنازير في لندن لتعود في ١٩٨٤ إلى البلاد لدفن شقيقها شاه نواز،ثم تغادر عائدة في ١٩٨٦ رافضة انتخابات اجراها ضياء الحق في ١٩٨٥ على أسس غير حزبية، كان هدفها تقليل أثر حزب الشعب على نتائج الانتخابات. وبعد مقتل ضياء الحق عام ١٩٨٨ جرت انتخابات على أسس حزبية في تشرين الثاني من العام نفسه حيث فاز الحزب بالأغلبية بالتحالف مع حلفائه تحت اسم «حركة استعادة الديمقراطية» وشكل حكومته التي لم تعمر سوى عشرين شهرًا حيث أقالها رئيس الدولة غلام اسحق خان بتهم الفساد والمحسوبية والرشوة والفساد الأداري وذلك في ٦آب ١٩٩٠ عشية أحداث الخليج.وحصلت انتخابات جديدة ففاز حزب التحالف الجمهوري الاسلامي المنافس بزعامة نواز شريف بينما لم يحصل حزب الشعب سوى على ٤٥ مقعدًا. وشكل شريف الحكومة، وفي نيسان الماضي تواطأت بوتو مع خصمها رئيس الدولة علىإقالة شريف فضربت عصفورين بحجر عندما تدخل الجيش وقضى برحيل الطرفين، رئيس الدولة ورئيس الوزراء، ضمن صفقة شاملة لتعود بوتو منتصرة في انتخابات تشرين الأول الأخيرة محرزة ٨٦ مقعدًا مقابل ٧٢ لخصمها نواز شريف. ولبوتو خلافات مع والدتها وأخيها حيث أصرت والدتها على إعادة شقيقها أثناء توليها السلطة، لكنها رفضت حتى لا يحسب ذلك عليها. فشقيقها مطلوب للعدالة الباكستانية وحاول ترشيح نفسه عن دوائر عدة في معقلها

بأقليم السند ضمن مرشحي حزبها لكنه فشل في الانتخابات الفدرالية وفاز بمقعد واحد في الانتخابات المحلية. وكانت والدته ناشدت المقترعين التصويت له وهددت بالانتحار إن لم يفز! ويعزو المحللون خلافات الأم والبنت إلى الميول اليسارية للأولى بينما تحمل الثانية ميولاً يمينية، إلى جانب طموح الأم أن تحل محل ابنتها في رئاسة الوزراء، ويظهر ذلك من مشاركتهما سابقًا في رئاسة الحزب. وقد زاد من الخلاف ما اقدمت عليه الابنة في طرد الأم من هذه الرئاسة إلى جانب عودة الشقيق مرتضى بوتو على نحو قد يهدد زعامة بنازير.

٢- حزب الرابطة الاسلامية: تعرض الحزب منذ تأسيسه في الثلاثينات لعدد من الانشقاقات والانقسامات وهو الذي قاد الاستقلال عن الهند عام ١٩٤٧ بزعامة محمد علي جناح، حيث اكتسح الانتخابات التشريعية التي جرت عام ١٩٤٥ مما منحه السند القانوني للتحدث باسم المسلمين في شبه القارة. وتوفي زعيمه، جناح، في ١٩٤٩ بعد عام ونصف العام على استقلال باكستان، وبدأ الحزب يتعرض لخلافات وتصدعات في داخله في غياب الرؤية السياسية كما ظهرت الخلافات الشخصية بين قادته بعد سنوات من وفاة جناح، وفقد الحزب سيطرته عندما اكتسحت الجبهة المتحدة معظم مقاعد باكستان الشرقية في انتخابات ١٩٥٤، كما نافسه في باكستان الغربية «الحزب الجمهوري» الذي انشق عنه.

لكن عدم الاستقرار السياسي أفضى إلى إنقلاب قاده الجنرال أيوب خان في أيلول ١٩٥٨، الذي شكل مؤتمر الرابطة الاسلامية لدعم حكمه. وبعد سقوط الجنرال أيوب انقسم الحزب (الرابطة الاسلامية) إلى ثلاث شعب، جناح بيربقارا، وجناح عبد القيوم خان، رئيس وزراء الأقليم الشمالي الغربي وعاصمته بيشاور، وأخيرًا جناح خواجه الدين من زعماء حركة الاستقلال.

وبوصول ضياء الحق إلى السلطة عام ١٩٧٧ بدأ يقرب زعماء الرابطة منه حيث أتى بمحمد خان جوينجو كرئيس للوزراء عام ١٩٨٥، كما عين كبار وزراء الأقاليم الأربعة الرئيسية من زعماء الحزب. وبعد مقتل ضياء الحق في ١٨ آب ١٩٨٨ دمجت مجموعتا فداء محمد ومحمد خان جوينجو، ودخل الحزب في تحالف مع ثمانية أحزاب دينية صغيرة كان على رأسها الجماعة الاسلامية، فشكلوا «التحالف الديمقراطي الاسلامي» لمواجهة حزب الشعب الباكستاني. ورغم هذا التوحد لم ينل سوى ٥٥ مقعدًا في البرلمان من أصل ٢١٧ مقعدًا. إلا أنه كسب الأغلبية في أقليم البنجاب وشكل الحكومة هناك بزعامة نواز شريف، وبعد إقالة حكومة بنازير التي كسب حزبها ٩٤ مقعدًا في انتخابات ١٩٨٨ تشكلت إدارة إنتقالية حسب الدستور الباكستاني وقادها غلام مصطفى جيتوئي في ٦ آب ١٩٦٠.

وأجريت انتخابات عامة في أواخر ١٩٩٠ حيث اكتسح التحالف الجمهوري الانتخابات عندما حصل على ٩٥ مقعدًا بينما فاز حزب الشعب ب ٤٥ مقعدًا. وشكل التحالف حكومته وحكومات الأقاليم الأربعة، لكن خلافات طرأت داخله حيث اتهمت الاحزاب الدينية شريف بالتنصل من التزاماته في تطبيق الشريعة الاسلامية. ثم اصطدم شريف مع غلام اسحق حول صلاحياته (غلام) في إقالة الحكومات حسب المادة الثامنة فأقيلت حكومته في نيسان ١٩٩٣ لتعود بعد شهر ونيف بقرار من المحكمة يبطل قرار الرئيس ويصفه بانه «غير أخلاقي ولا دستوري». وما حدث للحزب في هذه الفترة كان قاصمًا عندما انشق ناصر تشتا عن شريف وشكل مع لجل رئيس

الوزراء الاسبق محمد خـان جوينجـو جناحًـا آخـر للحزب باسم «جناح جوينجـو»، وانضـم الجنـاح إلى حزب الشعب حيث حصل علـى ٦ مقـاعد في البرلمـان الفـدرالي و١٨ مقعـدًا في أقليـم البنجـاب. وبقدر ما صدم حزب الرابطة بهذا الانشـقاق فقـد كسب شعبية واسعة بوقوف شـريف وإعلانـه عـبر التلفزيون والراديو والصحف أنه ضد قرار الرئيس، وتقول الاستطلاعات انه حقق شعبية واسعة بوقوفه ضد الرئيس الذي بـدأ الشـعب يـنزعج مـن إقالتـه للحكومات حيث أقال حكومتين منتخبتين.

ويـرى بعـض المراقبـين ان تقـدم شـريف بالانتخابات وتراجع بوتو يعود لهذا السـبب. فقـد حصل حزب بوتو على ٨٦ مقعدًا بينما نال حزب شـريف ٧٢ حيـث ظهـر ولأول مـرة حـزب الرابطة كحزب شعبي قوي .ويتمتع حـزب الرابطـة بفريق عمل حيث يقف إلى جانب شـريف الأمـين العـام للحـزب سـرتاج عزيـز وزيـر المـال السـابق، ومشـاهد حسـين الصحـافي الباكستاني المعـروف الذي قاد الحملة الانتخابية للحزب بشكل نـاجح، وإعجاز الحق نجل الرئيس السابق ضياء الحق.

٣- الأحزاب الدينية: حاولت الاحـزاب الدينية تنظيم نفسها في الانتخابات الاخيرة خـارج لعبـة التحالفـات السياسـية مـع نـواز شـريف أو بنازير، فظهرت ثلاث كتل دينية رئيسية:

أ- الجبهـة الاسـلامية الباكستانية بزعامـة قاضي حسـين أحمـد، والتي تأسست في ٢٥ أيـار المـاضي (١٩٩٤) ضامـة الجماعـة الاسلامية الـتي أسسها الامام أبو الأعلى المودودي عـام ١٩٤١ في الهنـد، ومؤيـدي الجماعـة في طرحهـا للمشـروع الاسلامي وجنرالات متقاعدين من الجيش ومشايخ وعلماء. وكانت الجماعة طرحت نفسها قوة ثالثـة بديلة عن الحزبين الرئيسين في البلاد.

وتقول مصادر الجبهـة ان هزيمتهـا البرلمانيـة تعود إلى عدم استعدادها للانتخابات المفاجئة حيث كانت تستعد لانتخابات تجري في ١٩٩٥، وتضـم الجبهة كوادر معروفة في البلـد ولهـا خـبرة سياسـية واقتصاديـة، لكنهـا المـرة الأولى الـتي تشـترك في الانتخابـات بشـكل مستقل عـن التحـالف مـع الاخرين، فلم تحصل إلا على ثلاثة مقاعد فقـط في الجمعية الوطنية وستة في المجالس المحلية. والجبهة من بنات افكار قاضي حسين أحمد زعيمها الذي أطلق اسمها على غرار الجبهات في العـالم الاسـلامي مثـل الجزائـر واليمـن والسـودان وغيرهـا .ولكـن بعـد الفشل في الانتخابات تعرض أحمد لانتقادات عـدة من قادة الجماعة لدخوله الانتخابـات منفـردًا دون التعاون مع شريف.

ب- إسـلامي جمهـوري محـاذ (الجبهـة الديمقراطية الاسلامية): تأسست الجبهة من تحـالف جمعية علماء الاسلام بزعامة مولانـا فضـل الرحمـن نجل مولانا مفتي محمود الذي قاد التحـالف الوطـني واسقط ذو الفقار علي بوتو عـام ١٩٧٧، وجمعيـة علماء باكستان بزعامة مولانـا شـاه أحمـد نورانـي ويقود الطائفة البريلوية وهي صوفيـة متطرفـة علـى المذهب الحنفي. والحزبان سياسيان دينيان يمينيـان. وخلال انتخابات ١٩٧٠ استطاعت جمعيـة علمـاء الاسلام ان تتقدم على الاحزاب الاسلامية كافة في عدد المقـاعد، وشـكلت حكومـة تحالفيـة مـع عبـد الولي خان زعيـم حـزب العـوام القومـي اليسـاري التوجه في بلوشستان.

وخلال حكم ضياء الحـق انشـقت الجماعـة حيث اعلن مولانا سميع الحق قيادة فصيل للجماعة عرفت باسم «جمعية علماء الاسـلام» جنـاح سميـع الحـق، حيث أيـد ضيـاء الحـق في مشـروع الاسـلحة أمـا الفصيل الاساسـي بزعامـة فضـل الرحمـن فعارضـه واتبعت جماعة فضل الرحمن سياسة عداء للاقطـاع والبيروقراطية. لكن الجمعية انقسمت علـى نفسـها خلال الحكم العسكري لضياء الحـق حيـث انشـق مولانا عبد الستار نيازي وزير الأوقاف السابق أيام

حكومة نواز شريف وقاد فصيلاً أقل تطرفًا في الصوفية. لكن الجماعة تلقت هزيمة ساحقة في انتخابات ١٩٨٨.

ج- متحدة ديني محاذ (الجبهة الدينية المتحدة): تنكون من عدد من الفصائل الدينية السنية الصغيرة وتعد جمعية علماء الاسلام بزعامة مولانا سميع الحق الأساس في هذه الجبهة أما الفصيل الرئيسي الآخر فهو مجموعة «الدفاع عن الصحابة» ومقرها في جنك قرب لاهور عاصمة أقليم البنجاب حيث تأسست أواسط الثمانينات ردًا على طائفة الشيعة.

ومن ضمن الاحزاب الدينية حزب العوام الباكستاني بزعامة مولانا طاهر القادري الذي قرر الابتعاد عن الانتخابات الاخيرة..وهناك حزب تطبيق الفقه الجعفري وهو شيعي يقوده ساجد نقوي وكان قد اغتيل مؤسسه علامة عارف الحسيني في آب ١٩٨٨ قبل أيام من مقتل ضياء الحق وعادة ما يؤيد حزب الشعب الباكستاني بزعامة بوتو.

٤- حركة المهاجرين القومية(MOM): يبدو أن الحركة وصلت إلى مفترق طرق عندما انقسمت على نفسها في حزيران من العام الماضي (١٩٩٣) عقب مواجهات وملاحقات الجيش إثر اتهامها بالتورط في حوادث إرهابية واغتيالات. وكانت الحركة تأسست عام ١٩٨٣ في جامعة كراتشي ردًا على الحركات العرقية والاثنية التي تعج بها منطقة السند و لم يمض عقد على تأسيسها حتى ظهرت كقوة ثالثة في البلد، عندما خاضت الانتخابات العامة ولعبت دورًا مؤثرًا في تشكيل حكومة بنازير بوتو اواخر ١٩٨٨، إذ حصلت على ١٣ مقعدًا في الجبهة الوطنية. ثم خاضت بعد عام واحد من تأسيسها الانتخابات المحلية وحققت نجاحًا ملحوظًا في مدينتي كراتشي وحيدر آباد اللتين أصبحتا المعقل القوي لها. وتعتمد بشكل أساسي على المهاجرين الذين استوطنوا الاقليم عقب هجرتهم من الهند خلال التقسيم عام ١٩٤٧، كما تطالب بالاعتراف بقومية المهاجرين كهوية خامسة في البلاد. ويقودها إلطاف حسين الذي يعيش في لندن حيث المنفى الاختياري احتجاجًا على مضايقات الجيش لحركته العام الماضي. لكن يبدو ان الحركة ارتكبت حماقات عندما اصطدمت مع البشتون الباكستانيين المقيمين في الاقليم ثم مع قومية البنجاب والسنديين مما أخاف الجيش من أن يكون ذلك بداية لقضم السند وإقامة دولة مستقلة فيه.

وقد أقدمت الحركة على حرق ومداهمة بعض الصحف ومنها مجلة «تكبير» الاسبوعية، غير ان تحالفها لم يدم طويلاً مع بنازير حيث استبدلته بتعاون آخر مع التحالف الجمهوري الاسلامي في انتخابات ١٩٩٠. وبمداهمات الجيش لها ١٩٩٢، انقسمت الحركة ثلاث مجموعات: حركة المهاجرين القومية - الجناح الحقيقي، ومجموعة إلطاف المؤسس، ومجموعة أعظم طارق. وسار ذلك بموازاة أعمال عنف فيما بينهم.

٥- حزب العوام القومي: من الافضل وصف هذا الحزب بأنه مجموعة ضغط مناطقية بدلاً من أن يوصف بحزب سياسي قومي. منذ ١٩٨٦ بدأ يتحالف مع أحزاب رئيسية في البلاد للابقاء على نفسه حيًا في ظل تغير المناخات السياسية. كان الحزب تشكل من أربعة أحزاب يسارية في ١٩٨٥ عقب الانتخابات غير الحزبية. ومن ضمن هذه الاحزاب الحزب الديمقراطي القومي بزعامة عبد الولي خان، وتزامن ميلاد الحزب مع عودة بنازير من منفاها الاختياري. لكن سريعًا ما تشتت وخرج رسول بخش باليجو منه. والجدير بالذكر ان أسرة خان توارثت زعامة البشتون منذ عشرات السنوات، وعرف عبد الغفار خان والد عبد الولي الذي توفي أوائل ١٩٨٨ بنضاله ضد الغزو

البريطاني في المنطقة واستعان بالاتحاد السوفياتي آنذاك ضد البريطانيين. كما اشتهر الحزب بعلاقاته الوثيقة مع الهند ونظام كابول الشيوعي سابقًا.

٦- أحزاب صغرى ومناطقية: أ- الاحزاب السندية الأساسية: - جبهة السند القومية (ممتاز، بوتو شقيق ذو الفقار)، - مجموعة لجنة العمل؛ - جبهة تعيش السند - الحزب التقدمي، تعيش السند (قادر مكسي)؛ ب- الاحزاب البلوشية الأساسية: - الحزب الباكستاني (بيزنجو)؛ - حركة بلوشستان القومية (السردار عبدا لله وعبد الحي بلوج)؛ - الحزب الوطني الجمهوري (نواب أكبر بوجتي)؛ ج- أحزاب صغرى: - الحزب الديمقراطي الباكستاني (السياسي القديم نواب زاده نصر ا لله خان)؛ - حركة الاستقلال (مارشال الجو المتقاعد اصغر خان)؛- حزب الشعب القومي (غلام مصطفى جيتوئي).

□ **الأحمدية، طائفة:** طائفة تقول إنها اسلامية (لكنها مرفوضة من الاسلام) يقدر عدد أنصارها بعشرة ملايين شخص، يعيش اربعة ملايين منهم في باكستان. دعى إليها وأسّسها ميرزا غلام أحمد (١٨٣٨-١٩٠٨) الذي ولد في مدينة قديان، في البنجاب الهندي، غير انه لم يبادر إلى التبشير برسالته إلا في العام ١٨٩٠.

ادّعى ميرزا غلام أحمد ان المسيح لم يصلب، وانه، خلافًا لما يؤمن به المسيحيون، انتقل مع أسرته إلى شمالي الهند حيث عاش بطمأنينة وأمان إلى ان وافته المنية عن عمر يناهز المئة والعشرين عامًا. وادعى أيضًا ان النبي محمدًا ليس خاتمة الأنبياء وانه (أي ميرزا) خليفته. وقد طرح نفسه على انه مسلم مصلح، يحتل مع أنصاره مركزًا طليعيًا داخل الدين الاسلامي. وقد نفى ان يكون في نيته ادخال أي تغيير أو تعديل على القرآن الكريم، بل طالب أنصاره بالتقيد بتعاليمه وشعائره. فهم يؤدون فرض الصلاة خمس مرات في اليوم، ويتقيدون بشروط الوضوء ويصومون في شهر رمضان، ويؤمون الجوامع على غرار سواد المسلمين. ولئن نجح ميرزا غلام أحمد في اجتذاب عدد كبير من الانصار، فقد فشل بالمقابل في اقناع أئمة الدين الاسلامي بشرعية نهجه الاصلاحي. فبعضهم وسمه بالهرطقة، وبعضهم الآخر اتهمه بالعمل لصالح المستعمر البريطاني عن طريق تقويض دعائم الدين. وقد توفي في البنجاب الهندي مخلفًا وراءه طائفة مزدهرة وانما مرفوضة من الاسلام.

تعرّضت هذه الطائفة (الأحمدية) في باكستان، ولا تزال، للاضطهاد، وانكرت عليها، وفق قانون صدر في عهد ذو الفقار علي بوتو، صفة الاسلام. وبموجب هذا القانون منع على مؤذنيها اداء الآذان من أعلى المآذن، وحظر على الطائفة استخدام كلمة جامع للاشارة إلى معابدها، كما حظرت البسملة والحمدلة على أتباعها.

□ **كاهوتا، المجمع النووي:** منطقة يقع بها المفاعل النووي الباكستاني (راجع «القنبلة النووية الباكستانية» في النبذة التاريخية).

□ **الكفّار، قبائل:** في مناطق وادي شيترال شمال غربي باكستان قبائل لا يعرف معظم الناس عنها شيئًا. هي شعب الكلاش الذي لم يبقَ منه إلا ٣ آلاف نسمة يسكنون عشرين قرية منتشرة بين ثلاثة أودية جبلية قريبة من الحدود الأفغانية. وتسمى هذه المنطقة «كفرستان» أي أرض الكفار لأن المسلمين يعتبرون من ليس من أهل الكتاب كافرًا. لكنهم (المسلمون) مع ذلك لا يتحرشون بهؤلاء «الكفار».

ينقسم الكفار إلى قسمين: الحمر واسمهم «بشغاليز» والسود ويدعون «كلاش» وهؤلاء

يعيشون في أودية شيترال. أما الكفار الحمر فكانوا مجموعة من القبائل عدد أفرادها نحو ٧٠ ألفًا يعيشون في الأودية العليا من مناطق هندو كاش القريبة هي الأخرى من الحدود مع أفغانستان.

إلا ان سردار عبد الرحمن خان، أمير أفغانستان، حمل على الكفار الحمر وأدخلهم في الاسلام عام ١٨٩٥ وضمّ منطقتهم التي كان اسمها أيضًا كفرستان وغيّر اسمها إلى «نورستان» أي أرض النور. وكان ذلك الامير الأفغاني شديد المراس، فأباد قسمًا كبيرًا من الكفار الحمر وجعل بعضهم خدمًا وعبيدًا في جيشه وشتت قسمًا آخر. والذين تشتتوا حطوا الرحال في شيترال في ما بعد وصاروا مسلمين. لكن الكفار السود، أي الكلاش، حافظوا على حريتهم ونمط معيشتهم وعباداتهم الوثنية في وجه جيوش المسلمين والغزاة العظام بمن فيهم تيمورلنك. ومناطق أودية شيترال جبلية جرداء، لكن قرى الكلاش خضراء... وتعتبر هذه الاودية من أصعب المناطق الجبلية في العالم وابعدها عن المدنية.

وعلى رغم ان طبيعة أودية شيترال الصعبة مكّنت الكلاش من الحفاظ على طرق معيشتهم كما كانت منذ مئات السنين، إلا ان حياتهم تتغير بعض الشيء خاصة ان حكومة إسلام آباد مدت، قبل سنوات، تيارًا كهربائيًا ضعيفًا إلى هذه المناطق وبنت فيها مدرسة أرسل الكلاش إليها بعض صبيانهم، كما أقدمت مجموعة الآغا خان على تزويد المنطقة مولدًا كهربائيًا يعمل بضغط الماء. ومنذ عام ١٩٥٩، عندما انضمت مملكة شيترال إلى الجمهورية الاسلامية الباكستانية الناشئة والكلاش يتعرضون لتيارات التغيير ولزحف المدنية...

وهناك تضارب في وجهات النظر حول أصل الكفار السود. بعض الوثائق والكتب القديمة يشير إلى ان أصلهم من بلاد الفرس، فيما ترده كتب أخرى إلى بلاد اليونان. ويقول بعض المورخين ان الكفار السود هم أحفاد الجيوش اليونانية التي قادها الاسكندر الأكبر في أثناء غزوه مناطق كفرستان عام ٢٣٦ ق.م. وهناك من يرد أصل الكلاش إلى أرومات مختلفة مدللاً على ذلك بافتقارهم إلى التجانس الجسدي، إذ بينهم طويل القامة أشقر الشعر أزرق العينين، وآخر قصير أسود الشعر حنطي البشرة. ويتحدث الكلاش لغة خاصة بهم هي مزيج من السنسكريتية واليونانية والفارسية، ما يدعو إلى الاعتقاد بأنهم من أصول يونانية هندو-أوروبية.

ومع انتشار الاسلام في الهند اضطر الكلاش الذين كانوا في السهول إلى اللجوء إلى الاودية الوعرة النائية في شيترال. وعلى رغم انهم خارجون عن الديانة التوحيدية ويؤمنون بآلهة عدة، إلا انهم يقرون بوجود خالق عظيم للكون، كما يؤمنون بالجحيم والنعيم، لكنهم يعبّرون عن هذا الايمان بالاصنام والتماثيل (من «الحياة»، ٦ كانون الأول ١٩٩٤، ص ١).

□ **كوادر، أهمية استراتيجية:** (راجع «كوادر، ميناء» في مدن ومعالم). لأهمية هذا الميناء الاستراتيجية، وفي اجواء الكلام عن تخلي باكستان عنه لعُمان، نشرت «الحياة» (تاريخ ١٣ أيار ١٩٩٥) مقالاً تحليليًا استراتيجيًا كتبه أحمد موفق زيدان من بيشاور:

الازمة التي فجرتها تصريحات أقطاب الحكم الباكستاني حيال اقدام إسلام آباد على التنازل عن ميناء «كوادر» الباكستاني الاستراتيجي المطل على الخليج، لم تهدأ حتى الآن بل تفاعلت بشكل ينذر بمواجهة جديدة بين الحكومة والمعارضة. وزادت الموقف تعقيدًا، الحيرة لدى مسؤولي الحكومة الذين لا يعرفون هل انهم باعوا هذا الميناء أم أجّروه أم أهدوه لسلطنة عُمان.

ويرى كبار المحللين الباكستانيين ان هذه الخطوة تأتي في سياق التحركات الاميركية لمواجهة «الهوية الاسيوية» التي تبحث عنها المنطقة بمعزل عن التأثيرات الخارجية. ولا يخفى ان ثمة تنسيقًا صينيًا-إيرانيًا يقابله تنسيق هندي-روسي ما يرسم معالم جديدة للخريطة السياسية في هذه الرقعة من العالم كما لا يخفى ان اتجاه الدول المعنية إلى إقامة تحالفات حسب مصالحها يعني تضاربًا مع المصالح الاميركية. وفي خضم ذلك اختارت باكستان ان تنأى بنفسها عن حليفها التقليدي الصين من أجل ارضاء «العم سام» الغاضب من بكين.

«كوادر» والحصار الإيراني: يقع ميناء كوادر في أقليم بلوشستان رابع الاقاليم الباكستانية المحاذي للاراضي الايرانية. وظهرت قصة الميناء اثر الزيارة التي قامت بها رئيسة الوزراء الباكستانية بنارير بوتو في آذار ١٩٩٤ إلى عُمان والتقت خلالها السلطان قابوس بن سعيد والمسؤولين العمانيين. وإثر عودة بوتو إلى إسلام آباد أدلى أقطاب الحكم بتصريحات متناقضة.

وفي حين قالت نصرت بوتو والدة رئيسة الوزراء ان الحكومة الباكستانية باعت ٣٠٠ هكتار للسلطان قابوس من أجل إقامة مصنع لتعليب اسماك التونا، قال رئيس الدولة فاروق ليغاري ان الحكومة أهدت الميناء إلى السلطان قابوس. لكنه قال ان المساحة التي بيعت لا تتجاوز المئة هكتار وان الخطوة تأتي في ظل سياسة الاستثمار التي تتبعها الحكومة من أجل نشر الرفاهية والتقدم وسط الاقاليم.

في الوقت نفسه، نفى وزير الداخلية نصير الله بابر قضية بيع ام تأجير الميناء، واعتبر ذلك كله من صلاحيات حكومة الاقليم وحدها.

وقام وفد عُماني برئاسة مستشار السلطان أبو ظفاري بزيارة المنطقة من أجل اقامة مصنع لتعليب الاسماك يكلف ستين مليون روبية. ويعتبر الميناء «بوابة آسيا الوسطى» حيث ترى والدة رئيسة الوزراء ان الاستثمارات من هذا النوع ستوفر فرص عمل نادرة لسكان الاقليم. والميناء قريب من ميناء بندر عباس الايراني وميناء قابوس العماني.

المعارضة الباكستانية حاولت تجييش الرأي العام ضد مسألة بيع الميناء ما دفع السفير العُماني لدى إسلام آباد إلى لقاء زعيم المعارضة نواز شريف. لكن المصادر الاعلامية اشارت إلى ان السفير لم يفلح في اقناع شريف بوقف حملاته الاعلامية. وتساءلت صحيفة «بالس» القريبة من قيادة الجيش عن صحة السبب الذي تروجه الحكومة أي مسألة الاستثمار، وقالت: «ان كان الامر استثمارًا فقط فلماذا لم تطرح مثل هذه الصفقة على أكثر من مستثمر كي تختار العرض الأفضل». واعتبر محرر الصحيفة الاسبوعية ان الأمر يشبه إلى حد بعيد منح قاعدة غوانتانامو الكوبية للاميركيين. واعتبر ان «التخلي عن مثل هذه المواقع الاستراتيجية للاجانب سيحول دون دخول الباكستانيين اليها لمعرفة حقيقة ما يجري داخلها».

زعيم الجماعة الاسلامية الباكستانية قاضي حسين أحمد حمّل الجيش مسؤولية كاملة في حال بيع أو تأجير أو اهداء الميناء لدولة أجنبية. وقال ان إيران والصين أفضل صديقين لباكستان لكنه أسف لأن «الحرب الباردة مع الصين بدأت بسبب موقف باكستان من إجراء تمرينات عسكرية مشتركة مع الاميركيين على الحدود الصينية وبيع ميناء كوادر المحاذي للاراضي الإيرانية». وتزايد القلق الإيراني إزاء هذا الموضوع الذي اعتبرته موجهًا ضدها إثر زيارة السفير الاميركي جون مونفو إلى المنطقة.

قلق إيراني: لا ريب ان طهران المتضرر

الأول من هذه المسألة كونها تخشى أشد الخشية من تواجد أميركي على حدودها. وحسب التسريبات الاعلامية فإن الميناء سيغدو بسبب موقعه الاستراتيجي «بمثابة قاعدة عسكرية أميركية لمراقبة النشاطات الإيرانية خصوصًا في ظل ظهور نظرية الأحتواء المزدوج». ولا شك ان لواشنطن عدوين رئيسيين حاليًا هما كوريا وإيران. وعبر عن القلق الإيراني إزاء مسألة كوادر نصر الله بختياري القنصل الإيراني العام في كويتا عاصمة أقليم بلوشستان حيث يقوم الميناء. وقال القنصل: «بصراحة متناهية، يتحمل الاعلام مسؤولية فضح مخططات الاميركان باستيلائهم على ميناء كوادر». ولم يستغرب المراقبون صراحة القنصل إذ اعتبروا ان طهران وجدت نفسها محاصرة تمامًا من جهة الاراضي الباكستانية والأذربيجانية بعدما سمحت حكومة باكو بفتح ثلاثة مكاتب إسرائيلية على أرضها. ورأى عدد كبير من المحللين ان الهدف من ذلك مراقبة المفاعل النووي الإيراني الذي أثير حوله لغط كبير أخيرًا.

وجاء ذلك في وقت تصاعد في المناطق الأفغانية المحاذية لإيران نفوذ حاكم ولاية هيرات الجنرال إسماعيل خان حليف الرئيس الأفغاني، علمًا ان إسماعيل خان يعتبر معاديًا ما حدا بالاخيرة إلى الاعتقاد بانها أصبحت مطوقة من كل الجوانب.

ودفعت التطورات بالقيادة الإيرانية الراغبة بالخروج من المأزق إلى طرح فكرة تحالف جديد مع الصين والهند على امل ان تنضم إلى هذا التحالف روسيا بهدف إبعاد النفوذ الاميركي عن المنطقة التي تراها إيران واقعة ضمن مجالها الحيوي. وتجلت الدعوة الإيرانية عام ١٩٩٣ في خطاب الرئيس الإيراني رفسنجاني الذي رأى ان «لا بد من تحالف مع الصين والهند حتى يصير لنا كلمة على الساحة الدولية».

وتعززت الفكرة خلال الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الهندي دانش سنغ إلى طهران إذ دعا الاخير إلى ضرورة العمل من أجل «هوية آسيوية على غرار تلك التي أوجدها الاتحاد الاوروبي». وتبعت هذه الزيارة تلك التي قام بها نائب وزير الخارجية الإيراني عباس مالكي إلى إسلام آباد في آذار ١٩٩٤ وحدد خلالها الدعوة إلى الهوية الآسيوية وحصرها في أربع قوى أقليمية: الصين في الشرق الاقصى والهند في الجنوب وإيران وباكستان في الغرب، وآسيا الوسطى.

ويرى المراقبون ان زيارة مالكي ودعوته إلى إشراك باكستان في تحالف، لم تغيرا من واقع الحال المتجسد في تحالف الاخيرة مع اميركا. لكن المسؤول الإيراني اراد ان يخفف من حدة الحصار المضروب على بلاده. وفي لاهور، المدينة الباكستانية العريقة دعا مالكي إلى إقامة نظام أمن آسيوي. لكن ما أقلق إسلام آباد هو حمّى الاستثمارات الإيرانية في الهند العدو التقليدي لباكستان، إذ تدفقت بلايين الدولارات من طهران على شكل إستثمارات. وترغب الهند في ان تكون شريكة مع إيران على حساب علاقة الاخيرة مع باكستان حتى تفقد إسلام آباد حليفًا لها في المحافل الدولية والاقليمية حيال مسألة كشمير المتنازع عليها بين الدولتين.

أما الصين فقد تجاوبت مع الطرح الإيراني وقام وزير خارجيتها كيان كيتشين بزيارة رسمية إلى طهران في نيسان ١٩٩٤.وأعقب ذلك دعوة الرئيس الإيراني دول آسيا مجددًا في تشرين الأول ١٩٩٤ إلى العمل على جعل القارة في منأى عن الهيمنة الدولية.

وقال رفسنجاني في حينه ان «الهند والصين وإيران يجب ان تكون قلب المجتمع الآسيوي الجديد في عصر ما بعد الحرب الباردة». في الوقت نفسه كان السفير الصيني في نيودلهي يدعو إلى

إقامة «كتلة تجارية صينية-هندية لمواجهة التجمعات الاقليمية في آسيا»، داعيًا إلى «تعاون تقني عالي بين البلدين».

المراقبون لشؤون المنطقة لا يستغربون دخول روسيا في هذا الحلف بعد المؤشرات والدلائل التي ظهرت على وجود تعاون روسي إيراني حول تزويد الاخيرة المعدات اللازمة لإقامة مفاعل نووي.

في ١٧ تشرين الثاني ١٩٩٤ قال رئيس المجلس القومي الروسي أن «الهند والصين ستعملان على إقامة سلام دائم في آسيا». لكن يبدو ان وضع روسيا المضطرب يطمئن الغرب إلا في حال إنقضاض المتشددين الروس على السلطة. وفي ذلك الوقت، لا يستبعد ظهور مثل هذه التحالفات المعادية للغرب.

التحرك الاميركي: ويبدو ان واشنطن أدركت عمق التحولات في المنطقة فغيرت استراتيجيتها في الدعم الواضح والكلي للهند وفضلت هذه المرة التوجه إلى باكستان. ولفت المراقبون إلى أنها المرة الأولى التي يزور مسؤول أميركي إسلام آباد قبل نيودلهي عندما وصل وزير الدفاع الاميركي وليام بيري أواسط كانون الثاني ١٩٩٥ إلى إسلام آباد على رأس وفد رفيع المستوى.

وأبرم بيري إتفاقات للتعاون العسكري وتبادل الخبرات مع الباكستانيين وإن كان لم ينطرق إلى قضية طائرات ال«اف-١٦» التي ترفض واشنطن الافراج عنها رغم تسديد باكستان قيمتها. كذلك تفادى الوزير الاميركي التطرق بوضوح إلى مسألة المفاعل النووي الباكستاني.

وأكد بيري في زيارته إلى الهند على «السياسة المتوازنة والمتساوية» التي تسلكها الادارة الاميركية حيال البلدين.

ويرى المراقبون ان الرؤية الاميركية ستركز في المستقبل على حل النزاع الكشميري بين الدولتين، لكنها ستجد نفسها هذه المرة في مواجهة مع الصين التي تحاول الاستفادة من هذا النزاع. وهذا ما عبر عنه زعيم الجماعة الاسلامية الباكستانية بقوله: «إن الحرب الباردة مع الصين بدأت».

مدن ومعالم

* **إسلام آباد:** مدينة حديثة في باكستان. أنشأها محمد أيوب خان (١٩٥١) قريبًا من روالبندي واصبحت عاصمة البلاد بدلاً من كراتشي منذ ١٩٦٧، وذلك استجابة لحاجات البلاد الادارية. أنشئت فيها عمارات رسمية حديثة. موقعها اختير بعناية، ترتفع ٦١٠ م عن سطح البحر، تطل عليها قمم هملايا. لا تزال الصناعة فيها في بدايتها لكنها ناشطة. عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة. فيها جامعة، ومسجد هو تحفة معمارية، يسع صحنه ١٥ ألف مصل. والمنطقة المحيطة به تتسع لحوالي ٣٠٠ ألف مصل.

* **بلوشستان:** مقاطعة تتقاسمها إيران وباكستان. تقع في جنوب شرقي إيران وصحراء كرمان وعلى

حدود السند والبنجاب الغربية. والبلوش هم الاقلية القومية الاقل حظوة في إدارة البلاد. ففي دراسة قدمت إلى جامعة ميامي (١٩٨٠) موضوعها سياسة تكوين المجالس الوزارية في باكستان (١٩٤٧-١٩٧٧) تبين انه من أصل ١٧٩ شخصًا تولوا مناصب وزارية في باكستان خلال ثلاثين عامًا لم يكن منهم سوى أربعة فقط من البلوش. هذا على مستوى الحكومة المركزية، أما على مستوى الحكومات المحلية في الاقاليم فقد ظل البلوش مستبعدين بصورة تكاد ان تكون كاملة عن موقع اتخاذ القرار. ففي ١٩٧٢، كان في بلوشستان حوالي ٤٠ ألف موظف مدني، وكان منهم ألفان فقط، أي ٥٪ من البلوش.

* **البنجاب** (أو الانهار الخمسة): منطقة في آسيا الجنوبية تتقاسمها الهند (البنجاب الشرقية) وباكستان (البنجاب الغربية). قمح وقطن. ترويها خمسة أنهار (بن: خمسة، جاب: نهر) هي روافد الهندوس. معروفة بخصوبتها. عرفت حضارات كبرى، وعبرها أكثر غزاة سهل الغانج. البنجاب الباكستانية جعلت منها باكستان (١٩٤٧) مقاطعة إسلامية مقسّمة إلى عدة أقضية: قضاء روالبندي، لاهور (القاعدة)، ملتان وإسلام آباد. عدد أنفس البنجاب الباكسنانية نحو ٣٢ مليون نسمة. أما البنجاب الهندية فمقسّمة بين ولايتي البنجاب وهاريانا، وعدد أنفسها يعادل تقريبًا عدد أنفس البنجاب الباكستانية، لكن مساحتها أقل من مساحة الجزء الباكستاني بمرتين. قاعدتها مدينة شانديغار، وهي مدينة حديثة، وأهم مدنها: أمريستار (مدينة السيخ المقدسة)، باتيالا وجولوندر.

* **بهاولبور**: محافظة في شرق الباكستان. نحو ٤،٥ مليون نسمة. تزعم أسرتها الحاكمة «بانها» انها تتحدر من سلالة الخلفاء العباسيين.

* **بيشاور**: مدينة تاريخية محصنة في شمال باكستان وعاصمة محافظة بيشاور. مركز تجاري وعسكري مهم عند ممر خيبر الذي يصل باكستان بأفغانستان. نحو مليون نسمة. مركز مهم لصناعة الصوف وللتبادل التجاري مع أفغانستان. فيها جامعة حديثة. كانت قديمًا عاصمة غندارا. ودعاها الملك الأكبر «بيشاور»، أي «مدينة الحدود». تعود إلى مراحل الهندوس والبوذيين. وفيها، مثلها مثل لاهور، آثار تعود إلى أيام المغول. احتلها السيخ (١٨٤٣)، ثم الانكليز (١٨٤٨)، واصبحت عاصمة المقاطعة الشمالية الغربية ١٩٠١-١٩٤٩.

* **حسن أبدال**: مدينة صغيرة غرب البنجاب (الباكستانية). كانت محطة الأباطرة المغول في طريقهم إلى كشمير.

* **حيدر آباد**: مدينة في باكستان على نهر الهندوس. عاصمة محافظة حيدر آباد. نحو مليوني نسمة. تأسست في ١٧٦٨ في وسط زراعي مهم (زراعة أرزّ). مركز صناعي: حرير، زيوت، صياغة، آلات زراعية، نسيج، زجاج، وتشتهر خاصة بصناعة السينما. فيها جامعة ذات مستوى عال تعرف بجامعة السند. وفي الهند مدينة بالاسم ذاته (حيدر آباد).

* **خيبر**: ممر جبلي ضيق بين باكسنان وأفغانستان على الطريق المؤدية في كابول إلى بيشاور. اجتازه محمود الغزنوي وتيمورلنك وبابر وهمايون وأكبر، ويقال أيضًا الاسكندر. أصبح تحت اشراف البريطانيين في ١٨٧٩. يتمتع بأهمية استراتيجية لا يجاريه فيها ممر آخر في العالم، نظرًا لموقعه وكثرة

الغزوات التي تعرّض لها منذ القرن الخامس ق.م. فلقد مرّت به قوات الفرس، والأغريق، والتتار، والمغول، والأفغان والبريطانيين. تتحكم قلعة جمرود التي بنيت في ١٨٢٣ في المدخل الباكستاني لممر خيبر. يبلغ ارتفاع أعلى نقطة في الممر نحو ١٢٠٠ م. ومما زاد من أهميته انشاء السكة الحديدية بين جمرود ولاندي خان قرب الحدود الافغانية في ١٩٢٥، وقد تطلب ذلك حفر ٣٤ نفقًا في الجبال وإنشاء ٩٤ جسرًا ومعبرًا. ولقد دخلت القوات البريطانية ممر خيبر لأول مرة في ١٨٣٩، وذلك إبان الحرب الأفغانية الأولى، واستمرت في مناوشات عسكرية مع قبائل «باثان أفريديس» القوية الشكيمة إلى ان فرضت بريطانيا والجيش الهندي السيطرة على الممر قبيل الحرب العالمية الأولى. أما اليوم، فان مديرية خيبر الباكستانية تسيطر على الممر باعتباره جزءًا من الاراضي الباكستانية، وتستعين في ذلك بقوة من أبناء قبائل «الخسادار» الموالية.

* **ديبل:** ميناء قديم على نهر السند في باكستان. زالت معالمه بعد طغيان مياه السند عليه. استولى عليه محمد بن قاسم (٧١٢).

* **روالبندي:** مدينة في شمال شرقي باكستان (مقاطعة البنجاب) على سفح جبل هملايا وعاصمة محافظة روالبندي. نحو ١،٢٥ مليون نسمة. مركز القيادة العامة للجيش الباكستاني، وموقع استراتيجي مهم بين سهل الهندوس وجبال هملايا. صناعات ثقيلة. مصفاة بترول. وقّع فيها الانكليز وثيقة اسقلال أفغانستان (١٩١٩).

* **السند:** مقاطعة في جنوب باكستان (١٠٠ ألف كلم م.). نحو ٨،٥ مليون نسمة. عاصمتها حيدر آباد. تشمل في الشرق صحراء تار، وفي الغرب قسمًا من سهل الهندوس. أكثر مناطق العالم حرارة. منطقة زراعية، وعرفت أخيرًا نشاطًا صناعيًا (نسيج، ترابة، سجاد، سيراميك). فتحها محمد بن القاسم الثقفي (٧١٢) وأسس قرية صغيرة على الميناء، وتبعد عن كراتشي نحو ٢٠ كلم ولا يزال هذا الموقع قائمًا حتى اليوم وهو ميناء محمد بن القاسم، وتغلغل منها إلى كل المنطقة، وبدأ عصر الحكم العربي الاسلامي لهذه المنطقة. فبعد فترة الحكم الاسلامي الأول، خضع أقليم السند للدولة الغزنوية (٩٦٢) التي مدّت فتوحاتها إلى كل الهند، وازدهرت في أيامها التجارة مع العرب، عبر بحر العرب، حيث كان خليفة المسلمين في بغداد (الخليفة القادر) قد منح محمود الغزنوي، مؤسس الدولة، لقب «يمين الدولة». وقد أرّخ العالم العربي ابو الريحان البيروني لهذه المرحلة، إذ كان قد صحب محمود الغزنوي في فتحه للهند وقضى هناك أربعين عامًا.

النشاط الأغلب للسكان في السند (خاصة في الريف) هو الزراعة، بالاضافة إلى الصيد وبعض صناعة المنسوجات. ويستأثر الريف والقطاع الزراعي بعدد كبير من السكان يعملون مزارعين وأجراء.

ويمثل أهل السند القومية الثانية من حيث العدد في باكستان التي تتوزعها قوميات أربع: البنجاب، السند، الباخنون (الباشون) والبلوش.

* **شيترال:** كانت دولة صغيرة على وادي كشمير في جنوب شرقي السلسلة الهندوكوشية. نحو ٧٥٠ ألف نسمة. اصبحت باكستانية منذ قيام دولة باكستان (راجع «الكفّار، قبائل» في معالم تاريخية).

* **قصدار:** مدينة في باكستان (في بلوشستان). قال ياقوت ان سكانها كانوا من الخوارج.

* **كراتشي:** مدينة ومرفأ في جنوب باكستان على بحر عُمان. عاصمة مقاطعة كراتشي. كانت قديمًا مدينة صيد يحكمها امراء السند. احتلها الانكليز (١٨٤٣) وأنشأوا فيها مرفأ مهمًا للتجارة (١٨٥٠-١٨٧٣) فعرفت المدينة عصرها الذهبي. مركز صناعي كبير.

شهدت كراتشي، كجزء من اقليم السند، حضارات كثيرة، اقيمت على ضفاف بحر العرب. وما زالت اراضيها تحفل بكثير من الآثار التاريخية. على بعد نحو ٦٠ كلم منها شرقًا تقع مدينة «تاتا» التي كانت مركزًا لامبراطوريات المغول الذين أنهوا حكم الغزنويين وأقاموا امبراطورية استمرت ثلاثة قرون. من أهم معالم كراتشي مسجد التوبة، وضريح محمد علي جناح مؤسس دولة باكستان.

كانت كراتشي، قبل احداثها الدامية التي تعيشها منذ نحو عقد من الزمن، تعرف ب«مدينة الاضواء» نتيجة ازدهارها وتراثها وتنوع النشاط الاقتصادي فيها. وتوصف ايضًا ب«باكستان الصغرى» نتيجة تعدد الاعراق والجنسيات بين سكانها.

كان عدد سكانها عندما نالت باكستان استقلالها في ١٩٤٧ لا يزيد على نصف مليون نسمة. ولا يعرف العدد حاليًا، لكن التقديرات تراوح بين ١١ و ١٣ مليونًا. ومنذ ١٩٨١، فشلت محاولتان لاحصاء سكانها لأن كلاً من فئتيها الرئيسيتين (السنديين والمهاجرين) اعتبرت ذلك مؤامرة لاعتبارها أقلية. واستمرت موجات المهاجرين في التدفق على كراتشي إثر الانفصال عن الهند حتى نهاية الخمسينات. واستقطب ازدهار التصنيع في مستهل الستينات مئات الآلاف من البنجابيين والباتونيين. وفاضت جنبات المدينة باعداد ضخمة من المهاجرين الهاربين إثر إعلان قيام بنغلادش، واستقر هؤلاء المهاجرون في حي أورانجي الذي يعد أكبر تخيم للسكن العشوائي في القارة

مواقع الاقاليم ومدينتا لاهور وكراتشي.

بقايا مدينة «موهنجودارو» وتعود الى خمسة الاف سنة قبل الميلاد.

الآسيوية. تعد كراتشي الميناء الرئيسي لباكستان وتوصف عادة بأنها «شريان الحياة» الباكستانية، كناية عن وضعها التجاري المهم، إذ توجد فيها سوق الاوراق المالية، والمكاتب الرئيسية للمصارف، وتتخذها الشركات المتعددة الجنسية العاملة في البلاد مقرًا لها، كما انها مقر للصناعات التي تشكل عصب اقتصاد البلاد، وتوفر ٦٠٪ من دخل الدولة و ٩٠٪ من اجمالي عائدات الدولة من

اجهزة الحكم المحلي. في العقد الاخير (النصف الثاني من الثمانينات وحتى صيف ١٩٩٥) شهدت حوادث دامية واضطربات لا تزال مستمرة. وفي الآونة الأخيرة أخذت هذه الحوادث تثير اقوالاً لمعنيين، وتعليقات وتحليلات حول إن هذه الحوادث قد تؤدي إلى انفصال كراتشي (ومنطقتها) وتهدد وحدة باكستان.

* **كَلات:** مدينة في باكستان. عاصمة محافظة كلات (في بلوشستان). نحو ٢٥٠ ألف نسمة. كانت قديمًا مقام الخان. تشرف على الطرق المؤدية إلى أفغانستان وإيران ودلتا الهند وبحر عُمان. تجارة وصناعة.

* **كوادر، ميناء:** يقع هذا الميناء في إقليم بلوشستان، رابع الاقاليم الباكستانية المحاذي للاراضي الإيرانية. ويبعد ميناء كوادر ٧٠٠ كلم عن مدينة كراتشي في اتجاه الحدود الايرانية. استكمل العمل به، في العام ١٩٩٢، بشكل جزئي. يتمتع بمواصفات استراتيجية، ذلك ان مياهه عميقة ما يتيح للسفن والبواخر الضخمة الرسو على شواطئه، كما انه يطل على الاراضي الإيرانية، ويعتبر «بوابة آسيا الوسطى» (راجع «كوادر، أهمية استراتيجية» في معالم تاريخية).

* **كوهستان** (أو قوهستان أو قهستان): إسم عدة اماكن، منها: ١- منطقة في باكستان جنوب غربي السند بين كراتشي في الجنوب وسيوان في الشمال وتشمل سفح جبل كرتار، ينابيع معدنية حارة (كبريت)، سكانها من البدو يعيشون من تربية الجمال والماعز والاغنام؛ ٢- ولاية في إيران، مقاطعة كرمان؛ ٣- أسم مدينتين في كرمان؛ ٤- منطقة جبلية في أفغانستان إلى الشرق من كابول وتشمل السفوح الجنوبية لجبال الهندوكوش. وتعد كوهستان نحو ١،٥ مليون نسمة.

* **لاهور:** مدينة في شمال شرقي باكستان وعاصمة محافظة لاهور. مركز الحياة الثقافية والدينية في باكستان، وعاصمة البنجاب. نحو ٤ ملايين نسمة. كانت العاصمة القديمة للدولة الاسلامية في الهند. فيها جامعة إسلامية كبرى. آثار مغولية واسلامية. متحف للآثار اليونانية والمغولية (١٨٩٤). مركز صناعي مهم (صناعات ثقيلة، ادوات جراحة، آلات كهربائية، أقمشة، أحذية).
من لاهور انطلق الاسلام إلى كل الهند. وبرغم تعدد آثار حضارة المغول الاسلامية إلا ان القلعة والمسجد وحدائق شاليمار هي أبرز ما يذكر من هذه الآثار التي تعد تحفة معمارية. وتعد لاهور، حاليًا عاصمة السينما الباكستانية؛ فاستديوهاتها تنتج وحدها أكثر من ١٢٥ فيلمًا سنويًا.

* **مكران:** بلاد ساحلية في جنوب بلوشستان باكستان. عرف سكانها في القديم ب«الأخنيوفاج» أو آكلي السمك. مرّ بها الاسكندر في عودته من الهند (٣٢٥ ق.م.). فتحها محمد بن قاسم (٧١١).

* **مُلتان:** مدينة باكستانية تاريخية شهيرة. عاصمة محافظة ملتان. نحو ٢،٥ مليون نسمة. من أولى المدن التي احتلها المسلمون وأسسوا حكمهم فيها. اشتهرت كقاعدة لكثيرين من الاولياء الصوفيين. فيها ضريح شمس تبريز. سوق زراعية وصناعات.

* **موهنجودارو:** آثار لحضارة قبل التاريخ (٢٥٠٠-١٥٠٠ق.م.) ازدهرت في وادي الهندوس. تقع في كركانا في السند (باكستان). لا تزال بقايا المدينة إلى يومنا هذا، ولم يتم الكشف عنها إلا في اوائل هذا القرن (العشرين). وحضارتها (حضارة السند ما قبل الميلاد) تماثل حضارات

السومريين في العراق والفراعنة في مصر. تقع بقايا المدينة على مسافة ٣٥٠ كلم شرق كراتشي. عند بوابة الدخول مخطط لخريطة قديمة توضح مسار السكان الاوائل لهذه المنطقة حيث بدأوا رحلتهم من نقطة تعرف حاليًا بشط العرب، وسارت سفنهم عبر الخليج العربي إلى المحيط الهندي، ثم رست عند الساحل الشرقي للهند، ومنه انطلقوا إلى الداخل حيث أسسوا هذه المدينة. وتتمتع المدينة بأول نظام صرف صحي عرفه التاريخ، وكذلك أول نظام لتغذية البيوت بمياه الشرب، وداخل المدينة حمام للسباحة.

وفي بقايا الآثار والمخطوطات توجد موازين ودلائل تشير إلى انهم استخدموا نظامًا عشريًا للاوزان والمقاييس، ومدارس مختلفة. فهناك مدارس لصغار السن يتضح ذلك من شكل المدارس الحجرية الصغيرة، ومدارس للصبية، ثم للشباب. وفي رسوماتهم تسير النساء عاريات الصدر، حتى زوجات الملك، ورسومات لآليات زراعية متقدمة، مثل الشادوف الذي يستخدم حتى الآن في الري من الآبار، وبعض الآلات مثل المذراة والفأس؛ وفي اللوحات الجدارية تسجيل لرحلاتهم البحرية التجارية مع السومريين.

ويؤكد كثير من الباحثين بأن سكان مدينة موهنجودارو هم الذين هاجروا تحت ظروف غير معروفة، وأسسوا حضارة لهم في منطقة السند، ظلت قائمة حتى غزو الاسكندر المقدوني للهند وانهيارها.

* **هُنزة:** منطقة في شمال كشمير (باكستان) بين أفغانستان ونهر هنزة. عاصمتها بلتيت. زراعة. كانت ولاية أميرية يحكمها الاسماعيليون اتباع الآغاخان. تجارة عقيق وأحجار كريمة.

زعماء ورجال دولة

* **إقبال، محمد** (١٨٧٦-١٩٣٨): كاتب وشاعر وفيلسوف وحقوقي ورجل سياسة. ولد في البنجاب، وينتسب إلى أسرة قديمة برهمية دخلت في الاسلام منذ ثلاثة قرون، وكانت تقيم في كشمير ثم اضطرتها الظروف ان تهاجر إلى البنجاب حيث استقرت عائلة إقبال في سيالكوت. وبدأ تعليمه في هذا البلد وظهرت فيه مخايل النبوغ، ودرس الأدب الفارسي والعربي على مير حسن أحد الأدباء النابهين. ثم انتقل إلى لاهور فدخل كلية الحكومة ولقي بها السير توماس أرنولد فأخذ عنه الفلسفة، ثم نصب مدرسًا للفلسفة في الكلية الشرقية في لاهور.

في ١٩٠٥، سافر إلى اوروبا فدرس في كمبريدج، ثم في ميونخ حيث نال درجة الدكتوراه في الفلسفة. وألقى في انكلترا محاضرات في الاسلام.

رجع إلى الهند في ١٩٠٨، وعمل في المحاماة. وما زال يزداد مكانة في السياسة والادب حتى بلغ من المجد وذاع صيته في الهند وغيرها.

حين وفاته يوم ٢١ نيسان (١٩٣٨) في مدينة لاهور قبل عقد من قيام دولة

محمد إقبال

باكستان الاسلامية التي كان واحدًا من الساعين لقيامها، كان في عز نشاطه وتحركه كواحد من رجال الفكر والعمل في مجال تحديث الفكر الاسلامي.
انتخب عضوًا في الجمعية التشريعية في البنجاب لدورتين في عام ١٩٢٤ و ١٩٢٦، واشترك في مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن عامي ١٩٣١ و ١٩٣٢. وفي ١٩٣٠ كان إقبال قد ترأس «رابطة المسلمين الهنود» التي كانت تدعو إلى تأسيس دولة إسلامية مستقلة في شمال الهند. وهو في خضم ذلك كله وضع العديد من المؤلفات باللغتين الفارسية والأوردية، كما كتب بعض الأشعار بالعربية. ومجموع شعره، رغم طابعه الصوفي، كان شعر رسالة أي انه كان يتضمن مواقف سياسية وفكرية ودينية واضحة.
من بين أبرز ما كتبه: «تجديد الفكر الديني في الاسلام» (مجموعة محاضرات جامعية القاها بالانكليزية في ١٩٢٨). و «رسالة المشرق» و «اسرار الذاتية» وغيرها.

* **أيوب خان، محمد** (١٩٠٧-١٩٧٤): عسكري ورئيس جمهورية باكستان. بدأ حياته العملية ملتحقًا بالجيش الهندي البريطاني. تخرج من كلية سان هرست العسكرية الملكية البريطانية (١٩٢٨). رئيس أركان حرب الجيش الباكستاني (١٩٥١). وصل إلى السلطة في ٧ تشرين ١٩٥٨. عبر انقلاب أعده الجنرال اسكندر ميرزا الذي كان رئيسًا للجمهورية، فإذا به يحل البرلمان في ٧ تشرين الأول ويعطي السلطات كافة للجنرال أيوب خان قبل ان يتنازل له عن السلطة نهائيًا، فيصبح أيوب خان الحاكم المطلق لبلد كان يعاني من الداخل من كل ضروب الفساد والفوضى، وكان في الخارج مطالبًا بأن يحل محل بغداد (التي كانت ثورة عبد الكريم قاسم قد أبعدتها عن الغرب) في تزعم الجناح المؤيد للغرب في وسط آسيا.
خلال السنوات الاولى من حكمه تمكن أيوب خان من محاربة الفساد وتقوية مؤسسات الدولة وتحديث التعليم بنجاح كبير، وحتى آخر أيام حكمه ظل على علاقة جيدة مع الغرب.
الحرب الهندية-الباكستانية التي بدأت في العام ١٩٦٥، واسفرت في نهاية المطاف عن انفصال باكستان الشرقية واعلانها دولة باسم بنغلادش في ربيع العام ١٩٧١، قضت عليه سياسيًا، فأجبر على الاستقالة في ٢٥ آذار ١٩٦٩، ليحل محله الجنرال يحي خان الذي أعلن الاحكام العرفية وتحمل ما تبقى من الهزيمة.

* **بوتو، بنازير** (١٩٥٣-): والدها ذو الفقار علي بوتو الذي درج على وصفها ب«خليفتي من بعدي». كان يصطحبها معه في المناسبات السياسية. لكنها لم تكسب، مع ذلك، تلك الخبرة التي تمكنها من التعامل مع الأحداث كرئيسة وزراء. فكل خبرتها السياسية المفيدة جاءت من عملها شهرًا كاملاً في وزارة الخارجية وسفرها مع والدها عام ١٩٧٢ إلى شميلا بالهند لحضور توقيع البلدين على اتفاقية فض خلافات حرب ١٩٧١، ابان تقسيم باكستان إلى شرقية وغربية. وتعترف

بنازير بضحالة خبرتها السياسية التي أدت إلى سقوطها عام ١٩٩٠ بعد عشرين شهرًا فقط من الحكم. فهي لم تتعرف على موازين المجتمع الباكستاني وتعقيداته.

فور إعدام والدها في نيسان ١٩٧٩، انتهجت خطًا معينًا لم تتخلّ عنه، وهو البراغماتية ذات المنحى اليميني. وقد دفعها ذلك إلى التخلي عن قيادات الحزب التاريخيين وعن شقيقيها، مرتضى (الذي مرتضى وشاه نواز، قاما بتشكيل «منظمة ذو الفقار» التي نفذت عددًا من العمليات المسلحة داخل البلاد وخارجها احتجاجًا على الرئيس ضياء الحق.

في بداية ظهورها السياسي واجهت بنازير ثلاث مشاكل، كان على رأسها الجناح اليساري في الحزب الذي يقوده أحد مؤسسيه التاريخيين، رشيد أحمد. فهذا الاخير الذي عارض زيارتها إلى أميركا عام ١٩٨٤، ليغدو لاحقًا في أقصى اليمين، واحدًا من قادة «حزب الرابطة الاسلامية» بزعامة نواز شريف. اما المشكلة الثانية فكانت الفدرالية التي دعا اليها عمها ممتاز بوتو وعبد الحفيظ بير زاده، إذ طالبا بتشكيل ائتلاف بشتوني-بلوشي، الامر الذي أغضب بنازير فطردتهما من الحزب. واما المشكلة الثالثة فتمثلت في الطموح الذي أبداه غلام مصطفى أكهر وغلام مصطفى جيتوئي، وهما من قيادات الحزب التاريخيين، عندما حاولا تكوين مجموعة البنجاب بحجة انه اكبر الاقاليم الباكستانية، فطردتهما ايضًا من الحزب، وعيّنت جها لكلير بدر زعيمًا للحزب في البنجاب، والذي حصد الهزيمة في الانتخابات الاخيرة.

في باكستان يدعونها «السيدة الحديد الشرقية». فقد استطاعت الحفاظ على حزب الشعب ووحدته، على رغم فقدانه معظم، إن لم نقل كل قادته التاريخيين. وأثبتت مقدرة قوية على جمع الشعب الباكستاني والحزب بالضرب على أوتار حساسة من خلال الشعار الثلاثي الذي كان والدها ينادي به: «روتي، كبرا، مكان»،أي «المأكل، الملبس، المسكن».

كلفها رفضها لاستفتاء ١٩ كانون الأول ١٩٨٤ من اجل تطبيق الشريعة الاسلامية والذي أجراه ضياء الحق الاقامة الجبرية لعدة أشهر غادرت بعدها البلاد، لتعود مرة ثانية في آب ١٩٨٥، حاملة جثة شقيقها شاه نواز. وفي غضون ذلك كانت أسّست في اوائل ذاك العام «حركة استعادة الديمقراطية»

بنازير بوتو

ضياء الحق

مقاطعة الانتخابات التي دعا اليها ضياء الحق على أساس غير حزبي، في حركة التفاف ذكية منه لابعادها عن السلطة.

وكان ضياء الحق يعد بانتخابات حزبية في مطلع ١٩٩٠، لكن المنية عاجلته بحادث تحطم الطائرة في ١٧ آب ١٩٨٨. فراحت بنازير تعتمد سياسة للتصالح مع المواقع الفاعلة. فعلى صعيد الجيش كانت تعرف انه يكنّ لحزبها ولوالدها كل عداء، حيث حرمه ذو الفقار كثيرًا من امتيازاته التي استعادها له الجنرال ضياء الحق. وهكذا احجمت عن أي تصريح يثيرحفيظته كما كانت تفعل في السابق. وصرّحت (خريف ١٩٩٣) ان المشروع النووي لا بد من استمراره، بعد ان كانت تطالب ايام رئاستها الحكومة في ١٩٨٨-١٩٩٠ بطرحه امام التفتيش الدولي. وهذا امر حيوي لا يقبل الجيش بالمساومة عليه. كذلك رفضت قبول نصائح امها باعادة شقيقها مرتضى (كان منفيًا خارج البلاد) ايام كانت رئيسة الوزراء. ثم رفضت التعاون معه في الانتخابات حتى لا تثير الجيش عليها. وتصالحت مع الغرفة التجارية الرأسمالية بزواجها من التاجر المعروف أصف زرداري الذي فتح لها باب التعامل مع الطبقة التجارية المنتفذة في البلد. وابقت في الوقت نفسه حبل الود مع الفقراء والمعدمين والمعوقين الذين أثّرت عليهم كثيرًا في خطاباتها واجتماعاتها، بشخصيتها الكاريزمية.

لكن بنازير بوتو واجهت في الانتخابات الاخيرة مأزقًا حقيقيًا تمثل في تنامي شعبية نواز شريف زعيم «حزب الرابطة». فقد كانت تعتقد انه حزب شاخ واهترأ و لم يعد يستطيع منافسة حزبها. لكن نسبة الاصوات التي حصل عليها شريف في هذه الانتخابات (١٩٩٣) فاقت نسبة اصواتها، على رغم ان شريف ظهر حديثًا على المسرح السياسي.

يبقى ان بنازير التي درست في جامعتي هارفارد الاميركية وأكسفورد البريطانية، مسلّم لها بأنها تعرف العالم الخارجي أكثر من خصومها، وانها انجح منهم في المفاوضات الدولية (من «الحياة»، صفحة تيارات، تاريخ ١٦ تشرين الأول ١٩٩٣).

* **بوتو، ذو الفقار علي** (١٩٢٨-١٩٧٩): سياسي باكستاني تولى رئاسة الباكستان بعد هزيمتها على يد الهند (كانون الأول ١٩٧١). وزير الخارجية (١٩٦٣-١٩٦٦)، حيث عمل على تطوير العلاقات مع الصين الشعبية، وانتهج سياسة التشدد مع الهند في قضية كشمير. أسس حزب الشعب (١٩٦٧) الذي قاد المعارضة واستقطب التأييد الشعبي وحماس الطلاب. قام باصلاحات سياسية واقتصادية عندما تولى رئاسة الجمهورية، وفرض سيطرة الدولة على الصناعات الرئيسية. استمر في سياسة ودّية تقليدية مع العرب. أثار أزمة داخل المعسكر الغربي عندما حصل على مفاعل نووي من فرنسا. اتهمه خصومه، بتحريض من الولايات المتحدة، بالابتعاد عن الديمقراطية. فنشبت المظاهرات والاضطربات في البلاد، وكان ذلك بمثابة تمهيد لوقوع انقلاب عسكري ضده. وضع بوتو تحت الاقامة الجبرية، ومع ذلك استمر وجوده السياسي قويًا ومزعجًا للنظام العسكري الجديد (بقيادة ضياء الحق). فحكم عليه بالاعدام (١٩٧٨)، وبذل العديد من القادة في العالم (خصوصًا القادة العرب) جهودًا لانقاذه. إلا ان حكم الاعدام نفذ به شنقًا في ٤ نيسان ١٩٧٩.

* **بوتو، مرتضى** (١٩٥٤-): ابن ذو الفقار علي بوتو. كان عمره لم يتجاوز الثالثة والعشرين عندما أوعز له والده بمغادرة باكستان لشن حملة معادية للرئيس ضياء الحق الذي اطاح به في انقلاب عسكري في ٥ حزيران ١٩٧٧. فقصد مرتضى

نواز شريف

أفغانستان وسورية حيث أقام ١٥ عامًا. في حين اختار مرتضى سياسة الحزم والخيار العسكري لاسقاط حكم ضياء الحق التمست شقيقته بنازير سياسة ودبلوماسية الحشد والتأييد الدوليين والكشف عن انتهاكات حقوق الانسان في بلادها.

شكّل مرتضى في البداية «جيش تحرير باكستان»، ثم تغير الاسم إلى «منظمة ذو الفقار» وقام أنصاره ببعض العمليات العنفية والتفجيرات ومحاولات لاغتيال ضياء الحق وفقًا للمصادر الامنية في إسلام آباد.

يصف حكومة شقيقته بنازير بأنها أسوأ من حكومة نواز شريف زعيم المعارضة ورئيس حزب الرابطة الاسلامية الذي يُعد وريث خصوم عائلة بوتو، لكونه المنافس الوحيد لحزب الشعب (الذي أسسه ذو الفقار علي بوتو) في الانتخابات والسلطة. وفي اوائل آذار ١٩٩٥، أعلن انه مزمع على إقامة جناح في حزب الشعب بزعامته ينافس شقيقته.

* **بوتو، ممتاز علي** (١٩٣٣-): سياسي باكستاني. نائب في البرلمان (١٩٦٥). عارض سياسة أيوب خان (١٩٦٦-١٩٦٩)، من مؤسسي حزب الشعب الباكستاني (١٩٦٧)، وسجن في العام التالي. اصبح حاكمًا للسند (١٩٧١-١٩٧٢)، ورئيس الوزراء (١٩٧٢-١٩٧٣)، فوزير المواصلات. قبض عليه في ١٩٧٧.

* **جناح، محمد علي** (١٨٧٦-١٩٤٨): زعيم سياسي باكستاني ومؤسس دولة باكستان الاسلامية الحديثة. ولد في كراتشي، وتميز بانفتاحه منذ ان تلقى جزءًا من تعليمه في كراتشي والجزء الآخر في بومباي، قبل ان يلتحق بكلية «لنكولن إن» في انكلترا، ليدرس القانون ويتخرج كمحام في ١٨٩٦.في ذلك العام، رجع إلى الهند ليمارس المحاماة، في كراتشي اولاً ثم في بومباي بعد ذلك. وفي بومباي، انضم إلى «حزب المؤتمر» الهندي المطالب باستقلال الهند عن بريطانيا، وبوحدة البلد الجامع لكل ابنائه وطوائفه. بعد سنوات من النضال ضمن إطار «حزب المؤتمر»، اختلف جناح مع قيادات هذا الحزب، فتركه لينضم إلى صفوف حزب «الرابطة الاسلامية»، وكان هذا الحزب لا يزال في ذلك الحين يعمل ضمن إطار وحدة الهند ويحاول ان يحصل للمسلين على مكاسب لا تؤثر على وحدة الوطن.

بين ١٩٢٠ و ١٩٢٩، قاد محمد علي جناح حزب «الرابطة» بدأب ونشاط، وأصدر في ١٩٢٩ بيانه الذي تتضمن ١٤ نقطة حيث طالب بتخصيص ثلث مقاعد المجلس التشريعي المركزي للمسلمين، ووضع تشريع دستوري يتضمن حماية دينهم ولغتهم وثقافتهم. ولما أعلن فريق من الزعماء

المسلمين استياءهم من سياسته، فضّل الهجرة إلى انكلترا (١٩٣٠)، ثم عاد (١٩٣٤)، وطالب في اجتماع «الرابطة» (١٩٣٧) بالاستقلال التام للمسلمين ضمن اتحاد فدرالي هندي اسلامي. ثم صعّد مطالبه فنادى بتقسيم شبه القارة الهندية في اجتماع للرابطة في لاهور (١٩٤٠)، وبقيام دولة اسلامية مستقلة إسمها باكستان تضم كل مسلمي الهند. ووافقت بريطانيا على مبدأ التقسيم، كما لاقى ذلك قبولاً من مسلمي الهند (١٩٤٦). وفي ١٤ آب ١٩٤٧، أعلن محمد علي جناح قيام جمهورية باكستان الاسلامية. فاعتبر مؤسس دولة باكستان. ولا تزال «الرابطة» حتى الآن، تشكل قوة سياسية مهمة في باكستان.
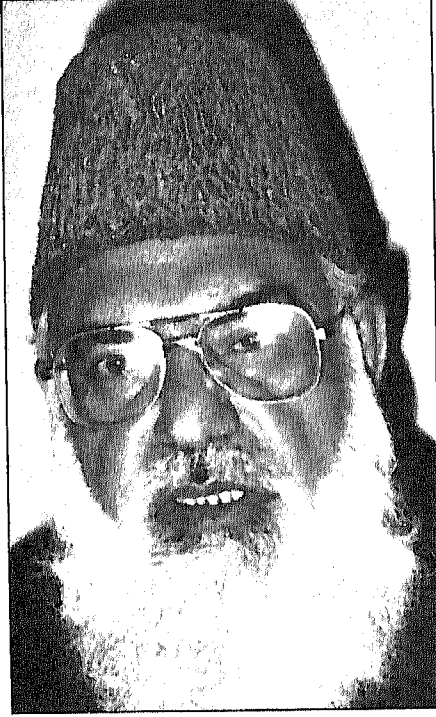
قاضي حسين أحمد.

* **حسين، أحمد قاضي**: زعيم «الجماعة الاسلامية» في باكستان. يعارض بنازير بوتو، رئيسة الوزراء، ونواز شريف (زعيم المعارضة) على حد سواء، ويعتبرهما انهما لا يتمتعان بمواصفات القيادة. يعمل و «الجماعة الاسلامية» على إقامة حكومة اسلامية، علمًا ان القانون الأساسي في باكستان إسلامي، لكن اعتراضه على عدم تنفيذ الحكومة الحكم الشرعي حسب القانون الأساسي وعدم تطبيقها الدستور.

اعتبر احمد قاضي حسين ان هزيمة «الجماعة الاسلامية» في انتخابات ١٩٩٣ مردها إلى ان مؤيدي الجماعة ذهبت أصواتهم لحزب الرابطة الاسلامية بزعامة نواز شريف، إذ كانوايتخوفون من نجاح حزب الشعب. فالرأي العام، بنظره، لا يزال تحت كابوس قوة هذين الحزبين، و لم يقتنع حتى الآن بأن هناك قوة ثالثة صاعدة (الجماعة الاسلامية).

إلطاف حسين.
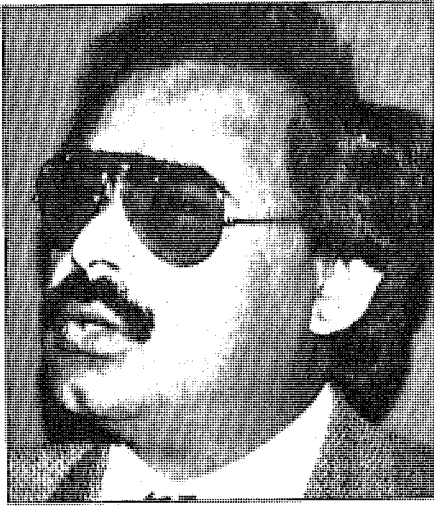
* **حسين، إلطاف** (١٩٥٥-): زعيم حركة (حزب)المهاجرين القومية. (والمهاجرون هم المهاجرون من الهند إثر تقسيم ١٩٤٧). مقيم في

لندن منذ ١٩٩٢، وهو العام الذي بادر الجيش الباكستاني فيه إلى شن حملة عسكرية ضد المهاجرين الذين يعدون نحو ٢٢ مليون نسمة (راجع «الاحراب الباكستانية» في معالم تاريخية). تتهمه الحكومة الباكستانية بأنه المحرّض الرئيسي على أعمال العنف التي حصدت مئات القتلى منذ مطلع هذا العام (١٩٩٥) وحتى اليوم (بداية صيف ١٩٩٥)؛ فيرد إلطاف حسين انه يمسك بزمام الامور في كراتشي لكنه ينفي علاقته باعمال العنف ويتهم الحكومة بالوقوف وراءها، كما ينفي تعاونه مع الهند ورغبته في إقامة كيان منفصل في كراتشي، عاصمة إقليم السند. وفي حزيران ١٩٩٥، تقدمت الحكومة الباكستانية من السلطات البريطانية بطلب استرداده لمحاكمته. واسترداده، برأيه، هو إعدامه الفوري.

كان والده مديرًا لمحطة أغرا للسكك الحديد في الهند قبل انفصال باكستان. وجده لأبيه كان يشغل وظيفة مفتي أغرا. وبدأ إلطاف حسين حياته السياسية بتكوين «المنظمة الباكستانية للطلاب المهاجرين» في مستهل الثمانينات. غير ان نجمه سطع بعد اعلانه قيام «حركة مهاجر قومي» الذي ذاع صيتها شتاء ١٩٨٦، إثر صدامات بين أنصارها وقوات الشرطة. وفي اليوم التالي وقعت صدامات انتقامية، ورد عليها المهاجرون في اليوم الثالث بعمليات ثأر دامية.

في ١٩٨٧، اكتسح مرشحو الحركة انتخابات المجالس المحلية في كراتشي وحيدر آباد. وفي الانتخابات العامة في ١٩٨٨، هاجم السنديون مواقع المهاجرين فقتلوا ٢٠٠ منهم، ومع ذلك حقق المهاجرون فوزًا انتخابيًا جعل بنازير بوتو تتحالف معهم، ثم تعود عن هذا التحالف، فينضموا (المهاجرون) إلى الحرب الذي يتزعمه رئيس الوزراء السابق نواز شريف. وفي حزيران ١٩٩٢، شن الجيش «عملية التنظيف» ضد حركة «مهاجر قومي»، زادت من التعاطف مع إلطاف حسين ومن إلهاب مشاعر المهاجرين. وعندما أجريت الانتخابات العامة في ١٩٩٣ أعلنت الحركة مقاطعتها، واستمرت تواجه القوات الحكومية حتى صدور اوامر للجنود بالانسحاب من كراتشي في تشرين الثاني ١٩٩٤، فاعتبر انصار حسين هذا الانسحاب انتصارًا لهم. لكن أعمال العنف استمرت في كراتشي، إلى ان أعلن عن بدء المفاوضات بين الحكومة والحركة في تموز ١٩٩٥.

* **شريف، نواز:** (راجع «أهم أحداث السنوات الاخيرة» في النبذة التاريخية، و «بوتو، بنازير» في زعماء ورجال دولة).

* **ضياء الحق، محمد** (١٩٢٤-١٩٨٨): عسكري ورجل دولة باكستاني. ضابط في سلاح الخيالة (١٩٤٥) في الهند. تخرج في كلية الاركان (١٩٥٥). شارك في الحرب الهندية-الباكستانية (١٩٦٥). عمل مستشارًا للجيش الاردني (١٩٦٩-١٩٧١) ونال أكثر من وسام أردني. شارك في الحرب الثانية بين الهند وباكستان (١٩٧١). في ٥ تموز ١٩٧٧، قاد حركة انقلابية عسكرية ضد حكم ذو الفقار علي بوتو، واصبح الحاكم العرفي العام، وفي ١٤ آب ١٩٧٨، رئيسًا لجمهورية باكستان. حاول اعتماد سياسة اسلامية في القضايا الداخلية والاجتماعية، وشارك في المؤتمرات الاسلامية الدولية. قامت حالة من التوتر الداخلي إثر اعدامه الرئيس ذو الفقار علي بوتو، كما واجه مشاكل خطيرة بسبب الحرب الأفغانية والثورة الاسلامية في إيران (١٩٧٩)، وبسبب الضغوط الغربية واسرائيل حول امتلاك باكستان للتكنولوجيا النووية. اجرى علاقات متوازنة مع الهند وبنغلادش. عامل المعارضة الداخلية بحزم لكن من دون قسوة وتطرف في استخدام القوة. قضى

بحادث طائرة (راجع «أهم أحداث السنوات الاخيرة» في النبذة التاريخية). وصفه مستشار الامن القومي الاميركي، بريجنسكي، بأنه «مهندس تفتيت الامبراطورية الروسية»، لوقوف باكستان إلى جانب المجاهدين الأفغان طيلة سنوات الجهاد ضد الوجود السوفياتي في أفغانستان.

* **ظفر الله خان، شدري محمد** (١٨٩٣-): سياسي وقانوني ورجل دولة باكستاني. اشترك في مؤتمر الطاولة المستديرة لزعماء الهند (١٩٣٠-١٩٣١) بوصفه رئيسًا لرابطة مسلمي الهند، وشغل منصب قاض في محكمة الهند الفدرالية (١٩٤١-١٩٤٧). وزير خارجية باكستان (١٩٤٧-١٩٥٤). عضو محكمة العدل الدولية في لاهاي (١٩٥٤-١٩٦١). رئيس الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة (١٩٦٢) .

بـالاو

نبذة عامة:

الموقع: بالاو (Palau) أرخبيل من نحو ٢٠٠ جزيرة يشكل الجزء الغربي من جزر ميكرونيزيا. وهذه الجزر الأخيرة (ميكرو: صغير، ونيزوس: جزيرة) هي واحدة من أكبر الارخبيلات الموجودة في أوقيانيا، تقع شرقي الفيليبين إلى الشمال من ميلانيزيا وإلى الغرب من بولينيزيا. وميكرونيزيا تضم مجموعة جزر ماريان، كارولاين، مارشال، جيلبرت والجزيرة المنعزلة ناورو، وعدد سكان ميكرونيزيا نحو مائة ألف نسمة، أكبرها جزيرة غوام.

السكان: يعيشون في ٨ جزر من أرخبيل بالاو (الجزر المتبقية من المائتين غير مأهولة)، ويبلغ عددهم ١٦ ألف نسمة (إحصاء ١٩٩٤)، ومصادر عيشهم الأساسية من عائدات البوكسيت، الفوسفات والكوبرا (لبّ النارجيل: لب يعصر منه دهن النارجيل وهو من أشهر السمون النباتية).

الوضع السياسي: من أهم جزر الارخبيل جزيرة بابيلتياب التي تشكل أهمية استراتيجية بالغة؛ إذ تمتلك مرفأً طبيعيًّا، الأمر الذي يندر وجوده في أرخبيل ميكرونيزيا، إضافة إلى ان طبيعة تكوين أرضها تسمح باقامة مطارات بمدارج مؤهلة لاستقبال طائرات ضخمة. وهذا ما دفع البنتاغون الاميركي لأن يحاول، منذ الحرب العالمية الثانية، إقامة قاعدة عسكرية أميركية تعوّض على الاستراتيجية الاميركية خسارتها قواعد الفيليبين.

والمفاوضات، في هذا الشأن، كانت صعبة، ولم يتم الاتفاق حوله إلا في العام ١٩٨٦، أي بعد انفصال أرخبيل بالاو عن باقي الارخبيل الميكرونيزي ليصبح «جمهورية بالاو»؛ علمًا ان هذا الاتفاق يتنافى ودستور البلاد الذي يمنع وجود أسلحة نووية فيها. وتكررت محاولات الولايات المتحدة وضغوطاتها (التي قويت واشتدت بعد انسحاب الولايات المتحدة من قاعدة سوبيك باي في الفيليبين) ومساعدتها الاقتصادية إلى أن جرى اقرار الاتفاق في النهاية.

وبالاو، التي كانت آخر الاراضي الخاضعة لوصاية الامم المتحدة وتديرها الولايات المتحدة منذ ١٩٤٧، حصلت في ٣١ تشرين الثاني ١٩٩٤ على مصادقة مجلس الأمن على طلبها، كدولة مستقلة، ان تكون العضو ١٨٥ في الامم المتحدة.

بـانـامـا

بطاقة تعريف

الموقـع: في البـرزخ الجبلـي الـذي يصـل أميركـا الشمالية بأميركا الجنوبية. تحيط بها كوستاريكا، كولومبيا، البحر الكاريبي (بحر الانتيـل) والمحيـط الهادىء.

المســاحة: ٠٨٢، ٧٧ كلــم٢ (منهــا ١٤٣٢ كلم٢. تشكل منطقة القناة).

العاصمـة: بانامـا المدينـة. أهـم المـدن: كولــون (وفيها ميناء مهم)، سان ميغيليتو، دافيد.

اللغة: الاسبانية (رسمية).

الســكان: حــوالي ٢،٤ مليــون (تقديــرات ١٩٩٢)، ويتوقـع ان يبلــغ عددهــم حــوالي ٣ ملايــين في العــام ٢٠٠٠. كــاثوليك ٩٣٪، وبروتستانت ٦٪.خلاسيون ٦٧٪، سود ١٥٪، بيض ١٨٪.

الاقتصاد: لا تساهم الزراعة بأكثر من ١٨٪ من الدخل القومي. أهم المنتجـات الزراعيـة: المـوز، الارز، الذرة. وتمتلك بانامـا ثـروة خشـبية كبـيرة (خشـب الماهوغـاني)، وتشـتهر بصيـد السـمك (حــوالي ١٢٠ ألــف طــن في العــام ١٩٩٢)، الصناعـة تعتمـد علـى مصـافي النفـط، ومصـانع الجعة والاسمنت والمعلبـات والكحـول. وتسـاهم عـائدات النفـط عـبر قنـاة بانامـا في سـدّ العجـز بالميزان التجاري. وتعتبر بانامـا مركزًا ماليًا عالميًـا بسبب تساهل الانظمـة الضريبيـة وانتفـاء الرقابـة الحكومية على العمليات المالية والتجارية التي تتم على ارضها. فـأصبحت المنطقـة الحـرة في مدينـة كولون ثاني أكبر مركـز تجـاري في العـالم بعـد هونغ كونغ.

نبذة تاريخية

يبدأ تاريخ باناما الحديث عام ١٥٠١ مع اكتشاف شواطىء بحر الأنتيل على يد رودريغو دو بستيداس الذي كان أول اوروبي يضع اقدامه في هذه المنطقة. ثم تبعه كريستوف كولومبوس الذي أسّس، عام ١٥٠٣، مدينة سانتا ماريا دو بيلين أثناء رحلته الأخيرة. إلا ان غزوات الهنود المتكررة على مراكزه اجبرته على ترك المنطقة بعد سنة واحدة من وصوله اليها. وحوالي عام ١٥١٠، نجح الاسبان بالاقامة بصورة دائمة هناك.

وعقب اكتشاف الباسيفيك على يد البحار بالبوا عام ١٥١٣، وتأسيس مدينة باناما فيجو على يد بيترو دافيلا عام ١٥١٩، اصبحت البلاد ذات أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة إلى الاسبان. فأقيمت مراكز كثيرة (تحولت تدريجيًا إلى مدن) مثل نومبردو ديوز، سان فيليبي دو بورتو بيلو (التي اصبحت في ما بعد بورتوبيلو)، وسانتا ماريا لا أنتيغا دل دارين. وفي الفترة نفسها، تعرضت شواطىء البلاد المحاذية للأنتيل إلى هجمات الانكليز المتكررة. وأقسى هذه الهجمات وقعت عام ١٧٣٩، عندما دمّر الاسطول البريطاني بورتوبيلو.

اصبحت باناما، بين ١٧٣٩ و ١٨١٩، جزءًا من مستعمرة غرانادا الجديدة الاسبانية. وعندما نالت المستعمرات الاسبانية في أميركا اللاتينية استقلالها، انتزعت باناما حصتها من الحرية والاستقلال في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٢١، وانضمت إلى كولومبيا.

وبين ١٨٧٩ و ١٩٠٤، حاول الفرنسيون، دون جدوى، شق قناة تقطع باناما عرضًا وتصل المحيطين. ولكن، في ١٩٠٣، وبعد ان رفض مجلس شيوخ كولومبيا المصادقة على اتفاق يسمح للولايات المتحدة الاميركية بشق القناة، اعلنت باناما انفصالها عن كولومبيا واستقلالها في ٣ تشرين الثاني ١٩٠٣، فنالت على الفور اعتراف الولايات المتحدة بها. فصادقت الدولة الجديدة، في السنة نفسها، على معاهدة هاي-بينو-فاريلا التي تعطي الولايات المتحدة الحقوق التي لا تزال تحتفظ بها على القناة وقطاعها. وأصدرت باناما دستورها الاول في ١٩٠٤، وكان مانويل أمادور غرّيرو أول رئيس لها.

تميز وضع باناما السياسي حتى ١٩٦٨، ومنذ بداية القرن، بعدم الاستقرار، إذ توالى على حكمها، خلال ٦٥ عامًا، زهاء ٤٣ رئيسًا للجمهورية. حتى كان تشرين الأول ١٩٦٨ عندما أطاح انقلاب قام به الحرس الوطني، بقيادة عمر توريخوس، الرئيس أرياس وحكومته، ثم حل المجلس الوطني، وعلقت النشاطات السياسية في البلاد.

توقف تدخل الولايات المتحدة في الشؤون الداخلية لباناما في ١٩٣٦ عندما تبنى الرئيس الاميركي، فرانكلين روزفلت، سياسة «حسن الجوار» مع أميركا اللاتينية. ومع ذلك، بدأ البناميون، بعد الحرب العالمية الثانية، يعلنون تململهم من الوجود الاميركي في قطاع القناة، ويطالبون باعادة المفاوضات حول معاهدة ١٩٠٣. وفي ١٩٧٧، وقّع الجنرال عمر توريخوس، رئيس الحكومة البنامية، والرئيس الاميركي جيمي

كارتر،معاهدة جديدة تنص على حياد قطاع القناة واعادتها إلى السياسة البانامية في ٣١ كانون الأول ١٩٩٩. وكان توريخوس يبدي اعجابه العلني بتجربة الرئيس المصري جمال عبد الناصر في تأميم قناة السويس.

في ١٩٧٢، علق العمل بدستور أول آذار ١٩٤٦، وأجريت انتخابات عامة لاختيار اعضاء المجلس الوطني الذي انتخب بدوره الجنرال عمر توريخوس قائدًا اعلى ل «مجلس الثورة البانامية».

في ١٩٧٤، اتفاق مبدئي (بين باناما والولايات المتحدة) على استعادة باناما قطاع القناة، وفي تموز ١٩٧٧، معاهدة بين الرئيسين، توريخوس البانامي وكارتر الاميركي تحل محل معاهدة ١٩٠٣، صالحة حتى العام ١٩٩٩. وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٨، انتخاب أريستيد رويو رئيسًا. وفي الأول من تشرين الأول ١٩٧٩، البدء بتطبيق المعاهدة الجديدة حول قناة باناما وقطاعها، وباناما تبدأ بممارسة سيادتها عليهما.

في ٣١ تموز ١٩٨١، مقتل عمر توريخوس في حادث طائرة. وفي تموز ١٩٨٢، استقال أريستيد رويو (رئيس الدولة منذ تشرين الأول ١٩٧٨) بضغط من قادة الحرس الوطني، القوة المسلحة الوحيدة في البلاد، وخلفه نائبه ريكاردو اسبريلاّ، وكان رويو ينتهج خطًا سياسيًا معاديًا للولايات المتحدة. وفي أيلول ١٩٨٣، اجتمع في باناما وزراء خارجية «مجموعة كونتادورا» (كولومبيا، المكسيك، فنزويلا. وكونتادورا هي إسم جزيرة بانامية كان يتم فيها في الماضي عدّ وحساب قطع الذهب، وكان عقد، قبل نحو شهرين، اجتماع رؤساء المجموعة نفسها في المكسيك) ووزراء خارجية كوستاريكا، غواتيمالا، هندوراس، نيكاراغوا والسلفادور، وجرى التباحث في سبل الحلول السلمية لمشكلات أميركا الوسطى.

وفي شباط ١٩٨٤، استقال اسبريلاّ وتسلّم نائبه خورخي ايلّويكا، ثم جرت انتخابات رئاسية فاز بها نيكولاس اروليتو بارليتا، أثارت جدلاً وفجّرت مظاهرات احتجاجًا عليها وعلى التدابير الاقتصادية وفي ٢٨ أيلول ١٩٨٥، انتخب إريك أرتيرو دلفال رئيسًا.

في حزيران ١٩٨٧، عرفت البلاد اضطرابات في أجواء المطالبة باستقالة الجنرال مانويل نورييغا (مولود في ١١ شباط ١٩٣٦) المتهم بتجارة المخدرات، وسارت مظاهرات (اشترك فيها بعض الوزراء) معادية للولايات المتحدة. وفي آب، علّقت الولايات المتحدة مساعدتها لباناما (٢٥ مليون دولار).

في ١٤ شباط ١٩٨٨، اتهمت محكمتان اميركيتان (في فلوريدا) نورييغا بتجارة المخدرات، فبادر الرئيس البانامي دلفال إلى عزله. لكن نورييغا استطاع اطاحة دلفال بعد أيام ومن خلال المجلس الوطني (البرلمان)، فجمدت الولايات المتحدة الودائع المصرفية البانامية، واتخذت اجراءات التضييق على قناة باناما وارسلت ١٣٠٠ جندي أميركي إضافي إلى قطاع باناما، وتمكن نورييغا من إفشال انقلاب عسكري عليه (١٦ آذار ١٩٨٨). وفي أيار ألغى نورييغا كل اتفاق مع الولايات المتحدة التي اشترطت نفيه إلى خارج البلاد مقابل الكف

عن ملاحقته بتهمة تجارة المخدرات.

في شباط ١٩٨٩، مظاهرات واضطرابات في باناما، ووعد باجراء انتخابات رئاسية جرى الغاؤها قبل موعدها. وفي ١١ أيار، الولايات المتحدة ترسل ألفي جندي إضافي إلى قطاع قناة باناما فيصل عدد الجنود الاميركيين فيها إلى ١٢ ألفا. وفي ١٥ أيار، الرئيس الاميركي بوش يدعو الشعب والجيش في باناما لاطاحة نورييغا. وفي كانون الأول، نورييغا يعلن حالة الحرب مع الولايات المتحدة، ومقتل ضابط أميركي وآخر صف ضابط، واندلاع معارك، واعلان الجنرال إندارا رئيسًا للدولة، وإقفال القناة لأول مرة منذ ١٩١٤. وفي ٢٤ كانون الأول، نورييغا يلجأ إلى سفارة الفاتيكان، ثم يضطر إلى تسليم نفسه للقوات الاميركية.

في أجواء أحداث هذه السنة (١٩٨٩) جرت تعليقات كثيرة (مصحوبة أحيانا بمعلومات) حول ان نورييغا كان في الأساس يعمل لحساب المخابرات الاميركية، وكان الرئيس بوش نفسه (قبل ان يصبح رئيسًا للولايات المتحدة) رئيسًا له ومسؤولا عنه. لكن الولايات المتحدة، بعد افتضاح أمر نورييغا بصفقات أسلحة واموال كانت تعطى لدول ولقوى المعارضة في نيكاراغوا وعلاقة كل ذلك بكارتل تهريب المخدرات، لم يعد أمامها إلا ان تتخلى عن نورييغا وان تحاكمه بتهمة تهريب المخدرات، فحوكم خلال ١٩٨٨، لكن الرجل لم يرضخ بل وقف متصلبًا، فكانت العملية العسكرية التي أعقبها هدوء فوري في البلاد.

في اول يوم من ١٩٩٠، بدأت باناما، ولأول مرة منذ ١٩١٤، تمارس إدارتها على القناة. وفي اول آذار (١٩٩٠)، الرئيس إندارا يبدأ صومًا عن الطعام حتى الحصول على المساعدات الاميركية الموعودة. وعرفت السنوات ١٩٩١ و ١٩٩٢ و ١٩٩٣ مظاهرات ضد الوجود الاميركي في البلاد، وعمد تنظيم بانامي مسلح إلى خطف ثلاثة مرسلين أميركيين. وكانت محكمة ميامي (فلوريدا) حكمت على نورييغا بالسجن ٣٠ عامًا بتهمة تهريب المخدرات.

وفي اواخر أيار ١٩٩٤، بدأ الاميركيون يستعدون للانسحاب التدريجي من باناما.

قناة وقطاع باناما

إن حلم شق قناة تصل الأطلسي بالهادىء اصبح حقيقة واقعة مع تدشين قناة باناما عام ١٩١٤. فبدلاً من رحلة تقطع مسافة ١٦ ألف كلم عبر رأس هورن وتبقى عدة أسابيع من الوقت أصبح بمقدور السفينة ان تقطع مسافة ٧٢ كلم عبر القناة وخلال ساعات معدودة فقط.

الفكرة والبداية: يعتقد ان المستكشف بالبوا (Balboa) الذي اكتشف المحيط الهادىء عام ١٥١٣ كان اول من راودته فكرة شق قناة تصل المحيطين. وبعد عشر سنوات، ارسل شارلكان امبراطور الامبراطورية المقدسة وملك اسبانيا بعثة لدراسة إمكانية شق البرزخ الجبلي، وبدت للبعثة استحالة تنفيذ هذا المشروع. وفي ١٨٨٠، تصدى للمشروع فرديناند

دولسبس الذي كان يدير شركة فرنسية، والذي توصل إلى شق قناة السويس. إلا ان سرعان ما اعترضت مشروع دولسبس مصاعب هائلة، منها المصاعب الطبيعية (أمطار وانجرافات أرضية اخذت بطريقها المعدات)، والمصاعب البشرية (الداء الاصفر فتك بعدد كبير من العمال)، ثم الافلاس الكامل عام ١٨٨٩.

معاهدات هاي-باونسفوت (Hay-Pauncefote): كان الهدف من هذه المعاهدات تسوية الخلافات الانكليزية-الاميركية حول احتمالات شق قناة باناما. ففي ١٨٥٠، وافقت الولايات المتحدة وبريطانيا، من خلال معاهدة كلايتون-بولوير على عدم الانفراد بالاشراف على الطرق المؤدية إلى القناة (التي يجب تنفيذ شقها يومًا) مرورًا بأميركا الوسطى. وعندما حصلت شركة فرنسية، بادارة فرديناند دولسبس، على تصريح من كولومبيا لبناء قناة عبر برزخ باناما، اعلن الرئيس روتزفود هايز، في ٨ آذار ١٨٨٠، بأن سياسة أميركا هي شق قناة باشراف الولايات المتحدة. وجاءت الرحلة الطويلة التي قطعتها السفينة الحربية الاميركية «أريغون» من بوغت ساوند إلى كوبا خلال الحرب الاميركية-الاسبانية لتظهر الحاجة إلى قناة تسمح بنقل الاسطول الاميركي من محيط إلى محيط بسرعة. وتأكدت تلك الحاجة بعد احتلال الجزيرة (كوبا) نتيجة لتلك الحرب.

في ٥ شباط ١٩٠٠، وقّع وزير

الخارجية الاميركي جون هاي والسفير البريطاني في واشنطن جوليان باونسفوت معاهدة تسمح للولايات المتحدة بانشاء قناة محايدة وغير محصّنة، وادارتها، وبأن يطلب من دول أخرى ان تصادق على الضمانات. وقد عدّل مجلس الشيوخ الاميركي المعاهدة بحيث تحل محل اتفاق العام ١٨٥٠ وتسمح باقامة تحصينات، كما ألغى الشرط الخاص بموافقة دول اخرى عليها. إلا ان بريطانيا رفضت النص المعدّل، لكنها قبلت باتفاق آخر وقع يوم ١٨ تشرين ١٩٠١، وحل صراحة محل معاهدة كلايتون-بولوير ولا يذكر شيئًا عن التحصينات، حيث اصبح من المفروغ منه ان تقوم الولايات المتحدة بتحصين اية قناة تنشئها. والواقع ان بريطانيا وافقت على التضحية بتفوقها البحري في البحر الكاريبي بسبب تورطها في حرب البوير، ولأنها لم تعد قادرة على الحفاظ على هذا التفوق في وجه تزايد قوة الولايات المتحدة، ورغبتها، في الوقت نفسه، في الحفاظ على صداقة أميركا.

الولايات المتحدة تشق القناة: في ١٩٠٢، اشترت الولايات المتحدة الاميركية من الشركة الفرنسية ما تبقى لديها من المواد والاجهزة والتصاميم والخرائط، وباشرت المفاوضات مع كولومبيا التي كانت باناما ما تزال تخضع لسيطرتها. ووقعت معاهدة هاي-هران (Hay-Herran) في ٢٣ شباط ١٩٠٣. إلا ان مجلس الشيوخ الكولومبي رفض التصديق عليها. فثار البناميون بمساعدة الولايات المتحدة، وتوصلوا إلى اعلان استقلال باناما في ٣ تشرين الثاني ١٩٠٣. وبعد ثلاثة ايام، اعترفت الولايات المتحدة بجمهورية باناما الجديدة. وبعد أقل من اسبوعين (أي في ١٨ تشرين الثاني ١٩٠٣) وقعت معاهدة هاي-بينو فاريلا التي تعطي الولايات المتحدة حق الاشراف على قطاع أرضي بعرض ٨ كلم عن كل جانب من جانبي القناة، من مدينة كولون إلى مدينة باناما. وبالمقابل، التزمت الولايات المتحدة بتقديم تعويض إلى باناما من عشرة ملايين دولار، وعائدات سنوية من ٢٥٠ ألف دولار، اصبحت ٤٣٠ ألفًا في العام ١٩٣٦، ثم مليون و ٩٣٠ ألفًا في العام ١٩٥٥.

وباشرت الولايات المتحدة شق القناة في ١٩٠٤. وبعد جهود هائلة على مدى عشر سنوات، وتكاليف وصلت إلى نحو ٣٨٠ مليون دولار، فتحت القناة امام الملاحة الدولية في ١٥ آب ١٩١٤.

فورت-غوليك (Fort-Gulick): «مدرسة حربية اميركية تقع في قطاع قناة باناما، متخصصة في تدريب وتهيئة العسكريين في اميركا اللاتينية لمكافحة جميع اشكال حرب العصابات. أسس البنتاغون هذه المدرسة في ١٩٤٩ في فورت غوليك (قطاع قناة باناما) وسميت «مدرسة الاميركيين»... مع الايام تحولت هذه المدرسة إلى رمز للصراع الذي تشنه الولايات المتحدة ضد الثوار في اميركا اللاتينية.

ترتبط هذه المدرسة مباشرة بقيادة الجيش الاميركي في الكاريبي وتستخدم حوالى ٧ آلاف شخص موزعين في منطقة قناة باناما، وفي بورتوريكو والجزر العذراء. ووفق منشورات قيادة الجيش الاميركي فإن مهماتها تتلخص بحماية المؤسسات الاميركية في باناما وتقديم المساعدة لبلدان

اميركا اللاتينية في مجال «الامن الجماعي»... وقد استقبلت آلاف الضباط لفترات تدريبية عملانية حيث تخرّج ٣٠٠ رجل كل ستة أشهر، واحياناً تستقبل هذه المدرسة وحدات بكاملها.

إن الضباط الذين يتخرجون في هذه المدرسة يصبحون بدورهم مدربين واختصاصيين ويعملون على تأليف وحدات خاصة؛ ونتيجة فعالية هذه المدرسة فقد اصبحت محطة انظار الانظمة العسكرية في بلدان اميركا اللاتينية. فعندما اندلعت في بوليفيا حرب عصابات طلبت ارسال ١٦ خبيرًا عسكريًا، وكذلك فعلت كولومبيا والتشيلي وفنزويلا والبيرو والارجنتين، عام ١٩٧٤، عندما ظهرت فيها حركات ثورية مماثلة.

لقد نجحت هذه المدرسة إلى حد كبير في تأدية دورها الذي يعتبر دورًا مزدوجًا، فهو يهدف إلى تقوية ارتباط جيوش اميركا اللاتينية بالبنتاغون ودفع هذه الجيوش لكي تصبح أكثر فعالية لمكافحة اية انتفاضة أو عصيان أو تمرد أو ثورة، ولكي لا تتكرر ثانية تجربة انتصار الثورة الكوبية على جيش باتيستا.(من «موسوعة السياسة»)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ج ٤، ص ٦٢٣-٦٢٤).

إتفاق توريخوس-كارتر (١٩٧٧):

حتى عام ١٩٧٧، أي حتى الاتفاق الجديد بين الولايات المتحدة وباناما، كان قطاع القناة يعتبر بمثابة «محمية» أو ارض اميركية. وقبل الوصول إلى هذا الاتفاق، كان البناميون يُظهرون، بصورة مستمرة، واحيانًا بأشكال عنيفة، معارضتهم للوجود الاميركي في القطاع. ففي شباط ١٩٦٤، انفجرت اضطرابات دموية في قطاع باناما وفي بعض المدن البنامية ذهب ضحيتها ٢١ قتيلاً، وأدت إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، ولم تعد إلا في نيسان بعد ان اتفقت الحكومتان على بدء التفاوض حول معاهدة جديدة. وقد وضعت ثلاث معاهدات ولم يُصادق على أي منها حتى كان عام ١٩٧٧.

بعد نحو ثلاث سنوات من توقيع إتفاق مبدئي (بين باناما والولايات المتحدة-١٩٧٤) حول حق باناما في استرداد قطاع باناما، اتفق الرئيسان، البنامي والاميركي (توريخوس وكارتر) في ٧ أيلول ١٩٧٧ على معاهدة جديدة تحل محل معاهدة ١٩٠٣ وتبقى صالحة حتى ١٩٩٩: تشرف باناما على القناة وتمارس سيادتها على القطاع (١٤٣٢ كلم م. منها بحيرة غاتون ٤٩٢ كلم م.)، باستثناء ست قواعد عسكرية، والادارة الاميركية تحل محلها إدارة اميركية-بنامية مشتركة يرأسها حاكم بنامي ابتداء من أول كانون الثاني ١٩٩٠ ويوافق عليه الرئيس الاميركي، وتعمل الولايات المتحدة على سحب قواعدها العسكرية، وفي العام ٢٠٠٠ يُعلن عن حياد القناة بضمانة اميركية وبنامية، على ان يكون من حق باناما وحدها الاحتفاظ بوجود عسكري لها في القطاع، كما يمكن للولايات المتحدة التدخل عسكريًا إذا عجزت باناما عن توفير أمن القطاع. وقد جرى تصديق المعاهدة في باناما (باستفتاء، ٦٧٪) وفي الولايات المتحدة من خلال مجلس الشيوخ الذي طالب بتعديلات على المعاهدة لم يوافق عليها الرئيس.في ١٩٨١،

كان عدد سكان القطاع ٥٧ ألف نسمة، منهم ٢٧ ألفًا من الاميركيين. ويعمل نحو ربع السكان في القوات الاميركية.

في ٢٩ أيار ١٩٩٤، تناقلت وسائل الاعلام العالمية نبأ من العاصمة باناما سيتي مفاده ان القيادة الاميركية تستعد للبدء في سحب قواتها تدريجيًا من باناما، وستكمل الانسحاب نهائيًا مع حلول عام ألفين، وذلك تجاوبًا مع بنود معاهدة قناة باناما (١٩٧٧) التي وقع عليها الرئيس الاميركي و «القائد العسكري» البانامي في حينه عمر توريخوس.

البحرين

بطاقة تعريف

الموقع: البحرين مجموعة جزر صغيرة في الخليج (العربي) على بعد نحو ٢٩ كلم من الساحل الشرقي للملكة العربية السعودية. أكبرها وأهمها جزيرة البحرين.

المساحة: ٦٢٢ كلم م.

العاصمة: المنامة (يسكن فيها وحدها نحو ثلث مجموع السكان) . أهم المدن: المحرّق، عوالي، سترة، المالكية.

اللغة: العربيـة (رسمية)، وهنـاك نحـو ٧٠٪ مـن السكان يتكلمون الانكليزية، و ٤٠٪ الفارسية.

السكان: كـان تعدادهـم في ١٩٨٠ نحـو ٣٠٠ ألف نسمة، واصبحوا نحو ٥٥٠ ألفًا في ١٩٩٤، منهم نحو ٣٥٠ ألفًا بحرانيين، والباقون أجانب من عُمانيين، وهندو-باكستانيين، وإيرانيين وغيرهم. وتشير التقديرات ان عدد سكان البحرين سيصبح نحو ٧٠٠ ألف في العام ٢٠٠٠. نحو ٨٥٪ من سكان البحرين يدينون بالاسلام (٦٠٪ من الشيعة، و٤٠٪ سنّة)، وهناك نحو ٢٦ ألفًا من المسيحيين ونحو ٢٨ ألفًا من أديان اخرى مختلفة. وتعتبر البحرين رابع بلد في كثافته السكانية التي تبلغ ١٩٦٥ شخصًا للميل المربع بعد سنغافورة ومالطا وبنغلادش.

الحكم: إمارة وراثية. تنص المادة الاولى من الدستور الصادر في ٦ كانون الأول ١٩٧٣ على ان «حكم البحرين وراثي، ويكون انتقاله من حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة إلى ابنه الأكبر، ثم إلى أكبر أبناء هذا الابن، وهكذا طبقة بعد طبقة، إلا إذا عين الامير في حياته خلفًا له ابنًا آخر غير الابن الأكبر...». والامير هو «رأس الدولة، ذاته مصونة لا تمس ويتولى سلطاته بواسطة وزرائه...». والسلطة التشريعية يتولاها الامير والمجلس الوطني.

الاقتصاد: تربية الماشية، وزراعة الخضار والتمور. وفيها حِرف تقليدية مثل بناء المراكب الشراعية، وصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ. وفيها صناعات المرطبات والطوب (أحجار البناء). وتصدّر القريدس المجلّد. القطاع الاقتصادي الأهم هو القطاع النفطي: مصفاة البحرين ثاني اكبر مصفاة في الشرق الاوسط. وقد اكتشف النفط في البحرين، بكميات تجارية، في عام ١٩٣٢. انتجت البحرين ٥٢،٧ مليون برميل نفط في العام ١٩٩٤. والسياحة قطاع مهم في البحرين: نحو مليون و ٤٠٠ ألف

سائح (٨٢ مليون دولار) في العام ١٩٩١.
جاء في إحصاء حديث نشر ارقامه الجهاز المركزي البحريني للاحصاء ان عدد القوى العاملة من اجمالي سكان البحرين بلغ ٢٤٢ ألف عامل وموظف، ونصيب العمالة البحرينية أكثر من ٩٥ ألف عامل وموظف؛ وجاء في الاحصاء ان عدد القوى العاملة غير البحرينية يبلغ ١٤٧ ألف عامل وموظف.

منذ نحو ربع قرن والمسؤولون ينشطون لتنويع مصادر الدخل القومي وعدم الاعتماد كليًا على النفط كمصدر رئيسي للدخل.
وعلى رأس المشاريع تأتي «شركة المونيوم البحرين» المعروفة اختصارًا ب «ألبا» التي تطورت فأصبحت اليوم (بعد ٢١ عامًا على تأسيسها) في طليعة شركات صناعة الألمونيوم العالمية.

نبذة تاريخية

أرض دلمون: «أرض دلمون مطهرة، أرض دلمون نقية... في دلمون لا ينعق الغراب ولا يفترس الذئب الحمل ولا يقتل الاسد لا احد يقول عيني تؤلمني ولا احد يقول رأسي يصدعني» (من اسطورة سومرية تتحدث عن أرض دلمون-البحرين).

توصلت فرق التنقيب عن الآثار في البحرين (في السنوات الاخيرة) إلى اكتشاف اثارات مهمة تدل على وجود حضارة قديمة تعود إلى الألف الثالث ق.م. وتسمى حضارة دلمون التي كانت تتوسط طرق التجارة والنقل بين حضارات مصر وبلاد ما بين النهرين والهند.

وورد أسم دلمون وتحدّد موقعها في النصوص المسمارية الرافدية القديمة، كما جاء في نصوص مدينة إيبلا (قرب حلب) التي تعود إلى ٢٤٠٠-٢٣٠٠ ق.م. ما يؤكد وجود دلمون كيانًا جغرافيًا يشتهر بنخيله وتجارته. ويؤكد الباحثون ان حضارة دلمون نشأت حول الساحل الشرقي للسعودية من جزيرة فيلكة إلى سواحل الخصيب والاحساء مرورًا بحدود الامارات. وهي عبارة عن مجموعة مدن خضعت لسلطة المملكة الدلمونية التي كان مقرها جزر دولة البحرين. واكتشفت آثارها بشكل موسع في موقع قلعة البحرين حيث وجدت على مراحل خمس مدن متراكمة ضمن طبقات اتربة ومساكن واسوار ومدن. واعتبرت منطقة دلمون «أرض الخلود»، لذلك رأى اليها السومريون

والبابليون والأشوريون مركزًا لآلهتهم ومقرًا لتقرير مصير الناس.

وبعد «دلمون»، لم يسجل التاريخ، او تكشف الحفريات، أي شيء يذكر عن البحرين حتى فجر الاسلام في القرن السابع الميلادي؛ فارتبطت جزيرة البحرين سياسيًا واجتماعيًا وسكانيًا بمجتمع الجزيرة العربية. وهناك الكثير من الشواهد اللغوية التي تؤكد ان اصل المجتمع البحريني ينبع من القبائل العربية القديمة في الجزيرة العربية.

من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر: كان العرب يقسمون الجزيرة العربية بحسب طبيعتها الجغرافية إلى خمس أقاليم، وأحد هذه الاقاليم البحرين الذي كان يشمل منطقة الاحساء كلها ويسمى العروض لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق.

في اواخر القرن الثالث الهجري، احتل ابو سعيد الحسن الجنابي احد قادة القرامطة مدينة هجر عاصمة البحرين آنذاك واتخذ مدينة الإحساء عاصمة لدولة
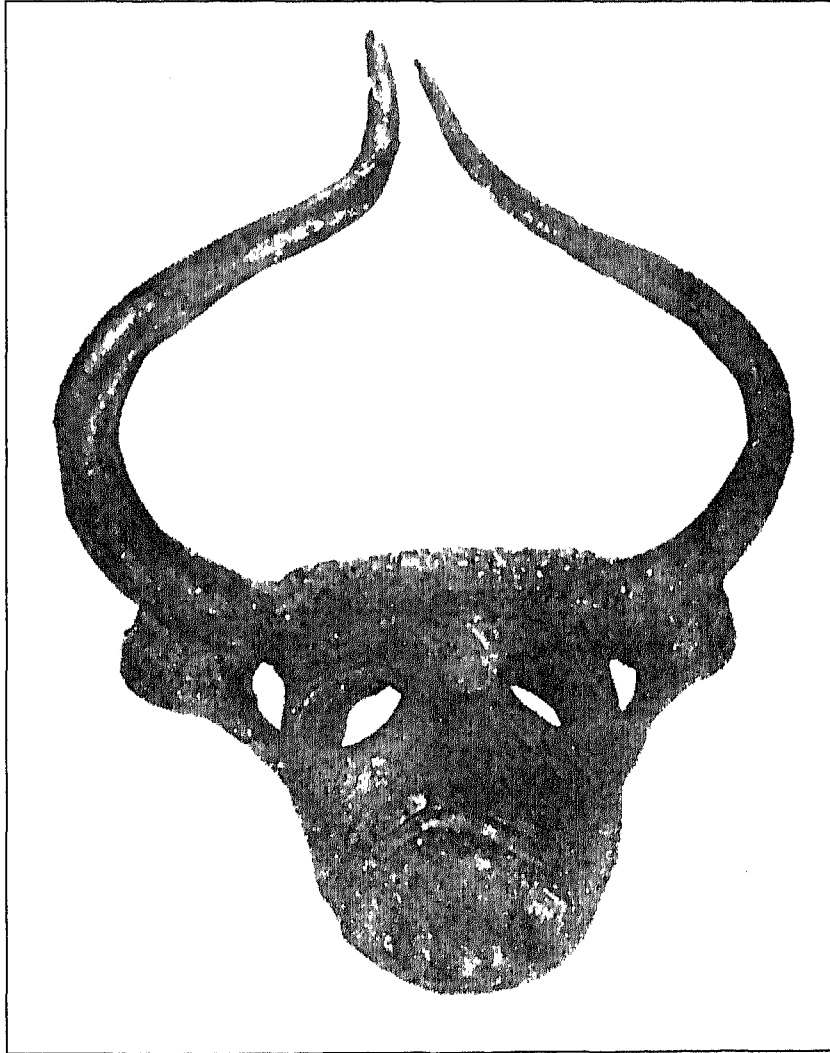
رأس ثور من النحاس يعود الى حضارة دلمون.

القرامطة. وكان هؤلاء يريدون بسط سلطانهم على جزيرة العرب فكانت لهم حروب ومعارك مع الدولة العباسية. وقد انتهت دولتهم بموت الاعصم سنة ٩٧٦م. وفي القرن السادس الهجري احتل جنكيزخان ملك المغول البحرين. وبعد مائة سنة من حكم المغول الاول ظهر هولاكو واستولى على البحرين فيما استولى عليه من البلدان العربية. ثم تحررت البحرين بموته من حكم المغول ليسيطر عليها البرتغاليون ويحصّنوها كما حصنوا بعض موانىء الخليج العربي لتأمين طريق تجارتهم إلى الهند.

ظل البرتغاليون يسيطرون على البحرين من سنة ١٥٢١ إلى سنة ١٦٠٢ حين اجلاهم عنها الفرس واحتلوها. ولكن سلطان عُمان ما لبث ان انتزعها منهم. ثم عاد الفرس لاحتلالها في عهد نادر شاه فتصدت لهم القبائل العربية بزعامة آل خليفة واخرجتهم منها عام ١٧٨٣. وقد استند الايرانيون في مطالبتهم بضم البحرين إليهم إلى هذه الفترة من تاريخ احتلالهم لها. وقد تخلت إيران نهائيًا عن المطالبة بها عام ١٩٧٠ وعلى لسان الشاه محمد رضا بهلوي.

الحماية البريطانية: في ١٨٦١، تعهد أمير البحرين بالامتناع عن الحرب والقرصنة وتجارة العبيد مقابل المساعدة والحمايةالبريطانية. وكان الاتفاق حصيلة تخوف حاكم البحرين من مطالب إيران وتركيا، ورغبة بريطانيا في منع فرنسا وروسيا وألمانيا من التقدم باتجاه الهند. وفي ١٨٨٠ و ١٨٩٢، تعهد الحاكم مجددًا بعدم التنازل عن اجزاء من ارضه او رهنها لأحد في ما عدا الحكومة البريطانية، وكذلك بعدم إقامة علاقات مع أية حكومة أجنبية بدون موافقة الحكومة البريطانية.

وفي سياق هذه الحماية، وفي عهدها، كانت البحرين تتأثر بالتطور العام الذي عاشه العالم العربي، خصوصًا في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. وفي شباط ١٩٥٦، اجريت انتخابات لاختيار اعضاء لمجلس التعليم والصحة. وكانت تلك أول انتخابات منذ انتخابات المجلس البلدي في البحرين في ١٩١٩. وبعد مدة حدث إضراب جزئي في مصفاة النفط، كان موجهًا ضد تسلط المستشار البريطاني على الحكم. وحدثت تحركات شعبية واضطربات إبان العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦. وفي ١٩٥٧، اعلنت البحرين سيادتها القانونية على الاجانب الذين كانوا يخضعون لامتيازات خاصة بحيث لا يطالهم القانون المحلي، ثم اصدرت طوابعها الخاصة في ١٩٦٠، وظهرت اول عملة خاصة بها في ١٩٦٥. وفي ١٩٦٠، بدأ برنامج صغير النطاق لتوزيع بعض الاراضي على الفلاحين. وكان بين التطورات الاقتصادية الأخرى إنشاء مدينة «عيسى» التي توافرت فيها اسباب الراحة على الطريقة الغربية. وكانت البحرين أول دولة طبقت التعليم والتطبيب المجّانيين في الخليج، كما توافرت فيها خدمات الكهرباء والماء. وشهدت البحرين إضرابًا آخر في ١٩٦٥ سببه الرئيسي التخوف من صرف العمال في شركات النفط. وفي أيار ١٩٦٦، أعلنت بريطانيا انها سوف تنقل قاعدتها الرئيسية في الخليج من عدن إلى البحرين في ١٩٦٨، واتفقت مع البحرين على استئجار القاعدة

العسكرية فيها، غير ان بريطانيا عادت فأعلنت، في ١٩٦٨، ان كل قواتها الموجودة «شرقي السويس» سوف تسحب قبل نهاية ١٩٧١، وقد نفذ القرار فعلاً. وإبان حرب تشرين الأول (حرب أكتوبر) ١٩٧٣، طلبت البحرين من البحرية الاميركية التي تملك منشآت رسو في البحرين اخلاءها خلال سنة واحدة. غير ان عملية الاخلاء لم تتم في حينه.

في كانون الثاني ١٩٧٠، قامت الحكومة البحرينية باصلاحات ادارية وسياسية واسعة. فقد عين مجلس دولة مكون من ١٢ عضوًا ليتولى السلطة التنفيذية العليا. وكانت تلك اول مرة يتخلى فيها الحاكم عن بعض صلاحياته. وكان أربعة من أعضاء المجلس من العائلة الحاكمة. كذلك خفض وضع المستشارين البريطانيين ليصبحوا موظفين عاديين. وضم المجلس (باستثناء ممثلي العائلة الحاكمة) عددًا متساويًا من السنة والشيعة، محافظة على التوازن الطائفي. وبهذا الاصلاح اصبح نظام البحرين شبيهًا بالحكم في الكويت. وفي آب ١٩٧١، تحول مجلس الدولة إلى حكومة لدولة البحرين مهمتها توجيه الشؤون الداخلية والخارجية.

وكانت البحرين ملتزمة، بعد ١٩٨٦، بالانضمام إلى مشروع اتحاد الامارات العربية، لكن حجمها السكاني «الكبير نسبيًا»، وتقدم مستواها التعليمي والاجتماعي وشروط الدستور الاتحادي (خصوصًا لجهة طريقة الحكم) وتوزيع الموارد المالية المشتركة، كلها عوامل حالت دون انضمامها إلى المشروع (تقدم البحرين التعليمي، والثقافي عامة، حمل أمين الريحاني في عام ١٩٢٢ إلى ان يقول في كتابه «ملوك العرب»: «ما أخطأت الظن مرة ببلاد عربية مثل خطئي بالبحرين. أما واني أمقت الادعاء فلا احاول إخفاء جهلي وهو جهل يكاد يشمل كل ادباء العرب، اني اعترف عني وعنهم»).

وتعزّز موقف البحرين في ١٩٧٠ حينما قبلت إيران تقرير الامم المتحدة حول مستقبل البحرين الذي جاء في اعقاب زيارة وفد الامم المتحدة، افاد ان اغلب السكان يريدون الاستقلال وليس الاتحاد مع إيران.

الاستقلال: أعلن استقلال البحرين التام في آب ١٩٧١، وعقدت معاهدة صداقة جديدة مع بريطانيا، وخلع الحاكم، الشيخ عيسى، على نفسه لقب «أمير». وفي أيلول (١٩٧١)، انضمت البحرين إلى جامعة الدول العربية وإلى الامم المتحدة. وفي كانون الاول ١٩٧٢، أجريت انتخابات مجلس تأسيسي وضع دستورًا جديدًا اجريت على أساسه انتخابات مجلس وطني في كانون الأول ١٩٧٣. وفي حزيران ١٩٧٤، حدثت اضطرابات عمالية كان سببها المماطلة في السماح بانشاء نقابات عمالية (رغم شرعيتها الدستورية)، وكذلك الارتفاع الكبير في غلاء المعيشة. وفي آب ١٩٧٥، استقال رئيس الحكومة مدعيًا ان المجلس الوطني يمنع الحكومة من ممارسة واجباتها. لكن الامير أعاد تكليف رئيس الحكومة المستقيل تشكيل حكومة جديدة، وبعد يومين حل المجلس الوطني المنتخب بمرسوم اميري، وتعرّض اليسار البحريني لحملة اعتقالات في كانون الاول ١٩٧٥، وعلق الدستور. وفي آذار ١٩٧٦، اقدمت

السلطة على اعدام ٣ أشخاص اتهموا بالانتماء إلى «الجبهة الشعبية لتحرير عُمان والخليج العربي».

ومن انعكاسات حرب الخليج الاولى (العراق-إيران) على بلدان الخليج ما أعلنته البحرين (كانون الأول ١٩٨١) عن اكتشاف «مؤامرة تخريبية» بدعم من إيران ضد البحرين، ما زاد المخاوف على الامن بين دول الخليج، فسارعت المملكة العربية السعودية إلى توقيع اتفاقات أمنية مع البحرين وسلطنة عُمان وقطر ودولة الامارات. وفي نيسان ١٩٨٤، زار الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة (أمير البحرين) لندن حيث جرى التركيز على حرب الخليج. وفي الشهر نفسه، استقبل الأمير المبعوث الاميركي إلى الشرق الأوسط، مورفي.

أهم أحداث السنوات الأخيرة (حتى صيف ١٩٩٥): في ١٧ نيسان ١٩٩٢، رفضت البحرين عرض قطر تحديد البحر الاقليمي ب ١٢ ميلاً، وبعد أقل من أسبوع اعتبرت ان حل الخلاف مع قطر في شأن جزر حوار يكون بطلب مشترك إلى محكمة العدل الدولية، داعية قطر مجددًا للعمل معًا لتسوية خلافهما على الحدود. وفي ٢١ تموز، جددت عرضها ابرام اتفاق خاص مع قطر داعمة موقفها باتفاق للتعاون العسكري بينها وبين بريطانيا (٢٨ تموز). وفي ١٥ كانون الأول، أعلن أمير دولة البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة عزمه على إنشاء مجلس للشورى، الذي ما لبث بعد اسبوع، ان شكله بالفعل من ٣٠ عضوًا.

وبعد أقل من سنة على إتفاق غزة أريحا أي في خريف ١٩٩٣، أكد وزير خارجية دولة البحرين الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة ان المقاطعة العربية لإسرائيل «ليست موضوعًا خليجيًا، بل موضوع يخص الجامعة العربية... نعتقد ان عملية التطبيع مع اسرائيل يجب ان تتزامن مع عملية السلام». وفي الموضوع الاسرائيلي وفي إطار السلام في المنطقة، التقى وزير الخارجية البحريني وزير البيئة الإسرائيلي يوسي ساريد على هامش اجتماع البيئة المنعقد في المنامة (اواخر تشرين الاول ١٩٩٤)؛ وفي سياق مصادرة اسرائيل للاراضي في القدس الشرقية، جاء في بيان لمجلس الوزراء البحريني ان القرار الاسرائيلي «مخالفة واضحة لاعلان المبادىء المبرمة بين الجانبين الفلسطيني والاسرائيلي»، ودعا البيان المجتمع الدولي لحمل اسرائيل على «الغاء قرارها والالتزام بالمبادىء الدولية وبروح مسيرة السلام...» (٧ أيار ١٩٩٥).

في ٢٠ آذار ١٩٩٤، زار الامير عيسى سورية واجرى محادثات مع الرئيس السوري حافظ الاسد تناولت الوضع في المنطقة وعملية السلام والعلاقات بين البحرين وسورية. وفي تشرين الأول، أعيد طرح مشكلة الحدود كموضوع «ينبغي الا يتقدم عليه أي اعتبار آخر، فاننا لنأمل ونتطلع إلى ان نحقق بالتفاهم الاخوي والدبلوماسي الودي، انهاء الخلافات والمطالبات الحدودية الجانبية بين دول مجلس التعاون الخليجي، وذلك بتجنب اعادة بحث وإثارة المسائل الحدودية التي تمّ تجاوزها بتفاهمات واعتمادات وحلول قبل ما يقرب

من سبعين سنة او أكثر، وان تبقى الحدود القائمة والمتعارف عليها بين دول المجلس على ما هي باعتراف شامل من الجميع» (الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين).

في ١٩ كانون الأول ١٩٩٤، عقدت القمة الخليجية (مجلس التعاون الخليجي) الرابعة عشرة في المنامة، وعلى رأس ما تناولته من قضايا: العلاقات مع الجمهورية الاسلامية الايرانية وقضية الجزر، مسيرة السلام في الشرق الاوسط، ظاهرة التطرف والعنف، ومجالات التعاون والتنسيق.

في ٤ كانون الثاني ١٩٩٥، زار وزير الدولة البريطاني لشؤون القوات المسلحة، نيكولاس سوميت، البحرين واستقبله الأمير الشيخ عيسى، وأكدّ الوزير حرص بلاده على تعزيز وتدعيم اواصر التعاون مع دولة البحرين على كل الصعد، منوهًا بما وصلت إليه العلاقات البحرينية-البريطانية من تقدم وتطور في مختلف الميادين.

في نيسان ١٩٩٥، عاشت البحرين اجواء تعديل وزاري أو تأليف حكومة جديدة بعد ان عصفت بالبلاد أحداث شغب بدأت قبل أشهر، وبعد ان أصبح تطور الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاقليمية يتطلب اعادة نظر في التركيبة الحكومية لمجاراة التغييرات الضخمة التي شهدتها البلاد والمنطقة.

وبالفعل، شكل الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة حكومة جديدة (في ٢٦ حزيران ١٩٩٥) من ١٦ وزيرًا، وكان مضى على الحكومة السابقة ٢٢ سنة. وفي أول كلمة له قالها الشيخ خليفة فور تشكيل حكومته: «إن التغيير الوزاري جاء في ظل اجواء سياسية وظروف اقليمية ودولية تصاحبها تحولات اقتصادية وتطور هائل في كل فروع الحياة، الامر الذي يزيد من صعوبة المهمة الملقاة على عاتق الوزارة ويجعل وضع الاولويات وترتيبها امرًا لازمًا».

أحداث شغب: بين كانون الأول ١٩٩٤، وفي أجواء احتفال البحرين بمناسبة العيد الوطني الثالث والعشرين، وآخر أيار ١٩٩٥، عرفت البلاد أحداث شغب وأعمال عنف واضطراب، اعتبرتها السلطات، في البداية، انها صغيرة الحجم والأثر ملمّحة إلى ان شبانًا «كانوا يعيشون خارج البلاد» يقفون وراءها. وأهم بدايات هذه الاحداث تظاهرات جرت في جامعة البحرين وإطلاق نار في الاحياء الشيعية (٢١ كانون الأول ١٩٩٤). وأول ردود فعل خارجية، ما صدر في اليوم نفسه (٢١ كانون الأول) عن طهران من دعوتها القادة البحرينيين إلى الاستماع إلى «صوت الشعب» مندّدة ب «وسائل القمع والقتل والتعذيب واعتقالات السكان»، على أساس ان «المعلومات الواردة من البحرين تشير إلى احتجاج شعبي واسع على الوضع الاجتماعي»، وان «الشرطة اطلقت النار على الحشود المحتجة وانها اعتقلت رجال دين وشبانا».

في أواسط كانون الثاني ١٩٩٥، حرصت السلطات الامنية البحرينية على تكذيب التقارير الاجنبية التي تضخّم الأحداث الامنية في البلاد، لكنها، في الوقت نفسه، اعترفت بأنها اطلقت سراح عدد

من الموقوفين، وان عدد المعتقلين كان بلغ ٤٠٠ شخص، وانها رحّلت عددًا من المندسّين. وفي كل مرة، كانت هذه السلطات تتناول أحداث الشغب هذه كانت تذكّر بحقيقة ان البحرين، ومنذ٢٥ سنة من الاستقلال، لم تتخذ اجراءات قاسية ضد أحد و لم يُعدم شخص واحد، و «انه رغم اعمال الشغب والتخريب، لم تتعطل أعمال أي جهاز من أجهزة الدولة أو اية مؤسسة خاصة أو عامة ولو لدقيقة واحدة».

في اواخر كانون الثاني ١٩٩٥، زيارتان جاءتا بتأثير من هذه الاحداث: الأولى قام بها وزير الخارجية البحريني الشيخ محمد بن مبارك للندن بعد وصول عدد من البحرينيين المبعدين إلى لندن حيث التقى نظيره البريطاني دوغلاس هيرد، فأوضح له «عدم وجوب فتح الأبواب لهؤلاء المخربين لكي يمارسوا نشاطهم الهدّام ضد البحرين من بريطانيا». والثانية، زيارة وزير الخارجية السوري فاروق الشرع للبحرين حيث بحث معه المسؤولون البحرينيون (بحسب أنباء وتعليقات) مواضيع تتعلق بمبعدين بحرينيين انتقلوا إلى دمشق وبيروت.

وفي ١٨ نيسان ١٩٩٥، قال وزير الداخلية البحريني الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة في افتتاح المؤتمر الاستثنائي لوزراء الداخلية في دول مجلس التعاون في المنامة: «هذه الاحداث لم تكن عفوية وانما مفتعلة وبتخطيط مسبق، مستورد ومدفوع من الخارج... من واقع نتائج التحقيقات والاعترافات المسجلة امام القضاء ان هذه الاحداث يقف وراءها تنظيم سياسي ديني تتزعمه عناصر قيادية من بعض رجال الدين

وزير الخارجية البريطاني هيرد (الى يسار الصورة) مستقبلاً في لندن وزير خارجية البحرين الشيخ محمد بن مبارك (٢٧ كانون الثاني ١٩٩٥).

تتزعمه عناصر قيادية من بعض رجال الدين المتطرفين».

لقيت حكومة البحرين، وكانت نجحت في إعادة الهدوء إلى البلاد ابتداء من اول حزيران ١٩٩٥، تأييدًا قويًا من الدول العربية المجاورة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية. «وقد أقرت مصادر بحرينية معارضة بأن الاحتجاجات تراجعت في صفوف الشيعة الذين يرون انفسهم سكانًا من الدرجة الثانية في دولة يدعون انهم يمثلون فيها الغالبية» («النهار»، تاريخ الاول من حزيران ١٩٩٥، نقلاً عن «رويتر»).

ثمة مَن ربط، وعلى رأسهم المسؤولون عن أحداث الشغب، بين هذه الاحداث والازمة الاقتصادية في البحرين والبطالة في صفوف البحرينيين والدعوات المزمنة إلى الاصلاح التي تعود إلى أيام تعليق الأمير العمل بالمادة الدستورية التي تنص على اعادة انتخاب بديل للمجلس النيابي الذي كان مرسومًا أميريًا قد حله في العام ١٩٧٥.

لكن الحكومة البحرينية كانت تصر وتشدّد (مع اعترافها بوجود ضرورات للاصلاح) على ان مثل هذا الكلام الذي يقوله «المشاغبون» هو مجرد واجهة لحقيقة أبعد: «انهم يريدون إقامة دولة اصولية متطرفة في البحرين»، كما قال وزير الخارجية البحريني أثناء زيارته للندن. وعبّر مسؤولون حكوميون آخرون عن اعتقادهم بأن هذه الاحداث «كانت اختبارًا حاولت الجهات الخارجية من ورائه اختبار مدى تماسك دول مجلس التعاون وتضامنها التي عليها ان تحل مشاكلها الحدودية في ما بينها وان تعالج بعض متاعبها الداخلية لقطع الطريق على محاولات مماثلة لن تتوقف ما دام الصراع الدولي والاقليمي على المنطقة مستمرًا استمرار حاجة العالم إلى الحفاظ على مصالحه وحماية منابع النفط (...) والبحرين التي كانت إلى الامس القريب جزيرة شبه منعزلة عن محيطها لم تعد كذلك، ومشاكلها من مشاكل المنطقة وكذلك مصيرها ومستقبلها (...) والجسر الذي يربطها باليابسة في شبه الجزيرة العربية، دليل على ان لا إمكان للفكاك والانعزال او التطلع إلى وجهة اخرى. تمامًا مثل بريطانيا التي لم تعد منعزلة عن اوروبا، لقد ربطها نفق المانش بفرنسا، واوروبا تاليًا، ولا مجال للتطلع غربًا عبر الاطلسي، مصيرها جزء أساسي من مصير اوروبا».

«تقليد من العصيان»: في «لوموند ديبلوماتيك»، عدد آذار ١٩٩٥، ص ١٢، جاء التعليق التالي:

«إن هجمة الاضطراب التي تحكّمت بالبحرين منذ كانون الأول ١٩٩٤ لم تفاجىء إلا هؤلاء الذين نسوا تاريخ الامارة المضطرب. ففي ١٩٣٤، وبعد سنتين من التحرك الذي قام به صيّادو اللؤلؤ المهدّدون من لؤلؤ اليابان الصناعي، قام وفد من الشيعة بتقديم عريضة إلى الامير تطالب باقامة جمعية (او مجلس) تشريعية كما في الكويت يتمثل فيها الشيعة وفقًا لأهميتهم العددية، وبحق إنشاء نقابة. وقد جرى انتخاب المجلس بالفعل في تموز ١٩٣٨، لكنه ما لبث ان حُل في آذار ١٩٣٩. والصناعة النفطية الحديثة العهد أثارت الاضطرابات الاولى (في ١٩٤٣) التي قمعها الجيش البريطاني بقوة. وقد تجدّدت مثل

هذه الحركات في ١٩٤٥ (في البلديات) وفي ١٩٤٨.

سنة ١٩٥٤ عرفت فترة من التوتر الشديد. جاء اعتقال عدد من العمال الشيعة دافعًا لاضطرابات أدّت إلى مقتل العديدين، فقامت المظاهرات والاجتماعات في مختلف أرجاء البلاد، وفي تموز (١٩٥٤) اضرب نحو ٣ آلاف عامل في قطاع النفط لمدة اسبوع. وجمعت عريضة نحو ٢٥ ألف توقيع تطالب بانشاء نقابة ومجلس استشاري. ومما ساهم في عودة التوتر إلى حدته أحداث السويس (١٩٥٦)، فجرت المظاهرات الصاخبة المعادية للوجود البريطاني، ووقفت النخبة السنية مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

في ١٩٦٥، أدّى تسريح ١٥٠٠ عامل في قطاع النفط إلى إضراب عام واكبته مجابهات دموية مع الشرطة. فأعلنت حالة الطوارىء، واضطر العمال، بعد ثلاثة أشهر وتحت ضغط الجوع، إلى تعليق الاضراب، في حين جرى اعتقال قادة الاحزاب ثم نفيهم.

في آب ١٩٧٥، علّق الامير الدستور، وأعقب ذلك اضطراب وقمع. وبدءًا من ١٩٧٩، أخذت الثورة الايرانية تلقى صدىً لها لدى شيعة البحرين (١٥٠٠ منهم تظاهروا في سوق العاصمة المنامة في آب ١٩٧٩)، واحتفالات عاشوراء (تشرين الثاني) أخذت طابعًا مميزًا في تلك السنة. وتميز شهر نيسان ١٩٨٠ باضطرابات رافقتها اعمال عنف؛ وبعد سنة (كانون الأول ١٩٨١)، أكدت قوى الأمن انها أفشلت انقلابًا أوحت به طهران».

نزاع حدودي بين البحرين وقطر: نزاع حول مناطق حدودية (جزر حوار، والمنزور الذي يُعرف حاليًا ب «فشت الديبل») يعود إلى العام ١٩٣٩. ومن ذلك الوقت بدأت المراسلات والاحتجاجات وظهرت في حكومة بريطانيا في ذلك الوقت وجهات نظر متناقضة دفعت الحكومة البريطانية آنذاك إلى تفضيل اللجوء إلى التحكيم.

في تشرين الأول ١٩٦٥، وافقت دولة البحرين على التحكيم، ولكنها تراجعت عن موافقتها في آذار ١٩٦٦. واستمرت المحاولات الثنائية (البحرين وقطر) لحل هذا الخلاف من دون جدوى، إلى ان جاءت وساطة المملكة العربية السعودية حيث تمّ الاتفاق على المبادىء المكونة للحل في إطار هذه الوساطة في ١٧ نيسان ١٩٧٨. ونصت الفقرة الثانية من هذه المبادىء على ان يتعهد كل من الطرفين (البحرين وقطر) اعتبارًا من تاريخه بعدم القيام بأي تصرف من شأنه ان يعزز مركزه القانوني أو يغيّر الوضع الراهن بالنسبة إلى مواضيع الخلاف.

بعدها، اتهمت قطر البحرين بأنها تقوم ببناء منشآت وتحدث تغييرات في جزر حوار وفشت الديبل، ما دفعها (قطر) إلى إيقاف هذا التصرف في ١٩٨٦.

واستمرت الوساطة السعودية تزامنها شكاوى متبادلة من الطرفين، إلى ان اقترحت السعودية عرض الخلاف بين البلدين للتحكيم. وعلى أثر ذلك تم التوقيع عام ١٩٨٨ على محضر اجتماع تقديم الخلاف القائم بين البلدين إلى محكمة العدل الدولية، واستمرت المساعي الحميدة التي

يرعاها الملك السعودي. وفي الاطار ذاته، جاء الاتفاق الموقع (١٩٩٠) بين البلدين والمملكة العربية السعودية أثناء إجتماع قمة مجلس التعاون لدول الخليج العربية الحادية عشرة في الدوحة. وينص هذا الاتفاق على طرح موضوع الخلاف على محكمة العدل الدولية بناء على الصيغة التي اقترحتها البحرين وقبلت بها دولة قطر مع استمرار المساعي الحميدة للملكة العربية السعودية.

وبعد أخذ ورد حول صلاحية المحكمة الدولية النظر في موضوع الخلاف (طيلة عام ١٩٩٤)، خاصة من وجهة نظر البحرين التي شككت بهذه الصلاحية، أصدرت محكمة العدل الدولية في لاهاي، في ١٥ شباط ١٩٩٥، قرارًا أعلنت فيه اختصاصها في النظر في صدد الخلاف الحدودي بين دولتي قطر والبحرين وفقًا للطلب المنفرد الذي تقدمت به قطر وفي غياب البحرين التي اعترضت على عقد الجلسة في الاساس من دون اتفاق الطرفين على الصيغة المقدمة، وعدم شمول الطلب القطري مجمل عناصر الخلاف موضع التحكيم.

وفي اول موقف له في صدد الخلافات الحدودية، أكد أمير دولة قطر الجديد (استلم السلطة بعد والده في حزيران ١٩٩٥)، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني عزمه على تسوية الخلافات الحدودية لبلاده مع جيرانها، وقال إن قطر يمكن ان تسحب الشكوى التي رفعتها إلى محكمة العدل الدولية في شأن الخلاف الحدودي مع البحرين إذا نجحت الوساطة السعودية بين الجانبين (٩ تموز ١٩٩٥).

ميزة وجود أحزاب: تختلف البحرين اختلافًا كبيرًا عن امارات الخليج الاخرى في تركيبها الاجتماعي. فمنذ القرن التاسع عشر تشكلت فيها طبقات عمالية تشتغل بالزراعة والغوص بحثًا عن اللؤلؤ، ونمت فيها إلى حد ما بورجوازية رأسمالية بسبب هذه الصناعة. وعلى ذلك، شهدت البحرين مجتمعًا أكثر تطورًا وأقرب إلى المجتمعات المستقرة مثل العراق والشام، ولم تتعرض لأزمة الطفرة الهائلة نتيجة اكتشاف النفط. كما انها كانت أسبق امارات الخليج تعرضًا للصراع الاجتماعي والقومي والعمل الحزبي، خاصة في وجه المطالبة الإيرانية بضم البحرين إليها. وقد اثر ذلك كثيرًا على طبيعة القوى السياسية التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالحركات السياسية في ارجاء البلدان العربية، مثل حزب البعث، والحركة الناصرية، والجبهة الشعبية في البحرين والجبهة الوطنية البحرينية، وتيار الاخوان المسلمين. ورغم انتشار الحركات السياسية والاحزاب في البحرين (خصوصًا في الستينات والسبعينات) فإن الحكومة قد منعتها رسميًا من ممارسة نشاطها بموجب قانون الطوارىء الذي تحكم بالحياة السياسية البحرينية منذ ١٩٧٥. ولم يتوقف مفعول هذا القانون إلا منذ نحو سنتين.

مـدن ومعـالم

* **أم الصبان:** جزيرة صغيرة تابعة للبحرين، شرق جزيرة جدة.

* **أم النعسان:** ثاني أكبر جزيرة في البحرين. رملية مسطحة قليلة الارتفـاع. شهيرة بقطعان الغزلان السوداء.

* **البديع:** بلدة شمال غرب جزيرة البحرين. نحو ٧ آلاف نسمة. كانت محط رحال قبيلة الدواسر التي اتت البحرين وراحت تغير على القرى المجاورة. هدّدهم الشيخ حمد آل خليفة بالعقـاب (١٩٢٤)، فهربـوا وحلّ مكـانهم سكان بحرينيـون. مـزارع اختبارية. صناعة نسيج.

* **بلاد القديم:** قرية في جزيرة البحريـن. كـانت عاصمة البحرين في القرون الوسطى.

* **جامعة الخليج:** جامعـة بالسلمانية في البحرين؛ بدأ التفكير فيها كمشروع جماعي طموح في نـدوة علمية برابطة الاجتماعيين بالكويت سنة ١٩٧٥. ثم تبنت قمة مجلس التعاون الفكرة ودفعت بها إلى المختصين من أهل الفكر والتربية. وبدأ المشروع يتبلور، وجاء في إحدى الوثـائق التربوية الصادرة عن مجلس التعليـم العـالي الـذي انعقـد في الرياض (٢٣-٢٥ حزيران ١٩٧٩) لمناقشـة اوراق العمـل والوثائق المقدمة من دول مجلس التعـاون الخليجـي:

– انها جامعة نوعية متخصصة (تركز على البرامج الدراسية التي لا توجد في الجامعات الوطنية او توجـد بشـكل لا يلبي احتياجـات دول الخليـج مجتمعة)،

– انهـا جامعـة مستوى وليسـت جامعـة اعداد،

– انهـا مؤسسـة للدراسـات العليـا والبحوث،

– انها مركز استقطاب ثقافي وفكري،

– انهـا ذات هيكـل اداري مـرن يناسـب طبيعتها المتميزة.

وقد جاء المؤتمر الاستثنائي الاول لوزراء المعـارف والتربية لدول الخليـج (١٨ كـانون الأول ١٩٨٣) ليقرر:

– ان يكـون البـدء في مجـالات الدراسـة الجامعيـة بالتخصصـات المطلوبـة وغـير الموجـودة بجامعات المنطقة او الموجودة بقدر غير كاف وعلى الأخص في المجالات التالية: الطب والعلـوم الطبيـة،

شعار جامعة الخليج في البحرين.

مبنى كلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الخليج بالسلمانية.

العلـوم التطبيقيـة، التربيـة الخاصـة للموهوبـين والمعوقين، أية تخصصات أخرى تظهر الحاجة إليها؛

– ان يكـون البـدء في مجالات التخصـص للدراسات العليا بالـترتيب التـالي: علـوم الصحـراء والاراضـي القاحلـة، ودراسـات الطاقـة وبدائلهـا، الدراسـات الخاصـة بسياسـات العلـوم والتقنيـة، الدراسات الخاصة باستنبات التكنولوجيا وبخاصـة التكنولوجيـا الحيويـة، الدراسـات الخاصـة بنظـم المعلومـات والاتصـال، علـوم البحـار والمحيطـات، علوم الفضاء؛

– قرر المؤتمر ان يكون تشغيل المبـاني الـتي يتم استكمالها بـأقصى طاقـة لهـا وفي حـدود ألفـي طـالب وطالبـة، كمـا قـرر الاكتفـاء في السـنوات الخمـس التاليـة بالكليـات الثـلاث المقـرر إنشـاؤها وهي: كليـة الطـب والعلـوم الطبيـة، كليـة التربيـة وكلية العلوم التطبيقية.

تعثر المشروع بسبب حرب الخليج الاولى، والازمة الاقتصاديـة وتخلـف بعـض الـدول عـن التزاماتهـا. لكن الجهود استمرت، وأثمرت قرارًا صدر عن قمة مجلـس التعـاون (كـانون الأول ١٩٩١–الكويـت) بشـأن ضـرورة اسـتمرار جامعـة الخليـج وحـل مشكلاتها المالية.

كمـا ان هـذا القـرار تضمـن توصيـة لمجلـس أمنـاء جامعة الخليج، وهو الهيئة الـتي تضـم ممثلـين لـدول مجلـس التعـاون في قمـة الجامعـة، بدراسـة الوضـع الراهن للجامعة وتقديـم تقريـر يتضمـن تصـورات لمستقبل الجامعـة بعـد اجتيـاز الازمـة الماليـة. وفي سنوات الازمة، حرص القيمون على الجامعـة علـى تجنيب الدراسة الأكاديمية فيها أي أثر للازمة الماليـة على مستواها.

واسـتمر مشـروع جامعـة الخليـج يواصـل صعـوده حتى وصل إلى درجة «الالتزام السياسـي» بـه مـن دول مجلـس التعـاون الخليجـي في القمـة الخليجيـة المنعقدة في الرياض في كانون الأول ١٩٩٣.

* **جدة:** جزيرة صخرية صغيرة قريبة مـن السـاحل الغربي لجزيرة البحرين. معتقل للمسـاجين. مقـالع احجار.

* **جد حفص:** مدينـة في البحريـن. نحـو ٣٠ ألـف نسمة. كانت لزمن عاصمة البحرين.

* **جسر الملك فهد:** جسر يصل البحرين بالمملكـة العربية السعودية، أنجـز العمـل فيـه في أول كـانون الأول ١٩٨٦، على رأس الاهداف من اقامته توثق الصلة بين البحريـن والسـعودية. ويمتـد ٢٥ كلـم. استطاع، بمـدة قصـيرة ان يتعـدى اكثر التوقعـات تفاؤلاً للدعم الاقتصـادي والتنميـة الاجتماعيـة إلى جانب ازدهار الحركة السياحية في البحرين: أكـثر من اربعة ملايين شخص عـبروه إلى البحريـن علـى مدى عشرة أشهر فقط ابتـداءً مـن تشـغيله في اول كانون الأول ١٩٨٦.

* **الحوار:** مجموعة جزر من ١٦ جزيرة تابعة لدولـة البحرين، أكبرها الحوار، ومنهـا: المحـزورة، ربـض، عجيرة، سواد الشمالية، سـواد الجنوبيـة، بوسـداد، جنـان، مشتان. علـى الحـوار نـزاع إقليمـي بـين البحرين وقطر (راجع النبذة التاريخية).

* **دراز:** مدينة في البحرين. نحـو ١١ ألـف نسـمة. في شمالها الغربي اطلال عين ام السجور التي كـانت تروي جزءًا من البحرين الشمالية والغربية وردمهـا الخليفـة عبـد الملـك. تجـارة لؤلـؤ ونسـيج أقمشـة الأشرعة.

* **رأس البر:** أقصى نقطة جنوبيـة لجـزر البحريـن. متنزه صيفي.

* **الرفاع:** مدينة الرفاع الحديثة عبارة عـن اندمـاج ثلاث قرى كانت في السابق متباعدة، وذلك بفعل موجة التوسع والعمران والتمدد السكاني التي أدت

قلعة الرفاع التي اسسها الشيخ سلمان بن احمد الفاتح عام ١٧٩٤ م.

إلى اتصال تلك القرى وتلاحمها ببعضها حتى بلغ عدد سكانها نحو ٦٠ ألف نسمة. والقرى الثلاث هي:
- الرفاع الغربي (نحو ٢٤ ألف نسمة). مقر حاكم البحرين إلى سنوات قليلة. شهيرة بسباقات الخيول والجمال (حلبة سباق السافرة).
- الرفاع الشرقي (نحو ٣٣ ألف نسمة). شهيرة بقلعة الرفاع (القرن السابع عشر).
- الرفاع الشمالية، او «الرفاع البوكوارة» نسبة إلى قبيلة بوكوارة، وهي احدى القبائل العربية التي سكنت ردحًا من الزمان في تلك المنطقة.
تقع تلك القرى الثلاث على ربوة في منتصف جزيرة المنامة، ويقع بينها واد منخفض كان أهالي الرفاع قديمًا يزرعونه بالقمح، وكانت تجري احتفالات شعبية يشارك فيها حاكم البلاد بمناسبة حصاد القمح.

الرفاع الغربي مقر الحاكم وقصر ضيافته في الوقت الحالي. وأما أهم معالم الرفاع التاريخية فهي قلعة الرفاع المقامة على حافة مرتفع يطل على وادي الحنينية، وقد اختير لها هذا الموقع لأسباب امنية آنذاك، حيث يمكن مشاهدة السفن القادمة للبحرين، وقد بناها الشيخ سلمان بن أحمد الفاتح في العام ١٧٩٤. وكان ترميم قلعة الرفاع بدأ في كانون الأول ١٩٨٨ فيها مسرح خصص للمناسبات والاحتفالات الوطنية المختلفة.

* **سترة:** إحدى جزر دولة البحرين الرئيسية، وأكبر مدن جزيرة سترة. نحو ١٦ ألف نسمة. ميناء على الخليج يؤمها صيفًا سكان القرى المجاورة لجفاف مائهم.

* **عالي:** بلدة؛ نحو ٧ آلاف نسمة. شهيرة بصناعة

الفخار، ومركز لانتاج الجير. فيها أشهر مدافن البحرين الأثرية.

* **قلعة البحرين:** قلعة أثرية تقع في الطرف الشمالي من الجزيرة على بعد نحو ٥ كلم من مدينة المنامة. بناها البرتغاليون، عند احتلالهم البحرين، على انقاض قلعة اسلامية. اقيمت على هضبة من الارض تغطي مساحة ٤٠ هكتارًا تقريبًا. فيها ابراج كبيرة، ويحيط بها خندق. عثر المنقبون تحتها على آثار تكشف عن سبعة مستويات حضارية وبقايا مدن ازدهرت فيها حضارة دلمون قبل آلاف السنين. احدى هذه المدن تتكون من بيوت صغيرة دمّرها الملك سرجون الأكادي واحرقها عام ٢٣٠٠ ق.م. أما المدن الأخرى فتلقي الضوء على تاريخ البحرين القديم في العصور التالية.

في ١٩٩٤، عثر فريق فرنسي من المنقبين في هذه القلعة على سوق تجارية تعود لفترة اسلامية متقدمة، تضم خمسة دكاكين ممتدة من الغرب إلى الشرق واحجامها متقاربة كما ان ابوابها متجهة باتجاه الجنوب.

* **قلعة عراد:** أكثر القلاع الأثرية في البحرين أهمية. تقع بين شبه جزيرة المحرق ومدينة المحرق وتشرف على مضيقها. جزء منها بناه العُمانيون أثناء الاحتلال العُماني حوالي العام ١٨٠٠، داخل جدران قلعة برتغالية بناها البرتغاليون على بقايا حصن بناه سكان الجزيرة حوالي العام ١٥٣٠ لحماية جزيرتهم ومياههم وسفن الصيد والتجارة.

* **المالكية:** مدينة في البحرين. فيها ضريح الامير زيد بن عسيرة العبدي الذي شهد اجتماع الهدنة

إحدى المقابر الأثرية في البحرين.

بين اهل الجزر والعلاء بن الحضرمي فاتح البحرين. مزار كبير للشيعة.

* **المحرق:** مقر الحكم بعد وفاة الشيخ سلمان بن احمد الفاتح في ١٨٢٠ حيث تولى الحكم أخوه الشيخ عبد الله بن احمد الخليفة. بذلك اصبحت مدينة المحرق مقرًا للحاكم وعاصمة للبلاد حتى آخر عهد الشيخ عيسى بن علي الخليفة. وقبل المحرق، كان مقر الحاكم في الرفاع الشرقي.

* **مدافن البحرين الأثرية (والمتحف الوطني):** تشتهر البحرين بظاهرة فريدة بين بلدان العالم ومناطقه، وهي كثرة المدافن والقبور الاثرية المنتشرة في احياء مختلفة. ويبلغ عدد تلال المدافن فيها أكثر من مئة ألف يراوح تاريخها بين ٣٠٠٠ ق.م. و ٦٢٢ م. ويعتقد بعض المنقبين بوجود مقابر من العصر البرونزي في البحرين. وتنقسم هذه المدافن إلى مدافن فردية من طابق واحد، ومدافن مزدوجة من طابقين أو غرفتين. ويستنتج من كون اتجاه جميع مداخل القبور نحو جهة الغرب وكذلك من طريقة وضع الميت داخل القبور ان سكان دلمون في العصر البرونزي كانت لهم عقيدة دينية معينة. ويستنتج أيضًا من وجود الادوات المدفونة مع الميت (القدور الفخارية والمواقد والاسلحة...) ان سكان دلمون في العصر البرونزي عرفوا فكرة الخلود وحياة الانسان الابدية بعد الموت.

من أبرز المناطق التي تشتهر بالمدافن في البحرين بلدة عالي التي يقدر عدد مدافنها ب ١٥٠ ألف مقبرة التي بنيت ما بين ٢٣٠٠-٢٠٠ ق.م. ومن أهم الحفريات في منطقة عالي حفريات الميجور بريدو الذي قام في العام ١٩٠٨ بفتح ٣٥ مقبرة. وبعد فحص الادوات (قرطان ذهبيان وتمثالان صغيران من الزجاج...) التي عثر عليها ودراستها من المتحف البريطاني تبين بأن هذه المدافن هي عبارة عن قبور فينيقية ومداخلها جميعًا تتجه نحو جهة اخرى تختلف عن تلك التي تتجه إليها مدافن العصر البرونزي.

وهناك المقابر السلوقية من عهد تايلوس، أي عندما كانت البحرين تسمّى تايلوس وهي فترة يعتبرها علماء الآثار معاصرة للفترة اليونانية (٣٠٠ ق.م.). ومن دراستها اتضح انها بنيت بطريقة تختلف عن طريقة العصر الدلموني.

أما متحف البحرين الوطني فيعتبر من أغنى المتاحف العربية بالمقتنيات الانتولوجية والأثرية؛ ومن أهمها مجموعة العظام البشرية القديمة التي تعدّ من أكبر المجموعات وأغناها وتعود إلى عصور تاريخية متعاقبة منذ الألف الثالث ق.م. وحتى العصر الاسلامي. وتأتي الاختام المستديرة، أختام حضارة البحرين القديمة (دلمون) او أختام حضارة الخليج العربي في المرتبة الاولى بين مقتنيات متحف البحرين الوطني، وتحمل نقوشًا غائرة لمشاهد كثيرة دينية واجتماعية وحيوانات وطيور ونجوم وأشجار ونبات.

وبلغ عدد ما عثر عليه من هذه الاختام حتى تشرين الثاني ١٩٩١ ما يزيد على ٦٠٠ ختم.

ومتحف البحرين الوطني افتتح في كانون الأول ١٩٨٩، وموقعه متميز بين مدينتي المنامة والمحرق، ويغطي مساحة ١٣٢ ألف م م. استقطعت من البحر. وإضافة إلى قاعاته ومطعمه، يشمل المتحف بحيرة صناعية تقع خارج مبنى المتحف تبلغ مساحتها ٢٠ ألف م م.، وهي معدة لعرض نماذج السفن التقليدية، بالاضافة إلى ساحة كبيرة تقع خارج المبنى تستخدم للعروض الحية. ومتحف البحرين الوطني هو، عمومًا، صرح ثقافي مهم ومن أبرز المعالم الحضارية في البحرين والمنطقة.

* **مدينة عيسى:** مدينة فيها وحدات سكنية شعبية حديثة في البحرين. أسسها الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة لتستوعب ٣٥ ألف نسمة (١٩٦٨).

معلم حديث في المنامة.

* **معبد بربار:** على مسافة قصيرة من قلعة البحرين. بني على ثلاث مراحل استغرقت حوالي ألف سنة. لا تزال توجد فيه بقايا مذبحين لنحر القرابين التي تقدم للآلهة وهما مبنيان من الحجارة على شكل دائري. وفوق درج منحوت، معبد علوي ينحدر حتى يصل إلى النبع المقدس الذي لا تزال المياه تملأه حتى اليوم. وقد عثر بين اطلال المعبد على أدوات نحاسية وأسلحة ومشبك ذهبي للشعر ورأس ثور من النحاس وكميات كبيرة من الفخار موجودة كلها في المتحف الوطني.

* **المنامة:** عاصمة البحرين. نحو ٢٥٠ ألف نسمة. أكثر سكانها من العرب. فيها جاليات اوروبية وهندية. مشهورة بسوقها «سوق الخليج».

زعماء ورجال دولة

* **حامد بن عيسى آل خليفة** (١٩٥٠ -): أمير بحريني، ولي عهد دولة البحرين. مؤسس جيش الدفاع فيها. تلقى تعليمه في البحرين وبريطانيا، ثم الولايات المتحدة حيث دخل الكلية الحربية في كنساس. عين رئيسًا لدائرة الدفاع في الدولة (١٩٦٨). وزير دولة لشؤون الدفاع (١٩٧١).

* **عيسى بن سلمان آل خليفة** (١٩٣٥ -): أمير دولة البحرين. ابن حاكم البحرين السابق الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة. تولى الحكم بعد وفاة والده (١٩٦١)، واصبح أميرًا في صيف ١٩٧١. في عهده، حصلت البحرين على استقلالها واشتدت فيها المطامع الايرانية، وتمّ المزيد من التقارب مع المملكة العربية السعودية (والتي ارتبطت بها بجسر بحري هو جسر الملك فهد). حضر مؤتمرات القمة العربية والتزم بمقرراتها. شجع نمو الازدهار الاقتصادي والتجاري للبحرين، فنشأت بعض الصناعات وازدهرت مدينة المنامة كنقطة هامة في المواصلات الجوية وكمركز مصرفي رئيسي في منطقة الخليج العربي. زار عددًا من البلدان العربية والأجنبية.

* **عيسى بن علي آل خليفة** (١٨٤٨-١٩٣٢): حاكم البحرين. ولد ونشأ وتوفي فيها. انتقل إلى قطر بعد مقتل ابيه، فأقام فيها إلى ان اختاره البحرينيون للحكم. في عهده، أدخلت البحرين في عداد المحميات البريطانية (١٨٩٨)، ولكن الانكليز نحّوه عن الحكم عام ١٩٢٣، وتولى ابنه حمد بن عيسى السلطة. من مآثره بناء مرفأ على ساحل المنامة ومحجر صحي.

أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة.

البرازيل

بطاقة تعريف

الاسم: من خشب يسّمى «برازيل»، كانت أشجاره تشكل غابات كثيفة في القرن السادس عشر، واستعمل سائله لصبغ الاقمشة باللون الاحمر.

الموقع: في أميركا الجنوبية، لها حدود مع كل بلدان هذه القارة باستثناء التشيلي والاكوادور والترينيتي (- توباغو): مع بوليفيا ويبلغ طول حدودها معها ٣١٢٦ كلم، والبيرو ٢٩٩٥ كلم، وكولومبيا ١٦٤٤ كلم، وغويانا ١٦٠٦ كلم ، والاوروغواي ١٠٠٣ كلم، وغويانا الفرنسية ٦٥٥ كلم، وسورينام ٥٩٣ كلم.

ويبلغ طول شاطئها ٧٣٦٧ كلم.

المساحة: ٨ ملايين و ٥١١ ألف و ٩٩٦ كلم م. أي حوالي نصف مساحة قارة أميركا الجنوبية، منها مساحة ٥٥٤٥٧ كلم م. من المياه. ويبلغ طول محيطها ٢٣٠٨٦ كلم. ومسافة ابعد نقطتين طوليًا ٤٣٩٥ كلم، وأبعد نقطتين عرضيًا ٤٣٢٠ كلم.

العاصمة: برازيليا (العاصمة الفدرالية)، وأهم المدن: ساو باولو، ريو دو جنيرو، بيلو أوريزنتي، سلفادور، ريسيفي.

اللغات: البرتغالية (رسمية). أما الربع مليون

هندي الذين لا يزالون يعيشون في البلاد، فيتكلمون أكثر من مئة لغة مختلفة تبعًا لقبائلهم.

السكان: كان عددهم ٩،٩ ملايين نسمة في العام ١٨٧٢؛ و ١٤،٣ مليونًا في العام ١٨٩٠؛ ١٧،٤ مليونًا في العام ١٩٠٠؛ و ٣٠،٦ مليونًا في العام ١٩٢٠؛ و ٤١،٢ مليونًا في ١٩٤٠؛و ٥١،٩ مليونًا في العام ١٩٥٠؛ فأصبح ٧٠،٢ مليونًا

في العام ١٩٦٠؛ و ٩٣،١ مليونًا في العام ١٩٧٠؛ و ١١٩ مليونًا في إحصاء ١٩٨٠؛ و ١٥٣،٢ مليونًا في تقديرات عام ١٩٩١؛ والتقديرات تشير إلى انهم سيبلغون حوالي ١٨٠ مليونًا في العام ٢٠٠٠.

يشكل العنصر الأبيض ٥٥،٧٪ من السكان، والخلاسي ٣٨،٦٪. وهناك عنصر أصفر (أكثريتهم الساحقة من اليابانيين الذين يبلغ تعدادهم حوالي مليون و ١٥٠ ألف نسمة)، وهناك هنود وغيرهم.

ويوجد في البرازيل حوالي ١٢ مليونًا من أصل عربي، غالبيتهم الساحقة من اللبنانيين (رئيس الوزراء اللبناني، رفيق الحريري، زار البرازيل في حزيران ١٩٩٥)، ويأتي السوريون بعدهم. والمعروف عن اللبنانيين هناك نجاحهم في مختلف المجالات وتبوؤهم المراكز والمناصب العالية سواء في الدولة أو المؤسسات الخاصة.

٩٠٪ من البرازيليين كاثوليك، و ٧،٩٪بروتستانت ٠،٣٪ يهود. والباقون من مختلف الأديان والطوائف. وفي البرازيل حوالي ٣٠٠ ألف مسلم (٦٠ مركزًا اسلاميًا، و٤٠ مسجدًا – اقيم في ساو باولو، في العام ١٩٩٣، المؤتمر السابع لمسلمي أميركا اللاتينية لوضع خطة للتربية والتعليم للتعايش مع المجتمع البرازيلي).

الولايات البرازيلية

ولايات الشمال

أمازونيا: حوالي ٣ ملايين و ٨٥٢ ألف كلم م. (٤٥،٢٥٪ من مساحة البلاد)، وحوالي ١٢ مليون نسمة. ثرواتها الطبيعية: الملح، القصدير، البوكسيت، الحديد. وتشكل ٤٪ من الناتج القومي (راجع «الامازون»، ج ٣، ص ٢١١).

آكر: ولاية منذ ١٩٦٢، مساحتها ١٥٣٦٩٧ كلم م.، حوالي نصف مليون نسمة. عاصمتها ريو برانكو التي تبعد عن العاصمة الفدرالية برازيليا ٢٢٥٠ كلم.

أمابا: ولاية منذ ١٩٩٠، ١٤٢٣٥٨ كلم م.، حوالي ٢٧٥ ألف نسمة، عاصمتها ماكابا، وتبعد عن برازيليا ١٧٨٣ كلم.

أمازوناس: ١٥٦٧٩٥٣ كلم م.، نحو ٣ ملايين نسمة، عاصمتها ماناوس التي تأسست في ١٦٦٩ على نهر ريو نغرو. تبعد عن برازيليا ١٩٢٩ كلم.

هندي أمازوني.

بـارا: ١٢٤٦٨٣٣ كلـم م.. نحـو ٦ ملايـين نسمة. عاصمتهـا بيليـم الـتي تبعـد عـن برازيليـا ١٥٨٥ كلم.

روندونيـا: ولايــة منــذ ١٩٨١. مســاحتها ٢٣٨٣٧٨ كلـم م.، نحـو ١،٥ مليـون نســمة. عاصمتهـا بورتـو فلهـو الـتي تبعـد عـن برازيليـا ١٩٠٢ كلم.

رورينا: ولاية منذ ١٩٩٠، مساحتها ٢٢٥٠١٧ كلـم م.، نحــو ١٦٠ ألــف نسـمة، عاصمتهــا بوافيستا التي تبعد عن برازيليا ٢٤٩٠ كلم.

توكنتنــس: ولايــة منـــذ ١٩٩٠، مســاحتها ٢٧٧٣٢٢ كلـم م.. نحو ١،٢ مليـون نسـمة. عاصمتها بالماس

ولايات الشمال-الشرق

مســاحتها مليــون و ٥٥٦ ألــف كلــم م. (١٨،٨٣٪ من مساحة البلاد). نحـو ٤٦ مليـون نسمة.

ألاغوياس: ٢٩١٠٦ كلـم م. ونحـو ٣ ملايـين نسمة. عاصمتها ماسيو الـتي تبعـد عـن برازيليـا ١٤٨٦ كلم.

باهيـا: ٥٦٦٩٧٨ كلـم م. ونحـو ١٣،٥ مليـون نسمة. عاصمتها سلفادور التي تبعد عن برازيليـا ١٠٦٢ كلم.

سيـارا: ١٤٥٦٩٤ كلـم م. ونحـو ٧،٢ ملايـين نسمة. عاصمتها فورتاليزا التي تبعد عـن برازيليـا ١٦٨٤ كلم.

مارنهاو: ٣٢٩٥٥٥ كلم م. ونحو ٦،٢ ملايـين نسـمة. عاصمتهـا سـاو لويـس الـتي تبعــد عــن برازيليا ١٥١٩ كلم.

باريبا: ٥٣٩٥٨ كلم م. ونحو ٤ ملايين نسـمة. عاصمتهـا جُـوُاو بيسُّـوا الـتي تبعـد عـن برازيليـا ١٧١٧ كلم.

بيرنـا مبوك: ١٠١٠٢٣ كلـم م.، ونحــو ٨،٥ ملايين نسمة. عاصمتها ريسيفي التي تبعد عـن برازيليا ١٦٥٧ كلم.

بيـاوي: ٢٥١٢٧٣ كلـم م.. نحـو ٣ ملايـين نسمة. عاصمنها تيريسينا التي تبعد عـن برازيليـا ١٣٠٩ كلم.

ريو غراندو دو نورتي: ٥٣١٦٦ كلم م.. نحـو ٢،٨ مليون نسمة. عاصمتها ناتال التي تبعد عـن برازيليا ١٧٧٥ كلم.

سيرجيبي: ٢١٨٦٢ كلم م.. نحو ١،٨٥ مليـون نسمة. عاصمتها أراكاجو كابيلاً التي تبعـد عـن برازيليا ١٢٩٣ كلم.

ولايات الجنوب-الشرق

مســاحتها الاجماليــة ٩٢٤٢٦٦ كلـــم م. (١٠،٨٥٪ مـن اجمالي مساحة البــلاد). نحـو ٦٨،٢٥ مليون نسمة.

إسبيريتو ســانتو: ٤٥٧٣٣ كلـم م.. نحـو ٣ ملايين نسمة. عاصمتها فيتوريا التي تبعد عن برازيليا ٩٤٨ كلم.

ميناس جيريس: ٥٨٦٦٢٤ كلـم م.. نحـو ١٧،٥ مليون نسمة. عاصمتها بيلو أوريزنتي التي تبعد عن برازيليا ٦١٤ كلم.

ريو دو جنيرو: ٤٣٦٥٣ كلم م.. نحو ١٥،١٥ مليون نسمة (راجع «مدن ومعالم»).

ساو بـاولو: ٢٤٨٢٥٥ كلم م.. نحـو ٣٤،٧٥ مليون نسمة (راجع «مدن ومعالم»).

ولايات الجنوب

مساحتها الاجمالية ٥٧٥٣١٦ كلـم م.. نحـو ٢٤،٦٠ مليون نسمة.

بارانا: ١٩٩٣٢٤ كلم م.. نحو ١٠،١٥ ملايين نسمة. عاصمتها قرطبة الـتي تبعـد عـن العاصمـة الفدرالية برازيليا ١٠٧٧ كلم، وعن سـاو بـاولو ٤٠٠ كلم، وعن المحيط ٧٠ كلم.

ريو غرانـدي دو سول: ٢٨٠٦٧٤ كلـم م.. نحو ١٠ ملايين نسمة. عاصمتها بورتـو أليغـري التي تبعد عن برازيليا ١٦١٤ كلم.

سانتا كاتارينا: ٩٥٣١٨ كلم م.. نحو ٥،١٠ ملايين نسمة. عاصمتها فلوريانوبوليس التي تبعد عن برازيليا ١٣١٠ كلم.

ولايات الوسط–الغرب

مساحتها الاجمالية مليون ٦٠٥ آلاف كلم م.. نحو ١١،٢٥ مليون نسمة.

المحافظة الفدرالية (DF): ٥٧٩٤ كلم م.. العاصمة الفدرالية برازيليا (راجع «مدن ومعالم»).

غواس: ٣٤٠١٦٦ كلم م.. نحو ٥،١٥ ملايين نسمة. عاصمتها غويانيا التي تبعد عن برازيليا ١٧٣ كلم. وإسم غُواس من إسم القبيلة الهندية غُوازيس التي تعني «وردة الحقول». قُسمت هذه الولاية في تشرين الأول ١٩٨٨، وأنشئت في المنطقة الشمالية منها ولاية توكنتس وعاصمتها بالماس.

ماتو غروسّو: ٩٠١٤٢٠ كلم م.. نحو ٢،٥ مليون نسمة. عاصمتها كُوّيابا التي تبعد عن برازيليا ٦٧٦ كلم.

ماتو غروسّو دو سول: ولاية أنشئت في ١٩٧٩. مساحتها ٣٥٧٤٧١ كلم. نحو مليوني نسمة. عاصمتها كامبو غراندي التي تبعد عن برازيليا ٨٧٨ كلم.

الاقتصاد: أشارت إحصاءات ١٩٩٠ إلى ان اليد العاملة البرازيلية تتكون من نحو ٦٠ مليون نسمة، ثلثاهم من الذكور والثلث إناث، ويتوزعون على القطاعات بالنسب التالية: الزراعة ٣٠٪، المناجم ٤٪، الصناعة ٢٠٪، التجارة والخدمات ٤٦٪؛ وبلغت البطالة نسبة ٥٪.

٤٠ إلى ٥٠ مليون برازيلي (من مجموع عدد السكان البالغ نحو ١٥٤ مليونًا) يعيشون في مستوى معيشي معادل للمستوى الاوروبي. في العام ١٩٨٩، كان هناك نحو ١٪ من السكان يمسكون بنسبة ١٧،٣٪ من الثروة القومية (كانت النسبة ١٣٪ في العام ١٩٨١). وهناك نحو ٥٠ مليون برازيلي من المعدمين المسحوقين، وهناك بين ٧٠٠ ألف ومليون طفل مشرّد، أكثرهم يتعاطى الدعارة. والبرازيل أكثر بلدان العالم مديونية، ويقدّر الخبراء انه يلزمها ليس أقل من ثلاثين عامًا لايفاء دينها، علمًا انها من أغنى بلاد العالم بالثروات، وانها حققت قفزات نمو اقتصادي هائل سمّيت بـ«المعجزة البرازيلية». وتواجه الحكومة مشكلة الديون الداخلية، أي للافراد والشركات. اما مشكلة الديون الخارجية فهي تشمل ديون الحكومة نفسها وديون الهيئات وحكومات الولايات بضمان الحكومة الاتحادية، وبلغت ١١٢ بليون دولار في بداية ١٩٩١، وكذلك بلغت قيمة الفوائد المستحقة الدفع حتى نهاية العام نفسه ٨،٥ بليون دولار.

تعتمد البرازيل، في نسبة كبيرة من مداخيلها، على صادراتها الزراعية، فهي أكبر دولة في العالم تصديرًا للمحاصيل الزراعية، ومن أهمها البن والسكر والصويا والكاكاو والسيسال (ليف للحبال) والتبغ والقطن والذرة. والبرازيل تنتج وحدها ٢٦٪ من الانتاج العالمي من البن. بلغ إنتاجها من البن في العام ١٩٩١ نحو ٢١،٦ مليون شوال (الشوال الواحد يساوي ٦٠ كلغ).

وفي البرازيل احتياطي كبير من المعادن، وتعتبر مناجم الامازون أكبر مناجم للحديد في العالم، كما تمّ اكتشاف ثروات معدنية اخرى كالفوسفات واليورانيوم والمانغانيز والنحاس والفحم.

وفيها النفط: قدّر احتياطه في العام ١٩٩١ بنحو ٣٨٩ مليون طن، بينما بلغ انتاجه في العام ذاته نحو ٣٢ مليون طن.

مفاعل «أنغرا ١» النووي (بقوة ٦٢٦

ميغاواط) بنته الولايات المتحدة الاميركية في العام ١٩٨٢، على بعد ١٣٠ كلم من مدينة ريو. وتقوم الخطة الموضوعة للطاقة النووية على إتمام ٦٠ مفاعلاً حتى العام ٢٠٠٠ بطاقة إجمالية تعادل ٧٥ ألف ميغاواط.

لكن جرى تعليق العمل بسبعة مفاعل منها في العام ١٩٨٤.

والبرازيل بلد سياحي، والأمازون أهم مناطقه السياحية، ومتوسط عدد السائحين السنوي في السنوات العشر الاخيرة مليون سائح.

نبذة تاريخية

قبل البرتغاليين: «نحن عشرة بحارة فينيقيين... تسعة رجال وامرأة واحدة. أتينا إلى هذه الارض وسوف نعود إلى بلادنا»، عبارة منقوشة فوق حجر أثري قديم (حجر «برايبا») في متحف مدينة ريو دو جنيرو في البرازيل. انها تظهر حقيقة تاريخية مهمة تتردّد أصداؤها بين كل علماء الآثار المختصين (مجلة «العربي»، العدد ٤١٨، ايلول ١٩٩٣، ص ٣٧).

«حوالي العام ٥٠٠٠ ق.م. أتى شعب هندي-أميركي البلاد من كولومبيا. وحوالي العام ١٠٠٠ ق.م. عُرفت زراعة المانيوك (نبات يستخرج من جذوره دقيق نشوي) في حوض الأمازون وحوض الأورينوك. وفي العام ١٤٩٣، رسم البابا ألكسندر الثالث، بورجيا، خطًا وهميًا من الشمال إلى الجنوب، منح بموجبه البرتغاليين الاراضي الواقعة امام هذا الخط، والاسبان الاراضي الواقعة خلفه. وفي ١٤٩٤، جرت معاهدة تورديسيلاس: اسبانيا تعطي البرتغال كل الاراضي الواقعة شرقي الخط الطولي ٥٠ درجة» («كيد»، ١٩٩٤، ص ٩٣٥).

«اكتشفت عالمة الآثار ماريا بلتراو مرصدًا فلكيًا في ولاية باهيا (شمال شرق البرازيل) يعود بناؤه إلى أكثر من ألفي عام حسب ما أظهرت أولى التحاليل التي أجريت عليه بواسطة الكاربون ١٤. واعلنت ماريا بلتراو، رئيسة فرع الآثار في المتحف الوطني في ريو دي جنيرو ان هذا المرصد الواقع في «السهل الكلسي الكبير» في وسط ولاية باهيا والمتميز بشكله البيضاوي المرصع بالحجارة السوداء المنحوتة كان يستخدم لممارسة الشعائر الدينية وعبادة الشمس. ويأتي اكتشاف هذا المرصد الفلكي في اعقاب سلسلة من الاكتشافات الكبيرة في مجال الآثار سجلت خلال السنوات الماضية في المنطقة. ومن بين هذه الآثار اكتشاف رسوم في الصخر تعود إلى العصور الحجرية القديمة وروزنامات قمرية وشمسية ورسوم لمذنبات. وقالت ماريا بلتراو ان اكتشاف المرصد يظهر ان

القبائل التي كانت تقطن هذه المنطقة كانت تعبد الشمس وتعلم ان شكل الارض كروي؛ وان التقنيات المستخدمة في تشغيل المرصد تدفعها إلى الاعتقاد ان شعوب عصور ما قبل التاريخ التي كانت تقطن السهل الكلسي الكبير هي اجداد قبيلة توكانوس التي تعيش حاليًا في المنطقة التي يطلق عليها اسم «رأس الكلب» والواقعة على الحدود بين البرازيل وكولومبيا» (من الانباء العلمية التي بدأت تتناقلها وسائل الاعلام في ٢٤ تموز ١٩٩٥).

العهود الاستعمارية البرتغالية: في العام ١٥٠٠، كلف آمر الاسطول البرتغالي، الضابط بيترو ألفاريس كابرال، ان يشق طريقًا إلى بلاد الهند. إلا ان عاصفة جنحت به إلى الشواطىء الاميركية، فنزل في منطقة هي اليوم من أعمال ولاية باهيا البرازيلية. فحكم المنطقة باسم مليكه البرتغالي، ورفع علم بلاده لأول مرة على ارض اميركية.

بعد ست سنوات، أعطيت البرتغال حقوق ملكية هذا الجزء من العالم الجديد بموجب معاهدة تورد سيلا بينها وبين اسبانيا. ولم تعر البرتغال، في بادىء الأمر، كبير أهمية لمستعمرتها الجديدة. ولكن، بعد نحو عقود قليلة. ومع تقدم الصناعة الاوروبية، وخاصة صناعة الاقمشة، وبعد ان اصبحت بلاد الهند عاجزة عن اشباع حاجات الاوروبيين، وبعد ان بنت إسبانيا امبراطورية واسعة لها في اميركا، عقد البرتغاليون العزم على تثبيت قواعدهم هناك، فأسسوا في العام ١٥٣٢، ساوفيسنت (ضاحية سانتوس حاليًا) التي كانت أول مركز دائم لهم.

وسارع الملك البرتغالي، جان الثاني، إلى تقسيم مستعمرته (١٥٣٣) إلى ١٢ منطقة يحكم كلاً منها ضابط برتغالي. وأهم هذه المناطق إثنتان: برنمبوك وساوفيسنت. وفي العام ١٥٤٩، ضمت هذه المناطق في منطقة إدارية واحدة، وعرفت، منذ ١٥٨٠، ازدهارًا واسعًا، وكانت صادراتها الاساسية الأخشاب والسكر. اما العاملون فيها فكانوا من البرتغاليين والهنود والعبيد السود المستقدمين من افريقيا.

في العام ١٥٨٠، سيطر ملك اسبانيا، فيليب الثاني، على العرش البرتغالي، واصبح ملك شبه الجزيرة الايبيرية بكاملها. وبقي ملوك اسبانيا يحكمون البرتغال ومستعمراتها الواسعة في افريقيا واميركا وآسيا حتى استعادة البرتغال لاستقلالها في ١٦٤٠

وطيلة هذه المدة، كانت المدن البرازيلية الواقعة على الشاطىء عرضة لهجمات القراصنة والانكليز والفرنسيين والهولنديين. وكان الهولنديون هم الذين الحقوا باسبانيا الضربة الاقسى، عندما نجحوا، بعد محاولات عدة، في السيطرة على مدينتي ريسيف و أولندا في ولاية برنمبوك (البرازيل) في ١٦٣٠. وبعد ان عادت السيادة البرتغالية على البرازيل من جديد (١٦٤٠)، استطاع الهولنديون من الاحتفاظ بممتلكاتهم هناك. إلا ان البرتغاليين تمكنوا من طردهم منها في العام ١٦٥٤.

مع حلول الربع الاخير من القرن السادس عشر، كانت البرازيل لا تزال بلادًا خالية في ما عدا بعض المراكز القائمة على الشاطىء. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر، بدأت مراكز استعمارية تنشأ في ما وراء السلسلة الجبلية التي تفصل مدن

الشاطىء عن المناطق الداخلية. في ١٦٩٠، اكتشف الذهب في منطقة ميناس جيريس، وفي ١٧٢٠، اكتشف الماس. فبدأ الغزو البشري للعمل في التنقيب عن الذهب خاصة، ثم الماس. ترك المزارعون أرضهم واصطحبوا عبيدهم للعمل في المناجم. فنشأت مدن جديدة حول المنجم بسرعة مذهلة. وكان البوليستاس (خلاسيون من سكان ساو باولو) أنشط وأمهر العاملين في هذا المجال، وقد اطلق عليهم بعد مدة أسم بنديرنتس. وقد نظم هؤلاء صفوفهم للعمل بفعالية أكثر، واستخدموا الهنود، وجابوا المناطق الشاسعة، حتى ان حدود البرازيل الحالية تدين لهم.

وخلال القرنين اللذين أعقبا عودة الاستعمار البرتغالي على البرازيل إثر تحرر البرتغال من السيطرة الاسبانية (أي منذ ١٦٤٠ عندما تربع على عرش البرتغال جان الرابع دوق براغنس، إلى اواخر الربع الاول من القرن التاسع عشر عندما استقلت البرازيل)، غرف البرتغاليون من خيرات البرازيل، وانهكوا سكانها بالضرائب الباهظة، ومنعوا كل الحريات السياسية والاقتصادية، حتى كان العام ١٧٨٨ الذي شهد أول تحرك سياسي برازيلي يطالب بالاستقلال. وكان على رأس هذا التحرك يواكيم خوسيه لا سيلفا كزافييه الملقب ب«نازع الأضراس»، والذي نفذ به حكم الاعدام في ٢١ نيسان ١٧٩٢. ولا يزال البرازيليون يضعونه في صف أبطالهم الوطنيين.

الاستقلال: في العام ١٨٠٧، وبعد اجتياح جيوش نابوليون للبرتغال، أبحر الملك جان الرابع وعائلته إلى البرازيل، وأصبحت ريو دو جنيرو العاصمة الجديدة للامبراطورية البرتغالية. وفي العام ١٨٢١ عاد الملك إلى ليشبونة وترك حكم البرازيل لإبنه بيترو. وفي ٧ أيلول ١٨٢٢، رفض بيترو العودة إلى البرتغال وأعلن البرازيل دولة مستقلة ونصب نفسه امبراطورًا عليها. لكن بعد إنقضاء تسع سنوات استقال وعاد إلى البرتغال تاركًا عرش البرازيل لإبنه دوم بيترو الثاني الذي لم يكن يتجاوز الخامسة من عمره. وفي ١٨٤١ أعلن عن بلوغ بيترو الثاني سن الرشد وتوّج ملكًا على البرازيل.

كان بيترو الثاني أكثر الحكام الذين عرفتهم أميركا اللاتينية ثقافة واستنارة. فاهتم بتثقيف الشعب وشجع الكتاب وارسل العديد من الطلاب إلى أوروبا لتحصيل علمهم العالي، واستقدم إلى البرازيل عددًا من العلماء والاساتذة، وزار الولايات المتحدة وأوروبا للتعرف على أفضل نخبة مثقفة في هذه البلدان وتشجيعها للمجيء إلى البرازيل. وإضافة إلى ذلك، اهتم بمختلف مشاريع الانماء في مختلف القطاعات الاقتصادية. وفي عهده شاركت البرازيل في حربين: واحدة أنهت حكم الدكتاتور الارجنتيني خوان مانويل دو روزاي في ١٨٥٢، والاخرى كانت حرب الحلف الثلاثي (١٨٦٥-١٨٧٠) عندما انضمت البرازيل إلى الارجنتين والاوروغواي لمحاربة الدكتاتور الباراغوياني فرنسيسكو سولانو لوبيز.

وقد عمل بيترو الثاني على إيصال سياسته المستنيرة، وبعناد، إلى آخر حدودها. وآخر مثل هذه الحدود يعني في ذلك الوقت إعتاق العبيد الذين كان يبلغ عددهم نحو ٧٠٠ ألف عبد في البرازيل. وقد أعلن قراره

هذا في ١٣ أيار ١٨٨٨. فتضافرت قوى عديدة لإسقاطه ونجحت بذلك دون إراقة دماء في ١٥ تشرين الثاني ١٨٨٩ حيث تمّ الإعلان عن إسقاط الامبراطور والامبراطورية وإقامة الجمهورية.

الجمهورية: سقوط الامبراطورية في ١٨٨٩ تأتى من عاملين أساسيين: موجات هجرة الاوروبيين إلى البرازيل وما حملوه معهم إليها من أفكار «أوروبية»، ومسألة إعتاق العبيد وما عنته هذه المسألة من ضرر بالغ على مصالح الكثيرين الذين كانوا يحتفظون بمراكز قوى فاعلة في البلاد. وهذان العاملان حملا إلى السلطة رجال سياسة متعلقين بمصالح أقاليمهم أو مقاطعاتهم. فأضعفوا سلطة المركز وحوّلوا النظام إلى جمهورية فدرالية متخذة إسم «ولايات البرازيل المتحدة». فالمقاطعات العشرون تحولت إلى ولايات (أو «دول») تتمتع بسلطات تشريعية وقضائية، وكذلك بثروات وعائدات خاصة بكل منها.

السنوات القليلة الاولى من عمر الجمهورية كانت مضطربة، والرئيسان الأولان جاءا من الجيش: المارشال ديودورو دو فونسيكا، والمارشال فلوريانو بكسيتو، والولايات الأقوى أخذت تحكم سيطرتها، شيئًا فشيئًا على السلطة المركزية والحكومة الفدرالية في عهديهما؛ من هنا تلك التسمية الشهيرة: «سياسة القهوة بالحليب» في إشارة إلى الرئيس الأول الذي جاء من ساو باولو (انتاج البن)، ثم الرئيس الثاني الذي جاء من ميناس جيري (تربية الماشية وانتاج الحليب).

مع وصول برودنت خوسيه دو مورايس باروس إلى سدّة الرئاسة في ١٨٩٤، بدأ الهدوء يسيطر، والاقتصاد البرازيلي يسير بخطى ثابتة (وإن عرف، بعد ١٩١٠، أزمات شديدة بفعل فائض الانتاج والمزاحمة الاجنبية). وفي تشرين الاول ١٩١٧، دخلت البرازيل الحرب إلى جانب الحلفاء بعد ان أغرق الالمان عدة مراكب برازيلية. وفي الازمة الاقتصادية الكبرى (١٩٢٩) كانت البرازيل بين أكثر البلدان التي طالتها نتائج هذه الازمة بفعل إنتاجها الوفير، مما سهّل المجال امام نهاية الجمهورية وقيام نظام دكتاتوري (عام ١٩٣٠) على يد حاكم ولاية ريو غراندي دوسول، جتيليو فارغاس الذي حكم مدة ١٥ سنة. وفي عهده، شاركت البرازيل بحماس في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء، وكانت الدولة الوحيدة بين دول أميركا الجنوبية التي أرسلت جيشها إلى اوروبا.

في العام ١٩٤٥، أطاح فارغاس انقلاب عسكري. ثم وضع دستور جديد موضع التنفيذ. إلا ان تأييدًا انتخابيًا عارمًا أعاد فارغاس إلى السلطة في ١٩٥٠، ولكنه لم يصمد فيها أكثر من أربعة أعوام. وتعاقب بعده عدد من السياسيين الذين عجزوا عن قيادة البلاد. وفي ١٩٦٤، جرى انقلاب عسكري سلم مقاليد الامور إلى المارشال همبرتو كاستيلو برانكو. ثم انتخب بعده، وفي ١٩٦٧، المارشال آرثر داكوستا سيلفا. ثم جاء محله (بعد مرضه)، في ١٩٦٩، الجنرال إميليو غراستازو مديتشي.

البرازيل المعاصرة

إقتصاد غير متواز: القيمة الاجمالية للانتاج الداخلي للسلع والخدمات جعلت

من البرازيل (في اواسط هذا القرن) أهم سوق في العالم الثالث بعد الهند. منذ ١٩٣٠، وخاصة عقب الحرب العالمية الثانية، عرفت البرازيل حركة تصنيعية متسارعة الوتائر أدّت إلى تحولات بنيوية عميقة فيها. فالانتاج الصناعي الذي ازداد ٨،٥٪ سنويًا من ١٩٣٩ إلى ١٩٦٤، أصبح يشكل ٣٠٪ من إجمالي الانتاج القومي.

لكن هذا النمو لم يرافقه تحسن في العائد بالنسبة إلى الشخص الواحد، ولا نمو متواز بالنسبة إلى المناطق. وهذا الامر بالذاتّ استمر مثيرًا للمخاوف، خصوصًا لجهة مفاعيله الاجتماعية-السياسية.

تغيّر جذري في الوضعية الاجتماعية-السياسية: جاء التصنيع ليغيّر في البنية الاجتماعية التي كان لها انعكاساتها أيضًا على الصعيد السياسي. في العام ١٩٣٠، كانت البنية الاجتماعية لا تزال قليلة الاختلاف عما كانت عليه قبل نحو قرن، أي عند نهاية المرحلة الاستعمارية. فاقتصاد البلاد كان لا يزال يرتكز على تصدير بعض السلع الاستوائية (البن خاصة)، وكان نحو ٨٠٪ من السكان لا يزالون يعيشون في مزارع كبيرة تحت رحمة عدد قليل من كبار اصحاب الاراضي، ونسبة قليلة من السكان في المدن يشاركون في الحياة السياسية إلى جانب اصحاب السلطة من «الأوليغارشية العقارية». أما الانتخابات العامة التي كانت تجري فلم يكن لها أية قيمة حقيقية. وحكومات الاقاليم (الولايات) كانت الناطقة باسم اصحاب المصالح من الملاّكين، واختيار رئيس الجمهورية متعلق بها.

النمو المُدُني السريع (المصحوب بنمو القطاع العام)، الذي حصل في الثلاثينات والاربعينات والخمسينات، قلب ركائز النظام السياسي التقليدي. فأوليغارشية كبار الملاّكين أخذت تواجه وعيًا متزايدًا لدى طبقات وفئات أخرى لها ايضًا مصالحها. وبدأ نزوع واضح نحو الديمقراطية التمثيلية التي استمرت تنمو خاصة منذ ١٩٤٦ وحتى الانقلاب العسكري في ١٩٦٤. فالسلطة التنفيذية، بين هذين العامين، ارتكزت على هيئة ناخبة مستقلة ومتحررة إلى حد بعيد وواعية لمصالحها. لكن الطبقة التقليدية كانت دائمة الحضور (والقوة) لعرقلتها، فكانت المظاهرات الشهيرة التي أدت إلى انتحار فارغاس (١٩٥٤)، واستقالة كوادروس (١٩٦١)، وإقالة غولار بالقوة (١٩٦٤).

هذا التغيير الجذري للمرتكزات الاجتماعية، حيث نشأت طبقة مُدُنية غير متجانسة في وجه طبقة حاكمة تقليدية، أدّى بالسياسة البرازيلية إلى حالة من عدم الاستقرار أدّى بدوره إلى الانقلاب العسكري في ١٩٦٤. ومع الحكم الجديد استمرت المعطيات العامة للمشكلة وتفاقمت عوامل الاختلال الاقتصادي.

جتيليو فارغاس: جتيليو فارغاس، الذي كان حاكم ولاية ريو غراندي دوسول في عهد رئاسة غاسبار دوترا (انتخب رئيسًا في ٢ كانون الأول ١٩٤٥، وأصبح الحزب الشيوعي في عهده رابع قوة سياسية في البلاد، لكن حكومة دوترا حلّت هذا الحزب في ١٩٤٧)، والذي سبق وكان رئيسًا لمدة ١٥ سنة (١٩٣٠-١٩٤٥)، عاد وقاد حملة انتخابية في انتخابات ١٩٥٠

رافعًا شعار المطالب العمالية، وانتخب رئيسًا من جديد.

ادعى جتيليو فارغاس انه يستوحي أفكاره وطريقة حكمه من التجربة الاشتراكية الاسكندينافية، تمامًا كما كان يقول في ولايته السابقة (في الثلاثينات) انه يستوحي تجربة موسوليني الفاشية في ايطاليا. وتبين انه لم يكن، في الحالتين، على دراية كافية بالتجربة البرازيلية وخاصة لجهة مميزاتها الاقتصادية. فبدلاً من ان يتخذ اجراءات اقتصادية ومالية ناجعة تقتضيها المعالجات الصحيحة للازمة الاقتصادية، أخذ يرفع شعارات اجتماعية تستطيب لها مشاعر العامة. أوساط المحافظين ورجال الاعمال، ومعهم بعض العسكريين المرتبطين بالحزب الديمقراطي الوطني وجدوا أنفسهم في الجهة المعارضة تدعمهم قوى خارجية، خاصة بعد ان قرر جتيليو (في ١٩٥٣) إنشاء شركة وطنية للبترول البرازيلي مهمتها إيقاف عمليات تسريب رؤوس الاموال الأجنبية. في ١٩٥٤، استلم جتيليو «مذكرة العقداء»، ففهم مغزاها، وأقدم في ٢٤ آب، وهو في قصر الرئاسة، على الانتحار باطلاق رصاصة في قلبه. لكن موته لم ينهِ نهجه السياسي الذي استمر، لفترة، معطى من المعطيات الأساسية في الحياة السياسية البرازيلية.

عصر كوبيتشيك: الطريقة التي اختارها جتيليو لإنهاء حياته شلّت حركة أخصامه وأقلقت البلاد. خصمه الأول، كارلوس لاسيردا الذي كانت الشكوك تحوم حول علاقاته وارتباطه فرّ إلى الخارج، وجماهير غاضبة هاجمت السفارة الاميركية. نائب الرئيس، كافي فيلهو، انتخب رئيسًا، فسارع إلى طمأنة الطبقات الشعبية بتعهده البقاء على نهج جتيليو، ولم يمنعه ذلك من اعطاء حقائب وزارية لبعض أخصام جتيليو فارغاس من مدنيين وعسكريين. لكن مسعاه الأساسي تركّز على التحضير لانتخابات ١٩٥٥.

في هذه الانتخابات فاز جوسيلينو كوبيتشيك، الحاكم السابق لولاية ميناس جيري. وهو طبيب من أصل تشيكي. وفوزه جاء مفاجئًا، إذ انضم جميع أخصام

منحوتة ضخمة تمثل الرئيس كوبيتشيك.

جتيليو في ائتلاف واحد ضده. وأول ما فعله كوبيتشيك انه ابعد العسكريين الذين أغضبهم هذا الفوز الذي اشتموا فيه انبعاثًا لروح جتيليو «الشعبية العمّالية». وجرت محاولة انقلاب أفشلها وزير الحربية تكسيرات لوت. وغداتها، أقسم كوبيتشيك انه «سيجعل البرازيل تتقدم خمسين عامًا إلى الامام خلال خمسة أعوام فقط». فبدأ على الفور يضع فكرة بناء العاصمة الجديدة برازيليا موضع التنفيذ حتى أنجزها في أربعة اعوام، إضافة إلى ما حققه في داخل البلاد من شبكات طرق ومشاريع إعمار.

كوادروس: انتخب جانيو كوادروس رئيسًا في تشرين الأول ١٩٦٠، واستلم مهامه في القصر الرئاسي في برازيليا في ٣١ كانون الثاني ١٩٦١. له منهجه الخاص. فهو ليس من اليمين ولا من اليسار ولا من الوسط. بدأ عمله السياسي في ساو باولو (العاصمة الاقتصادية للدولة الفدرالية)، كمستشار بلدي، ثم رئيسًا للبلدية، ثم حاكمًا لهذه الولاية المعتبرة أغنى ولايات البرازيل. عرف كيف يستهوي الناس، بمن فيهم أوساط رجال الأعمال الذين كانوا يفتشون عن وجه جديد خارج عن دائرة التقليديين. حاول ان يطبق الطرق التي انتهجها في حياته السياسية والادارية في ساو باولو، وكان أقرب إلى المحافظين منه إلى التقدميين خصوصًا في ما يتعلق بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية؛ و لم يمنعه ذلك من ان يقلّد الوزير الكوبي (آنذاك)، أرنستو تشي غيفارا، وسامًا، وان يعلن عن رغبته انتهاج سياسة «الحياد» في الحقل الدولي. تحرك الجيش، ومعه أوساط رجال الأعمال ضده. وفي ٢٥ آب ١٩٦١، استقال جانيو كوادروس، وغرقت البلاد، بعده، في أزمة سياسية.

غولار: انتهت الازمة بتسوية: الجيش معاد لانتقال الرئاسة إلى نائب الرئيس جُواو غولار بشكل آلي، وغولار هو زعيم الحزب العمالي الذي أسسه جتيليو فارغاس، وهو مثله من ولاية ريو غراندي دوسول، مرتبط بالقادة النقابيين، ويحلم باعادة نهج جتيليو وسياسته معتمدًا على الجماهير. كان في زيارة للصين الشعبية عندما قدّم جانيو كوادروس استقالته، وما اجراه من محادثات واتفاقات مع الصينيين كان ذريعة كافية للعسكريين كي يعترضوا على انتقال السلطة إليه ولو دستوريًا. ولتجنب حرب أهلية، رضي أخصامه ومؤيدوه على تعديل دستوري: يستلم غولار الرئاسة ولكن بسلطات محدودة. لكن سرعان ما تبين ان هذا النظام غير ملائم للبرازيل، فجرى، في ٦ كانون الثاني ١٩٦٣، استفتاء لاعادة النظام الرئاسي، ولاقى قبولاً لدى الاكثرية الساحقة من البرازيليين الذين أفشلوا، بهذا الاستفتاء، الخطة اليمينية التي كان يقف وراءها ويحرّكها كارلوس لاسيردا.

باستعادته لجميع سلطاته، شكل غولار حكومته التي اختار أعضاءها بنفسه. لكن الازمة الاقتصادية والمالية (تضخم متسارع) كانت بلغت درجة من الاستفحال يصعب إيجاد حلول لها في وقت قصير، إضافة إلى الفروقات المستفحلة ايضًا بين منطقتي البرازيل: منطقة الوسط والجنوب الحديثة والمصنعة، ومنطقة الشمال القابعة في التخلف والبؤس والمكتظة بالسكان، وحيث لجان وروابط للفلاحين، بزعامة المحامي فرنسيسكو جوليانو، تهدّد

بالانتقال إلى العمل المباشر. واخـذت حـوادث متفرقـة تقـع بـين الملاّكـين والفلاحـين؛ والملاّكـون أخـذوا يشـكلون ميليشـيات مسـلحة. والمشـروع الزراعـي الاصلاحـي الـذي قدّمـه الرئيـس غـولار (توزيع أراض على الفلاحـين) أثـار غضـب الملاّكين.

في ٣١ آذار ١٩٦٤، قـاد حـاكم ولاية ميناس، مالغالايس بينتو، حركـة تمـرد وعصيان ضد السلطة الفدرالية. وجـاء هـذا التمرد مؤشرًا علـى انتفاضـة جـرى تدبيرهـا منـذ وقـت طويـل بعلـم ومباركـة سـفارة الولايات المتحدة. وقد انضم إلى هذا التمرد عـدد مـن حكـام الولايـات، كمـا أدار العسكريون ظهورهم للرئيس غـولار الـذي رفض اللجـوء إلى استعمال القـوة، وفضـل التنحي وتـرك البـلاد، مـع عائلتـه، قـاصدًا الأوروغواي. وهكذا أخليـت السـاحة امـام جميـع الذيـن كـانوا يعملـون، في الخفـاء والعلن، ضد بلوغ البرازيل مرحلة ديمقراطية حقيقية.

هلع الطبقات الوسطى: باشر النظـام الجديـد حملـة قمـع لا سـابق لهـا في تـاريخ الـبرازيل. مئـات مـن المثقفـين والقـادة السياسـيين والنقـابيين اليسـاريين، او المتعاطفين ولو من بعيد مع اليسار، اعتقلـوا، أو طُردوا أو حُرموا من حقوقهم المدنية. و لم تهـدأ هـذه الحملـة إلا في أيلـول ١٩٦٤. وبعدها تخلّص الحكـم، وكـان تحـت سـلطة المارشـال كاستيلو برانكـو، مـن الرئيسـين السـابقين كوبيتشـيك وكـوادروس. وفي نيسـان ١٩٦٤، شـرّع برلمـان برازيليـا (العاصمة الاتحادية) النظام، وكان عدد كبير من أعضائه النواب قد جرت إزاحتهـم إبـان حملـة القمـع، وأكثريتهم تنتمي إلى حـزب العمـال بزعامـة غـولار، وإلى الحـزب الاجتماعي-الديمقراطي بزعامة كوبيتشـيك. وهكذا تبين ان حركة آذار-نيسـان ١٩٦٤ لم تكن مجرد انقلاب عسـكري عـادي، بـل كانت حركة سياسية واسـتراتيجية متكاملـة الإعداد والأهـداف تريـد برازيـل غـير تلـك الـتي كـانت تتطـور علـى قـاعدة ديمقراطيـة بـدأت مـع الرئيـس جتيليـو فارغـاس منـذ الثلاثينات، وخاصة منذ بعد الحـرب العالميـة الثانية.

في تشـرين الأول ١٩٦٥، حقّـق المرشحون المعارضون في عدد من الولايـات (خاصـة في ولايـة غوانابـارا وولايـة مينـاس جيريس) فوزًا ساحقًا على المرشحين الموالين لحكومة كاستيلو برانكو؛ وفي أوائل الشـهر ذاته عاد جوسيلينو كوبيتشيك إلى الـبرازيل، فوجدت المعارضة فيه الزعيم الذي تحتاجـه. لكـن سـرعان مـا اضطـر كوبيتشـيك علـى العودة إلى المنفى مختارًا هـذه المـرة الولايـات المتحدة بعد ان خضع لاستجواب قـاس مـن لجنة التحقيق العسكري. وصدر تعديل آخر للدسـتور يعطـي المارشـال برانكـو سـلطات استثنائية حتى ١٥ آذار ١٩٦٧، ويحلّ جميع الاحـزاب السياسـية. وفي أيلـول ١٩٦٧، أصبح النظـام عـاجزًا عـن تجـاهل التوتـرات المتصاعدة حتى من داخل صفوف المناصرين الذيـن أيـدّوا الانقـلاب المنـاهض لـلرئيس غولار.

جاء انتقال السلطة، في آذار ١٩٦٧، من المارشال كاسـتيلو برانكـو إلى المارشـال كوستا إي سـيلفا لـيزيد في إبـراز التوتـرات والتناقضـات القائمـة. وقـد بـذل وزيـر الخارجية الجديد، ماغـالايس بينتـو (صديـق

كوبيتشيك وأوساط رجال الاعمال القوميين)، جهدًا كبيرًا لإبعاد نفوذ الولايات المتحدة عن البلاد، هذا النفوذ الذي لم يكن ليلقى أي عثرة في طريقه إبان الحكم السابق. وجرى فتح اتصال مع زعماء المعارضة. لكن انتفاضة الطلاب (ابتداء من آذار ١٩٦٨) والتململ الشعبي (في حزيران ١٩٦٨، خاصة في ريو دو جنيرو) أعاقا هذا الاتصال. وفي ١٣ كانون الأول ١٩٦٨، أجبر العسكريون (من الخط المتصلب) الرئيس المارشال كوستا إي سيلفا على استعمال القوة ضد «مؤتمر (مجلس) برازيليا» الذي أعلن فيه نحو مئة من النواب تخليهم عن موالاتهم للحكم والتحاقهم بالمعارضة المعتدلة. فمنذ هذه اللحظة، اختار العسكريون المتصلبون التخلي عن الوجه الديمقراطي وانتهاج سياسة دكتاتورية في أجواء معارضة الكنيسة والبرلمان والجامعيين والمثقفين.

الربع الأخير من هذا القرن (حتى ١٩٩٥)

الجنرال إميليو غاراس مديتشي: في ٣١ آب ١٩٦٩، استولى مجلس عسكري على السلطة ونصّب الجنرال إميليو غاراس مديتشي (١٩٠٨-١٩٨٥) رئيسًا للبلاد، بعد ان أصدر، قبل اسبوعين، دستورًا جديدًا. فبادر الرئيس إلى حل البرلمان، وتعليق أي نشاط وحقوق سياسية لمدة عشرة أعوام إضافة إلى حملة تسريح لعدد كبير من الموظفين. وقد أدى هذا الامر إلى ان تلجأ بعض التنظيمات السرية إلى أعمال عنف. فتمّ خلال ١٩٧٠ خطف عدد من الديبلوماسيين نجح الخاطفون بإطلاق سراحهم مقابل الإفراج عن عدد من السجناء السياسيين.

الجنرال أرنستو جيزيل (مولود ١٩٠٧): انتخب رئيسًا في ١٥ آذار ١٩٧٤، ولاقت البلاد في القسم الأول من ولايته (١٩٧٤-١٩٧٥) صعوبات اقتصادية. وفي نيسان ١٩٧٧ جرى تعديل على الأجراءات الشكلية في انتخابات حكام الولايات وثلث مجلس الشيوخ. وفي ١٥ تشرين الأول ١٩٧٨ انتخب الجنرال جُواو باتيستا فيغيريدو في وجه منافسه الجنرال أويلر بنتس مونتيرو.

الجنرال جُواو باتيستا فيغيريدو (مولود ١٩١٨): في ١٥ آذار ١٩٧٩ انتخب الجنرال جُواو باتيستا فيغيريدو. وفي العام نفسه توفي المفوض فلوري («الدماغ» المدبر لكتائب الموت-تنظيم معارض). في ٢٨ آب، عفو شامل استثنى «الارهابيين»، وفشل مشروع إصلاح نظام الاحزاب. وفي تموز ١٩٨٠، زيارة البابا يوحنا بولس الثاني. في ١٩٨١، عفو عن كارلوس بريست، زعيم الحزب الشيوعي البرازيلي الذي كان يعيش في منفاه في باريس، وزيارة الرئيس فيغيريدو لفرنسا. في ٢٥ نيسان ١٩٨٤، البرلمان أعلن معارضته لانتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع العام.

تانكريدو دو ألميدا نيفيس (١٩١٠-١٩٨٥): انتخب رئيسًا في ١٥ آذار ١٩٨٥، وكان مريضًا، وما لبث أن توفي بعد نحو شهر واحد. فانتخب نائبه خوسيه سارني بأكثرية ٤٨٠ صوتًا ضد باولو سليم معلوف (مولود ١٩٣٢، من أصل لبناني) الذي نال ١٨٠ صوتًا.

خوسيه سارني (مولود ١٩٣١): في ١٠ أيار ١٩٨٥، جرى تعديل (كان يرفض في السابق) يجعل الانتخابات الرئاسية بالاقتراع العام، وأعطي ٢٠ مليون أمّي حق الاقتراع. في ١١ تموز، رُفع الحظر عن عشرة أحزاب من بينها الحزب الشيوعي (وكان منقسمًا إلى حزبين شيوعيين). في ١٤-١٨ تشرين الأول، زيارة الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران للبرازيل. في ١٥ تشرين الثاني، أول انتخابات بلدية منذ ٢١ سنة: حزب الحركة الديمقراطية البرازيلية يفوز ب ١٧ عاصمة من عواصم الولايات البرازيلية من مجموع ٢٣ عاصمة، ولكنه يفشل في ساو باولو (حيث ينتخب الرئيس السابق كوادروس) وفي ريو (حيث ينتخب روبيرتو ساتورنينو براغا من الحزب الديمقراطي العمالي).

في ٢٨ شباط ١٩٨٦، وُضعت خطة للنهوض الاقتصادي (خطة كروزادو-١-): تجميد الأسعار والأجور والتعرفات لمدة ستة أشهر، واعتماد نقد جديد: كروزادو واحد أصبح يساوي ألف كروزيرو. وفي ١٥ تشرين الثاني، جرت انتخابات جديدة أسفرت عن فوز حزب الحركة الديمقراطية البرازيلية، وانتخبت لمقعد نيابي أول امرأة سوداء هي بنيديتا دا سيلفا. وفي ٢١ تشرين الثاني، وضعت الخطة الاقتصادية الثانية كروزادو-٢- التي اعتمدت رفعًا للتعرفات العامة على الهاتف والكهرباء والكحول والسيارات والمحروقات.

في ١٩٨٧ (أيار)، أعلن الرئيس جعل ولايته خمس سنوات بدلاً من ست، وفشل خطة كروزادو، واعتماد خطة كروزادو الجديدة التي جمدّت الاسعار والاجور لمدة ٩٠ يومًا، واضطرابات في ريو (٣٠ حزيران).

في ٢٢ آذار ١٩٨٨، اقترعت الجمعية التأسيسية لصالح احتفاظ الرئيس بكامل السلطات، والتمديد مدة عامين للرئيس سارني. وفي ٢ أيلول، وضع دستور جديد: اعتبار الاضراب حقًا من حقوق المواطنين، واعتبار التعذيب والعنصرية والارهاب وتجارة المخدرات جرائم غير قابلة للتقادم؛ وفي تشرين الأول، جعل حق الاقتراع ابتداءً من عمر ١٦ سنة.

فرناندو كولور دو ميللو: انتخب رئيسًا في ١٥ آذار ١٩٩٠، وقبل نحو شهر كان قد تمّ تدشين قاعدة فضائية في ألكنتارا بلغت كلفتها ١١٥ مليون دولار. في ١٦ آذار: خطة كولور التقشفية لمدة ١٨ شهرًا، من مفاعيلها هبوط بورصة ساو باولو بنسبة ٦٠٪، وريو ٥٠٪. وفي ١٧ آذار اعادة فتح أوبرا ماناوس (التي كانت مقفلة منذ ١٩٠٧) بعد أعمال ترميم استمرت عامين ونصف عام. في ١٩ آذار، جعل الوحدة النقدية كروزيرو بدل كروزادو. في ٩ أيار، تسريح ٢٢٪ من الموظفين الذين يعدّون مليونا و ٦٠٠ ألف موظف، وتخصيص (جعله قطاعًا خاصًا) المؤسسات والشركات العامة «غير الاستراتيجية». وفي ٣٠ تشرين الأول و ٢٥ تشرين الثاني، انتخابات فدرالية.

في ٤ شباط ١٩٩١، خطة كولور الثانية: تجميد الاسعار والاجور. وفي ١٤ آذار، بعد اضطرابات إجتماعية في ولاية ريو وبعد فشل الخطتين اللتين وضعهما، الرئيس فرناندو كولور دي ميللو يعرض «المشروع الكبير لاعادة البناء الوطني»، لكن المحكمة

الفدرالية في ساو باولو تصدر حكمًا باعتبار تجميد الودائع البرازيلية عملاً غير قانوني. وبعدها، تسري أنباء عن فساد في دوائر السلطة تطال المحيطين بالرئيس من أقربائه، خاصة زوجته وصهره. في ١٢-٢٢ تشرين الأول، البابا في زيارة للبرازيل.

بدأت سنة ١٩٩٢ بسلسلة من استقالات الوزراء. وفي ٣٠ آذار، قدمت الحكومة استقالتها الجماعية، وخلفتها حكومة من أشخاص «لا شك بأخلاقهم». اتهام الرئيس وبعض أفراد حاشيته باختلاس اموال، ومظاهرات في المدن الكبرى تطالب باستقالته، والبرلمان يُعلم الرئيس بأن عليه تقديم دفاعه قبل ١٥ ايلول. وفي ٢٩ ايلول، الجمعية العمومية (البرلمان) تقيل الرئيس فرناندو كولور دو ميللو بأغلبية ٤٤١ صوتًا ضد ٤٨ صوتًا؛ وفي ٢ تشرين الأول، يخلفه نائبه إيتامار فرنكو لاكمال الولاية الدستورية. وفي ٣٠ كانون الأول، مجلس الشيوخ يدين كولور بالفساد ويصدر حكمًا بتعليق حقوقه السياسية لمدة ثمانية أعوام.

إيتامار فرنكو (مولود ١٩٣١): في ٢١ نيسان ١٩٩٣، استفتاء حول نظام الحكم: جمهوري أو ملكي؛ وجاءت النتيجة: ٦٨٪ للجمهوري (٥٧٪ رئاسي و ٢٥٪ برلماني)، و١٢٪ ملكي.

في غضون هذا الاستفتاء، تساءل كثيرون عن مغزى استثناء خيار نظام الدكتاتورية (العسكرية) من الخيارات التي أتيحت امام البرازيليين الذين خابت آمالهم بسبب فشل السياسيين في التصدي للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية (ازدياد الجرائم والمذابح في المناطق وفي المدن، خاصة مدن الصفيح)، إضافة إلى ظهور مؤشرات عن تململ في صفوف الجيش نتيجة الضغط على الموازنة العسكرية والسخط من الوضع المهين الذي وصلت إليه الرازيل، فجعل منها الدولة الأكثر تأخرًا في أميركا الجنوبية. وبالمقارنة مع هذا كله، يتذكر البرازيليون انه في السنوات التي امضاها العسكريون في الحكم شهدت البرازيل «معجزتها الاقتصادية» عندما كانت نسبة النمو الاقتصادي ثاني أعلى نسبة في العالم بعد كوريا الجنوبية، كما شهدت البرازيل في ظلهم قمعًا محدودًا جدًا بالمقارنة مع القمع العسكري الذي كان سائدًا في بقية دول أميركا اللاتينية. وازدادت النقمة الشعبية (اواسط ١٩٩٣) عندما تمّ الكشف عن ان الاموال المخصصة لمساعدة منطقة «نورديستي» الشمالية الشرقية من البلاد التي تعرضت لحالة جفاف، استخدمت في معظمها في حفر آبار في الاراضي الخاصة برجال الكونغرس (البرلمان).

واعترافًا منه بخطورة الوضع، اجتمع الرئيس إيتامار فرنكو (في اوائل حزيران ١٩٩٣) إلى قائد الجيش البرازيلي وإلى ثلاثة وزراء عسكريين لكي يستمع إلى شكاويهم بعدما امتدحهم علنا على «سلوكهم النموذجي في هذه اللحظة العصيبة من تاريخ البلاد التي تتسم بوجود صعوبات بالغة».

في ٤ ايلول ١٩٩٣، قتل ٢١ شخصًا في حي فقير في ريو دو جنيرو. وجاء الحادث في إطار سلسلة من عمليات القتل الجماعي التي تصاعدت في السنة الاخيرة. ففي تشرين الأول ١٩٩٢، دهمت الشرطة سجنا في ساو باولو لإخماد أعمال شغب وانتهت العملية بقتل ١١١ سجينًا. وفي

تموز ١٩٩٣، هاجمت الشرطة العسكرية اطفالاً يعيشون في الشوارع وهم نائمون وسط ريو دو جنيرو وقتلت ثمانية منهم. إضافة إلى أعمال شغب وقتل فردي وجماعي في المناطق الداخلية النائية (خاصة في الأمازون) أكثر ضحاياها من الهنود.

وبعد يومين من حادث ٤ ايلول ١٩٩٣، بدأ الكونغرس البرازيلي مناقشة ادخال تعديلات مهمة على الدستور الذي لم يمض على تبني البرازيل له خمس سنوات بعدما بات يعتبر مصدرًا لأخطر المشاكل.

في اوائل نيسان ١٩٩٤، أضرب رجال الشرطة العسكرية، لأكثر من خمسين يومًا، احتجاجًا على محاولات الحدّ من صلاحياتهم في قمع أعمال الشغب بعد ان تعرضوا لكثير من الانتقادات والتهم حول تعسفهم في استعمال صلاحياتهم. وفي اواسط أيار، أمر الرئيس الجيش بالتدخل للسيطرة على مراكز الشرطة.

فرناندو هنريك كاردوزو (مولود ١٩٣١): في ٣ تشرين الأول ١٩٩٤، كان على ٩٥ مليون برازيلي انتخاب رئيس جديد للدولة واعضاء البرلمان (الكونغرس) وحكام للولايات من بين نحو ١١ ألفا و ٩٦٤ مرشحًا. وجرت الانتخابات وتواجه فيها، من جهة، فرناندو هنريك كاردوزو، وزير الاقتصاد سابقا وواضع الخطة الاقتصادية المسماة خطة ريل (Real) التي لاقت صدّى إيجابيًا من البرازيليين، ومرشح الحكومة والائتلاف المكوّن من الحزب الاجتماعي الديمقراطي البرازيلي وحزب الجبهة الليبرالية والحزب العمالي البرازيلي، وكل هذا الائتلاف عرف باسم وسط اليمين. ومن الجهة الثانية، لويس إيناسيو لولا دا سيلفا، مرشح تحالف اليسار المكوّن من حزب العمال والحزب الاشتراكي البرازيلي وبعض التنظيمات الصغيرة المعتبرة من اليسار المتطرف؛ والذي سبق له ان فشل في الانتخابات السابقة (١٩٨٩)، والذي قام قبل أشهر قليلة من الانتخابات الحالية (١٩٩٤) بزيارة الولايات المتحدة حيث استقبلته الاوساط السياسية والمصرفية بحفاوة لاعتقادها بأنه الرئيس المقبل للبرازيل.

فاز كاردوزو في الدورة الاولى ونال ضعف عدد الاصوات التي نالها منافسه دا سيلفا. وكاردوزو أحد أشهر المثقفين في أميركا اللاتينية، وهو عالم اجتماعي معروف في الاوساط العلمية العالمية وناشط في سبيل مشروع إصلاحي مندرج تحت عنوان «الاجتماعية الديمقراطية».

فور انتخابه، ومن ثم استلامه لمهامه في أول كانون الثاني ١٩٩٥، طرح السؤال التالي: هل ينجح كاردوزو في تجنيب البرازيل الانفجار الاجتماعي؟ عندما نزل النقد البرازيلي الجديد «ريل» (وهو نفسه اسم خطة كاردوزو الاقتصادية) في أول تموز ١٩٩٤، بدا للبرازيليين انه يحمل معه الكثير من الحلول التي كانت مستعصية. فمنذ هذا التاريخ استمر الارتفاع الشهري للاسعار يتأرجح حول نسبة ٢٪، في حين انه كان بين ٣٨ و ٥٠٪ خلال الاشهر الستة الاولى من ١٩٩٤.

الأحزاب

بعد فترة غنية بتعدد الاحزاب عرفتها البرازيل بين ١٩٤٥ و ١٩٦٥، جاء الائتلاف الذي حمل العسكريين إلى السلطة ليفرض الثنائية الحزبية التي عكست الميول

المحافظة والدكتاتورية لانقلاب نيسان ١٩٦٤: فمن جهة، كان هناك التحالف الوطني التجديدي (أرينا) الذي قام بدور الداعم الأساسي للنظام العسكري، ومن جهة أخرى الحركة الديمقراطية البرازيلية التي مثلت المعارضة المقبولة من النظام.

استمرت هذه الثنائية مدة ١٤ عامًا. خلالها، كانت «أرينا»، ذات الميول الدكتاتورية، تحقق انتصارات انتخابية في المناطق الريفية، خاصة الشمالية، في حين كانت الحركة الديمقراطية البرازيلية تحقق انتصاراتها في المناطق المصنعة وفي المدن.

في ١٩٧٩، عادت التعددية الحزبية من جديد. «أرينا» (أي التحالف الوطني التجديدي) اصبحت تحمل إسم «الحزب الديقراطي الاجتماعي»، والحركة الديمقراطية البرازيلية اصبحت «حزب الحركة الديمقراطية البرازيلية». وجاءت الانتخابات العامة في ١٩٨٢ لتكشف عن هزيمة ساحقة للحزب الديمقراطي الاجتماعي، وعن فوز حزب الحركة الديمقراطية البرازيلية. ونتائج هذه الانتخابات سجّلت عودة الديمقراطية إلى البلاد. ومذّاك، استمرت الحركة في تصاعدها حتى تسنّى لها إخراج العسكريين من السلطة وإجراء انتخابات الجمعية التأسيسية، في ١٩٨٦، التي حصلت على أكثرية مقاعدها.

ففتحت الأبواب أمام جميع الأحزاب، بما فيها الحزب الشيوعي (سرّي منذ ١٩٢٢، باستثناء فترة ١٩٤٥-١٩٤٧).

والحزب المنتصر، «حزب الحركة الديمقراطية البرازيلية»، عاش مشكلة كانت في أساس تعثره في ما بعد، بل في أساس (كما يعتقد البعض) مفاسد السياسيين التي اعادت كثيرين من البرازيليين للترحّم على أيام السلطة العسكرية، وهي انه لم يكن حزبًا متجانسًا في تركيبة أعضائه. ففي انتخابات ١٩٨٦ التي فاز فيها بنسبة ٥٣٪ من مقاعد مجلس النواب، كان هناك ٢٥٪ من أعضائه ذوي اتجاه يساري، و ٢٠٪ من اليمين، و ٥٥٪ من الوسط.

ورغم ان الدستور الصادر في ١٩٨٨ اعتبر دستورًا حديثًا وليبراليًا ومتضمنًا لانجازات مهمة على صعيد الحقوق الاجتماعية وصعيد الحريات السياسية، إلا ان استفحال الأزمة الاقتصادية أضرّ كثيرًا وحال دون إقامة حالة سياسية طبيعية في البلاد.

هذا الوضع بالذات كان في اساس تطور ونمو «حزب العمال» الذي نشأ في ١٩٨٢ على أيدي أعضاء من طبقات عمالية وليس من أوساط برلمانية أو نخبوية. وأفكاره كانت مزيجًا من المفاهيم الاشتراكية والديمقراطية والتروتسكية، الملّونة، جميعها، بصبغة الاشتراكية الكاثوليكية والحاملة لقدر من العداء للاتحاد السوفياتي، والآخذة، في الوقت نفسه، بقدر من البراغماتية النقابية.

مؤسس حزب العمال الرئيسي هو لويس إيناسيو دا سيلفا المعروف ب«لولا»، الذي تمكن من ان ينتخب نائبًا فدراليًا في انتخابات ١٩٨٦ التأسيسية بنيله أكبر عدد من الأصوات بين جميع المرشحين. وبعد ثلاثة أعوام، حقق «لولا» كسبًا انتخابيًا كبيرًا (رغم فشله) في الانتخابات الرئاسية التي سجّلت خطوة كبرى على صعيد المسار الديمقراطي كما على صعيد المشاركة

الشعبية (٨٢ مليون مقترع)، فنال في الدورة الثانية ٣١ مليون صوت مقابل ٣٥ مليونا نالها مرشح اليمين فرناندو كولور دو ميللو.
أدّى إنشاء عدد كبير من الاحزاب، بدءًا من ١٩٨٥، إلى تجزىء برلماني: ٥ أحزاب كانت ممثلة في برلمان ١٩٨٢، ١٢ حزبًا في برلمان ١٩٨٦، و١٨ حزبًا في برلمان ١٩٩٠. وفي هذه السنة (١٩٩٠)، ٤٠ حزبًا تقاسمت الحياة السياسية البرازيلية. من هنا، صعوبة التحالفات، خاصة في الدورات الثانية من عمليات الاقتراع، والصعوبات التي يواجهها رئيس الجمهورية للحصول على الأغلبية البرلمانية.

العلاقات مع الارجنتين

عدة عوامل، على رأسها هزيمة الارجنتين في حرب المالوين (جزر فوكلاند) ١٩٨٢، وانتهاء الحرب الباردة، وتشكيل «المنطقة الاميركية الشمالية للتبادل الحر (نافتا)» من الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، ساهمت جميعها في إحداث تغيير عميق في تحالفات وأوضاع أميركا اللاتينية. فالعداء القديم المستحكم بين البرازيل والارجنتين آخذ بالتحول إلى تحالف إقتصادي (معاهدة مركوسور ١٩٩١).

العلاقات بين البرازيل والارجنتين كانت صعبة دائمًا. فالنزاعات الحدودية بينهما استمرت قائمة طيلة القرن التاسع عشر، إضافة إلى تنازعهما حول النفوذ على الاوروغواي والباراغواي. وهذا ما يفسّر تلك النزعة التقليدية العسكرية المعروفة لدى قسم من سكان (معروفون باسم «غوشو») منطقة ريو غراندي دو سول الواقعة في أقصى جنوب البرازيل والمعروفة بكثرة العسكريين الأفراد والضباط وكبار الضباط الذين أعطتهم للجيش البرازيلي.

وكثيرًا ما دخلت البرازيل والارجنتين في مزاحمة تصنيعية ولاستجلاب رؤوس الاموال الخارجية. اعتبرت الارجنتين نفسها، لمدة طويلة، زعيمة «طبيعية» لأميركا الجنوبية نتيجة تكوين شعبها «الاوروبي»، وغناها النسبي، وعلاقاتها المميزة مع بريطانيا. لكن، في حين كانت البرازيل تتقرب من الولايات المتحدة وتعرف نموًا كبيرًا، استمرت الارجنتين على تحالفها مع انكلترا واوروبا الغربية، وذلك حتى بدأت مؤشرات هبوطها تنجلي لها يومًا بعد يوم.

توترت علاقات البلدين (البرازيل والارجنتين)، بشكل خاص، في اواخر ستينات هذا القرن، ووصلت إلى نقطة حرجة بين حكومتيهما العسكريتين في السنوات الاولى من عقد السبعينات بسبب المشروع البرازيلي الآيل إلى بناء سدّ إيتابو على نهر بارانا عند حدود البرازيل والباراغواي وعلى بعد بعض الكيلومترات من الحدود الارجنتينية. وقد أثار هذا المشروع الهلع في الارجنتين كونها استشعرت فيه انبعاثًا جديدًا لمشروع جيوسياسي برازيلي قديم يطمح إلى فصل الارجنتين عن الباراغواي وبوليفيا. وقد تزامنت هذه المخاوف مع ما بدأ يتسرّب من الولايات المتحدة الاميركية عن اعتمادها مفاهيم جيوسياسية تعطي البرازيل الأهمية الأولى في السيطرة الاقليمية.

في الثمانينات، خفّ التوتر بين البلدين. ووقع اتفاق ثلاثي في ١٩٧٩

لوضع حدّ للنزاع حول إيتابو، وفتحت الارجنتين حدودها امام المنتجات البرازيلية.
في مدة خمسين سنة، انقلب ميزان القوى الاقتصادي، بين البلدين، رأسًا على عقب: في الثلاثينات، كانت الارجنتين اكثر تطورًا بكثير من البرازيل؛ في الخمسينات، أصبحا متعادلين تقريبًا؛ في الثمانينات، اصبح ميزان القوى بينهما واحد إلى اربعة لصالح البرازيل. وقد وقّع البلدان عددًا من البروتوكولات التجارية المتبادلة، في حين ان بعض التعديلات طرأت على اهتماماتهما الجيوسياسية. فبدأت الارجنتين تلتفت ناحية الجنوب (باتاغونيا) وناحية الاشراف على جزر جنوب الاطلسي. اما البرازيل فأخذت تركز انتباهها على حدودها الأمازونية بعد ان ارتاحت لوضع الحدود الجنوبية، كما اخذت تحاول وضع نفسها على مسافة من نفوذ الولايات المتحدة ملتفتة إلى تنويع تحالفاتها في افريقيا والشرق الاوسط، مع استمرار عسكرييها الاهتمام بمنطقة جنوب الأطلسي، إذ لا تزال البحرية البرازيلية تتابع أبحاثها هناك بهدف بناء غواصة نووية، علمًا ان البرازيل مستمرة في طلبها قطعة من قارة أنتاركتيكا .

شارع في برازيليا.

مدن ومعالم

* **أوليندا:** مدينة برازيلية في شمال شرق البلاد مجاورة لمدينة ريسيفي عاصمة ولاية بيرنامبوك. نحو ٣٥٠ ألف نسمة. أسسها مستوطنون وتعتبرها منظمة الأونسكو من معالم التراث الانساني.
نحو ١٢٪ من سكانها يعيشون في ٤٧ مدينة صفيح في فقر مدقع ويتنازعون القمامات «يأكلون منها غذاء فاسدًا وبقايا العمليات الجراحية» (من دراسات حول الاوضاع الاجتماعية في البرازيل وضعت في السنتين الأخيرتين ١٩٩٤ و ١٩٩٥).

* **بيلو أوريزنتي Belo Horizonte**: (يعني إسم المدينة «الافق الجميل»)، هي عاصمة ولاية ميناس جيريس. تأسست في ١٨٩٧، وواضع تصميمها ومنفذها المهندس الفرنسي بيار لانفان الذي وضع تصاميم مدينة واشنطن. تقع وسط المنطقة البرازيلية الاغنى في الثروات المنجمية، وتعد نحو مليوني نسمة. في المنطقة المجاورة لها، بعض المدن البرازيلية التي تعود إلى العصر الاسعماري، منها مدينة أورو بريتو، وكونغوهاس وماريانا التي لا تزال تحتفظ بمعالم أثرية قيّمة.

* **بيليم Belem**: عاصمة ولاية بارا، تقع تمامًا جنوب الخط الاستوائي عند مدخل حوض الأمازون. تعد نحو ١،٢٥ مليون نسمة، وهي اكبر مرفأ في منطقة الأمازون.

* **برازيليا Brasilia**: العاصمة الاتحادية منذ ١٩٦٠. تعد نحو مليوني نسمة. راودت فكرة بنائها المسؤولين منذ مطلع القرن، و لم يتخذ القرار النهائي بشأنها إلا في العام ١٩٥٥. وضع تصميمها لوتشيو كوستا، ونفّذها المهندس المعماري الشهير أوسكار نيماير.

في ٢١ نيسان ١٩٦٠، دشّن رئيس الجمهورية ج. كوبيتشيك، باحتفال كبير، العاصمة الفدرالية الجديدة «برازيليا». قبل هذا التاريخ بأربعة أعوام، كانت الاراضي، التي اصبحت تحتضن برازيليا، جرداء قاحلة إلا من شجيرات وأكواخ للرعاة.

منذ فجر الاستقلال (١٨٢٢) وفكرة نقل العاصمة إلى المناطق الداخلية تراود أذهان حكام البرازيل وزعمائها. ذلك ان الساحل اسنفرد بالمدن وبكل نشاط اقتصادي في العهود الاستعمارية. واستمر الوضع على حاله (نشاط ساحلي) طيلة القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين، واستمرت المناطق الداخلية، حيث منابع الانهار البرازيلية الثلاثة الاساسية (الأمازون، ساو فرنسيسكو وبارانا) جامدة إلى حدّ انها شبه فارغة، حتى كان العام ١٩٥٦ حيث اتخذ المسؤولون قرار انجاز عاصمة جديدة في هذه المنطقة الداخلية بمدة أربعة أعوام.

أختير مكان العاصمة الجديدة: هضبة قائمة بين أربعة مجاري مائية متقاربة جرى حصرها لتصب في منخفض واحد حيث بني سدّ حوّل المنخفض إلى بحيرة تحيط المدينة من جهات ثلاث وتساهم في ترطيب مناخها الجاف خاصة بين شهري أيار وأيلول.

المواد الأولية اللازمة لبناء المدينة نقلت، في مرحلة أولى، بالطائرة، ثم جرى شق أوتوسترادات تربط مكان المدينة بالساحل، في مرحلة ثانية، ثم شبكة طرقات تربط العاصمة الفدرالية (برازيليا) بمختلف ارجاء البلاد في مرحلة ثالثة.

* **ريسيفي Recife**: كانت تدعى سابقًا بيرنامبوك. وهي عاصمة ولاية بيرنامبوك. تعد نحو مليوني نسمة. فيها مرفأ وكانت العاصمة التجارية للمنطقة (الشمال-الشرق)، لكنها أخذت في المدة الأخيرة تتحول إلى مدينة صناعية. سيطر عليها الهولنديون في القرن السابع عشر، ولا تزال تحتفظ بطابع هولندي في الكثير من مبانيها وشوارعها.

* **ريو دو جنيرو Rio de Janeiro**: مدينة ومرفأ في البرازيل على الأطلسي. تعد نحو ٧ ملايين نسمة (مع ضواحيها نحو ١٢ مليونًا). سكانها يدعون «كوريوكاس». كان تعدادهم في العام ١٧١٠ نحو ١٢ ألفًا؛ وفي ١٨٠٨ نحو ٥١ ألفًا؛ وفي ١٩٠٠ نحو ٧٠٠ ألف؛ وفي ١٩٣٩ نحو مليون و ٩٠٠ ألف.

أسسها البرتغاليون في العام ١٥٥٥. وكان المستكشف البرتغالي أندره غونسالف قد دخلها في اليوم الأول من سنة ١٥٠٢، ولذلك أطلق عليها إسم «ريو دو جنيرو»، أي «نهر كانون الثاني»

مدينة صفيح في ريو دو جنيرو.

أولاد الشوارع في ريو دو جنيرو: بؤس يتراكم عند زوايا البنايات الفخمة.

معتقدًا ان خليج غوانابارا التي تقع عليه المدينة هو مصب نهر. وجاء اكتشاف مناجم الذهب في منطقة ميناس جيريس ليكون في اساس التوسع السريع للمدينة. في ١٧٦٣، نقلت الحكومة مقرها من باهيا إلى ريو دو جنيرو التي استمرت عاصمة الدولة حتى ١٩٦٠. مركز كبير للاعمال والثقافة والسياحة (أشهر معالمها السياحية «جبل كريستو» - جبل المسيح - حيث من قمته تبدو المدينة بأكملها؛ وتبلغ السياحة ذروتها في شهر شباط). شهيرة بكرنفالها الذي يعد من أشهر المهرجانات السنوية في العالم..فيها أحد اكبر المرافىء في العالم. ثمة وجه آخر لريو دو جنيرو حاليًا (ولأكثر مدن البرازيل وإن كان ذلك بدرجة أقل): إنها من أكثر مدن العالم عنفًا وانعدامًا للأمان؛ ففيها مناطق وأحياء (مدن الصفيح) لا يجروء أحد من خارجها ان يلج إليها، مثل «مناطق» أو أحياء «المورو» التي يسكنها المعدمون وغالبيتهم من السود، وتعرف بأنها مقر زعماء التهريب التابعين لمنظمة «كوماندو فرميلو» (منظمة الحمر). ومن أكثر الجرائم التي تعاني منها ريو دو جنيرو، وانتشرت على نطاق واسع في السنوات الأخيرة، خطف الاطفال وقتلهم. في العام ١٩٩٠ على سبيل المثال: قتل ٤٠٠ طفل في الشهر (في نيويورك ١٦٠، في لندن ١٥)، و ١٠ آلاف قتيل (بسلاح

ناري أو اداة حادة) في الباصات، أي بمعدل ٢٧ قتيلاً يوميًا. هذا في ريو دو جنيرو وحدها، وفي العام ١٩٩٠ فقط.

* **سانتوس Santos**: مدينة وأهم مرفأ في ولاية ساو باولو. سكة حديد واوتوستراد يربطانها بمدينة ساو باولو. وحده مرفأ سانتوس يؤمن نقل نحو نصف ما تستورده البرازيل، وجزء كبير من صادراتها.

* **ساو باولو Sao Paulo**: من أهم مدن البرازيل وولاياتها. تعد المدينة نحو ١١،٥ مليون نسمة (ومع ضواحيها نحو ١٦،٥ مليونًا)، وتزداد سكانيًا بنحو ٦٠٠ ألف قادم جديد إليها سنويًا. إحدى أهم المدن الصناعية في العالم، خاصة في منطقة كوباتاو المعروفة بارتفاع نسبة التلوث فيها. وهي وحدها تؤمن نسبة نحو ٦٠٪ من الناتج القومي البرازيلي. يطلق على سكانها إسم «باوليستاس»، وقد قدموا إليها من مختلف أرجاء العالم، ويتكونون بصورة خاصة من البرتغاليين والايطاليين والاسبان واللبنانيين واليابانيين. فيها أكبر مركز للبحث النووي في أميركا الجنوبية.

ساو باولو ثالث أهم مدينة صناعية وتجارية في العالم بعد سان فرنسيسكو وطوكيو. ومع ذلك، فالفقر (ومشكلاته الاجتماعية) سيد الموقف فيها إذ تنتشر في أحيائها وضواحيها مدن الصفيح.

شمال شرقي البرازيل: اولاد يلعبون بالعظام (بعدسة سيبستيان سلفادو - «النهار»، الملحق ٩٥/٨/٢٦، ص ١٦).

* **سلفادور Salvador**: عاصمة ولاية باهيا. نحو ٢،٥ مليون نسمة. مركز استخراج النفط ومعالجة الكاكاو والقطن والتبغ.

كان اسمها باهيا، وكانت طيلة العصر الاستعماري العاصمة الاولى في البلاد. فيها كان يتم إنزال العبيد المستقدمين من افريقيا، فأغلبية سكانها من أصل افريقي.

تمّ بناؤها في الاساس على مستويين من الارض: المدينة المنخفضة على الشاطىء حيث الميناء ومنشآته والمركز التجاري، والمدينة العالية التي لم يكن يتم الوصول إليها إلا عبر أدراج أو بواسطة المصاعد، وحيث مكاتب الإدارات والأحياء السكنية. وسلفادور مركز ثقافي ناشط وشهيرة بفنادقها وعماراتها.

* **ماناوس Manaus**: عاصمة ولاية أمازوناس. نحو ١،٢٥ مليون نسمة. بحكم موقعها تعتبر باب حوض الأمازون ومنها تعبر البضائع باتجاه مدينة بيليم. تاسست ماناوس في ١٦٦٩ على نهر ريو نيغرو. ازدهرت في ١٨٩٠-١٩٢٠ (شجر الهفيا) تمّ تدشين دار الاوبرا فيها في ١٨٩٦. تراجعت حتى ١٩٦٧ عندما تحولت إلى منطقة حرة، واصبحت مركزًا لمعالجة النفط الخام البرازيلي والفنزويلي

زعماء ورجال دولة

* **برانكو، همبرتو كاستيلو Branco, H.C.**: راجع النبذة التاريخية.

* **بريزولا، ليونيل Brizola, L.**: سياسي برازيلي. حاكم ولاية ريو غراندي (١٩٥٨-١٩٦٢). كان في اساس الاصلاح الزراعي الذي بدأ تنفيذه ١٩٦٠، وعمل على تأميم شركتين أميركيتين فاعتبره الرئيس الاميركي جون كنيدي عدوًّا للولايات المتحدة. نائب عن ولاية ريو دو جنيرو بأكثرية ساحقة (١٩٦٢)، وكان قبل سنة قد عارض بقوة المجلس العسكري الذي عمل على منع غُواو غولار من تولية الرئاسة بعد استقالة الرئيس جانينو كوادروس. وبعد سقوط غُواو غولار (١٩٦٤)، وجهت اتهامات سياسية كثيرة إلى ليونيل بريزولا الذي حكم عليه بالسجن فترات بلغ مجموعها ٤٠٠ سنة. لجأ إلى الأوروغواي، ثم طرد منها (١٩٧٧) فالتجأ إلى الولايات المتحدة، ثم إلى أوروبا، حيث نشط في إعادة تأسيس حزب العمال البرازيلي. عرف عنه انه رجل الاممية الاشتراكية في البرازيل والعامل على جمع كل المعارضة الديمقراطية حوله. اشترك في مؤتمر الاممية الذي عقد في ليشبونة (تشرين الأول ١٩٧٨) تحت شعار «الديمقراطية في أميركا اللاتينية وفي شبه جزيرة إيبيريا».

* **جيزيل، أرنستو Giesel, E.**: راجع النبذة التاريخية.

* **سارني، خوسيه Sarney, Jose**: راجع النبذة التاريخية.

* **سيلفا، آرثر داكوستا Silva, A.D.**: راجع النبذة التاريخية.

* **سيلفا، لويس إيناسيو دا Silva, L.I.D.**: راجع الاحزاب.

* **غولار، جُواو Goulart, J.** (١٩١٨-١٩٧٦): رئيس البرازيل في ١٩٦١-١٩٦٤. وزير للعمل، ثم نائب للرئيسين كوبيتشيك وكوادروس قبل ان يخلفهما. عُرف بميوله اليسارية. عارضه الجيش الذي دعم رئيس الوزراء ليضعف من نفوذ الرئيس إلى ان جاء استفتاء ١٩٦٣ العام ليؤكد على سلطاته الرئاسية. في السنة الأخيرة من ولايته واجه انتقادات من اليمين واليسار، وعارضه الكونغرس. وكان التضخم عاملاً أساسيًا وراء انقلاب العسكريين عليه، فأطاحه في العام ١٩٦٤ (راجع ايضًا النبذة التاريخية).

* **فارغاس، غيتيلو Fargas, G.** (١٨٨٣-١٩٥٤): سياسي ورجل دولة ورئيس البرازيل الذي هيمن على الحياة السياسية البرازيلية لمدة نحو ربع قرن.
بدأ فارغاس حياته السياسية حاكمًا لولاية ريو حيث أظهر حيوية ونشاطًا جعلاه يستقطب شعبية واسعة. في فترات رئاسته الاولى ١٩٣٠-١٩٤٥، طبّق فارغاس مفهومه الخاص للفاشية، «الدولة الجديدة»، فكان أقرب إلى سالازار منه إلى موسوليني. قدّم نظامه الحديدي بعض الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، ولكن معارضة أساليبه القمعية تعاظمت في نهاية الحرب العالمية الثانية، فأجبر على الاستقالة، إلا انه استمر في الحياة السياسية وانتخبته عدة ولايات ليكون مندوبًا عنها في الكونغرس، واختار ان يمثل ولاية ريو في مجلس الشيوخ (١٩٤٥). عاد إلى سدة الرئاسة (١٩٥١-١٩٥٤)، ولم يصب هذه المرة النجاح الذي كان قد حققه في السابق لزيادة الفساد والفضائح. عزا انصاره فشله إلى معارضة القوى التقليدية والمحافظة له وتخوفها من قوة العمال الصاعدة في المدن (راجع أيضًا النبذة التاريخية).

* **فرنكو، إيتامار Franco, I.**: راجع النبذة التاريخية.

* **فيغيريدو، جُواو باتيستا Figueiredo, J.**: راجع النبذة التاريخية.

* **فيلهو، كافي Filho, C.**: راجع النبذة التاريخية.

* **كاردوزو، فرناندو هنريك Cardoso, F.H.**: راجع النبذة التاريخية.

* **كارلوس، بريستيس لويز Carlos, P.L.** (١٨٩٧-): أمين عام الحزب الشيوعي البرازيلي منذ ١٩٤٥. ولد في ريو دو جنيرو. قاد، بين ١٩٢٤ و ١٩٢٦، «المسيرة الكبرى» وقطع خلالها ثلاثين ألف كلم عبر الاراضي البرازيلية بهدف تحريض الشعب على الثورة بعد فشل انتفاضة ١٩٢٤. بعد محاولة ثورية أخرى قام بها في ١٩٣٥، اعتقلته السلطات البرازيلية، فأمضى تسعة أعوام في السجن. في ١٩٧١، حكم عليه بالنفي، فذهب إلى الاتحاد السوفياتي حيث مكث ثمانية اعوام. وفي ١٩٧٩، شمله قرار العفو الذي أصدره الرئيس فيغيريدو في إطار سياسة الانفتاح الجديدة. فعاد (من باريس) إلى بلاده انما بصفة مواطن، إذ ظل الحزب الشيوعي محظورًا في البرازيل. وهذا الحزب الذي تأسس في ١٩٢٢ لم يحظ أساسًا بالشرعية إلا خلال فترة زمنية قصيرة (١٩٤٥-١٩٤٧). بعد عودته إلى البرازيل، دخل كارلوس، وهو معروف بولائه للاتحاد السوفياتي، في صراع مع الجناح الليبرالي داخل الحزب الشيوعي. واتهم هذا الجناح «بالتخاذل والسلبية والتبعية» كونه دعا إلى مهادنة الحكم الجديد في البرازيل. وقد ردّ قادة هذا الجناح على اتهاماته

محذرين من خطر الوقوع في الخطأ الذي كان الحزب قد ارتكبه في ١٩٦٤ بتبنيه المواقف الجذرية التي لم تؤدّ إلا إلى التسريع في قيام الدكتاتورية العسكرية (راجع ايضًا النبذة التاريخية، والاحزاب).

* **كاسترو، خوسيه دو Castro, J.D.** (١٩٠٨-١٩٧٣): مفكر سياسي ودبلوماسي برازيلي وأحد أبرز المناضلين ضد المجاعة في العالم. ولد في ريسيفي، عاصمة ولاية برنامابوك البرازيلية حيث يتفشى الجوع بأبشع اشكاله. درس الطب والفلسفة واصبح مديرًا لمعهد التغذية التابع لجامعة البرازيل من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٥، وفي الوقت نفسه نائب مدير كلية الفلسفة في ريسيفي. شغل بعد ذلك، على التوالي، منصب استاذ علم الأنتروبولوجيا والجغرافيا البشرية في جامعة البرازيل، فمدير الادارة التقنية القومية للغذاء من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٤، فرئيس اللجنة القومية للرفاهية الاجتماعية من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦، فرئيس منظمة التغذية والزراعة (فاو)، فرئيس اللجنة الحكومية للقضاء على الجوع (١٩٦٠)، فرئيس اللجنة الدولية الاوروبية في جنيف، وأخيرًا سفير البرازيل لدى الامم المتحدة، ورئيس البعثة البرازيلية لمؤتمر نزع السلاح في جنيف (١٩٥٤-١٩٦٢).
عندما اطاح انقلاب عسكري حكومة غولار، تعرّض كاسترو للمضايقات والاضطهاد، فجرّد (في ١٩٦٤) من حقوقه المدنية والسياسية، فلجأ إلى باريس حيث شغل (في ١٩٦٨) منصب استاذ اجنبي مشارك في جامعة باريس. وإلى جانب ذلك ظل، حتى وفاته، يشغل منصب رئيس الرابطة العالمية لمكافحة الجوع و«المركز الدولي للتنمية».
أبرز كتبه: «جغرافية الجوع».

* **كامارا، دون هلدر Camara, D.H.** (١٩٠٨-): اسقف برازيلي لقّب ب«الاسقف الأحمر»، لتعاطفه مع الطبقات الشعبية وتصديه للمحافظين والرأسماليين في بلاده. رئيس اساقفة أوليندا وريسيفي حتى نيسان ١٩٨٥، تاريخ إحالته على التقاعد بسبب تقدمه في السن. قام بدور مهم داخل «المؤتمر القومي لأساقفة البرازيل»، متزعمًا الجناح الأكثر جرأة في الدفاع عن حقوق الانسان والعدالة الاجتماعية (الاصلاحات الاقتصادية الريفية على وجه الخصوص)، وندّد بالقمع، منذ انقلاب ١٩٦٤. تعرّض لمضايقات واعتداءات: في تشرين الاول ١٩٦٨، هوجمت داره في ريسيفي بالرشاشات؛ وفي العام التالي اغتيل مساعده الكاهن هنريك بيريرا نيتو في «ظروف غامضة». دافع ايضًا عن قضايا شعوب العالم الثالث.
من كتاباته التي علّق بها على رفع الرئيس الاميركي، جيمي كارتر، شعار حقوق الانسان: «قبل ان تتنطح الولايات المتحدة للدفاع عن حقوق الانسان، فلتبادر إلى التخلي عن نظريتها في الامن القومي التي تقضي بقمع شعوب اميركا اللاتينية وباجبارها على الرزوح تحت نير الانظمة الدكتاتورية كيما تنعم الولايات المتحدة بأمنها». مثل هذه الدعوات والكتابات والمواقف كانت كثيرة حدًا في اميركا اللاتينية؛ لكنها خفت إلى حدّ كبير بدءًا من الثمانينات، وحتى اليوم، نتيجة لوضع ديمقراطي، نسبةً إلى العقود السابقة، وبدعم اميركي، عرفته أميركا الجنوبية.

* **كوادروس، جاليو Quadros, J.**: راجع النبذة التاريخية.

* **كوبيتشيك، جوسيلينو دو أولفيرا Kubitschek, J.D.** (١٩٠٢-١٩٧٦): سياسي ورجل دولة ورئيس برازيلي. ولد في ميناس جيريس من عائلة فقيرة، واستطاع إكمال دراسته في الطب والتخصص في فرنسا في حقل الجراحة. بعد عودته إلى البرازيل، انتخب نائبًا عن منطقته

(١٩٣٤-١٩٣٧)، ورئيس بلدية بيلو أوريزنتي. شارك (في ١٩٤٥) في إنشاء حزب جديد هو الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وانتخب من جديد نائبًا. وانتخب (في ١٩٥٠) عضوًا في مجلس الشيوخ. عندما توفي فارغاس (في ١٩٥٤)، ترشح كوبيتشيك لرئاسة الجمهورية، فانتخب رئيسًا في تشرين الاول ١٩٥٥. انتهت ولايته الرئاسية في ١٩٦١، فأيد وصول نائب الرئيس غولار إلى رئاسة الجمهورية، واستمر هو في المعترك السياسي، وانتخب عضوًا في مجلس الشيوخ عن ولاية غوياس.

انتقد حركة ٨ حزيران ١٩٦٤ الانقلابية التي حرمته من حقوقه السياسية لمدة عشر سنوات، فسافر إلى الولايات المتحدة. وعاد سنة ١٩٦٩ ليدير أحد البنوك الخاصة.

أطلق خلال توليه رئاسة الجمهورية برنامجًا عمرانيًا وتصنيعيًا ضخمًا، وبنى العاصمة الجديدة برازيليا. لكن ذلك أدى إلى تضخم مالي متزايد وإلى تضاعف غلاء المعيشة. توفي في حادث سيارة بين ريو دو جنيرو وساو باولو في ٢٢ آب ١٩٧٦ (راجع ايضًا النبذة التاريخية).

*** لاسيردا، كارلوس Lacerd, C.** (١٩١٤-١٩٧٧): أحد أهم الشخصيات السياسية البرازيلية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. صحافي، أسس في ١٩٤٩ صحيفة يومية سمّاها «تريبينادا أمبرنسا» استعملها منبرًا للهجوم على خصومه السياسيين وخصوصًا الرئيس فارغاس. كان حاكمًا على ولاية غوانابارا، وكان يلقّب ب«قابر الرؤساء». نشط منذ صباه في صفوف الحزب الشيوعي البرازيلي، وكان متحمسًا جدًا إلى حد انه كان يقرأ في الساحات العامة منشورات حزبية. لكنه تحوّل في ما بعد إلى سياسي معاد للشيوعية.

بعد ان دفع الرئيس البرازيلي فارغاس إلى الانتحار، والرئيس جانيو كوادروس إلى الاستقالة، وبعد ان تآمر ضد كوبيتشيك، ودبّر عزل جُواو غولار، حاول كارلوس لاسيردا وضع حد نهائي للنظام العسكري، لكنه لم يوفق في ذلك، وكانت النتيجة ان حرم من حقوقه السياسية (١٩٦٨). وكانت آخر محاولاته التي لقيت الفشل ايضًا في العام ١٩٧٥، إذ راح يكتب تعليقات حول الثورة البرتغالية مقارنًا بجرأة بين الوضع الذي كان سائدًا في البرتغال قبل الثورة، والوضع الذي يسود في البرازيل، مقدمًا نفسه كرجل ديمقراطي، مراهنًا في الوقت نفسه على الخط المتشدّد في الجيش. وفي ١٩٧٠، وبعد ان تلقى لاسيردا لطمة من الجنرالات انفسهم، تصالح مع خصومه السابقين، كوبيتشيك وغولار، من اجل اعادة الديمقراطية إلى البلاد.

*** مديتشي، إميليو غراستازو Medici, E.G.:** راجع النبذة التاريخية.

*** ميللو، فرناندو كولور دو Mello, F.C. De:** راجع النبذة التاريخية.

*** نيفيس، تنكريدو Neves, T.** (١٩١٠-١٩٨٥): رجل دولة برازيلي. معه عاد الحكم المدني إلى البرازيل بعد ٢١ عامًا من الحكم العسكري؛ غير انه لم يتسلّم السلطة، إذ أدخل المستشفى عشية أدائه القسم الدستوري وتوفي بعد احتضار دام أسابيع.

ولد تنكريدو نيفيس في مدينة ساو جُواو ديل راي. حاز على شهادة دكتوراه في الحقوق، واستهل نشاطه السياسي في ١٩٣٣ كمستشار بلدي في مسقط رأسه. ابتعد عن السياسة إبان تجربة «الدولة الجديدة» التي خاضها الرئيس غيتوليو فارغاس والتي استمرت من ١٩٣٧ إلى ١٩٤٥.

مع انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وعودة فارغاس عن نهجه الفاشي واعتناقه الديمقراطية،

عاد نيفيس إلى الحياة السياسية وانتسب إلى الحزب الاجتماعي الديمقراطي الذي أسّسه رئيس البلاد (فارغاس). انتخب في ١٩٤٧ نائبًا في الجمعية التأسيسية عن ولاية ميناس جيريس، وأعيد انتخابه في ١٩٥١. وفي ١٩٥٣، اصبح وزيرًا للعدل. وإبان الضغط العسكري على فارغاس (١٩٥٤)، وقف إلى جانب الرئيس فارغاس وأمضى معه الساعات الأخيرة التي سبقت انتحاره. وفي عهد الرئيس كوبيتشيك، لم يضطلع نيفيس إلا بمسؤوليات ثانوية نسبيًا: مدير في مصرف البرازيل، ثم أمين عام للمالية في ولاية ميناس جيريس. وفي ١٩٦١، رئيس حكومة لمدة عشرة أشهر في عهد جُواو غولار الذي اطاحه انقلاب عسكري (١٩٦٤). رفض التعاون مع النظام العسكري الجديد؛ وانتخب بعد ذلك نائبًا عن الحركة الديمقراطية البرازيلية، وهو الحزب المعارض الوحيد الذي سمح العسكريون بنشاطه، ومكث بعيدًا عن الاضواء لغاية ١٩٧٨ حيث راح يبرز من جديد على الساحة السياسية. وفي ١٩٨٢، اصبح حاكمًا على ولاية ميناس جيريس وفرض نفسه كزعيم للتيار المعتدل داخل حزبه الذي غدا يعرف باسم «حزب الحركة الديمقراطية البرازيلية». في آب ١٩٨٤، رشح نفسه للانتخابات الرئاسية. وفي مطلع ١٩٨٥، انتخب اول رئيس مدني بعد ٢١ عامًا من حكم العسكريين. وعشية تسلمه زمام منصبه في ١٤ آذار ١٩٨٥، أدخل إلى المستشفى حيث أجريت له عملية جراحية طارئة، اعقبتها ست عمليات أخرى، ولكن دون جدوى. فقد توفي في ٢١ نيسان ١٩٨٥ وخلفه نائبه خوسيه سارني. لقّب تنكريدو نيفيس، الذي عرف باعداله وواقعيته، ب«رجل الاخلاص» إذ أخلص لجميع الزعماء والمسؤولين الذين تعاون معهم.

بـربـادوس

(راجع «الانتيل، جزر»، ج ٣، ص ٢٥٧)

نبذة عامة

الموقع: من أصغر جزر البحر الكاريبي، تقع على مسافة ٢٠٠ كلم إلى الشرق من جزر الانتيل الصغرى. كانت بربادوس تسمّى سابقا «جزر لوسايس».

المساحة: ٤٣٠ كلم م..

العاصمة: بريدجتاون (نحو ٨ آلاف نسمة، مع الضواحي نحو ٩٣ ألف نسمة)؛ وهناك بلدات أخرى أهمها: هوليتاون، سبيغتاون، وواستنز.

اللغة: الانكليزية (رسمية).

الاديان: الأنغليكانية (٧٠٪ من السكان)، الكاثوليك (٤٪)، الميثوديون (٩٪)، وهناك أديان أخرى إحيائية.

السكان: يبلغ عددهم نحو ٢٧٥ ألف نسمة، ٨٠٪ منهم من السود، و١٦٪ من الخلاسيين، و ٤٪ من البيض. ويتوقع ان يصل عدد السكان إلى نحو ٣١٠ آلاف نسمة في العام ٢٠٠٠. سكن بربادوس مستوطنون بريطانيون في القرن السابع عشر، ومزارعون استقدموا عبيدًا أفارقة لزراعة قصب السكر. وبربادوس كانت المستعمرة الاوروبية الأولى التي ألغت العبودية (منذ اوائل القرن التاسع عشر).

نظام الحكم: يشبه النظام البريطاني (وبربادوس عضو في الكومنولث البريطاني): الدستور المعمول به صادر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٦: مجلس الشيوخ مكون من ٢١ عضوًا معينا، والجمعية العامة

(البرلمان) من ٢٧ عضوًا منتخبًا لمدة خمسة أعوام. رئيس الدولة البريطانية إليزابث الثانية؛ والحاكم العام دام نيتا بارو الذي عيّن منذ ٦ حزيران ١٩٩٠ (قبله كان السير ويليام دوغلاس الذي عيّن في ايلول ١٩٧٦)؛ رئيس الوزراء في ٢ أيلول ١٩٧٦ جون مايكل أدامز (١٩٣١-١٩٨٥)؛ وبعده، في ٣ تشرين الثاني ١٩٨٥، برنارد سان جون (مولود ١٩٣١)؛ وبعده، في ٢٨ أيار ١٩٨٦، إيرول بارو (مولود ١٩٢٠) الذي توفي في ١٩٨٧؛ وبعده، في أول حزيران ١٩٨٧، إرسكين ستنديغورد.

وفي بربادوس حزبان رئيسيان: حزب العمال الذي تأسس في ١٩٣٨، وهو أقدم الاحزاب الموجودة، وقد سيطر على الحياة السياسية منذ الخمسينات حتى ١٩٦١، ثم عاد إلى الحكم في ١٩٧٦، وهو يرعى نظام الاقتصاد الحر ويحافظ على العلاقات الخارجية الطيبة مع الولايات المتحدة والسوق الاوروبية المشتركة. والحزب الثاني، حزب العمل الديمقراطي الذي تأسس في ١٩٥٥ نتيجة انشقاق في حزب العمال؛ وصل إلى الحكم في ١٩٦١، وخسر في انتخابات ١٩٧٦.. وفي انتخابات ٢٢ كانون الثاني ١٩٩١، نال حزب العمل الديمقراطي (بزعامة إرسكين ستنديغورد) ١٨ مقعدًا, ونال حزب العمال (بزعامة هنري فورد) ١٠ مقاعد.

الاقتصاد: يشكل السكر مصدرًا إقتصاديًا رئيسيًا لبربادوس (٧٦٪ من الاراضي الزراعية تزرع بالقصب السكر)، وتؤمن السياحة مدخولاً كبيرًا للبلاد (نحو ٤٠٠ ألف سائح في العام ١٩٩١) ويعتبر صيد الاسماك في بربادوس أحد مصادر الدخل الوطني (٦٢ ألف طن في العام ١٩٩١).

يبلغ متوسط الدخل الفردي السنوي نحو ٦٤٧٠ دولارًا. وتتوزع اليد العاملة على: الزراعة (١٣٪)، الصناعة (١٥٪)، التجارة والخدمات (٧١٪)، المناجم (١٪)، وتبلغ نسبة البطالة نحو ١٩٪.

نبذة تاريخية: وقعت بربادوس تحت الاحتلال البريطاني في ١٦٣٩، ثم اصبحت مستعمرة تابعة للتاج البريطاني في ١٨٨٥. وفي ١٩٣٩، حدثت أزمة اقتصادية في الجزيرة بسبب التقلبات في اسعار السكر، فقامت مظاهرات في العاصمة بريدجتاون. ونتيجة لهذه الاضطرابات ولغيرها في جزر الهند الغربية المستعمرة استبدلت الحكومة البريطانية وضع الجزيرة من مستعمرة إلى جزيرة تابعة للانتداب البريطاني. وفي ١٩٦١، حصلت بربادوس على الحكم الذاتي الداخلي. ولعبت بربادوس دورًا رئيسيًا في اتحاد دول الهند الغربية الذي لم يدم طويلاً، وكان السير غرانتلي آدامز، رئيس وزراء هذا الاتحاد من بربادوس. وبنتيجة انهيار الاتحاد وعدم قيام اتحاد كاريبي شرقي، منحت بربادوس استقلالها في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٦ ضمن إطار الكومنولث. ثم جرت انتخابات مجلس العموم؛ ففاز حزب العمل الديمقراطي (راجع نظام الحكم)..

البرتـغـال

بطاقة تعريف

الموقع: في اوروبا (غـرب شبه جزيـرة إيبيريـا)، تحدها اسبانيا شمالاً وشرقًا، والأطلسي غربًا.

المساحة: ٩٢٠٧٢ كلم م.، منها ٨٨٩٤٤ كلم م. للبرتغـال القاريـة نفسـها، والمســاحة الباقيـة موزعـة على الاقـاليم التابعـة لهـا: جـزر مـــادير (٧٩٤ كلم م.)، وآزور (٢٢٤٧كلم م.). أبعد نقطتين طوليًـا في البرتغـال القاريـة ٥٦١ كـلـم، وعرضيًا ٢١٨ كلم. طول شاطئها ٨٣٢ كلم.

العاصمـة: ليشـبونه. وأهـم المـدن: أوبورتـو، أمادورا، كوامبرا.

اللغة: البرتغالية (رسمية)، والفرنسـية (تعليمهـا لم يعد إجباريًا في المدارس) والانكليزية. ولا يـزال

هناك نحو ٢٠٪ من البرتغاليين لا يحسنون القراءة والكتابة، وهذا وضع يكاد يكون شاذًا واستثنائيًا في اوروبا.

الأديان: الأكثرية الساحقة كاثوليك. وهناك نحو ٧٠٠ ألف يهودي.

السكان: كان عددهم ٤،٢ مليون نسمة (في العام ١٨٦٤)، و ٥،٤ مليون نسمة (في ١٩٠٠)، و٦ ملايين (في ١٩٤٠)، و٧،٧ مليون (في ١٩٥٠)، و ٩،١ مليون (في ١٩٦٠)، واصبح ١٠،٥ مليون (في ١٩٩٠)، ومن المتوقع ان يصبح عددهم ١١ مليونًا في العام ٢٠٠٠.

نظام الحكم: دستور ٢١ شباط ١٩٧٦ (اقترع عليه في ٢ نيسان ١٩٧٦، وجرت تعديلات عليه في ٢٤ أيلول ١٩٨٢ وفي ٢٤ أيار ١٩٨٩) ينص على ان البرتغال جمهورية ديمقراطية، وعلى بناء مجتمع اشتراكي. الدستور الجديد صادر في ٨ آب ١٩٨٩ وهو المعمول به حاليًا، وقد أجرى تعديلاً على الدستور الأول خاصة لجهة إلغائه عبارة «بناء مجتمع اشتراكي». رئيس الجمهورية ينتخب لمدة خمسة أعوام بالاقتراع العام. الجمعية التشريعية (البرلمان) من ٢٣٠ عضوًا منتخبًا لمدة أربعة أعوام بالاقتراع العام.

أحزاب وانتخابات: الحزب الاشتراكي الديمقراطي، أسّس في ٦ أيار ١٩٧٤، رئيسه أنيبال كافاكو سيلفا (نحو ١٣٠ ألف عضو)؛ حزب الوسط الديمقراطي الاشتراكي، أسّس في ١٩٧٤، رئيسه مانويل مونتيرو (نحو ١٠٠ ألف عضو)؛ الحزب الشعبي الملكي، أسّس في ١٩٧٤، رئيسه غونسالو ريبيرو تيليس؛ الحركة الديمقراطية، أسّست في ١٩٦٩، رئيسها خوسيه مانويل تانغارينا؛ الحزب الشيوعي البرتغالي، أسّس في ١٩٢١، وشُرع في ١٩٧٤، سكرتيره العام كارلوس كارفالاس (نحو ٢٠٠ ألف عضو باحصاء ١٩٨٨، أي قبل سنتين من انهيار الاتحاد السوفياتي)؛ الحزب الاشتراكي، أسّس في ١٩٧٣، أمينه العام أنطونيو غويتريس (نحو ١٠٠ ألف عضو)؛ الاتحاد الديمقراطي الشعبي، أسّس في ١٩٧٤، رئيسه ماريو تومي؛ حزب التجديد الديمقراطي، أسّس في ٢٤ شباط ١٩٨٥ على يد الجنرال إيانيس، رئيسه هرمينيو ماتينو (نحو ٨ آلاف عضو، وحلّ نفسه في تشرين الاول ١٩٩١)؛ حركة «أوس فردس» (الخضر) تعمل للبيئة، أسّست في ١٩٨١ ورئيستها ماريا سانتوس.

في انتخابات الجمعية التأسيسية، في نيسان ١٩٧٥، نال اليمين ٩٨ مقعدًا واليسار ١٥٢. في الانتخابات التشريعية، في كانون الاول ١٩٧٦، حصل اليمين على مئة مقعد ومقعدين، واليسار على ١٤٨. في انتخابات كانون الاول ١٩٧٩، ١٢٨ لليمين و ١٢٢ لليسار. وفي انتخابات تشرين الاول ١٩٨٠، ١٣٤ لليمين و ١١٦ لليسار. وفي انتخابات ٢٥ نيسان ١٩٨٣، ١٠٥ لليمين و ١٤٥ لليسار. وفي انتخابات ٦ تشرين الاول ١٩٨٥، ١١٠ لليمين و ١٤٠ لليسار. وفي انتخابات ١٩ تموز ١٩٨٧، ١٤٥ مقعدًا للحزب الاشتراكي الديمقراطي، و ٦٠ مقعدًا للحزب الاشتراكي، و ٣١ مقعدًا للائتلاف بين الحزب الشيوعي والخضر (البيئة) والمنشقين عن الحركة الديمقراطية البرتغالية، و ١٢ مقعدًا للحزب الشيوعي، و٦ مقاعد لحزب التجديد الديمقراطي، و٤ مقاعد للوسط الديمقراطي. وفي انتخابات ٦ تشرين الأول ١٩٩١، ١٣٥ مقعدًا للحزب الاشتراكي الديمقراطي، و ٧٢ مقعدًا للحزب الاشتراكي، و ١٧ مقعدًا للائتلاف الذي قاده الحزب الشيوعي، و٥ مقاعد للوسط

الديمقراطي، ومقعد واحد لحزب التضامن الوطني.
في الانتخابات الاوروبية (المجموعة الاوروبية) التي جرت في البرتغال في ١٨ حزيران ١٩٨٩، نال الحزب الاشتراكي الديمقراطي ٣٣،٢٥٪ من الاصوات، والوسط الديمقراطي ١٤،٢٥٪، والاتحاد الديمقراطي الشعبي ١٤٪، والباقون ١٠٪.

الاقتصاد: ظلت البرتغال، في عهدي سالازار وكايتانو، دولة زراعية أساسًا، تعتمد على تصدير الاقمشة ومنتجات الاخشاب والنبيذ وزيت الزيتون؛ وكانت الصناعة ضعيفة وبين أيدي أقلية مالية. وكانت الازمات الاقتصادية الحادة تحل في السابق بواسطة تشجيع اليد العاملة البرتغالية العاطلة عن العمل للهجرة إلى بلدان اوروبا الغربية، واجبار المستعمرات البرتغالية على بيع منتوجاتها للبرتغال بأقل من الاسعار العالمية. ومما زاد في الازمة الاقتصادية استقلال المستعمرات البرتغالية (وقف تزويد البرتغال بالمواد الخام وعودة نحو ٨٠٠ ألف مستوطن أبيض). وبعد انقلاب ١٩٧٤، أممت الحكومة الاشتراكية ٦٠٪ من وسائل الانتاج، وبدأت العمل ببرنامج الاصلاح الزراعي الذي لاقى معارضة شديدة. في العام ١٩٧٦-١٩٧٧، تحسنت شروط الاتفاقية التجارية بين البرتغال والسوق الاوروبية المشتركة (كانت قد أبرمت في ١٩٧٢)، فمنحت البرتغال قروضًا دولية، خاصة من الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولي.

آخر الاحصاءات (١٩٩٣) دلت ان ١٩٪ من اليد العاملة تعمل في الزراعة، و ٣٥٪ في الصناعة، و١٪ في المناجم و٤٧٪ في التجارة والخدمات؛ وان نسبة البطالة تبلغ ٥،٧٪.
الاراضي المزروعة ٥٨٥ ألف هكتار ألغابات ٣ ملايين و٦٤١ ألف هكتار. بلغ الانتاج في ١٩٩١: البطاطا ٩٩٩ ألف طن، الذرة ٦٤٣ ألف طن، القمح ٢٦٨ ألف طن، الارز ١٥٣ ألف طن، النبيذ ٨٤٥ ألف طن، زيت الزيتون ٣٠ ألف طن، السمك نحو ٣٤٠ ألف طن.
أهم مناجم البرتغال: أحجار الكلس، الغرانيت، المرمر، النحاس، اليورانيوم، الحديد، الذهب والقصدير. وأهم المصنوعات: المواد الغذائية، والتبغ، والأقمشة والألبسة والأخشاب والورق، والمواد الكيميائية، والأدوات الصناعية غير الكهربائية، والأدوات الكهربائية.
السياحة قطاع مهم: نحو ٢٠ مليون سائح في السنة. وفي البرتغال آثار رومانية شهيرة.
البرتغال سابع بلد في العالم في انتاج النبيذ، والسابع عشر في انتاج النحاس.
وفي آخر تطور في السياسة الاقتصادية في البرتغال إعلان وزارة الخزانة البرتغالية (اواخر ١٩٩٣) رغبتها في رفع نسبة الاستثمارات من الخارج إلى حدود ٣٠٪. وهذا ما أخذ يجذب المستثمرين الاجانب نحو البرتغال بسبب الارتفاع الذي طرأ على عائدات سندات الحكومة البرتغالية واجواء قيام هذه الحكومة .بمزيد من تحرير السوق البرتغالية (راجع« مناقشة: البرتغال ودول المجموعة الاوروبية»).

أقاليم تابعة

جزر ماديرا: تقع في الاطلسي. اكتشفها البرتغاليون في بداية القرن الخامس عشر. تقع على مسافة ٩٧٨ كلم من ليشبونة. تتمتع بحكم مستقل في الشؤون الداخلية (شبه استقلال). مساحتها ٨١٧ كلم م. تتكون من سبع جزر، منها جزيرة ماديرا ٧٤٠ كلم م.، وبورتو سانتو ٤٢ كلم م. ويسكنها نحو ٤ آلاف نسمة، وجزر صغيرة أخرى ٣٣ كلم م.. عدد سكان جزر ماديرا نحو ٣٠٠ ألف نسمة، جميعهم من

أصل برتغالي، ويدينون بالكاثوليكية. مدنها: فونشال، نحو ٤٥ ألف نسمة؛ ماشيكو، نحو ١١ ألف نسمة. ثرواتها: الذرة، قصب السكر، فاكهة إستوائية، موز، بطاطا، نبيذ، أغنام، أسماك. وفي جزر ماديرا ٣٠ مصنعًا صغيرًا للتطريز يعمل فيها ١٥٠٠ شخص؛ وهناك نحو ٣٠ ألف شخص يعملون في المنازل. السياحة: -متوسط عدد السائحين السنوي نحو ٤٠٠ ألف سائح، منهم نحو ٧٧ ألف بريطاني، و٦٠ ألف ألماني.

آسور: في الاطلسي، على بعد ١٢٠٠ كلم من ليشبونة، و ٣٤٠١ كلم من نيويورك. اكتشفها البرتغاليون بين ١٤٣١ و ١٤٦٤. تتمتع بحكم مستقل في الشؤون الداخلية (شبه استقلال منذ ٢٥ تموز ١٩٨٠) تتكون من تسع جزر (وعدد من الجزر الصغيرة): جزيرة ساو ميغيل (سان ميشال)، مساحتها ٧٥٠ كلم م.؛ سانتا ماريا، ١٠٣ كلم م.؛ ترسيرا، ٣٩٩ كلم م.؛ بيكو، ٤٣٦ كلم م.؛ فلور، ١٥٢ كلم م.؛ كورفو، ٢٠ كلم م.؛ فيال، ١٧٠ كلم م.؛ غراسيوزا، ٦٤ كلم م. (ضربها زلزال أرضي في أول كانون الثاني ١٩٨٠)؛ ساو جورج، ٢٤١ كلم م.. وتبلغ المساحة الاجمالية لجزر آسور ٢٣٤٤ كلم م.. وتعد نحو ٢٧٥ ألف نسمة، جميعهم كاثوليك. وهناك نحو ٣٥٠ ألف مهاجر إلى أميركا الشمالية. مدنها: بونتا دلغادا (في جزيرة ساو ميغيل)، وتعد نحو ١٤٠ ألف نسمة؛ أنغرا دو هيرويسمو (في جزيرة ترسيرا)، وتعد نحو ٥٨ ألف نسمة؛ هورتا (في جزيرة فيال)، وتعد نحو ١٨ ألف نسمة. الثروات: أناناس، ذرة، تبغ، شمندر، شاي، صيد السمك وتعليبه، فاكهة (خاصة في جزيرة بيكو)، صناعة يدوية في التطريز. سياسيًا: جبهة تحرير آسور تطالب بالاستقلال التام والناجز.

ماكاو: راجع «ماكاو» في موقعها في جزء لاحق.

مستعمرات برتغالية اصبحت مستقلة: البرازيل (منذ ٧ أيلول ١٨٢٢)، غووا التي ضمتها الهند إليها في ١٤ آذار ١٩٦٢، غينيا-بيساو (منذ ١٠ نيسان ١٩٧٤)، موزمبيق (منذ ٢٥ تموز ١٩٧٥)، الرأس الأخضر (منذ ٥ تموز ١٩٧٥)، ساو تومي وبرنسيب (منذ ١٢ تموز ١٩٧٥)، أنغولا (منذ ١١ تشرين الثاني ١٩٧٥)، تيمور التي ضمتها أندونيسيا إليها في ١٧ تموز ١٩٧٦.

نبذة تاريخية

كانت البرتغال تعرف في العهود القديمة باسم «لوستيانيا» (Lustiania)، نسبة إلى قبائل «اللوستيانيين» الإيبيريين. في القرن الأول، كانت مستعمرة رومانية. غزتها شعوب الفاندال، ثم السويفيين، ثم الويزيغوطيين خلال القرنين الخامس والسادس. غزاها العرب المسلمون في القرن السابع. في القرن العاشر دعيت «أرض بورتوكاليس» (من Portus Calle: إسم روماني يعني «مدينة المرفأ»). في ١٩٠٤، استلم الملك هنري دو بورغون (من الملك ليون) قسمًا من البرتغال ليصبح في عداد ممتلكاته. في ١١٢٨، عين ألفونس الأول، ابن الملك هنري، ملكًا على البرتغال. في ١١٤٣، عقدت معاهدة «زامورا»، بموجبها اعترف باستقلال البرتغال. وفي ١١٨٥، خلف ألفونس الأول إبنه سانش الأول (راجع «مينو-دورو» في مدن ومعالم).

اصبحت البرتغال، في القرون الوسطى وبداية العصر الحديث، مملكة اوروبية شاسعة. وكوّنت لنفسها، مع بداية عصر الاكتشافات والاستعمار، امبراطورية استعمارية واسعة، وكانت آخر بلد استعماري يتخلى عن مستعمراته في القرن العشرين.

الأسر المالكة

بعد تسعة ملوك، هم أبناء وأحفاد الملك ألفونس الثاني الضخم الذي تربّع على عرش البرتغال في ١٢١١، وكان آخرهم ملكة الكاستيل، بياتريس زوجة الملك جان الأول، والتي توجت ملكة في ١٣٨٣، بدأ تاريخ البرتغال يُعنون بأسماء الأسر المالكة التي انتهت مرحلتها بسقوط الملكية وقيام الجمهورية في العام ١٩١٠. فتكون هذه الأسر قد استمرت على العرش البرتغالي من اواخر القرن الرابع عشر حتى العام ١٩١٠.

أسرة أفيز (١٣٨٥-١٥٩٠):
بدأها الملك جان الأول الكبير في ١٣٨٥، واستمر حتى وفاته في ١٤٣٣، فخلفه ابنه دوارت الأول الفصيح، ثم ابن هذا الاخير ألفونس الخامس الافريقي في ١٤٣٨، ثم ابن هذا الأخير جان الثاني الكامل (١٤٨١)، ثم ابن هذا الأخير مانويل الأول الكبير (١٤٩٥)، ثم قريب مانويل ويدعى سيباستيان الأول (١٥٧٧)، وأخيرًا هنري لو كاردينال (١٥٧٨) وهو الإبن الثالث لمانويل.

في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، قامت البرتغال بحملات استكشافية واستعمارية إلى المناطق الواقعة ما وراء خط الاستواء: طنجة و أرض زيلا (١٤٧١)، الرأس الافريقي على يد المستكشف دياز (١٤٨٦-١٤٨٧)، الهند (فاسكو دو غاما، ١٤٩٧-١٤٩٩)، البرازيل (كابرال، ١٥٠٠)، الصين (١٥١٨)، اليابان (١٥٤٢).

وفي ٢٤ حزيران ١٥٧٨، نزل الملك سيباستيان، على رأس اسطول من أكثر من ٨٠٠ مركب، ارض مراكش لمساعدة الأمير مولاي محمد على استرجاع عرشه من عمه عبد الملك. لكن السلطان عبد الملك تمكن من انزال الهزيمة بالجيش البرتغالي في معركة قتل فيها الملوك الثلاثة (سيباستيان ومولاي محمد وعبد الملك). ولما لم يكن من وريث مباشر للملك سيباستيان، فقد آل العرش،

بعد عامين، للملك الاسباني فيليب الثاني. في العام ١٥٨٠، عاد انطوان، الابن الطبيعي لدون لويس، دوق بيجا، ورفيق سيباستيان، إلى ليشبونة وتُوّج ملكًا، لكن سرعان ما تمكن فيليب الثاني من طرده.

الأسرة النمساوية (١٥٨٠-١٦٤٠): طيلة عهود هذه الأسرة، كانت البرتغال خلالها متحدة مع إسبانيا. ذلك ان معركة مراكش (١٥٧٨) أضعفتها، ومزقت الخلافات الداخلية أوصالها فأصبحت طعمًا سهلاً للاسبان الذين ضموها إليهم في ١٥٨٠. قبل هذا العام، كانت البرتغال امبراطورية امتدت من شواطىء الصين حتى البرازيل، ومن شمال افريقيا حتى المحيط الباسيفيكي، في حين ان البرتغال نفسها لم تكن تعد اكثر من مليوني نسمة.

هذه الأسرة حكمت من خلال ثلاثة ملوك: فيليب الثاني (اسبانيا)، الاول (البرتغال) حكم من ١٥٨٠ إلى ١٥٩٨؛ فيليب الثالث (اسبانيا)، الثاني (البرتغال) حكم من ١٥٩٨ إلى ١٦٢١؛ وفيليب الرابع (اسبانيا)، الثالث (البرتغال) حكم من ١٦٢١ إلى سقوط الأسرة في ١٦٤٠.

أسرة براغانس (١٦٤٠-١٨٥٣): في ١٦٤٠، استفاد دوق براغانس (ابن تيودور الثاني وسليل الملك جان الاول) من إنشغال الاسبان في حروب خارجية، فعمد إلى مناوأتهم، وتوصل إلى طردهم من البرتغال، ونصّب نفسه ملكًا على البرتغال باسم جان الرابع. في ١٦٤٤، قاتل الاسبان وهزمهم في مونتيجو.

بعده، تعاقب على الملك عدد من ملوك اسرة براغانس بدءًا من ابنه الفونس الرابع الذي كان مريضًا ومتخلفًا وتحت وصاية أمه. انقلب عليه شقيقه بيار الذي في عهده أقرت إسبانيا باستقلال البرتغال.

عرفت البرتغال، في القرن الثامن عشر، فترة من الازدهار بسبب الثروات المتدفقة من مستعمراتها، وخاصة البرازيل. لكن في أول تشرين الثاني ١٧٥٥، ضربت البلاد هزة أرضية رهيبة ذهبت بمدينة ليشبونة بكاملها تقريبًا.

في بداية القرن التاسع عشر (أيار ١٨٠١)، نشبت «حرب البرتغال» بين البرتغال واسبانيا. وفي حزيران من السنة نفسها، وقعت معاهدة ثلاثية بين البرتغال وفرنسا واسبانيا، وهي معاهدة «باداجوز» المتعلقة أساسًا بالحدود.

في ٢٩ تشرين الاول ١٨٠٧، معاهدة «فونتينبلو»، بين فرنسا واسبانيا، تنص على تقسيم البرتغال: الشمال البرتغالي يكون من نصيب ماري لويز ابنة شارل الرابع (مقابل مملكة إترووريا التي تصبح من نصيب إليسا باكيوشي)؛ الجنوب من نصيب غودوي وهو مقرّب من شارل الرابع؛ الوسط وليشبونة لنابوليون بونابرت. وبعد أقل من شهر على تاريخ توقيع هذه المعاهدة، غزت جيوش نابوليون البرتغال، فهرب الملك البرتغالي (جان) وحاشيته إلى البرازيل، فاتخذ هناك لقب «امبراطور»، واصبحت ريو دو جنيرو عاصمة البرتغال.

في ٣٠ أيار ١٨١٤، وإثر هزيمة نابوليون، عقدت معاهدة باريس بين انكلترا وحلفائها وبين فرنسا (البرتغال لم تكن ممثلة، فتصدت انكلترا للدفاع عن مصالحها) حيث اتفقت هذه الدول على اعتبار معاهدة «باداجوز» ملغاة ولا أثر لمفاعيلها. وفي ٨

حزيران ١٨١٥، عقد مؤتمر فيينا الذي أعاد منطقة أوليفنسا للبرتغال، لكن اسبانيا رفضت إعادتها إليها. في هذه الفترة، كان السفير البريطاني في ليشبونة، بيريسفورد، هو الحاكم الفعلي للبلاد. في ١٨١٦، أعاد جان السادس لقبه «ملك البرتغال». وفي ١٨٢١، عاد إلى البرتغال بعد ان وافق على الدستور الذي صوّت عليه «الكورتيس» (المجلس الاشتراعي). في ١٢ تشرين الاول ١٨٢٢، أعلن استقلال البرازيل؛ وفي ١٨٢٥، منح جان السادس ابنه بيار تاج البرازيل؛ وفي ١٨٢٦، اعلن بيار نفسه امبراطور البرازيل باسم بيار السادس، وبقي فيها متخليًا عن التاج البرتغالي لابنته ماري الثانية دو غلوريا دو براغانس التي توّجت ملكة (في ١٨٢٦) تحت وصاية عمها دوم ميغيل (ميشال).

دوم ميشال هذا ما لبث ان خطب ماري الثانية، ثم اغتصب العرش واتخذ إسم الملك ميشال الأول (١٨٠٢-١٨٦٦)، وذلك في حزيران ١٨٢٨. واشتهر عهده بالمظالم التي أنزلها بالليبراليين الذين كانوا بدأوا يبثون أفكارًا تحررية. الملك بيار (والد ماري وشقيق ميشال)، امبراطور البرازيل تخلي عن عرش البرازيل لابنه بيار الثاني، وجند فرقًا عسكرية، في فرنسا وانكلترا، لارجاع ابنته إلى العرش. وقد تسنى له ذلك، وعادت ماري الثانية إلى عرشها في تموز ١٨٣٣. وبعد حرب أهلية، هُزم ميشال الاول وفرّ إلى ألمانيا؛ وتزوجت ماري الثانية من دوق لوختنبرغ الذي توفي بعد أقل من شهرين، فتزوجت من فرديناند دو ساكس كوبورغ غوتا الذي اتخذ اسم الملك فرديناند الثاني، وانجبا ١١ ولدًا.

أسرة ساكس كوبورغ غوتا (١٨٥٣-١٩١٠): هي الأسرة المالكة الأخيرة، تعاقب منها أربعة ملوك. إثنان من هذه الأسرة هما شارل الأول ولويس فيليب (الامير الوريث) قتلهما الجمهوريون في أول شباط ١٩٠٨. والملك الأخير، مانويل الثاني (ولد في ١٨٨٩ وتوفي في أنكلترا في ١٩٣٢) إبن شارل الاول، خلعته عن عرشه ثورة الجمهوريين في ١٩١٠.

الجمهورية

بداية وازمات: هبوط إقتصادي وسياسي عرفته البرتغال، وبدأ في الربع الاول من القرن التاسع عشر واستمر حتى اوائل القرن العشرين. والهزائم الخارجية، خاصة في المستعمرات، انعكست ازمات متلاحقة في الداخل. أما الافكار التحررية والحركة الجمهورية فكان لها، في أجواء الهبوط والازمات، ان تشق طريقها بسرعة في صفوف الشعب البرتغالي في جو عام من الفوضى والحروب الاهلية، حتى كان العام ١٩٠٨ عندما توصل الجمهوريون إلى قتل الملك وابنه، ثم بعد عامين، إلى إطاحة الملك مانويل الثاني واعلان الجمهورية في ٥ تشرين الاول ١٩١٠، وكان أول رئيس للحكومة الموقتة تيوفيلو براغا.

في الحرب العالمية الأولى، وقفت البرتغال إلى جانب الحلفاء. وبعد الحرب، عاشت البلاد سلسلة ازمات اقتصادية لم تتوصل الحكومات المتعاقبة (٤٦ حكومة في ١٦ سنة الأولى من عمر الجمهورية) إلى حلها. فجاء الجو ملائمًا لانقلاب عسكري وقع بالفعل في ١٩٢٦، وحمل إلى السلطة الجنرال أوسكار كارمونا. بعد عامين (أي

في ١٩٢٨)، استدعى كارمونا استاذًا في جامعة كوامبرا وعينّه وزيرًا للمالية، وعهد إليه بوضع خطة اقتصادية تضع حدًا للازمات الاقتصادية. وهذا الوزير هو انطونيو دو أوليفيرا سالازار الذي ما لبث ان أصبح رئيسًا للوزراء في ١٩٣٢، واستمر في هذا المنصب ممسكًا بمقدرات البلاد حتى ١٩٦٨.

عهد سالازار: امتدت ولاية كارمونا حتى ١٩٥١، وبعده شغل منصب الرئاسة المارشال فرنسيسكو لوبيز من ١٩٥١ إلى ١٩٥٨، ثم الاميرال أمريكو توماز من ١٩٥٨ إلى ١٩٧٤. لكن الحاكم الفعلي، طيلة هذه العهود تقريبًا كان رئيس الوزراء سالازار الذي استطاع، بمساعدة الكنيسة والجيش والاتحاد القومي (الحركة السياسية الوحيدة التي كان مرخصًا لها)، السيطرة على الحياة السياسية في البرتغال، محوّلاً رئاسة الجمهورية إلى منصب شكلي. وفي العام ١٩٥٨، ألغى سالازار نظام الانتخاب المباشر لرئيس الجمهورية. على صعيد الخارج، كانت الهند قد توصلت إلى تحرير (منذ ١٩٥١) أقاليم غووا وديوم وداماو التي كانت البرتغال ترفض التخلي عنها. وفي ١٩٦١، اشتعلت ثورة في أنغولا، تبعتها (في ١٩٦٢) حركات تطالب بالاستقلال في غينيا البرتغالية (غينيا–بيساو)، ثم في الموزامبيق (١٩٦٤).

وكانت محاولات البرتغال في قمع هذه الحركات الاستقلالية تعرّضها لادانات المجتمع الدولي والامم المتحدة. وفي ١٩٦٨، مرض سالازار، وتوفي في ١٩٧٠ (راجع «سالازار أنطونيو» في زعماء ورجال دولة).

حريات: بعد سالازار، عُيّن مارسيللو كايتانو رئيسًا للوزراء فباشر بتأمين بعض الحريات، وسمح لزعيم المعارضة، ماريو سواريز بالعودة إلى البلاد. وفي ١٩٧٠، أعلن كايتانو عن دستور جديد يؤمن الحكم الذاتي للمناطق الخاضعة للاستعمار البرتغالي. لكن مشروع الدستور فشل بسبب عدم تجاوب القوى الليبرالية التي كانت تطالب بالتخلي الكامل عن المستعمرات البرتغالية، بالاضافة إلى رفض جبهات التحرير المعنية للمشروع شكلاً ومضمونًا باعتبار انها كانت تطالب بالاستقلال التام والناجز.

في نيسان ١٩٧٤، قامت حركة القوات المسلحة (مجموعة الانقاذ الوطني) بثورة بيضاء معارضة لاستمرار الحرب الاستعمارية في افريقيا، وعينت الجنرال انطونيو سيباستيو دي سبينولا رئيسًا للجمهورية، ثم ألّفت حكومة اعترفت، على التوّ بحق تقرير المصير والاستقلال للمستعمرات البرتغالية الثلاث في افريقيا (راجع «غوميز، كوستا» في زعماء ورجال دولة).

انتخابات وحكومات: ومارس الحزب الشيوعي البرتغالي، لبعض الوقت، نفوذًا كبيرًا على حكومة العسكريين الموقتة حتى بات يُخشى ان تصبح البرتغال بلدًا شيوعيًا، وان تندلع فيها حرب أهلية. إلا ان الاشتراكيين والمعتدلين ضغطوا باتجاه إجراء انتخابات لجمعية تأسيسية. وجرت في نيسان ١٩٧٥، ونال الاشتراكيون غالبية مقاعدها، وشكّل الاميرال خوسيه أزيفيديو حكومة جديدة. وفي حزيران انتخب

الجنرال انطونيو إيانس رئيسًا للجمهورية، فكلف ماريو سواريز الاشتراكي تأليف حكومة جديدة، ثم عاد وكلفه مرة ثانية في كانون الاول ١٩٧٧. وفي ١٩٧٩، شكلت ماريا دو لوردز بينتا سيليغو حكومة جديدة، وكانت أول امرأة برتغالية تصبح رئيسة للوزراء لكنها بقيت لأشهر قليلة فقط.

في ٣ كانون الثاني ١٩٨٠، شكل فرنشيسكو سا كارنيرو حكومة جميع أعضائها من السياسيين (لم يشترك العسكريون في هذه الحكومة، وذلك لأول مرة منذ ٢٥ نيسان ١٩٧٤). وفي تشرين الاول (١٩٨٠)، جرت انتخابات تشريعية (٢٥٠ نائبًا)، وخرجت احزاب التحالف الديمقراطي والائتلاف وسط اليمين (بزعامة رئيس الوزراء) منتصرة على الاشتراكيين والشيوعيين والحركة الديمقراطية البرتغالية بفارق ستة مقاعد. وفي ٤ كانون الاول (١٩٨٠)، لاقى كارنيرو مصرعه بحادث طائرة. وبعد ثلاثة أيام، أعيد انتخاب الجنرال انطونيو كارنيرو، ومرشح اليسار أوتيلو دو كارفالو. وكلف فرنشيسكو بينتو باليسماو تشكيل حكومة جديدة.

في حزيران ١٩٨١، اقترح مجلس النواب لصالح إلغاء تأميم المصارف، وشركات التأمين، ومصانع الأسمدة والإسمنت؛ لكن هذا الإجراء جوبه باعتراض «مجلس الثورة». وفي اوائل آب (١٩٨١)، ضغط الجناح اليميني في الحزب الاشتراكي الديمقراطي على باليسماو لتقديم استقالته؛ ففعل، وأعيد تأليف حكومة جديدة، جميع اعضائها من قادة وسط اليمين ضمن التحالف الديمقراطي.

في أول ايار ١٩٨٢، جرت مظاهرات مؤيدة للشيوعيين في مدينة بورتو، قتل فيها شخصان. وبعد أقل من اسبوعين، زار البابا يوحنا بولس الثاني البرتغال (نحو ٥٠٠ ألف مصل بحضوره في مزار فاطيمه). وفي انتخابات الهيئات المحلية (كانون الاول ١٩٨٢)، مني حزب رئيس الوزراء (الحزب الديمقراطي الاشتراكي) بهزيمة، وقدّم باليسماو استقالته. وقد اتسمت فترة حكمه (نحو عامين) باستمرار تدهور الوضع الاقتصادي، إذ ارتفعت نسبة البطالة إلى ٣١٪ في حين بلغت الديون الخارجية ١٢ مليار دولار.

عقب استقالة باليسماو، انفجرت ازمة حكومية استمرت حتى ٤ شباط ١٩٨٣، عندما اضطر الرئيس أنطونيو دو سانتوس رمالهو إيانس على حلّ البرلمان والدعوة إلى انتخابات عامة في ٢٥ نيسان ١٩٨٣ (قبل اسبوعين من هذا الموعد، عقدت الاشتراكية الدولية مؤتمرها في البرتغال؛ وقبيل اجتماعها الأخير، اغتيل عضو وفد منظمة التحرير الفلسطينية، عصام السرطاوي الذي كان معروفًا باعتداله ودعوته للحوار مع الاسرائيليين). وفي هذه الانتخابات، فاز الاشتراكيون، وكلف زعيمهم، سواريز، تشكيل حكومة جديدة.

وكان أول إجراء اتخذته هذه الحكومة هو خفض قيمة الإسكدو (الوحدة النقدية) بنسبة ١٢٪ ضمن خطة الحكومة النهوض بالوضع الاقتصادي. وفي آذار ١٩٨٤، زار سواريز واشنطن، وهو معروف بأنه من دعاة حلف شمال الأطلسي ودخول البرتغال المجموعة الاقتصادية

الاوروبية؛ وكان هدّد بالتحول إلى الولايات المتحدة واليابان إذا لم تنجح المفاوضات في شأن دخول بلاده المجموعة الاقتصادية الاوروبية (وبالفعل، انضمت البرتغال إلى هذه المجموعة في أول كانون الثاني ١٩٨٦).

وفي ٢٥ حزيران ١٩٨٦، قدم سواريز استقالته عقب حوادث عنف قامت بها «القوى الشعبية» (يسار متطرف)؛ وبعد نحو اسبوعين حُلّ البرلمان، وجرت الانتخابات (٦ تشرين الاول ١٩٨٦)، وفاز بها حزب التجديد الديمقراطي.

السنوات الاخيرة: في ٩ آذار ١٩٨٦، انتخب ماريو سواريز رئيسًا للجمهورية. وفي ٢٨ نيسان ١٩٨٧، حُلّ البرلمان، وفي ٢٨ تشرين الثاني (١٩٨٧)، صدر حكم قضائي بحق كارفالهو يقضي بسجنه ١٨ عامًا بتهمة تدبير اعمال إرهابية وكان قد جرى اعتقاله في حزيران ١٩٨٤ (راجع «كارفالهو، أوتيلو» في زعماء ورجال دولة).

في ١٩ تموز ١٩٨٨، انتخابات تشريعية. وبعد نحو خمسة أسابيع، حادث احتراق مخازن «غرانديلا» (في ليشبونة القديمة-القرن الثامن عشر) قدّرت خسائره بنحو ٥٠ مليار إسكدو (نحو ٤٥٠ مليون دولار). وفي ١٤ تشرين الاول ١٩٨٨، اتفق الحزبان الاشتراكي والاشتراكي الديمقراطي، على ادخال تعديلات في الدستور (اصبح بالامكان تخصيص-جعله قطاعًا خاصًا- المشاريع التي جرى تأميمها في ١٩٧٤ و ١٩٧٥)؛ وقد بدأ تطبيق أول تخصيص في شباط ١٩٨٩. وفي ١٧ كانون الاول ١٩٨٩، انتخابات بلدية أسفرت عن فوز الحزب الاشتراكي والحزب الاشتراكي الديمقراطي بأغلبية المقاعد.

في ١٣ كانون الثاني ١٩٩١، أعيد انتخاب ماريو سواريز رئيسًا للجمهورية بأغلبية ٧٠،٣٥٪ من الأصوات، بدعم الحزبين الاشتراكي والاشتراكي الديمقراطي، في وجه منافسه باسيليو هورتا الذي دعمه الوسط الديمقراطي الاشتراكي. وفي ١٠ كانون الاول ١٩٩٢، صدّق البرلمان على معاهدة ماستريخت (راجع «مناقشة: البرتغال ودول المجموعة الاوروبية»).

وقد تميّز العامان ١٩٩٣ و ١٩٩٤ بتحرك الحكومة البرتغالية على الصعيد الخارجي (وكان الشهر الأخير من العام ١٩٨٢ شهد زيارة الرئيس إيناس للجزائر، وكانت اول زيارة يقوم بها رئيس برتغالي لبلد عربي): في ٢٨ نيسان ١٩٩٣، زار الرئيس سواريز لندن. وفي ٢٢ ايلول ١٩٩٣، استقبل العاهل المغربي الملك الحسن الثاني الذي مُنح وسامًا برتغاليًا رفيعًا في احتفال في قصر «بيت لحم» التاريخي (في ليشبونة)، وكانت التصريحات تشير إلى دوري البرتغال والمغرب في تقريب وجهات النظر والحل في الشرق الاوسط، كما في أنغولا؛ وأثناء الزيارة، أبرم اتفاق للتعاون بين البلدين في الميدان العسكري يشمل تبادل الخبرات واقتناء المعدات وتكوين الكوادر؛ وقد أكدّ الجانبان على ضرورة تعزيز التعاون القائم ليشمل مجالات أخرى، على رأسها: مساعدة البرتغال للمغرب في دعم رغبته نحو اقامة اتفاق للشراكة الاقتصادية والسياسية مع بلدان المجموعة الاوروبية، ومساعدة المغرب للبرتغال على الافادة من فتح سوق جديدة في منطقة

المغرب العربي، خاصة في قطاعات إنشاء السدود والسكك الحديد والبريد.

وبعد نحو ستة اسابيع من زيارة العاهل المغربي للبرتغال، زارها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات (١٠ تشرين الثاني ١٩٩٣). وبعده، زارها رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق رابين (في ٣٢ شباط ١٩٩٤)، تلبية لدعوة رئيس الوزراء البرتغالي الذي سبق له وزار إسرائيل في تشرين الاول ١٩٩٢، ودعمًا للموقف الاسرائيلي في المفاوضات التي بدأتها اسرائيل في بروكسيل (٢٢ شباط ١٩٩٤) مع الاتحاد الاوروبي من اجل توقيع اتفاق للشراكة (كانت البرتغال واسرائيل اقامتا علاقات دبلوماسية في ١٩٧٧، لكن ليشبونة انتظرت إلى العام ١٩٩١ حتى تفتح سفارة لها في تل أبيب). وأثناء هذه الزيارة، أعلن رئيس بلدية ليشبونة عن قرار البلدية إقامة نصب لضحايا محرقة اليهود يفتتح في العام ١٩٩٥ خلال الذكرى الخمسين لهزيمة النازية.

مناقشة: البرتغال ودول المجموعة الاوروبية

نقلاً عن «فايننشال تايمز»، نشرت «الحياة» (العدد ١١٢٣٠، تاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٩٣، ص ١٢) مقالاً كتبه بيتر وايز، منه هذه الفقرات:

تتبدد بسرعة الفرحة العارمة التي رافقت دخول البرتغال إلى مجموعة الدول الاوروبية في ١٩٨٦، فالنمو الاقتصادي الكبير الذي شهدته البرتغال في نهاية الثمانينات ذهب مع الريح وحل مكانه الركود الاقتصادي. و لم يعد النظر إلى الاستقرار السياسي الذي تسبب في إحلال االثقة في قلوب رجال الاعمال البرتغاليين على مدى فترة زادت على عقد من الزمن، تحصيل حاصل.

وقد فقدت الدول الاوروبية جاذبيتها فيما تسعى الشركات البرتغالية جاهدة لمواجهة المنافسة المتأتية بحكم تواجدها في سوق واحدة موحدة. وتشهد معدلات البطالة إرتفاعًا متواصلاً. كما لم يعد المستثمرون الاجانب يجدون في البرتغال إغراء لا يسعهم مقاومته.

ومما دل على تباطؤ الاقتصاد البرتغالي أن الدولة انفقت أكثر بكثير مما كان في موازنتها عن عام ١٩٩٣، ما أحرج حكومة أنيبال كافاكو سيلفا اليمينية الوسط التي يهيمن عليها الحزب الديمقراطي الاجتماعي، وسبّب قلقًا لرجال الاعمال البرتغاليين.

وفي تشرين الاول ١٩٩٣ اضطر جورج براغا دي ماسيدو وزير المال البرتغالي إلى الاعلان عن موازنة تكميلية لعام ١٩٩٣ لأن تدني العائدات الضريبية وازدياد الانفاق على نظام الضمان الصحي على ما كان مخططًا له تسببا في مضاعفة العجز في الموازنة تقريبًا وتجاوزه التكهنات الاساسية بمقدار كبير جدًا (...).

يشير وزير المال البرتغالي إلى أن اداء بلاده الاقتصادي سيبقى أفضل من اداء دول المجموعة الاوروبية ككل، كما ان الحكومة البرتغالية تبقى ملتزمة هدف التقارب الاقتصادي مع دول المجموعة الاوروبية وهدف المشاركة في الوحدة المالية والاقتصادية الاوروبية التي لا يزال من المنتظر ان تتم عام ١٩٩٧ أو ١٩٩٩.

وبالنسبة إلى العامل البرتغالي العادي

يوجد هدف ملموس من وراء فكرة التقارب الاقتصادي وهو ان تتحرك الاجور في اوروبا كلها باتجاه المساواة. وفي الوقت الذي كان فيه النمو الاقتصادي ناشطًا جدًا في البرتغال كانت الفكرة الاساسية التي توجه المفاوضات الخاصة بالاجور هي ان الاجور البرتغالية تستطيع اللحاق بالاجور الاوروبية. لكن البرتغاليين اضطروا إلى التخلي عن هذه الفكرة على الاقل موقتا فيما يزداد الانكماش الاقتصادي (...).

يعتبر تقارب مستويات الاجور مظهرًا واحدًا فقط من مظاهر العلاقة بين البرتغال وبين دول المجموعة الاوروبية، تلك العلاقة التي بدأت تفسد، فقد كان البرتغاليون شديدي الحماس لفكرة الاندماج الاوروبي منذ ان انضموا إلى مجموعة الدول الاوروبية، كما ان عددًا من مشاريع البنية التحتية الحيوية تشهد على بلايين الايكووات التي «صبّتها» بروكسل في البرتغال منذ ١٩٨٦.

لكن افتتاح السوق الواحدة الموحدة في العام الجاري (١٩٩٣) واجه الصناعة البرتغالية وواجه القطاع الزراعي البرتغالي المتخلف مع حقيقة التنافس مع جيران أكثر تقدمًا بكثير من البرتغال، ما حمل البرتغاليين على مهاجمة الشاحنات التي تنقل إليهم اللحوم الاسبانية، وعلى رمي الفاكهة والحليب في الشوارع العامة فيما احتج المزارعون البرتغاليون على استيراد المنتجات الأرخص ثمنًا والأفضل نوعية من خارج البرتغال.

يقول أنطونيو غاتاريس زعيم الحزب الاشتراكي الذي يشكل المعارضة الرئيسية للحكومة البرتغالية: «إن أغلبية البرتغاليين الساحقة متحمسة جدًا لاوروبا. فالحزبان الرئيسيان، الحاكم والمعارض متفقان تمام الاتفاق على السياسة الخاصة بأوروبا. لكن من الواضح الآن ان البرتغاليين لم يعودوا يعتبرون بروكسل محسنًا سخيًا كما كانت في الماضي بالنسبة إليهم».

ولا تختلف سياسة الحزب الاشتراكي المعارض عن سياسة الحزب الديمقراطي الاجتماعي الحاكم كثيرًا بخصوص شؤون أخرى أيضًا غير السياسة الاوروبية، ما نسف محاولات غاتاريس الهادفة إلى طرح حزبه كبديل واضح للحزب الديمقراطي الاجتماعي الحاكم.

يقول منتقدو الاشتراكيين انهم متشرذمون ومنقسمون على أنفسهم وأنهم فشلوا في الاستفادة من مصادر الضعف في الديمقراطيين الاجتماعيين لكي يحققوا أحلامهم بالسيطرة على الحكم. أضف إلى هذا ان شخصية ماريو سواريز رئيس الجمهورية والزعيم الاشتراكي السابق تهيمن على الحزب الاشتراكي، وغالبًا ما يشار بتهكم إلى رئيس الجمهورية بانه زعيم المعارضة البرتغالية.

ويفترض الدستور والعرف البرتغاليان ان يبقى رئيس الجمهورية فوق النزاعات السياسية بين الاحزاب وبعيدًا عن التحزب. لكن بالنظر إلى حق الفيتو الذي يتمتع به والذي يمكنه من الاعتراض على التشريعات الحكومية، وبالنظر إلى صلاحياته التي تتناول إعادة القوانين إلى المحكمة الدستورية لكي تمعن النظر فيها، وإلى مقدرته على الكشف عن الامراض الاجتماعية فيما يجول في طول البرتغال وعرضها، غالبًا ما يعتبر رئيس الحكومة البرتغالية رئيس الجمهورية وكأنه

قوى معارضة أو مواجهة تعرقل برنامج الاصلاحات الحكومية.

وعندما يحل موعد الانتخابات البرلمانية المقبلة في ١٩٩٥، سيكون كافاكو سيلفا حاكم البرتغال بواسطة أكثرية برلمانية على مدى عقد من الزمن.

والسؤال الرئيسي التي تتداوله الاوساط المعنية يتمحور حول ما إذا كان بوسعه الفوز للمرة الثالثة على التوالي بأكثرية برلمانية، لا سيما وان المناخ الاقتصادي لم يعد ملائمًا كما كان في السابق. (...).

وفيما يواجه البرتغاليون الحقائق الاقتصادية من المحتمل ان يصرفوا انتباههم عن الطرقات الواسعة الجديدة والجسور الجديدة وعن مباني المصارف الفخمة التي بنيت جميعها في سنوات التوسع الاقتصادي، وان يركزوا على الوضع الصحي العام في البرتغال وعلى النظامين التربوي والخاص بالضمان الاجتماعي (...).

وفي اعتقاد عدد كبير من المحللين انه من غير المحتمل ان يفوز الديمقراطيون الاجتماعيون بأغلبية برلمانية ثالثة على التوالي وانهم ربما اضطروا إلى الدخول في ائتلاف حكومي يضمهم وحزبًا يمينيًا صغيرًا من أحزاب البرتغال الناشطة.

ومع هذا كله لا يشعر جميع البرتغاليين بالتشاؤم، فقد ازدهرت الحياة الثقافية في البرتغال فيما كان الاقتصاد ينمو بفضل جيل جديد لا يهتم بالسياسة بالمقدار نفسه الذي كان يهتم فيه البرتغاليون بالسياسة في السبعينات ومطلع الثمانينات.

والجدير بالذكر ان ليشبونة اختيرت عاصمة الثقافة في اوروبا عن عام ١٩٩٤. ومن المنتظر ان تنظم سلطاتها المحلية معرضًا عالميًا عام ١٩٩٨.

مدن ومعالم

* **إستريمادورا Estremadura**: منطقة برتغالية ساحلية تمتد بين حوض نهر التاج شرقًا والاطلسي غربًا، وتتضمن محافظات ليرا، وسانتاريم وليشبونة. مساحتها ٥٣٣٦ كلم م. وتعد نحو ٢،٦ مليون نسمة. مدنها الاساسية:ألمادا، بريّرو، كالداز دا رينها، ليرا، ليشبونة، سينترا ... وإستريمادورا كناية عن هضبة شاسعة، ارتفاع أعلى نقطة فيها ٢٠٠ م.. تاريخيًا: بعد ان كانت إستريمادورا جزءًا من مقاطعة لوسيتانيا الرومانية، وبعد ان اجتاحها الويزيغوطيون، ضمتها مملكة توليديا إليها في العام ٥٦٩م.، وبعدها غزاها العرب المسلمون، ثم استردها الملوك البرتغاليون من أسرة بورغون (١١٤٧). استمرت ،منذ ١١٨٤، برتغالية وارتبط تاريخها بتاريخ ليشبونة.

* **إستوريل Estoril**: مدينة برتغالية صغيرة قريبة من ليشبونة. تعد نحو ١٥ ألف نسمة. أجمل موقع على «كوستا دول سول» (شاطىء الشمس). أثرياء العالم يقصدونها ليقتنوا فيها منازل فخمة.

رواق دير يعود الى القرن السادس عشر.

* **إيفورا Evora**: مدينة برتغالية. نحو ٥٠ ألف نسمة. شهيرة بآثارها. إسمها في الأساس «إيبورا» وهو إسم روماني، وقد تأسست في ايام الرومان كما تدل آثار معبد «ديانا» الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الاول او الثاني قبل الميلاد. سيطر عليه المسلمون في القرن الثامن (٧١٥)، ثم استردها البرتغاليون. فيها كاتدرائية من الطراز القوطي ومبنية بحجر الغرانيت وقد بدأ العمل بتشييدها في العام ١١٨٦، وانتهى في اواخر القرن الثالث عشر. في ايام الملك جان الثالث (القرن الخامس عشر)، عرفت إيفورا نهضة ثقافية وفنية (جامعة ومعهد للموسيقى).

* **براغا Braga**: مدينة برتغالية في شمال البلاد وشمال مدينة بورتو. نحو ١٠٠ ألف نسمة. عاصمة مقاطعة ألنتيجو. شهيرة بكنائسها. مركز صناعي.

* **براغانسا Braganca**: مدينة برتغالية. نحو ١٦ ألف نسمة. قاعدة محافظة تحمل الاسم نفسه (نحو ٣٥٠ ألف نسمة). أصبحت كونتية في ١٤٤٢، ومُنحت لألفونس الاول، الابن الطبيعي للملك جان الاول الكبير، ملك البرتغال؛ ومنذّاك، اصبحت المدينة مهد أسرة براغانس الملكية.

* **بورتو Porto**: (أو أوبورتو) مدينة ومرفأ شمال

غرب البرتغال، على مصب نهر دورو. نحو ٦٠٠ ألف نسمة، وهي ثاني (بعد العاصمة) مدينة في البرتغال، ومركز كبير لصناعة الخمور. شهيرة بكنائسها الرومانية. فيها متحف سواريز دوس رايز، وهو إسم فنان برتغالي كبير عاش في القرن التاسع عشر، والمتحف يضم أعماله الفنية من نحت ورسم، إلى جانب أعمال فنية أخرى. وهي مسقط رأس هنري الملاّح. كان إسمها «بورتس كالي»، وقد أعطت إسمها للبلاد «البرتغال». أسّسها الرومان في العام ١٣٨ق.م. احتلها العرب المسلمون لمدة قصيرة، ثم انتقلت إلى أسرة بورغون، وبقيت عاصمة البرتغال حتى ١١٧٤/ منها انطلقت شرارة عدة انتفاضات. احتلها الفرنسيون في ١٨٠٨، وحرّرها القائد البريطاني ويلّينغتون في ١٨٠٩.

* **سينترا Sintra**: مدينة صغيرة قريبة من ليشبونة. شهيرة ببيوتها القديمة، وبقصورها التي كانت طبقة النبلاء تقصد السكن فيها في الصيف.

* **فاطيمة Fatima**: مدينة صغيرة (نحو ٧ آلاف نسمة) في وسط البلاد. أصبحت مزارًا مهمًا، دينيًا وسياحيًا، منذ ١٩١٧ حينما أعلن رعاة ثلاثة عن ظهور السيّدة العذراء مريم عليهم عند ضريح «كوفا دي إيرا». مذّاك والعالم (الكاثوليكي خاصة) يتحدث عن سرّ (لم تفصح الفاتيكان عنه بعد) – سرّ فاطيمة – تكلّم بصدده الرعاة ويرتبط بحال ظهور السيّدة العذراء عليهم.
في ١٠-١٢ ايار ١٩٩١، زار البابا يوحنا بولس الثاني ليشبونة وفاطيمة (بمناسبة الذكرى العاشرة على محاولة اغتياله، والرصاصة التي سببت له جرحًا كانت نقلت إلى فاطيمة ورُكّبت في تاج تمثال السيدة العذراء، سيّدة الوردية).

* **ليشبونة Lisbonne**: عاصمة البرتغال، على الاطلسي. نحو مليون و ٢٠٠ ألف نسمة.

منذ ١١٤٧، وليشبونة (في البرتغالية: ليشبوا Lisboa) مركز الحياة السياسية في البرتغال. هي إحدى أقدم المدن الاوروبية. بُنيت على هضاب سبع تطل على مصب نهر تاج الذي يشكل مرفأ طبيعيًا مميزًا. وهي إضافة إلى مركزها السياسي، المركز الصناعي والتجاري الاول في البلاد.
المركيز دو بومبال، وزير الملك جوزف الاول، بنى قسمًا كبيرًا من الاحياء والشوارع التي لا تزال قائمة؛ ذلك ان زلزالاً عنيفًا كان ضرب المدينة في ١٧٥٥ ودمّر اكثر من ثلثيها. ولهذا المركيز يعود الفضل ببناء «الساحة التجارية» فيها، والمعتبرة إحدى أجمل ساحات المدن الاوروبية.
أهم الآثار (نصب وعمارة) موجود في «جادة بيليم» حيث يرتفع، منذ بداية القرن السادس عشر، دير «جيرونيموس» الذي أمر ببنائه الملك مانويل الاول. وقد نُسجت روايات شعبية حول هذا الدير، خاصة ما يتعلق منها بعصر الاستكشاف الذي عرف مغامرات بطولية، فكان الروّاد (منهم فاسكو دي غاما، وغيره) يقصدون الدير للصلاة قبل نزولهم في مجاهل البحار. وقد اطلق على الطراز المعماري للدير إسم «الطراز المانويلي» نسبة للملك مانويل الأول الأكبر. ومن هذا الطراز ايضًا، «برج بيليم» الذي بني في الموقع نفسه الذي انطلقت منه السفن البرتغالية في عصر الاكتشافات البحرية.
في العام ١٩٦٠، أقيم نصب تذكاري تكريمًا للأمير هنري الملاح (بمناسبة مرور خمسمائة سنة على ولادته) ولغيره من المستكشفين الرواد.

مؤتمر ليشبونة (١٩٥٢): ومن أهم التحركات السياسية الدولية التي عرفتها العاصمة البرتغالية كان المؤتمر الدولي الغربي الذي عقد فيها في ٢٠-٢١ شباط ١٩٥٢، وضم الدول الاعضاء في الحلف الاطلسي: بلجيكا، كندا، الدانمارك، الولايات المتحدة الاميركية، فرنسا، بريطانيا،

آيسلندا، إيطاليا، اللوكسمبورغ، النروج، هولندا والبرتغال. وكان موضوع المؤتمر اعادة تركيب المجلس الاستشاري لمنظمة الحلف بشكل يؤدي إلى قيام مجلس استشاري دائم يتمثل فيه وزراء خارجية الدول الاعضاء؛ وكذلك يتمثل فيه ايضًا، وتبعًا للاوضاع، جميع الوزراء الآخرين كل ضمن الشؤون التي تتعلق بوزارته. فضلاً عن ذلك، فقد أكد المؤتمر على هدف الوصول إلى إنشاء ٥٠ فرقة عسكرية مدرعة، خصوصًا ان الدول الاوروبية كانت لا تملك آنذاك أكثر من ١٢ فرقة... وكانت تعيش مخاوف من غزو سوفياتي (والسوفيات كانوا يتمتعون بتفوق هائل في الفرق العسكرية، إذ كانوا يمتلكون ١٧٥ فرقة مدرعة، إضافة إلى ان حماية الولايات المتحدة عبر القنبلة الذرية اصبحت، منذ ١٩٤٩، غير كافية لأن الاتحاد السوفياتي كان قد أجرى اول تجربة نووية له في تلك السنة). وعلى كل ذلك، اعتبر مؤتمر ليشبونة سببًا اساسيًا من الأسباب التي أدت إلى زيادة حدة تأزم العلاقات الأطلسية (الاميركية خاصة) السوفياتية، وإلى تصعيد الحرب الباردة.

* **«مينو–دورو» (Mino-Douro)**: مينو، نهر في شمال غربي شبه جزيرة إيبيريا، طوله ٢٧٥ كلم، ينبع في منطقة غاليسيا ويسير باتجاه الاطلسي مشكلاً الحدود بين اسبانيا والبرتغال قبل ان يصب في الاطلسي. ومينو منطقة شمال البرتغال، وتعد نحو مليون و ٣٠٠ ألف نسمة. وتعتبر مهد الامة البرتغالية.

دورو، نهر في شبه الجزيرة الإيبيرية، طوله ٨٥٠ كلم، ينبع في منطقة سييرا دو أوربيون (على علو ٢٢٥٠ م.)، يسقي منطقة كاستيليا، يشكل الحدود بين اسبانيا والبرتغال، ويعبر البرتغال قبل ان يصب في الاطلسي عند مدينة بورتو. ودورو، منطقة ساحلية برتغالية تضم أقضية بورتو، وقسم من اقضية فيزو وأفيرو. مساحتها ٣١٨٥ كلم م.، وعدد سكانها نحو ١،٧٠٠ مليون نسمة. مهمة في زراعة الكرمة (نبيذ بورتو).

ولمنطقة «مينو–دورو» (أي المنطقة الممتدة بين هذين النهرين) معنى تاريخي وديني وسياسي وقومي في ذاكرة البرتغاليين من حيث ارتباطها بأحداث تاريخية هي في اساس وجود البرتغال الحالية، ويمكن إجمالها بالتالي:

يبدأ تاريخ البرتغال الحديث بالحروب التي جرت ضد «المور» (العرب المسلمون) الذين كانوا اسياد البلاد منذ القرن الثامن. ورغم الوجود الاسلامي، استمر المعتقد المسيحي على درجة من الصلابة دفعت بالكثيرين من البرتغاليين، وعلى رأسهم النبلاء، لأن يلجأوا إلى الجبال الشمالية الغربية من البلاد قصد المقاومة واسترداد المنطقة من ايدي المسلمين. لكنهم لم يتوصلوا إلى تحقيق هذا الامر إلا في القرن الحادي عشر، عندما بدأت فرق من الفرسان الاوروبيين تنضم إلى البرتغاليين. وأشهر هؤلاء كان هنري دو بورغون الذي قدم من فرنسا على رأس عدد من المتطوعين. وتزوج من أميرة مملكة ليون التي كانت اراضيها تضم كل المنطقة الممتدة ما بين نهري مينو ودورو. وكانت هذه المنطقة تدعى «كونتية البرتغال».

في العام ١١٣٩، أعلن ألفونس (ابن هنري دو بورغون) نفسه ملكًا على البرتغال باسم ألفونس الاول. وتمكن من ان يضم إليه مجموعة من المتطوعين الصليبيين الذين كانوا في طريقهم إلى الاراضي المقدسة (القدس)؛ فتمكن، بمساعدتهم، من السيطرة على سبع قلاع للمسلمين، منها ليشبونة. وبعدها حقق نصرًا آخر بدخوله إلى رأس ساو فينسنت (سان فانسن).

وتمكن خلفاؤه من تحقيق انتصارات متلاحقة على المسلمين، فأخرجوهم من البلاد. وفي اواسط القرن الثالث عشر اصبحت حدود البرتغال هي الحدود المعروفة حاليًا.

أحد أهم ملوك البرتغال الاوائل كان الملك دنيس الذي حكم من ١٢٧٩ إلى ١٣٢٥، والذي لُقّب ب«الملك الفلاح» بسبب الاهتمام الخاص الذي أولاه للزراعة. فهو الذي أمر بزراعة غابات الصنوبر منعًا لانجراف الاراضي (أفادت هذه الغابات، في ما بعد، بتوفيرها الأخشاب لصناعة السفن التي استخدمها البحارة المستكشفون). والملك دنيس هو الذي اسس أول جامعة برتغالية، وهو الذي جعل من لهجة مدينة بورتو لغة برتغالية وطنية. ففي الوقت الذي كانت فيه اللاتينية اللغة المكتوبة الوحيدة: نظمّ هذا الملك اشعارًا، وحرّر أوامر ملكية ونصوصًا رسمية أخرى باللغة البرتغالية

زعماء ورجال دولة

*** أرياغا، مالويل دو Arriaga, M.De** (١٨٤٠-١٩١٧): أول رئيس للجمهورية البرتغالية (١٩١٠). وفي أول عهده تشكلت حكومة موقتة؛ وجرت، في ٢٨ ايار ١٩١٠، انتخابات الهيئة التأسيسية؛ وفي اليوم التالي، قدّم أرياغا استقالته وفي ٣ ايلول ١٩١٠، وضع أول دستور للجمهورية.

*** إيانس، أنطونيو دوس سانتوس رماهو Eanes, A.S.R.** (١٩٣٥-): راجع «انتخابات وحكومات» في النبذة التاريخية.

*** براغا، تيوفيلو Braga, T.** (١٨٤٣-١٩٢٤): سياسي وكاتب برتغالي. استاذ الادب الحديث في جامعة ليشبونة (١٨٧٢). عُرف بحماسه للنظام الجمهوري وبعدائه للإكليروس. رئيس الحكومة الموقتة (١٩١٠) ورئيس الجمهورية في ١٩١٥).

*** بيو، دوارتي (دوق براغانسا)**: سياسي برتغالي. سليل آخر اسرة ملكية حكمت البرتغال، يعود نسبه إلى الملك جان السادس الذي حكم البلاد من ١٧٩٩ إلى ١٨٢٦، وهذا الأخير سليل الأسرة التي بدأت على عرش البلاد على يد الملك جان في العام ١٦٤٠.

ولد دوارتي بيو (دوق براغانسا) في ١٥ أيار ١٩٤٥. يسكن في ليشبونة، ويعتبر احد افراد الطبقة الثرية في البرتغال. أخذ يبرز سياسيًا بعد صدور نتيجة استطلاع للرأي (١٩٩٤) كشفت ان ٤٧٪ من البرتغاليين يفضلون العودة إلى نظام الملكية على البقاء في ظل النظام الجمهوري الرئاسي الحالي. إثر ذلك، أدلى بتصريحات تركزت على ان «الملكية هي السبيل الوحيد للابقاء على وحدة البلاد وتأكيد هويتها». وقال انه «يود ان تتاح له فرصة أكبر لتحقيق هدفه الكبير المتمثل في الدفاع عن وحدة هذه البلاد، خصوصًا ضد وصول الغرباء باعداد كبيرة، وبوجه خاص الشركات المتعددة الجنسية، ودعاة الفدرالية الاوروبيين وجماعات المافيا».

دوارتي بيو

* **دوامارال، ديوغو فرايتاس:** سياسي برتغالي. استاذ القانون في جامعة ليشبونة. تولى مناصب حكومية عدة، بينها وزارة الخارجية، ورئاسة الوزراء لمرحلة انتقالية، ثم نيابة رئاسة الوزراء ووزارة الدفاع، وكان مرشحًا للرئاسة في ١٩٨٦، لكنه خسر المعركة في مواجهة الرئيس الحالي ماريو سواريز. انتقلت إليه رئاسة الجمعية العمومية للامم المتحدة في الدورة الخمسين لهذه الجمعية (ايلول ١٩٥٠).

* **سا كارنيرو، فرنشيسكو Sa Carneiro,F.** (١٩٣٤-١٩٨٠): سياسي ورجل دولة برتغالي. بدأ عمله السياسي في عهد الرئيس مارسلينو كاتانو الذي خلف سالازار. نائب عن الحزب الحكومي (١٩٦٩). تخلى عن الموالاة وترأس مجموعة اصلاحية من ثمانية نواب. قدّم استقالته (١٩٧٣) اعتراضًا على تقييد الحريات في البلاد. أسس الحزب الشعبي الديمقراطي (أيار ١٩٧٤)، وبعد ايام عين وزيرًا مساعدًا لرئيس الحكومة بالما كارلوس. أيد بقوة رئيس الحكومة في خلافه مع رئيس الجمهورية سبينولا الذي كان يعمل على إضعاف نفوذ من سماهم «الضباط الماركسيين». بعد انتخابات ١٩٧٦، تقرب من الاشتراكيين، وعقد اتفاقًا بين الحزبين (آب ١٩٧٧)، واصبح حزبه يدعى الحزب الاجتماعي الديمقراطي. عارض بقوة رئيس الجمهورية فعارضه الكثيرون من حزبه، فترك رئاسة الحزب. ومع إخراج الحزب الاشتراكي من السلطة (١٩٧٨) استعاد سا كارنيرو رئاسة الحزب الاجتماعي الديمقراطي، وأعلن حملة قوية ضد رئيس الجمهورية والشيوعيين، وشجع على إقامة جبهة انتخابية باسم «التحالف الديمقراطي»، ودعا إلى توسيعها بادخال الملكيين فيها حيث له اصدقاء كثر بينهم. حقق التحالف نصرًا كاسحاً في انتخابات ١٩٧٩، فشهد البرلمان لأول مرة منذ ١٩٧٤ أغلبية متماسكة. ألف حكومة، ودان الغزو السوفياتي لأفغانستان. وزادت شعبيته في انتخابات تشرين الاول ١٩٨٠. في ٤ كانون الاول ١٩٨٠، قتل بحادث طائرة وقتل معه وزير الدفاع ادلينو امارو داكوستا. فرأس الحكومة نائبه وزير الخارجية ديوغو فريتاس دو امرال. ثم جرت الانتخابات الرئاسية بعد ثلاثة ايام وفاز بها الجنرال انطونيو دو سانتوس رمالهو إيناس.

* **سالازار، انطونيو Salazar, A.** (١٨٨٩-١٩٧٠): دكتاتور برتغالي حكم بلاده حكمًا فرديًا مطلقًا طوال ٣٦ عامًا متواصلة. تابع سياسة الاستعمار القديم باساليبه العسكرية في مستعمرات

البرتغال في افريقيا بوجه خاص، وانتهت حياته بينما البرتغال متورطة في حروب واسعة النطاق في جميع مستعمراتها الأفريقية في مواجهة حركات التحرر الوطني التي كانت قد بدأت مع بداية الستينات. ولد سالازار لأسرة من الفلاحين المتوسطين. امضى ثمانية اعوام من صباه في احد الأديرة، لكنه هجر حياة الرهبان والتحق بكلية الحقوق في جامعة كوامبرا. حصل على الدكتوراه في القانون، واصبح استاذًا في مادة الاقتصاد. شارك في تشكيل الحزب الكاثوليكي المركزي. نائب (١٩٢١)، لكنه قدم استقالته من البرلمان بعد حضوره جلسة واحدة وعاد إلى العمل في الجامعة. عاد ودخل معترك الحياة السياسية مع قيام الجيش البرتغالي (٢٨ أيار ١٩٢٦) بانقلاب ضد الحكم البرلماني العلماني الذي كان قائمًا آنذاك، وعينته سلطات الانقلاب وزيرًا للمالية، ولكنه استقال بعد ايام معدودة لأن العسكريين لم يتركوا له حرية التصرف في الشؤون الاقتصادية والمالية. ثم عاد إلى المنصب نفسه (١٩٢٨) في عهد الرئيس انطونيو كارمونا بعد ان تلقى وعدًا بأن يكون مطلق اليد في شؤون البلاد الاقتصادية.وفي ١٩٣٠ تولى وزارة المستعمرات بالاضافة إلى وزارة المالية. فأصدر «قانون المستعمرات» الذي كان انتكاسة خطيرة في علاقة البرتغال بمستعمراتها، وبدأت تظهر عبارة «امبراطورية المستعمرات البرتغالية»، كما ألغى هذا القانون اللامركزية في ادارة الأقاليم التابعة.

اختاره كارمونا، رئيسًا للوزراء (٥ تموز ١٩٣٢) وبقي في هذا المنصب حتى وفاته (١٩٧٠). أنشأ حزب الاتحاد القومي ليكون الحزب الوحيد في البلاد، وتولى زعامته، وأيده في ذلك الجيش وكبار الرأسماليين والكنيسة الكاثوليكية، ووضع دستورًا جديدًا (١٩٣٣) يرتكز على الافكار والمفاهيم الفاشية. وقد ساهمت الكنيسة بدور كبير، بل الدور الأساسي، في دعم سالازار طوال سنوات حكمه حتى جعلت منه «رجل الاقدار»، و «سالازار هو الدولة»، ووصل بها الأمر حد تلقين الأطفال في المدارس عبارات مثل «ا لله في السماء وسالازار في الارض»، خاصة بعد ان وقّع سالازار اتفاقية مع الفاتيكان (أيار ١٩٤٠). في ١٩٣٦، نظم حركة الشبيبة البرتغالية على غرار تنظيمات الشبيبة الهتلرية في المانيا. واثناء الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦-٣٩) أرسل جماعات من المتطوعين البرتغاليين ليقاتلوا في صفوف قوات فرانكو ضد الجمهوريين الاسبان. واثناء الحرب العالمية الثانية، وقع مع الفاتيكان معاهدة الكونكوردات (الاتفاقية البابوية) التي أعطت للكنيسة في البرتغال امتيازات إقتصادية واجتماعية هائلة، ونظمت نشاطاتها في المستعمرات البرتغالية. وفي ١٩٤٩، انضمت البرتغال إلى حلف شمال الاطلسي.

ومع بداية الستينات تعرض نظام سالازار لثلاث هزائم كبرى: أولها حين تمكن ٣٥ من زعماء الحزب الشيوعي البرتغالي (١٩٦١)، وعلى رأسهم امين عام الحزب (الفارو كونهال) من الفرار من سجن قلعة كاشياس الذي كان يعد من أمنع حصون البوليس السياسي البرتغالي. وثانيها عندما تمكنت القوات الهندية (١٩٦١) من تحرير مستعمرة غووا البرتغالية. وثالثها، وهي الأشد اندلاع حرب التحرير في أنغولا، التي تلتها غينيا-بيساو (١٩٦٢) ثم موزامبيق (١٩٦٤). وقد حاول سالازار طوال السنوات التالية - حتى إصابته بالمرض (١٩٦٨) وعجزه عن ممارسة السلطة فعليًا حتى وفاته - ان يستغل حروب التحرير في المستعمرات لتحويل مشكلة البرتغال من أزمة نظام داخلي يتعثر في التخلف والقهر إلى مشكلة خارجية دولية. واستطاع ان يحتفظ بقبضته الحديدية رغم الفشل الداخلي والخارجي لسياسته،

حتى انه عندما اصيب بشلل كلي (١٩٦٨) اعجزه عن ممارسة أي نشاط حتى وفاته في ٢٧ تموز ١٩٧٠، لم يجرؤ احد على ان يبلغه بأن رئيسًا آخر للوزراء - هو احد رجاله مارسيللو كايتانو - يتولى مهامه وانه اعفي من مناصبه.

*** سبينولا، أنطونيو سيباسيتاو Spinola, A.S.** (١٩١٠-): عسكري ورجل دولة برتغالي. نقل إلى افريقيا (١٩٦١) وعين في أنغولا لقمع الحركة التحريرية فيها وبقي هناك حتى ١٩٦٤، حين نقل إلى ليشبونة لمنصب قائد الشرطة العسكرية. قائد أعلى للقوات البرتغالية وحاكم مستعمرة غينيا-بيساو (١٩٦٨-١٩٧٣). في هذه الفترة تأثر بالافكار التحررية، خصوصًا منها الداعية لحقوق الشعوب بالحرية والاستقلال وتقرير المصير. فاتصل بزعماء افارقة، منهم الزعيم السنغالي ليوبولد سنغور بحضور الزعيم الغيني اميلكار كابرال، وكذلك بممثل الحزب الاشتراكي البرتغالي ماريو سواريز الذي كان لاجئًا سياسيًا في باريس. الأمر الذي أكسبه سمعة طيبة في صفوف الضباط والاوساط الشعبية في البرتغال. وهذه الاتصالات مهدت لمفاوضات لندن (أيار ١٩٧٤) والجزائر (آب ١٩٧٤) التي أسفرت عن نيل غينيا-بيساو استقلالها الكامل. وعلى أثر نجاح تحرك سبعة ضباط (مجلس الانقاذ الوطني)، تسلم سبينولا السلطة. لكن سرعان ما دب الخلاف بينه وبين هؤلاء الضباط «اليساريين»، خصوصًا حول مسألة استقلال أنغولا التي رأى سبينولا تركها لاستفتاء شعبي، بعكس الحكومة التي ايدت استقلالها الفوري. وقد حاول سبينولا تجاوز «مجلس الانقاذ الوطني» بتوجيهه «نداء إلى الاغلبية الصامتة» لتتحرك وتنظم مظاهرة كبرى، فقرر المجلس منعها، وقدم سبينولا استقالته احتجاجًا وقام بتحريض القوى المحافظة المحلية والاوروبية على الوضع في البرتغال. اتهم بالمشاركة بالحركة الفاشلة (١١ آذار ١٩٧٥)، فاضطر إلى الفرار للبرازيل، فسويسرا، ولم يعد إلى البرتغال إلا بعد نجاح القوى المحافظة والوسط في الانتخابات النيابية (ربيع ١٩٧٦) وبعد ان ردت الحكومة إليه اعتباره.

*** سواريز، ماريو Suarez, M.** (١٩٢٤-): سياسي اشتراكي (الاشتراكية الدولية) ورجل دولة برتغالي. ترأس حركة الشباب الديمقراطي المتحد. عضو اللجنة التنفيذية لهيئة العمل الاشتراكي الديمقراطي (١٩٥٢-١٩٦٠). نشط كممثل للاشتراكيين الديمقراطيين البرتغاليين في الاشتراكية الدولية. تعرض للسجن ١٢ مرة. نفي إلى باريس (١٩٧٠-١٩٧٤). عاد إلى البرتغال على أثر سقوط النظام الدكتاتوري ١٩٧٤. وزير الخارجية (١٩٧٤-٧٥). رئيس الوزراء (١٩٧٦). استقال (١٩٧٨) بعد فشله في تأمين أكثرية برلمانية ورفضه التحالف مع الشيوعيين. تفرغ لشؤون الحزب الاشتراكي البرتغالي الذي عصفت به الانشقاقات الداخلية. تتسم مواقفه بموالاة السياسة الغربية والاسرائيلية، وهذه مواقف معروفة إجمالاً لدى الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا الغربية. إصلاحي في الشؤون الداخلية. انتخب رئيسًا للجمهورية في ١٩٨٦ (راجع الفقرات الاخيرة من النبذة التاريخية).

ماريو سواريز.

* سيلفا بيس، كاردوزو Silva Pais,C. (١٨٧٢-١٩١٨): راجع النبذة التاريخية.

* غوميز، كوستا Gomes, C. (١٩١٤-): جنرال ورئيس حركة القوات المسلحة ورئيس الدولة (٢٦ نيسان ١٩٧٤). في ٣٠ أيلول ١٩٧٤ استقال الرئيس سبينولا إثر انشقاق «مجموعة الانقاذ الوطني» إلى جناحين يميني ويساري، تاركًا السلطة في أيدي الضباط والمدنيين اليساريين، وفي اليوم نفسه عيّن الجنرال كوستا غوميز رئيسًا لحركة القوات المسلحة وللدولة (وبين أيار ١٩٧٤ وتشرين الثاني ١٩٧٥، حصلت المستعمرات البرتغالية التالية على استقلالها: أنغولا، موزمبيق، غينيا-بيساو، ساو تومي وبرنسيب وجزر الرأس الأخضر). في آذار ١٩٧٥، حاولت عناصر عسكرية يمينية القيام بانقلاب لاعادة سبينولا، ولكنها فشلت، فلجأ سبينولا إلى البرازيل. في أعقاب ذلك حُلّت مجموعة الانقاذ الوطني وأنشىء مكانها مجلس ثوري أعلى تسلّم السلطات التنفيذية والتشريعية كافة، وهدفه «توجيه البرنامج الثوري في البرتغال وتنفيذه». في ٢٥ نيسان ١٩٧٥، جرت انتخابات الجمعية التأسيسية، فنال الاشتراكيون ١١٦ مقعدًا من مجموع ٢٥٠ مقعدًا، ورغم ذلك أبدوا رغبتهم في عدم الاشتراك في الحكومة بسبب خلافاتهم مع الحزب الشيوعي البرتغالي. في ٢٦ تموز تشكلت ترويكا حاكمة: الجنرال كوستا غوميز، رئيس الدولة؛ فاسكو غونزالفس، رئيس الوزراء؛ وأوتيلو دو كارفالو رئيس «كوبكون» (الهيئة التشريعية)، وشكلت حكومة غير حزبية بعد اسبوع واحد. لكن معارضة المعادين للشيوعية (إضطرابات الفلاحين في شمال البلاد) دفعت برئيس الحكومة للاستقالة، فخلفه الاميرال خوسيه أزيفيدو رئيسًا لحكومة جديدة تضم ممثلين عن الاشتراكيين والديمقراطيين الشعبيين والشيوعيين وحركة القوات المسلحة (الحكومة السادسة خلال نحو عام واحد). وفي منتصف تشرين الثاني ١٩٧٥، قام الشيوعيون واليسار المتطرف باضطرابات ومظاهرات مطالبين باسقاط حكومة أزيفيديو، وتشكيل حكومة ثورية. لكن المحاولة الشيوعية فشلت. فقام المجلس الثوري الاعلى باعادة تنظيم القوات المسلحة، وفرض الانضباط العسكري وإبعاد الجيش عن الاحزاب السياسية. كل هذه الاحداث والمتغيرات وغوميز رئيسًا للدولة؛ إلى ان جاء ٢٥ نيسان ١٩٧٦، عندما بدأ العمل بدستور جديد، فانتخب مجلس تشريعي من ٢٦٣ عضوًا. وبعد نحو شهرين (في حزيران ١٩٧٦) انتخب رئيس هيئة الاركان الجنرال انطونيو إيانس رئيسًا للجمهورية.

* كارفالهو، أوتيلو دو Carvalho, O.De (١٩٣٨-): عسكري برتغالي اضطلع بدور اساسي في التخطيط لانقلاب ٢٥ نيسان ١٩٧٤. تزعم الجناح اليساري داخل «حركة القوات المسلّحة» التي أطاحت مخلفات نهج سالازار الدكتاتوري. اعتقل للمرة الأولى في ١٩٧٦ عقب الصراعات التي انفجرت داخل هذه الحركة. شمله قرار جماعي بالعفو صدر في ١٩٧٩، وأعيد إلى الجيش في ١٩٨٢ برتبة مقدم، بيد انه عُين في مناصب إدارية وأُبعد عن المناصب الرسمية. أسس، مع انصاره «جبهة الوحدة الشعبية» في ١٩٨٠. وفي حزيران ١٩٨٤، اعتقل مجددًا بتهمة الاشراف على تنظيم منظمة «قوى ٢٥ نيسان الشعبية»، وهي منظمة إرهابية مسؤولة عن عدد من التفجيرات وأعمال العنف. في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٧، حُكم عليه بالسجن ١٨ عامًا. كتب «فجر نيسان» الذي لاقى رواجًا كبيرًا في البرتغال. في الكتاب قصة انقلاب ٢٥ نيسان ١٩٧٤، حيث أكد كارفالهو جازمًا: «أنا الذي صنعت كل شيء».

* كارمونا، أوسكار انطونيو Carmona, O.A.

(١٨٦٩-١٩٥١): عسكري ورجل دولة برتغالي. تخرج من المدرسة الحربية في البرتغال وهو في التاسعة عشرة من عمره. اصبح جنرالاً في ١٩٢٢، ثم حاكمًا لمقاطعة إيفورا. بعد اعلان الجمهورية (١٩١٠)، مرّت البرتغال بأزمة اقتصادية وسياسية تميزت بتكاثر الاحزاب السياسية وعدم ثبات الحكومات، واضطرابات دموية (١٩٢١)، وانهيار العملة والاقتصاد. فقامت مجموعة من العسكريين بانقلاب في ٢٨ أيار ١٩٢٦ سلّمت على أثره السلطة لقيادة ثلاثية (ترويكا) من ضمنها الجنرال كارمونا الذي تسلم مهام الشؤون الخارجية. وسرعان ما انفجر الصراع بينهم، فعمد كارمونا إلى إزاحة رفيقيه (كابيكادس وداكوستا) ونصّب نفسه رئيسًا للوزراء، ورئيسًا للدولة موقتًا في تموز ١٩٢٦. وبعد أشهر من الاضطرابات، قضى كارمونا على معارضيه (خاصة في بورتو وليشبونة) بدعم من التيار الملكي.

في آذار ١٩٢٨، انتخب كارمونا رئيسًا للجمهورية؛ واستعان، لاصلاح اوضاع البرتغال المالية، بالدكتور سالازار الذي نجح، بسرعة وبصورة مدهشة، في إصلاح الاقتصاد وإنعاشه بفضل اجراءاته الحازمة، فأصبح رئيسًا للوزراء في ١٩٣٢، واستمر في منصبه ٤٠ عامًا. وأعيد انتخاب كارمونا رئيسًا للجمهورية في ١٩٣٥ و ١٩٤٢ و ١٩٤٩.

*** كايتانو، مارشيلو Caetano, M.** (١٩٠٦-١٩٨٠): رجل دولة برتغالي. خلف الدكتور سالازار في رئاسة الوزراء، واطاحت حكمه ثورة نيسان ١٩٧٤، فلجأ إلى البرازيل (وبقي فيها إلى ان توفي).

ولد كايتانو في اسرة وضيعة واصبح استاذًا في الحقوق من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٦، ثم عميد جامعة ليشبونة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٢. تأثر بأفكار شارل مورّا، وأُعجب بنظام موسوليني، واعتبر منظّر مذهب التعاضدية الحرفية (Corporatisme) في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية.
أصبح وزيرًا للمستعمرات (أقاليم ما وراء البحار) من ١٩٤٤ إلى ١٩٤٧، ثم نهض، لمدة عامين بمسؤوليات رئاسة «الاتحاد القومي»، وهو تنظيم سالازاري. ترأس المجلس النيابي من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٥، ودخل الوزارة من جديد وزيرًا لشؤون الرئاسة واصبح الذراع اليمين لسالازار إلى ان استقال من الحكومة في ١٩٥٨. هذه الاستقالة، إضافة إلى استقالته من منصب عميد جامعة ليشبونة احتجاجًا على تدخل البوليس ضد طلبة معادين للنظام، صنعت له «هالة ليبرالية» سرعان ما تبددت. ففي ١٩٦٨، دعاه سالازار إلى خلافته على رأس الحكومة، وبدلاً من ان يسعى كايتانو إلى انتهاج خط ليبرالي انطبع في أذهان البرتغاليين عنه، رفع شعار «التجديد من خلال الاستمرار». ولم يجدّد فعلاً إلا في العام الاول من حكمه، فمنح حق الانتخاب للنساء، وخفّف من وطأة الرقابة على الصحافة، وحاول تجديد الكوادر الاقتصادية. بيد انه سرعان ما رضخ لضغوط السالازاريين المتطرفين وطوى صفحة التجديد. وعندما أطاحت «حركة القوات المسلّحة» حكمه، كانت البرتغال على شفير هاوية الأفلاس بسبب حروبها الاستعمارية في افريقيا.

*** كونهال، ألفارو Cunhal, A.**: أمين عام الحزب الشيوعي البرتغالي منذ ١٩٦١. انضم إلى هذا الحزب في ١٩٣١. اعتقل في ١٩٣٧، وفي ١٩٤٠، وفي ١٩٤٩ حيث بقي معتقلاً حتى ١٩٦٠ حين تمكن من الهرب، وأخذ يعمل على اعادة تنظيم الحزب في الداخل وفي المنفى. اتبع خطًا تابعًا لخط الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي. وبعد حركة ١٩٧٤، عيّن وزيرًا بلا وزارة في عدة حكومات. وفي ١٩٨٣، اصبح عضو مجلس الدولة. عارض الشيوعية الاوروبية.

برمودا، جزر

الموقع: أرخبيل من ٣٦٠ جزيرة (٢٠ منها مأهولة) في المحيط الأطلسي، على بعد ٩٥٦،٦ كلم من ساحل ولاية كارولينا الجنوبية الاميركية (وتبعد ١٢٤١ كلم من نيويورك، و١٦٦٤ كلم من ميامي). أعلى نقطة فيها (تاون هيل) ترتفع ٧٩ م. عن سطح البحر. ليس فيها مجاري مائية.

المساحة: ٥٣ كلم م..

السكان: نحو ٥٥ ألف نسمة، إضافة إلى نحو ٢٢٠٠ عسكري أميركي. نحو ٦١٪ من السكان سود. نحو ٣٧٪ يدينون بالأنغليكانية، و١٤٪ كاثوليك، و٣٤٪ من الطوائف المسيحية الأخرى. ويتوقع ان يصبح عدد سكان هذه الجزر نحو ١٠٣ آلاف في العام ٢٠٠٠.

العاصمة هاملتون (نحو ٢٠٠٠ نسمة)، واللغة الانكليزية.

الحكم: مستعمرة بريطانية. الدستور المعمول به صادر في ٨ حزيران ١٩٦٨.رئيس الدولة، الملكة اليزابت الثانية. الحاكم هو اللورد وادينغتون، عينته الملكة في ٢٠ تشرين الاول ١٩٩٢. رئيس الوزراء جون سوان. مجلس الوزراء من ١٣ وزيرًا. البرلمان من ٤٠ عضوًا منتخبًا لمدة خمسة أعوام (في انتخابات ٩ شباط ١٩٨٩، فاز حزب وحدة جزر برمودا ب ٢٣ مقعدًا)، ومجلس الشيوخ من ١١ عضوًا (٥ تعينهم الحكومة، ٣ يعينهم الحاكم، و٣ يمثلون المعارضة). وفي البلاد قاعدة جوية وبحرية أميركية على مساحة ٦ كلم م.، استأجرتها الولايات المتحدة في ١٩٤١ ولمدة ٩٩ عامًا.

الاقتصاد: القطاع السياحي هو الأهم (نحو ٥٥٠ ألف سائح سنويًا). وتشكل الضرائب الجمركية أهم مصدر للدخل الحكومي بسبب سياسة الاعفاءات الضريبية حيال الشركات الأجنبية. وأهم صناعة: الدهان، مستحضرات الصيدلة والتجميل، والطباعة واصلاح السفن.

نبذة تاريخية: يرجع إسم برمودا إلى المستكشف الاسباني خوان برموديز الذي اكتشف هذه الجزر في ١٥٠٣. ولم يكترث الاسبان باستعمارها لخلوها من الثروات الطبيعية. وفي ١٦١٢ أسّس ستون مستوطنًا أنكليزيًا موقعًا سكنيًا (مستوطنة) أطلقوا عليه إسم «سان جورج» الذي لا يزال يحتفظ بأشكاله التي كان عليها في القرن السابع عشر.

اعتمد اقتصاد الجزر، طيلة فترة طويلة، على بناء المراكب وإصلاحها. كما عمل مستوطنوها في تسهيل تجارة العبيد. وخلال حرب الانفصال الاميركية، ساعد بعض البرموديين السفن الجنوبية على مهاجمة تحصينات الشماليين.

بين ١٩٢٠ و ١٩٢٣، عرفت برمودا انطلاقة سياحية حسّنت، إلى حد كبير، من الاوضاع المعيشية لسكانها، وذلك بسبب تحريم القوانين الاميركية النافذة وقتئذ صنع الكحول وبيعها على جميع اراضي الولايات المتحدة، ما دفع بعدد من الاميركيين لأن يقصدوا برمودا لإرواء عطشهم إلى الكحول. فاكتشفوا، في الوقت نفسه، جمال شواطىء برمودا واعتدال مناخها. وفي الحرب العالمية الثانية، استخدمت جزر برمودا كقاعدة عسكرية لقوات الحلفاء، كما عقدت على أرضها عدة مؤتمرات دولية أثناء الحرب وبعدها.

في منتصف ١٩٦٧، صدر دستور جديد للجزر جعلها متمتعة بحكم داخلي ذاتي. وفي ١٩٦٨، جرت انتخابات عامة (لأول مرة) اسفرت عن تعيين هنري تكر أول رئيس وزراء لمستعمرة برمودا. في هذه الاثناء، بدأ حزب العمل التقدمي، الذي يتألف من أكثرية سوداء، يخوض حملة في سبيل استقلال برمودا عن بريطانيا. وفي ١٩٧٣، حصلت اضطرابات بسبب اغتيال الحاكم البريطاني (السير ريتشارد شاربلس) ومفوض الشرطة.

وفي انتخابات أيار ١٩٧٦، فاز حزب وحدة جزر برمودا (مقرب من السلطات البريطانية)، وانتخب جون ديفيد غيبون رئيسًا للوزراء. وعلى أثر اعدام بعض الثوار المطالبين بالاستقلال التام والناجز (أحدهم كان قد اغتال الحاكم العام)، عمّت الاضطرابات في البلاد؛ فأرسلت بريطانيا قوة إلى برمودا وأعلنت حالة الطوارىء.

في ١٧ آب ١٩٩٥، جرى استفتاء حول خيار الاستقلال التام، فاختارت غالبية كبيرة بقاء الارتباط ببريطانيا، فتكون برمودا أقدم مستعمرة بريطانية (منذ ١٦٨٤). وكان هذا الاستفتاء بشأن الاستقلال هو الأول في تاريخ برمودا.

بروناي

نبذة عامة

الموقع: تقع بروناي جنوب غربي الهند الصينية، على الشاطىء الغربي لجزيرة بورنيو في بحر الصين. يحيط بها ساراواك (إحدى الدول المكوّنة لاتحاد ماليزيا) وبحر الصين.
المساحة: ٥٧٦٥ كلم م..
العاصمة: بندر سري بيغاوان (نحو ٥٣ ألف نسمة).
اللغات: الماليزية (رسمية)، والصينية، والانكليزية.
السكان: كان عددهم ٨٤ ألفًا في العام ١٩٦٠، و ١٣٦ ألفًا في ١٩٧٠، و ٢١٦ ألفًا في ١٩٨٤، و ٢٥٠ ألفًا في ١٩٩٢. وتشير التقديرات إلى انهم سيصبحون نحو ٣٨٦ ألفًا في العام ٢٠٠٠.
أكثر من نصفهم من أصل ماليزي، ونحو ربعهم من أصل صيني، والباقون يتحدرون من السكان الاصليين، خاصة من قبائل دياكز. الاسلام هو الدين الرسمي، وتنتشر ايضًا البوذية والكونفوشيوسية.
الحكم: سلطنة. دولة إسلامية. عضو في الكومنولث. دستور ٢٩ أيلول ١٩٥٩ (معدّل في ١٩٦٥). السلطان الحالي حسن البلقية، حاكم منذ ٥ تشرين الاول ١٩٦٧، تُوِّج على عرش السلطنة في اول آب ١٩٦٨. مجلس الوزراء يساعد السلطان. مجلس النواب من ٢٠ عضوًا، يعينهم السلطان. الاحزاب محظورة منذ ١٩٨٨ وبروناي تطالب بمنطقة ليمبنغ من ساراواك.
الاقتصاد: الاعتماد الأساسي على النفط والغاز الطبيعي. تستخدم الحكومة مواردها من النفط في إنشاء المشاريع وتنويع مصادر الاقتصاد. وأهم هذه المشاريع مركز لإسالة الغاز في لوموت، وهو أكبر مركز من نوعه في العالم. وأهم مجالات القطاع الصناعي: الأخشاب، الورق، الأسمدة، الكيميائيات والزجاج. أما الزراعة فقليلة الأهمية،

وتستورد بروناي نحو ٨٥٪ من حاجاتها الزراعية.
تتوزع اليد العاملة بنسبة ٥٪ على الزراعة، ٤٢٪ على الصناعة، ٤٨٪ على الخدمات والتجارة، و ٥٪ على المناجم.
في سلطنة بروناي ستة بنوك أجنبية إضافة إلى بنك بروناي الدولي. وكان سلطان بروناي، حسن البلقية (أحد أثرى أثرياء العالم، وثروته تقدر ب ٣٧ بليون دولار) أعلن في ١٩٩٠ عن «ايديولوجية» وطنية تعرف باسم النظام الملكي الاسلامي لطائفة الملايو، وهي ايديولوجية تشدّد على الثقافة الاسلامية كأسلوب حياة، ودعا إلى إقامة مصرف اسلامي لا يتعامل بالفائدة. وكانت بروناي قررت إنفاق ٥،٥ بليون دولار بروناي (٣،٤٥ بليون دولار أميركي) على خطة خمسية للتنمية ١٩٩١-١٩٩٦ لتحويل اقتصادها من الاعتماد على النفط. وبررت ذلك في حينه بقولها إن تقلبات الاسعار العالمية للنفط أدّت إلى وجوب التفكير في البدائل.

نبذة تاريخية: في العام ١٣٤١، أقام العرب في بروناي أول سلطنة شكلت البداية لنظام السلطنة الحالي. بعد عقود (في اواسط القرن الخامس عشر) رسّخت السلطنة نفسها كسلطنة إسلامية في مواجهة مطالب من الهندوسيين لجعلها مملكة هندوسية. فأصبحت، في بداية القرن السادس عشر، دولة مستقلة وقادرة على الاشراف على كل المناطق الواقعة شمال غربي بورنيو وعلى العديد من الجزر الصغيرة المجاورة. وبعدما تمكنت من صدّ غزو إسباني، في ١٥٨٠ أخذت تضعف حتى لم تعد تتضمن إلا إقليمها الحالي الذي ثبتت عليه منذ نهاية القرن التاسع عشر.
في القرن الثامن عشر، أقامت شركة الهند البريطانية مركزًا تجاريًا لها في بروناي. وخلال هذا القرن، نشطت (في البلاد، ومنها إلى منطقة جنوب شرقي آسيا) تجارة العبيد. وفي ١٨٨٨، وقّعت معاهدة جعلت من بروناي محمية بريطانية. ونظام المحمية هذا استمر حتى ١٩٧١.

في ١٩٢٩، اكتشف النفط في البلاد الذي وضعها على طريق الثراء الخيالي. وفي ٢٩ أيلول ١٩٥٩ صدر الدستور (عدّل في ١٩٦٥) الذي ابقى شؤون الدفاع والخارجية بيد بريطانيا، ومنح السلطان إدارة الشؤون الداخلية. والسلطان هو عمر علي سيف الدين، الوريث الثامن والعشرين لسلالة حكام بروناي منذ القرن الخامس عشر. في ١٩٦٢، جرت انتخابات عامة على أساس الدستور، فاز بها حزب الشعب البروني (جميع مقاعد المجلس الاستشاري). ويتزعم الازهري هذا الحزب الذي قاد إنتفاضة ضد الوجود البريطاني بمساعدة من أندونيسيا، وكذلك ضد مشروع ضم بروناي إلى اتحاد ماليزيا. إلا ان السلطان قمع هذه الحركة بمساعدة القوات البريطانية له، ومنع حزب الشعب من ممارسة نشاطه، و لم ينضم إلى اتحاد ماليزيا.
في ١٩٦٧، تنازل السلطان عن الحكم لولده حسن الله البلقية (مولود في ١٥ تموز ١٩٤٦). وفي ١٩٧٥، أصدرت الامم المتحدة قرارًا بانسحاب القوات البريطانية من بروناي، وبعودة المنفيين السياسيين، وباجراء انتخابات حرة. فجرت مفاوضات مع الحكومة البريطانية بشأن استقلال بروناي، اكتفت بريطانيا، على أثرها، بمنح

بروناي حكمًا ذاتيًا وباطلاق وعد بمنحها الاستقلال التام في ١٩٨٢. لكن هذا الاستقلال تأخر إلى كانون الثاني ١٩٨٤. وفور إعلان الاستقلال، انضمت بروناي إلى مجموعة دول «أسيان».

لكن بريطانيا استمرت تتنازع النفوذ على بروناي مع أندونيسيا وماليزيا بسبب غناها النفطي وموقعها الاستراتيجي. واستمرت الورقة الرابحة بيد بريطانيا. فالسلطان حسن الله البلقية نفسه يحمل لقب «سير»، والجيش الباقي لحماية بروناي داخليًا وخارجيًا، هو من فرقة «الفوركا» البريطانية... واما الحكومة نفسها فيرئسها السلطان نفسه، وهو ايضًا وزير الداخلية والمالية، وتضم والده وشقيقه.

وفي عام الاستقلال نفسه (١٩٨٤)، قُدّمت عشرات ألوف طلبات الهجرة إلى بروناي (من اللبنانيين والفلسطينيين واليمنيين بصورة خاصة) على أثر إجراءات أعلنت عنها بروناي تقضي بتشجيع الهجرة إليها وبعروض مغرية تعزيزًا لقوتها العاملة. ومن أولى النشاطات الدبلوماسية التي أقدم عليها سلطان بروناي، بعد الاستقلال، زيارته للاردن ومحادثاته مع الملك حسين بشأن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين (كانون الاول ١٩٨٤).

وبروناي هي إحدى الدول الست (مع الصين وماليزيا والفيليبين وتايوان وفيتنام) المتنازعة على ملكية جزر سبراتليز (مجموعة من الجزر الصغيرة الغنية بالنفط في بحر الصين). وهذه الدول ما انفكت توجه الدعوات لعقد اجتماعات في ما بينها وإيجاد حلول لمشكلة جزر سبراتليز تجنبًا في جعلها موضوع صراع في المنطقة. ولجميع هذه الدول قوات في جزر سبراتليز باستثناء بروناي.

السلطان حسن البلقية.

بريطانيا

بطاقة تعريف

الاسم: «المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمالي أيرلندا»، هو الإسم الرسمي لهذه الدولة التي غالبًا ما يُطلق عليها إسم آخر، مثل «بريطانيا العظمى» وهو إسم الجزيرة الأكبر من مجموعة الجزر أو الارخبيل البريطاني، أو إسم «إنكلترا» وهو إسم الجزء الأكثر سكانًا والأهم إقتصاديًا وسياسيًا.

وفي سياق الكلام على «الإسم» الذي يجسّد الواقع الدستوري والكياني الحالي للدولة لا بدّ من الإشارة إلى أمرين: الأول، يفاخر البريطانيون بأن المملكة المتحدة هي كيان «أهم من عملية التجميع البسيطة لأجزائها» (الجغرافية) بحسب التعبير الذي أورده «حكماء» الدستور الذين شكلوا «اللجنة الملكية للدستور ١٩٦٩-١٩٧٣». فبرأي حكماء اللجنة هؤلاء، حكم التاريخ هو الذي شرّع الاتحاد: اتحاد انكلترا مع الويلز (أو بلاد الغالز، أو الغال، باللغة الفرنسية) في العام ١٥٣٦ التي تخلت عن مطالبها في حكم نفسها بنفسها؛ ومع اسكوتلندا (أو إيقوسيا) في العام ١٧٠٧؛ ومع أيرلندا، حيث أصبح اتحادًا رسميًا في العام ١٨٠٠ (بعد أكثر من قرنين من السيطرة الانكليزية ورغم خسارة الجزء الأكبر من الجزيرة الأيرلندية في ١٩٢١).

الأمر الثاني، ان دارسين سياسيين واستراتيجيين وجغراسيين بدأوا، خاصة في السنوات الأخيرة، يطرحون مثل هذه الأسئلة: هل «المملكة المتحدة» لا تزال تمثل نموذجًا ثابتًا وقادرًا على

الحياة؟ النزعة الانفصالية الحادة التي بدأت في ايرلندا الشمالية (مقاطعة أولستر) منذ ١٩٦٩ ولا تزال؟ نمو النزعة ــــــــــ القومية في بعض الاوساط الاسكوتلندية والويلزية؟ ــــــــــ

إزدياد الفروقات الاقتصادية بين بعض المناطق؟ ألا يودي كل ذلك إلى نوع من تفكك؟ وما هي مداياته؟ وهل هناك من مبالغة في كل قول يتوقع «انفراطًا للدولة البريطانية»؟. تقتضي الاشارة كذلك أن غالبية الذين يكتبون في هذه المسألة هم من الفرنسيين.

الموقع والمساحة: في أوروبا الغربية. أرخبيل تبلغ مساحته الاجمالية ٢٤٤١٥٧ كلم م.. مساحة جزيرة بريطانيا العظمى لوحدها ٢٢٩٩٨٣ كلم م.. المسافة بين أبعد نقطتين طوليًا ٩٦٠ كلم، وعرضيًا ٤٨٠ كلم. وليس هناك من نقطة في البلاد تبعد عن البحر أكثر من ١٢٠ كلم.

العاصمة: لندن، وأهم المدن: برمنغهام، غلاسغاو، ليفربول، مانشستر، شفيلد، ليدز، أدمبورغ، وغيرها (راجع مدن ومعالم).

السكان: كان عددهم في العام ١٧٥٠ (٧،٥ مليون نسمة)، وفي ١٨٠١ (١١،٩ مليون نسمة)، وفي ١٨١١ (١٣،٤)، وفي ١٨٢١ (١٥،٥)، وفي ١٨٤١ (٢٠،٢)، وفي ١٨٦١ (٢٤،٥)، وفي ١٨٩١ (٣٧،٧)، وفي ١٩٠١ (٤١،٤)، وفي ١٩٣١ (٤٦ مليونا)، وفي ١٩٧١ (٥٥،٥)، وتشير التقديرات الاحصائية لهذا العام ١٩٩٥ إلى انهم بلغوا نحو ٥٨ مليون نسمة.

اللغات: الانكليزية (رسمية منذ العام ١٣٩٩)، وأصلها اللغة الجرمانية الغربية التي حملها معهم الغزاة الانكلو-ساكسون في القرنين السادس والسابع (٨١٪ من قاموس الاستعمال اليومي جرماني الاصل) إلى جزيرة بريطانيا العظمى التي كان سكانها يتكلمون اللغة السلطية (نسبة إلى شعب السلط (Celtes). وبين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر، ادخل رجال الدين كلمات علمية مأخوذة من اللاتينية. وبعد القرن الخامس عشر، بدأت الانكليزية الحديثة المتميزّة بالتبسط وبتأثير من الفرنسية.

وهناك أقليات لا تزال تتكلم لهجة الويلز (في بلاد الويلز)، ولهجات إخرى في اسكوتلندا، ومقاطعة ايرلندا الشمالية، وجزيرة المان (Man)، وجزر كورنواي. كما ان السلطية نفسها لا تزال موجودة، ولكن لبواعث علمية ودراسية. في العام ١٩٦٧، صدر في بلاد الويلز «قانون لغة الويلز» ينص على المساواة بين اللغة الانكليزية ولغة الويلز في المجال القضائي وفي الشؤون العامة.

الاديان: الأغلبية الساحقة مسيحيون. وهؤلاء منقسمون بين أغلبية كبيرة من الأنغليكان (والانغليكان منقسمون ايضًا بين بروتستانت وغيرهم من مذاهب وبدع)، وبين كاثوليك. ابتداءً من أول أيلول ١٩٩٠، حلّ «مجلس كنائس بريطانيا العظمى وأيرلندا» الذي أصبح يضم الكاثوليك، محل «المجلس البريطاني للكنائس».

وفي بريطانيا أقليات دينية أخرى: السيخ (١٧٥ ألفًا)، الهندوسيون (١٤٠ ألفًا)، المسلمون (مليونان تقريبًا - راجع معالم تاريخية)، اليهود (١١١ ألفًا)، كريشناويون (١٢ ألفًا).

الحكم: ملكي دستوري. الدستور: الشرعة العظمى (ماغنا كارتا) منذ العام ١٢١٥، هي الأساس، وقد أكملتها قوانين أساسية. الملك (سلطة رمزية): حاليًا الملكة اليزابت الثانية التي خلفت والدها الملك جورج السادس في ٦ شباط ١٩٥٢. والملكة على رأس ٤٨ بلدًا يشكلون الكومنولث (راجع «الكومنولث» في

سياق هذه المادة، بريطانيا). رئيس الوزراء مسؤول تجاه مجلس العموم (راجع «الاحزاب» في معالم تاريخية).

الاقتصاد: بلغ تعداد مجموع العاملين (اليد العاملة) البريطانيين نحو ٢٩ مليون شخص)في آخر الاحصاءات - ١٩٩٤)، أي نحو نصف عدد السكان الاجمالي. وبلغت نسبة البطالة (في العام ١٩٩٣) نحو ١٠،٧٪.

يعمل في الزراعة ٢،١٪ من مجموع العاملين، وتساهم الزراعة ب ٢٪ من الدخل القومي العام. ويعمل في القطاع المنجمي ٤٪ (ومساهمته في الدخل العام ١٠٪). في الصناعة ٢٥،٤٪ (٢٨٪ من الدخل العام). في التجارة والخدمات ٦٨،٥٪ (٦٠٪ من الدخل العام).

هناك نحو ١٣ مليون بريطاني يعيشون دون عتبة الفقر. ففي ١٥ تموز ١٩٩٤، أفادت أرقام رسمية (تحقيق أجرته وزارة الشؤون الاجتماعية ـــــ البريطانية) ان هذا العدد يعيش في عائلات يقل مستوى دخلها عن ١١٤ جنيهًا استرلينيًا (١٧٠ دولارًا) في الاسبوع. و لم يكن عدد هؤلاء يزيد عن ٥ ملايين في ١٩٧٩. وأظهر تقرير أصدره مكتب العمل الملحق بجامعة أوكسفورد (التي تعد من أفضل المؤسسات العلمية في العالم)، في أيار ١٩٩٣، ان خريجي هذه الجامعة بدأوا يتجهون إلى العمل في الفنادق والمطاعم والمحلات التجارية بعد ان كانوا لا يقبلون في الماضي سوى أفضل الوظائف وأرقاها، وان نسبة الخريجين الذين يعملون في وظائف دونية في زيادة مستمرة، وان الدرجات العلمية لم تعد الطريق المضمون إلى الوظائف المرموقة.

المناطق: راجع «المناطق» في سياق هذه المادة: بريطانيا.

نبذة تاريخية

قديمًا: ظهور الانسان في تلك المنطقة (بريطانيا) يعود إلى عصور ما قبل التاريخ. هذا ما تدل عليه الادوات المكتشفة في نواحي البلاد الاربع. وآخر هذه الاكتشافات العثور على عظام بشرية في منطقة ساسيكس (جنوب بريطانيا) تعود إلى نصف مليون سنة. وقد تمّ هذا الاكتشاف، في ربيع ١٩٩٤، على يد علماء بريطانيين، وهو كناية عن عظم ساق «رجل بوكسغروف» (تبعًا لإسم موقع الأكتشاف في منطقة ساسيكس). وتكمن أهمية الأكتشاف في كون هذه العظام أقدم بمئة ألف عام من أقدم عظام بشرية عثر عليها في اوروبا الغربية حتى الآن. ويشار إلى ان أقدم بقايا بشرية لما سمي «القرد الكبير الجنوبي» (أوسترالوبيتيك) اكتشفت في جنوب افريقيا وتعود إلى ٣،٧٥ مليون سنة. وسيؤدي اكتشاف «رجل بوكسغروف» في بريطانيا في ١٩٩٤ (عثر بالقرب منه على ادوات حادة وعظام فيل وغزلان ودببة ووحيد قرن وحيوانات أخرى، و لم يُعثر على ما يشير إلى ان هذا الانسان قد عرف النار)، سيؤدي هذا الاكتشاف بالعلماء إلى

الانطلاق من الصفر، ومن ان الانسان كان موجودًا في اوروبا الغربية قبل ٥٠٠ ألف سنة. ومن المعروف ان العلماء يجمعون ان بريطانيا لم تكن منفصلة جغرافيًا عن باقي اوروبا قبيل ٥٠٠ ألف سنة.

مرحلة ما قبل الميلاد-السلطيون (Celtes): مستوطنات إيبيرية عديدة بنتها قبائل قادمة من إسبانيا، وأخرى ليغورية بنتها قبائل قادمة من رينانيا او من السواحل الجنوبية لبحر المانش. وفي حوالي العام ١٧٠٠ ق.م. جاء السلطيون (وقبائل متفرعة منهم) ونزلوا المناطق الجنوبية الشرقية من البلاد، فاستعمروا أيرلندا؛ وراحت قبيلة متفرعة منهم (السكوتز) واحتلت المنطقة المسماة «اسكوتلندا». قبيلة أخرى من السلطيين تدعى «بيكتز» تمكنت من اكتشاف البرونز واستعماله، فعرفت البلاد على يدها «حضارة البرونز».

وبين ٥٠٠ و ٣٠٠ ق.م.، قبائل تسّمى «بريتنز» (بريطانيون) تمكنت من تطوير أدوات زراعية فاشتهرت بالزراعة، وفروع منها قطنت مناطق «يورك» و «شيستر»، و «دوبونسي»، و «دومونسي» (في منطقة كورنوياي)، و «كورنوفيي» (في بلاد «الغالز» أو «الويلز»)..

وفي حوالي العام ٢٠٠ ق.م. نزلت البلاد القبائل البلجية، خاصة في منطقة كنت، ودورسستر، وكولشستر. كل هذه القبائل المتعاقبة، أو المتجاورة والمتزامنة استوعبت في حضارة واحدة، هي حضارة الشعب السلطي (Celtes) - تكتب احيانًا، «السلت» أو «السالت» - التي اعقبتها المرحلة الرومانية.

المرحلة الرومانية: غزوات سريعة بدأها القيصر الروماني (٥٤ ق.م.) لأرض بريطانيا. وبعد نحو تسعين عامًا (أي بدءًا من ٤٣ بعد الميلاد) بدأت الغزوات الرومانية الاستيطانية المنظمة على يد القيصر الروماني كلود الذي وصل حتى اسكوتلندا. لكن الرومان عجزوا عن الاحتفاظ بكل هذه المناطق، فتراجعوا حتى حائط «هادرين» في بداية القرن الثالث. وفي غضون ذلك، تجذّرت العادات الرومانية بين أهالي البلاد، وارتفعت القصور الفخمة في السهول، وتوسعت التجمعات السكنية- التجارية، مثل لونديينوم (لندن في ما بعد)، كما شق الرومان شبكة من الطرقات، ألحقوها بشبكات (وجسور) أخرى، بقلاع، بأسوار، وبسدود.

الملوك الساكسون: في ٤٣٠، بدأت غزوات قبائل الأنكلز والساكسون والجوت الذين أخذوا ينتشرون في الجزيرة انطلاقًا من سواحلها الشرقية والجنوبية الشرقية. في ٤٤٦، اطلق أهالي البلاد الأصليون (السلْطيون) النداء الأخير يطلبون فيه النجدة من الرومان. ولّما لم يتلقوا أي جواب، انكفأوا إلى بلاد الويلز وكورنوياي وكمبرلاند، وتقدمت قبائل الأنكلز (ومنهم «الأنكليز» و «إنكلترا») فانتشرت في معظم مناطق الجزيرة، ووجدت الملك الذي استطاع توحيدها وهو الملك «إيغبرت». في اوائل ٥٩٧، كانت المسيحية قد دخلت البلاد على يد القديس أوغسطينوس.

وإيغبرت هذا (٧٧٥-٨٣٩) هو أول ملوك الساكسون على كامل ما يُعرف اليوم ب«إنكلترا»، بعده، تعاقب ١٤ ملكًا من الساكسون، كان آخرهم الملك إدموند

الثاني (٩٨٨-١٠١٧).

الملوك الدانماركيون: أولهم الملك كانوت الدانماركي (٩٩٥-١٠٣٥) الذي انتزع الملك، ثم نازعه به الملك هارولد الاول بعد حرب لمدة عامين ١٠٣٥-١٠٣٧، ثم عاد للملك هاديكانوت (ابن كانوت). وبعد إدوارد المعترف، انتقل العرش (بفعل المصاهرة والتنازع في الوقت نفسه) إلى اسرة النورماندي.

انتشر عهد من الازدهار في البلاد. كانت اللاتينية لغة الذين يعرفون القراءة. وترجمت الكتب إلى اللغة الشعبية المحكية، وأسست المدارس، وصدر العديد من التشريعات، ونشط رجال الدين الإنكليز لنصرنة الدانماركيين. وانتشر عهد من الازدهار (في العهدين الساكسوني والدانماركي).

أسرة النورمانديين: عند وفاة آخر الملوك الدانماركيين، ادوارد المعترف في ١٠٦٦، تنازع العرش العديدون من مدّعي شرعيته، حتى فاز به هارولد. لكن غيوم، دوق نورمانديا، غزا بلاد الانكليز، وتمكن من هارولد في معركة هاستينغز وتوّج في وستمنستر، واصبح ملكًا على انكلترا.

وحمل النورمانديون إلى انكلترا شرائع وعادات ولغة جديدة. فبعد ان كانت الفرنسية لا تستعمل إلا في البلاط الملكي، وفي حين كانت الأنكلو-ساكسونية (الإنكليزية القديمة) لغة العامة، اصبح استعمال الفرنسية، شيئًا فشيئًا، يدخل بعض المجالات كالقضاء والجيش والإكليروس، حتى انتهى الامر بأن اندمجت اللغتان في لغة واحدة، هي اللغة التي ارتكزت عليها اللغة الانكليزية الحديثة.

واحتل الامراء النورمانديون أعلى المراكز، وارهقوا الشعب بالضرائب، ووصلت حدود سيطرتهم إلى بعض نواحي ايرلندا الشمالية. ومع مرور الوقت، تمكن الملك غيوم، وخلفاؤه، من تثبيت دعائم الملكية.

أسرة «بلانتاجونيه»: ايضًا بفعل المصاهرة من جهة، والمنازعات على العرش من جهة اخرى، انتقل العرش إلى هذه الأسرة بدءًا من العام ١١٥٤ ومع الملك هنري الثاني إبن جيوفري بلانتاجونيه (وإسم «بلانتاجونيه» يعني مزارع لنوع من النبات)، وكان قبلاً دوق نورمانديا، وكونت أنجو. وقد ملك من ١١٥٤ إلى ١١٨٤.

في عهد هذا الملك، هنري الثاني، اصطدمت السلطة الملكية بمعارضة الكنيسة، ثم الارستقراطية. ووصلت المعارضة مع الاولى إلى أوجها في ١١٧٠ مع مقتل اسقف كنتربوري، توماس بيكت؛ في حين ان معارضة الارستقراطية أوصلت البلاد إلى صدور شرعة مهمة جدًا هي في اساس الدستور البريطاني. وهذه الشرعة هي «ماغنا كارتا» (Magna Carta). وفي ١١٧١، غزا هنري الثاني ايرلندا الشمالية.

بعد وفاة هنري الثاني، اعتلى العرش (١١٨٤) ريتشارد قلب الاسد، المعروف بقوته الجسدية الخارقة، وبنزعته للمغامرة (لم يمض سنة واحدة بصورة متواصلة في انكلترا)، وبقيادته لحملة صليبية على الشرق (١١٨٩-١١٩٠) وسيطرته على قبرص، وهزيمته في القدس على يد صلاح الدين الايوبي (١١٩٢) الذي وقع معه هدنة

(القدس تبقى في يد المسلمين، وللمسيحيين حق زيارة الاماكن المقدسة)، واعتقاله وتسليمه للامبراطور هنري السادس، وعودته إلى انكلترا في آذار ١١٩٤. وفي ٢٨ ايلول ١١٩٨، انتصر على فيليب أوغست في كورسيل؛ وفي ٦ نيسان ١١٩٩، لاقى مصرعه بسهم أطلق عليه غدرًا.

خلفه شقيقه، جان بلا أرض (في ١١٩٩) الذي حاول ان يزيد من السلطة الملكية بأن يضع نفسه فوق القانون. فتنادى عدد من البارونات، مدعومين من اسقف كنتربوري وأثرياء لندن، وحرّروا شرعة أثبتوا بموجبها حقوقهم على مواطنيهم الانكليز الاحرار، فضلاً عن مبادىء وقوانين اخرى تتناول، فيما تتناوله، سن الضرائب... واجبر البارونات الملك جان على توقيع هذه الشرعة الكبرى (ماغنا كارتا) في رونيميد (من ضواحي لندن) في ١٢١٥. ومع مرور الزمن، اصبحت المبادىء التي تنص عليها هذه الشرعة في اساس القوانين الانكليزية دون تمييز بين الطبقات الاجتماعية.

لم يكتفِ البارونات بتوقيع الملك جان على الشرعة، فخلعوه في ١٢١٦، ونصّبوا محله لويس ابن فيليب أوغست (الذي سبق لريتشارد الأول قلب الأسد أن هزمه في ١١٩٨)، وهو من أسرة الملوك الكابيتيين (فرنسا). لكن لويس هذا لم يتسنى له ان يملك لأكثر من عام واحد، إذ عادت الملكية إلى أسرة بلانتاجونيه، بعد ان هزمه هنري الثالث (حفيد هنري الثاني وإبن جان بلا ارض) في منطقة لينكولن (١٢١٧) وفرض عليه معاهدة «كينغستون» التي يتخلى فيها لويس عن حقوقه.

وبعد هنري الثالث، جاء ادوارد الاول، ثم إدوارد الثاني، ثم إدوارد الثالث، ثم ريتشارد الثاني. وفي أيام ادوارد الثالث (في أواسط القرن الرابع عشر) أدخل هذا الملك بلاده في حرب المئة عام. وفي اثناء ذلك تطور «مجلس العموم» حتى أصبح برلمانًا مكونا من مجلسين، شكل البارونات فيه مجلسه الاعلى (ولم يأخذ المجلس الأعلى إسم مجلس اللوردات إلا ابتداء من القرن السادس عشر)، في حين شكل نواب الشعب مجلس العموم. وازدهرت حركة التجارة مع اوروبا، وتوسعت المدن، واصبحت الانكليزية (بشكلها المحكي في لندن) اللغة الرسمية (أدخل وليام كاكستون المطبعة إلى انكلترا عام ١٤٧٦).

أسرة لانكستر: آخر ملوك أسرة بلانتاجونيه كان ريتشارد الثاني الذي اعتلى العرش في تموز ١٣٧٧ وملك حتى ١٣٩٩. في تموز ١٣٩٧ سجن ثلاثة لوردات (واحد منهم قُتل في السجن)، ثم اعتقل العديدين من اللوردات. في ٤ تموز ١٣٩٩، نزل هنري لانكستر (ابن جان الكبير ونسيب الملك ريتشارد الثاني) إلى انكلترا في حين كان الملك ريتشارد الثاني في ايرلندا، واجبر هذا الأخير على التخلي عن العرش، وتوّج هو ملكًا في ١٣٩٩ باسم هنري الرابع. ومعه بدأت أسرة لانكستر التي دام عهدها حتى ١٤٧١. وقد رسّخ هذا الملك سلطة أسرة لانكستر بفضل الانتصارات التي حققها على الاسكوتلنديين والويلز.

تابع هنري الخامس حروب أبيه (هنري الرابع)، وكان توّج في ١٤١٣ بعد وفاة والده. أعاد فتح حرب المئة عام مؤكدًا

حقوقه في عرش فرنسا. غزا نورمانديا بمساعدة دوق دو بورغون. تزوج إبنة ملك فرنسا شارل السادس. مات في ١٤٢٢ وكان عمره ٣٥ سنة. وهو بطل دراما شكسبير «هنري الخامس».

هنري السادس (١٤٢١-١٤٧١)، ملك بوصاية نسيبيه: همفري دوق غلوسستر عن عرش إنكلترا، وجان دو لانكستر دوق بدفورد عن عرش فرنسا.

في ١٤٢٨-١٤٢٩، هزيمة الإنكليز في وجه الفرنسيين في أورليان. وفي ٣٠ ايار ١٤٣١، أحرق الإنكليز، وبتواطؤ مع معاونيهم الفرنسيين، جان دارك، وبعد اشهر (في ١٧ كانون الاول ١٤٣١) تمّ تكريس الملك هنري السادس ملكًا على فرنسا في كاتدرائية نوتردام في باريس. وفي ١٤٤٥، تزوج هذا الملك من مارغريت دانجو التي سرعان ما أمسكت بزمام الامور إثر ظهور البوادر الأولى لمرض الملك العقلي. في ١٤٥٥ بدأت حرب الوراثة «حرب الوردتين» التي استمرت إلى ١٤٨٥، وكانت أسرتي لانكستر (وشعارها وردة حمراء) ويورك (وشعارها وردة بيضاء).

أسرة يورك: انتهت هذه الحرب، في مرحلتها الاولى (في ١٤٧١) بفوز ادوارد الرابع من أسرة يورك، الذي خلفه ادوارد الخامس، ثم ريتشارد الثالث؛ وفي مرحلة ثانية، بدخول أسرة جديدة في هذه الحرب هي أسرة تودور وانتصارها على الملك ريتشارد الثالث الذي قتل في المعركة (١٤٨٥) على يد المطالب بالعرش هنري تودور.

أسرة تودور: (هذه الأسرة من أصول ويلزية وكانت، في حرب الوردتين الوراثية تقاتل إلى جانب أسرة لانكستر). أعتلى هنري تودور العرش في ١٤٨٥ باسم هنري السابع، واستمر حتى ١٥٠٩. وأثناء ولايته، اقترع البرلمان على قانون الملاحة الذي يحمي التجارة الانكليزية ويفتح طرقًا بحرية جديدة.

عندما خلف هنري الثامن أباه (١٥٠٩) كانت إنكلترا تعرف عهدًا من الازدهار تحت حكم أسرة تودور، كما توطدت فيها الملكية. وباعتبار ان الملكة كاترين أراغون لم تنجب وريثًا ذكرًا، طلب هنري الثامن من البابا في روما بطلان زواجه منها. ولما لم يستجب البابا لهذا الطلب، قطع هنري الثامن علاقاته بالكنيسة الكاثوليكية، وأصدر البرلمان قوانين تلغي كل سلطة للبابا في انكلترا، وتجعل من الملك رأس الكنيسة الوطنية التي دعيت «الكنيسة الأنغليكانية».

وعلى الرغم من زواجه من ست نساء لم ينجب هنري الثامن سوى ابن واحد هو ادوارد السادس الذي توفي في سن السادسة عشرة. فخلفته شقيقته، من غير امه، ماري، وكانت كاثوليكية. وتزوجت ماري من فيليب الثاني، ملك إسبانيا. وفي عهدها، اضطهد البروتستانت، وقتل منهم عدد كبير حتى لقبت «ماري الدموية». وتعاظمت المعارضة ضدها عندما شنّت حربًا ضد فرنسا إلى جانب إسبانيا. وقبل موتها (١٥٥٨) بقليل، كانت انكلترا قد فقدت منطقة كالي، آخر الممتلكات الانكليزية في القارة الاوروبية.

وخلفتها اليزابت الاولى (١٥٣٣-

١٦٠٣)، ابنة هنري الثامن من زوجته الثانية آن بولين، فحكمت مدة ٤٥ عامًا، واعادت الأنغليكانية إلى انكلترا، وانتصرت على الأرمادا الاسبانية (١٥٨٨)، فاصبحت انكلترا في عهدها سيّدة البحار، وبدأت باكتساب مستعمرات في ما وراء البحار (إنشاء شركة الهند الشرقية في ١٦٠٠). وكان عهدها ايضًا عهد الانبعاث الادبي والفني (عهد شكسبير)، إضافة إلى نهضة صناعية وتجارية (إنشاء بورصة لندن).

أسرة ستيوارت: في ١٦٠١، عينت إليزابت الاولى ولي عهدها ليكون خليفتها على العرش وهو جاك الاول ملك اسكوتلندا، وهو من أسرة ستيوارت. وهذه الأسرة ملكت على اسكوتلندا من ١٣٧١ إلى ١٧١٤، ثم على كامل بريطانيا، وابتداءً من جاك الاول (ابن ماري ستيوارت) من ١٦٠٣ إلى ١٧١٤.

ولما لم يعر جاك الاول أمور الدولة الاهتمام الكافي انفجر النزاع بينه وبين مجلس العموم. وتفاقم الوضع في عهد إبنه شارل الاول (توج في ١٦٢٥) الذي حل البرلمان، ولم يعاود دعوته للانعقاد إلا بعد مرور ١١ سنة (أي في ١٦٤٠) وتحت ضغط ثورة نشبت في اسكوتلندا. وفي ١٦٤٢، انفجر النزاع بين مؤيدي الملك (أغلبهم من الكاثوليك) ومؤيدي البرلمان (مجلس العموم) بزعامة أوليفر كرومويل، وأدّى إلى حرب أهلية دامت اربع سنوات انتهت بانتصار كرومويل على «فرسان» الملك شارل الذي أودع السجن (فعلّق العمل بنظام الملكية). وتمكن كرومويل من قيادة البلاد بين ١٦٤٥ و ١٦٥٨، وأصدر دستورًا ينص على سلطات دكتاتورية، وأنشأ برلمانًا موحدًا لانكلترا واسكوتلندا وايرلندا، وحالف فرنسا وهولندا ضد إسبانيا.

في ١٦٥٨، خلف ريتشارد كرومويل والده أوليفر، وحمل لقب «اللورد الحامي»، ولم يتمكن من وضع حدّ للنزاع بين الجيش والبرلمان، فتخلى عن وظائفه؛ وأعلن البرلمان عودة الملكية إلى البلاد، فاعتلى شارل الثاني، ابن شارل الاول، العرش في ١٦٦٠. في ١٦٦٥، ضرب الطاعون لندن وقضى على ٧٥ ألفًا من سكانها البالغ عددهم ٤٦٠ ألفًا. وبعد عام، اندلع فيها حريق هائل أتى على نحو ١٣ ألف بيت، و٨٧ كنيسة إضافة إلى كاتدرائية القديس بطرس.

توفي شارل الثاني في ١٦٨٥، فخلفه شقيقه جاك الثاني الذي بذل جهوده في سبيل إعادة الكثلكة إلى البلاد وكان حليفًا للملك الفرنسي لويس الرابع عشر. لكن البرلمان تحالف مع البروتستانتي غيوم دو ناسّو كي يحول دون مجيء أسرة كاثوليكية. وفي ١٦٨٨، نزل غيوم في إنكلترا على رأس جيش وأجبر جاك الثاني على اللجوء إلى فرنسا، حيث حاول الملك لويس الرابع عشر مساعدته للعودة إلى ايرلندا، ولكن دون طائل.

غيوم الثالث (١٦٨٩)، ابن غيوم الثاني، اعترف بالنظام الدستوري بموجب «إعلان الحقوق» (Bill of Rights) الصادر في كانون الاول ١٦٨٩، وهزم جاك الثاني (المدعوم من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر) في ايرلندا، وشارك (في ١٦٩٢) في حرب وراثة بالاتينا ضد فرنسا. في ١٦٩٧، الملك لويس الرابع عشر يعترف بغيوم الثالث

ملكًا على انكلترا» وفي ١٧٠١، يصدر ميثاق يؤكد على ان العرش الانكليزي حق متوارث للبروتستانت ولويس الرابع عشر يعترف بجاك فرنسوا ستيوارت، ابن جاك الثاني وفارس القديس جورج، ملكًا على انكلترا.

في ١٧٠٧، اعتلت العرش الملكة آن (إبنة جاك الثاني)، وجرى توحيد انكلترا واسكوتلندا في مملكة واحدة؛ وفي ١٧١٣، تخلى لويس الرابع عشر عن دعمه لمرشحي أسرة ستيوارت الكاثوليك.

في اواخر عهد أسرة ستيوارت، أي في اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر، تطورات مهمة حدثت، خاصة في ما يتعلق بالنظام الحزبي وقاعدة اختيار رئيس الوزراء الذي اصبح من المفروض ان يكون زعيم الاغلبية في البرلمان. من ناحية ثانية، نمت التجارة بشكل كبير، ودخلت انكلترا في حرب ضد فرنسا، منافستها في اوروبا، وفي البحار وما وراء البحار؛ وتمكنت الجيوش الانكليزية، تحت قيادة جون تشرشل، دوق مارلبورغ، من الانتصار وتحقيق مكاسب جديدة في المتوسط (جبل طارق وجزيرة مينورقة)، وفي أميركا الشمالية. كما أوصلت الشركات الانكليزية نفوذ الدولة إلى الهند وافريقيا.

أسرة هانوفر: توفيت الملكة آن (من أسرة ستيوارت) في ١٧١٤، ولم يبق أحد من أبنائها على قيد الحياة، فانتقلت وراثة العرش إلى أسرة هانوفر التي تعود إلى الملك جاك الاول. فكان جورج الاول أول ملك من هذه الأسرة (من ١٧١٤ إلى ١٧٢٧)؛ ثم ابنه جورج الثاني (إلى ١٧٦٠)؛ ثم حفيد هذا الاخير، جورج الثالث (إلى ١٨٢٠)؛ ثم ابن غيوم الثالث، جورج الرابع (إلى ١٨٢٩)؛ ثم الابن الثالث لجورج الثالث، غيوم الرابع (إلى ١٨٣٧)؛ ثم الملكة فكتوريا (إلى ١٩٠٠، وهي ابنة ادوارد دوق كنت، الابن الرابع لغيوم الثالث).

في اواخر القرن الثامن عشر (أي قبل نحو نصف قرن من بداية العهد الفكتوري) كانت انكلترا قد خسرت مستعمراتها في أميركا الشمالية، لكنها استمرت كإحدى اقوى الدول الاوروبية وأغناها. وفي هذه الاثناء كانت أفكار الثورة الفرنسية تفعل فعلها في الرأي العام الانكليزي إضافة إلى الحرب التي اندلعت بين انكلترا وفرنسا (١٧٩٣).

ربح الاميرال الإنكليزي نلسن (١٨٠٥) المعركة البحرية الكبرى في ترافلغار، على شاطىء كاديكس. لكن انكلترا استمرت معزولة عن اوروبا النابوليونية لعشر سنوات لاحقة، علمًا ان سلاحها البحري بقي سيّد البحار. ولم يتمكن جيشها البري من احراز النصر النهائي بقيادة دوق ولينغتون إلا في ١٨١٥، وذلك في معركة واترلو.

ومع نهاية الخطر الفرنسي النابوليوني على انكلترا، بدأت المشاغل الاقتصادية والاجتماعية الداخلية. وذلك تحت تأثير ما خلفته الثورة الصناعية الكبرى من نتائج وعلى جميع الأصعدة، وما حفرته من اتساع هوة بين انكلترا القديمة وانكلترا الحديثة. فاضطرت الحكومات المتعاقبة على إصدار تشريعات اصلاحية، كان أهمها قانون الاصلاح لعام ١٨٣٢ الذي وسّع من حق الانتخاب، فضلاً عن مراسيم واجراءات

عديدة تناولت سبل تحسين الاوضاع المعيشية للطبقات الاجتماعية الوسطى والعمالية.

اتسم القرن التاسع عشر، بدءًا من ١٨٣٧، بولاية الملكة فيكتوريا، وحكم إثنين من كبار وزرائها، بنيامين ديزرائيلي ووليام غلادستون.

والعهد الفيكتوري هو، قبل كل شيء، عهد استعماري. فقد كان من نتائج ازدهار التجارة والصناعة السعي وراء خزانات المواد الاولية وأسواق التصريف. فأحكمت انكلترا قبضتها على مستعمراتها السابقة، واكتسبت مستعمرات جديدة؛ فلم تعد شركة الهند الغربية (الانكليزية) مثلاً هي سيّدة الهند، بل الحكومة البريطانية نفسها، كما امتد النفوذ البريطاني إلى الشرق الاوسط وآسيا وافريقيا. لكن عهد الازدهار هذا عكرته حربان: حرب القرم (١٨٥٤) التي اندلعت بسبب محاولات روسيا السيطرة على الدردنيل (باب المتوسط)، وحرب البوير (١٨٩٩) التي وضعت الانكليز في مواجهة البوير، أو المستوطنين الهولنديين الاوائل في جنوب افريقيا.

أسرة ساكس-كوبورغ: إدوارد السابع على عرش المملكة المتحدة ابتداءً من ١٩٠١، أمه الملكة فيكتوريا، وأبوه قريبها الذي تزوجت منه رغم رأي والدتها، الأمير ألبرت دو ساكس-كوبورغ (ألماني). اعتلى إدوارد السابع العرش وكان قد بلغ الستين من عمره؛ وزوجته ألكسندرا ابنة ملك الدانمارك كريستيان العاشر. في ٣٠ كانون الثاني ١٩٠٢، وقعت المعاهدة الانكليزية-اليابانية (جرى تجديدها في ١٢ آب ١٩٠٥). في أيار ١٩٠٣، زار الملك فرنسا، وبعد عام وقّع اتفاق ودّي بين البلدين.

أسرة وندسور: منذ ١٧ آب ١٩١٧، لم يعد بامكان أبناء وأحفاد الملكة فيكتوريا (وهم مواطنون بريطانيون) استعمال إسم أسرتهم الألماني (ساكس-كوبورغ)، فتبنوا إسم «وندسور» لأسرتهم. وبموجب قانون ٨ شباط ١٩٦٠، أصبح إسم أسرة أبناء واحفاد الملكة اليزابت الثانية وزوجها الامير فيليب «مونتباتن-وندسور».

عندما اعتلى جورج الخامس (الابن الثاني للملك إدوارد السابع) العرش، في ١٩١٠، كان التوسع الاستعماري والصناعي في أوجه. لكن معضلات كثيرة ظلت تطرح بحدة، منها العدالة الاجتماعية، سلطات مجلس اللوردات والقضية الأيرلندية. وتحت ضغط النقابات العمالية اتخذت سلسلة من القوانين والاحكام والاجراءات الاجتماعية. وكان عام ١٩٠٠ شهد ولادة حزب سياسي جديد هو حزب العمال. وفي ١٩١١، صدر قانون يحدّد من صلاحيات مجلس اللوردات، خاصة في ما يتعلق بالامور المالية. وفي ١٩١٤ (وبعد سبعة قرون من تأجج القضية الايرلندية، خاصة في السنوات التي تلت ١٨٥٠) صدر مشروع القانون القاضي بمنح ايرلندا حكمًا ذاتيًا (راجع «أيرلندا»، ج ٤، ص ٢٣٢).

منذ بداية القرن العشرين والدول الاوروبية (خاصة بريطانيا وألمانيا) في صراع حول السيطرة على الملاحة الدولية. وتحالفت بريطانيا مع فرنسا التي كانت بدورها حليفة لروسيا. وظفرت بريطانيا، وحلفاؤها، بالنصر في الحرب العالمية الاولى.

لكنها عشية توقيع الهدنة (١٩١٨) كانت قد خسرت نحو مليون رجل، وكان اقتصادها على شفير الهاوية، وكانت عملية النهوض بطيئة، وقد أثرت فيها الازمات الاجتماعية كاضراب ١٩٢٦، والازمة الاقتصادية العالمية التي وصلت إليها في ١٩٣١ فهدّدت الجنيه الاسترليني، وخفضت الانتاج، وزادت البطالة... ومع وصول أدولف هتلر إلى السلطة في المانيا (١٩٣٣)، نهضت ألمانيا من جديد، وبدأت تهدّد السلام العالمي.

إدوارد السابع (إبن جورج الخامس) ملك لنحو ١١ شهرًا فقط: توّج في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ ملكًا على بريطانيا العظمى وايرلندا وتخلّى عن العرش في ١١ كانون الاول ١٩٣٦. وكان قبلاً أمير الويلز ومحبوبًا جدًا من الشعب. وسبب تخليه الأزمة التي نشأت بينه وبين حكومة المحافظين (برئاسة ستانلي بالدوين) لأنه تزوج من سيّدة مطلقة مرتين وتدعى بسّي واليس وارفيلد، ما جعل علاقاته صعبة مع الكنيسة الانغليكانية. وبعد تخليه عن العرش، حمل لقب دوق وندسور، وعيّن (بين ١٩٤٠ و ١٩٤٥) حاكمًا لجزر البهاماس.

جورج السادس (١٨٩٥-١٩٥٢) توج ملكًا في ١١ كانون الاول ١٩٣٦. وفي ١٩٣٩، بدا واضحًا ان سياسة نيفيل تشمبرلين، رئيس الوزراء البريطاني، التي اتسمت بتقديم التنازلات لهتلر أملاً بانقاذ السلام، محكوم عليها بالفشل. وعندما غزت المانيا بولونيا، اعلنت فرنسا وبريطانيا (وكانت تضمنان سلامة بولونيا ووحدة اراضيها) الحرب على الرايخ الثالث. وبقيت بريطانيا لوحدها امام المانيا بعد سقوط فرنسا في ١٩٤٠. وتلقت بريطانيا ضربات الطيران الالماني، وصمد شعبها بقيادة رئيس الوزراء، ونستون تشرشل (يتحدر من أسرة دوق مالبورغ)، وعاد طيرانها ليرد الضربات إلى قلب المدن الالمانية... وكانت النتيجة انتصار الحلفاء، ووضع خريطة العالم على طاولة ثلاثة رجال: روزفلت، ستالين وتشرشل.

وحملت الحرب تغييرات عميقة وجذرية في الامبراطورية البريطانية وفي موقع انكلترا الدولي. كان البرلمان البريطاني قد قرر، منذ ١٩٣١، انشاء كومنولث الدول (مجموعة الدول التي يوحدها موقف الاخلاص للتاج البريطاني)، فبعد الحرب، أصبحت جميع المستعمرات البريطانية السابقة أعضاء في الكومنولث باستثناء بورما وجمهورية ايرلندا وجمهورية جنوب افريقيا. وبريطانيا نفسها عضو في الكومنولث كغيرها. وقد تبين للبريطانيين انه لم يعد بامكانهم السيطرة على العالم، وبات اهتمامهم الاساسي ينصب، بعد الحرب، على اعادة تعمير بلادهم. وفاز حزب العمال في اول انتخابات جرت بعد الحرب. فأممت الحكومة الجديدة سكك الحديد، ومصانع الفحم والغاز والكهرباء، كما باشر الضمان الصحي بتأمين العناية الطبية لكل محتاج ابتداء من ١٩٤٨ (حكومة أتلي). مذّاك والحزبان (العمال والمحافظون) يتناوبان الحكم في بريطانيا.

عهد الملكة إليزابت الثانية: (مولودة ٢١ نيسان ١٩٢٦) إبنة الملك جورج السادس، زوجة الامير فيليب ذو غريك (اليونان) والدانمارك منذ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٧، وكان الامير فيليب اصبح مواطنا

بريطانيًا منذ ٢٨ شباط ١٩٤٧، ويحمل إسم فيليب مونتباتن. توجت اليزابت الثانية ملكة في ٢ حزيران ١٩٥٣.

في ١٩٥١، هزم حزب العمال، فحكم المحافظون من ١٩٥١ إلى ١٩٦٤ (حكومات تشرشل - استقال في ٤ نيسان ١٩٥٥ -، ثم إيدن، ثم ماكميلان، ثم دوغلاس هيوم)، فعمدوا إلى إلغاء تأميم صناعة الحديد (١٩٥٣)، لكنهم حافظوا على باقي انجازات الحكومة العمالية السابقة (أتلي)، واشتركوا بحرب العدوان الثلاثي على مصر (إسرائيل، بريطانيا، فرنسا - ١٩٥٦).

حقق المحافظون نموًا إقتصاديًا، لكن التضخم أدّى إلى سقوطهم في ١٩٦٤. ومع الحكومة العمالية (هارولد ويلسن)، قدمت بريطانيا للمرة الثانية طلب انضمامها إلى السوق المشتركة، وخفضت من سعر الجنيه (أواخر ١٩٦٧)، وسحبت قواتها من الشرق الاوسط (مصر). انخفضت شعبيتها على أثر نزاعها مع النقابات، وخسرت انتخابات حزيران ١٩٧٠. فشكل المحافظون حكومة برئاسة إدوارد هيث الذي حاول ان يحد من تفاقم الاضرابات من خلال إصدار قانون كار (١٩٧١). واستمرت المفاوضات مع السوق الاوروبية المشتركة على الرغم من معارضة الجزء الاكبر من الرأي العام، فتم التصديق على اتفاقات لوكسمبورغ (حزيران ١٩٧١)، فانفتح عهد من التوازن بين مصالح بريطانيا خارج اوروبا (أي في الكومنولث) وبين ضرورات تكاملها الاقتصادي مع اوروبا. وفي الوقت نفسه، عرفت بريطانيا مصاعب سياسية خطيرة جدًا بسبب ايرلندا الشمالية.

عاد العمال إلى الحكم على أثر الانتخابات التشريعية في شباط ١٩٧٤، لكنهم عادوا وفشلوا في انتخابات أيار ١٩٧٩ نتيجة عدم تمكنهم من الاتفاق مع النقابات على سياسة الاجور والمداخيل. فشكل المحافظون حكومة برئاسة مارغريت تاتشر.

في ١٩٨١، وقعت اضطرابات عنصرية في مدينة بريكستون وأخرى بين المهاجرين والعاطلين عن العمل في لندن وليفربول وليسستر ودربي ومانشستر وبيرمنغهام. وألغت حكومة تاتشر (في تشرين الاول وتشرين الثاني) جزئيًا اجراءات التأميم التي كانت تطاول قطاعي الهاتف والنفط. كما عرف هذا العام حركة الاضراب عن الطعام الذي نفذه السجناء الايرلنديون (بوبي ساندز ورفاقه التسعة).

وعلى الصعيد الحزبي، عرف هذا العام (١٩٨١) حدثًا أثار جدالاً حول نظام الثنائية الحزبية في بريطانيا ومدى تماسكه وقوة استمراره. ففي ٢٦ آذار أعلن عن إنشاء حزب جديد «الحزب الاجتماعي- الديمقراطي» بزعامة روي جنكينز الذي جمع حوله العناصر المعتدلة من حزب العمال. وأخذ هؤلاء على الحزب الذي خرجوا منه انحرافه اكثر فأكثر ناحية اليسار ووقوعه تحت هيمنة النقابات. وقد تمثل الحزب الجديد ب ١٤ نائبًا في البرلمان و ١٩ لوردًا في مجلس اللوردات. وبعد اشهر من تأسيسه، فاز مرشح الحزب الجديد في الانتخابات التشريعية الجزئية (في ضواحي لندن) في وجه منافسيه العمالي والمحافظ.

أما العام ١٩٨٢، فكان عام حرب جزر الفوكلاند بين بريطانيا والارجنتين.

ونتيجة لهذه الحرب التي انتصرت فيها بريطانيا، تعززت شعبية المحافظين وزعيمتهم تاتشر؛ لكن سياسة تاتشر الاطلسية، وخاصة تأييدها الحماسي لنشر الصواريخ الاميركية في اوروبا، عارضتها فئات عديدة ومتزايدة من البريطانيين الذين نظموا مظاهرات متلاحقة. وعاد المحافظون وفازوا في انتخابات حزيران.

وأهم ما واجهته حكومة تاتشر في ١٩٨٤، اضراب عمال المناجم (من آذار ١٩٨٤ إلى آذار ١٩٨٥)، والذي وصل إلى أوجه عندما تعهد مؤتمر نقابات العمال البريطانيين (يمثل ١٠ ملايين عضو في ٩٨ نقابة) المساندة الكاملة لعمال مناجم الفحم المضربين. وكان الاضراب أعلن نتيجة قرار حكومي باغلاق نحو عشرين منجمًا، الأمر الذي يعني تسريح نحو عشرين ألف عامل في صناعة الفحم. وفي تشرين الاول، وقع انفجار استهدف تاتشر ووزراءها امام فندق كان يعقد فيه المؤتمر السنوي لحزب المحافظين، وقد اعلن «الجيش الجمهوري الأيرلندي» مسؤوليته عن هذه العملية. وثمة نقطتان بارزتان على الصعيد الخارجي (في ١٩٨٤): الاولى، زيارة الرجل الثاني (آنذاك) في الكرملين، ميخائيل غورباتشوف، للندن؛ والثانية، توقيع بريطانيا والصين لاتفاقية حول مستقبل هونغ كونغ.

في ١٩٨٥: جامعة أوكسفورد ترفض منح رئيسة الوزراء، تاتشر، دكتوراه فخرية بسبب «ما ألحقته حكومتها من أضرار في التعليم والبحث العلمي». وإضطرابات في بعض المدن (مطالب إجتماعية). وطرد ٩٣١ دبلوماسيًا سوفياتيًا.

في ١٩٨٦: استقالة عدد من الوزراء إثر قضية ويستلند (مصمّم طائرة الهليكوبتر). زيارة ملك اسبانيا لبريطانيا. طرد ٣٢٠ ليبيًا. متطرفون بروتستانت يقتلون امرأة بروتستانتية لزواجها من كاثوليكي (٧ أيار). اتفاق مع الاتحاد السوفياتي حول جدولة الديون التي تعود إلى ايام النظام القيصري. قطع العلاقات الدبلوماسية مع سورية (بعد الحكم على هنداوي بتهمة الارهاب).

في ١٩٨٧: تاتشر في زيارة للاتحاد السوفياتي. فوز المحافظين في انتخابات حزيران العامة.

في ١٩٨٨: إضراب الممرضات، ثم البحّارة، ثم موظفي البريد. مجلس العموم يقترع لعدم إعادة عقوبة الاعدام. الملكة في زيارة لاسبانيا، والامير تشارلز لفرنسا. في ٢١ كانون الاول، انفجار طائرة عائدة للخطوط الجوية الاميركية فوق لوكربي في اسكوتلندا (راجع ليبيا).

في ١٩٨٩: قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايران بسبب قضية سلمان رشدي (راجع «ايران»، ج ٤، ص ١٨٥).

في ١٩٩٠: إصلاح النظام الضرائبي السكني (النظام السابق كان معمولاً به منذ القرن الثامن عشر). انتخابات بلدية (في ٣ ايار) اسفرت عن فوز حزب العمال ب ٣٠٠ مقعد، والمحافظين ب ٢٠٠ مقعد. عمليات للجيش الجمهوري، بينها واحدة قتلت أحد النواب المحافظين. مشاركة بريطانيا في حرب الخليج الثانية (من آب ١٩٩٠ إلى آذار ١٩٩١). عملية أخرى للجيش الجمهوري الايرلندي تستهدف

السير بيتر تيري، المساعد السابق في الهيئة العليا لقيادة الحلف الاطلسي والحاكم السابق لجبل طارق. استقالة رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر (في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٠)، وانتخاب جون ميجور زعيمًا للمحافظين (ورئيسًا للوزراء).

في ١٩٩١: رئيس الوزراء، جون ميجور، وفي اجواء تصاعد عمليات المتطرفين الايرلنديين، يجمع اطراف النزاع الايرلندي (وحدويون، بروتستانت وقوميون) لمحادثات حول مستقبل ايرلندا الشمالية (مقاطعة أولستر). في ٢ ايار، انتخابات محلية وبلدية (للعمال ٣٨٪، للمحافظين ٣٦٪). في ٢٥ تموز، محكمة لوكسمبورغ (المحكمة الاوروبية-«المجموعة الاوروبية») تدين بريطانيا بسبب قانون الحماية القاضي بحصر حق الصيد في البحر الأقليمي (منذ ١٩٨٨) بالمواطنين البريطانيين أو المقيمين على أرض بريطانيا. اضطرابات في أوكسفورد، كارديف، بيرمينغهام (خلال ايلول). إلغاء ثلثي الديون المستحقة لبريطانيا على ٢٠ بلدًا فقيرًا (١،٣ مليار جنيه استرليني). أول مناورات عسكرية مشتركة مع الاتحاد السوفياتي السابق منذ ١٩٤٥.

في ١٩٩٢: الملكة في زيارة لفرنسا (٩ حزيران). اول مفاوضات، منذ ١٩٢٢، بين ممثلين عن أولستر (ايرلندا الشمالية) وعن جمهورية ايرلندا، والمفاوضات جرت في لندن (٧ تموز). مئة ألف متظاهر في لندن ضد حكومة ميجور. استمرار عمليات «الجيش الجمهوري الايرلندي». قمة أوروبية في إدمبورغ (١٠-١١ كانون الاول).

في ١٩٩٣: «الجيش الجمهوري الايرلندي» يصعّد من عملياته (خمس عمليات خلال الشهور الاربعة الاولى). استقصاء للرأي (في أول حزيران) يشير إلى تدني نسبة المؤيدين لميجور وحكومته إلى ٢١٪. مجلس العموم يصادق على ماستريخت. وزير الدفاع ينشر التقديرات الاولية لميزانية الدفاع لعام ١٩٩٣، ويواجه بمعارضة قوية تطالبه بخفض هذه الميزانية اسوة بفرنسا والمانيا. وزير الخارجية دوغلاس هيرد في زيارة لسورية ومقابلة الرئيس السوري حافظ الاسد (٢٣ تشرين الاول).

في ١٩٩٥: تعهد حزب العمال (المعارض) إنشاء برلمان لاسكوتلندا حال فوزه في الانتخابات المقبلة، ويتمتع حزب العمال بتاييد تقليدي قوي في اسكوتلندا (راجع «اسكوتلندا» في سياق هذه المادة «بريطانيا»). ميجور في جولة على بلدان في الشرق الاوسط، من بينها إسرائيل وغزة-أريحا (آذار). تعاظم الحديث عن نهاية «العلاقات المميزة» بين لندن وواشنطن، وميجور اخذ يتحدث عن «مصالح مشتركة واهداف متقاربة» بعدما كان الحديث في الماضي عن «علاقات خاصة ومميزة». حزب العمال يتبنى اقتراح زعيمه، توني بلير، التخلي عن الالتزام بسياسة التأميم، في خطوة ابعدت الحزب عن موقعه اليساري التقليدي في اتجاه الوسط (أول ايار). المحافظون، بعد خسارتهم الانتخابات البلدية في اسكوتلندا (في نيسان) يفقدون (في أيار) مقاعدهم في معقلهم مقاطعة ويلز، وكذلك مقاعدهم في معاقلهم في الجنوب والجنوب الشرقي، وانحسر عدد المقاعد البلدية التي

كان يحتلها المحافظون من ٤١٠٠ إلى ١٧٠٠ مقعد، ما شكل مؤشرًا خطيرًا على مصير الحزب في الانتخابات العامة المقررة في ١٩٧٧. زيارة الشيخ جابر الأحمد الصباح، أمير الكويت لبريطانيا (حزيران). وفي ٢٢ حزيران، ميجور يقدّم استقالته من زعامة حزب المحافظين الحاكم، بعد تعرضه لانتقادات شديدة من نواب في حزبه، خصوصًا الرافضين لسياسة الحكومة إزاء الوحدة الاوروبية واعتماد العملة الموحدة (إيكو) اعتبارًا من مطلع القرن القادم؛ وينص النظام الداخلي للحزب على انتخاب زعيم جديد للحزب خلال اسبوعين. وفي اليوم التالي لاستقالة ميجور، أعلن وزير الخارجية دوغلاس هيرد استقالته من منصبه في الخارجية في اشارة إلى المعارضة القوية للسياسة الاوروبية الاتجاه التي ينتهجها هيرد.

في ٤ تموز، فاز ميجور في انتخابات اختيار زعيم جديد لحزب المحافظين، فنال ٢١٨ صوتًا في مقابل ٨٩ صوتًا لمنافسه وزير مقاطعة ويلز السابق جون ريدوود (المعارض لسياسة اندماج بريطانيا في اوروبا، اقله في الوقت الراهن). وفي اليوم التالي (٥ تموز) أعلن ميجور عن تعديل واسع في حكومته، أهم ما جاء في هذا التعديل تعيين وزير الدفاع السابق مالكوم ريفكند وزيرًا للخارجية (راجع زعماء ورجال دولة)، ومايكل بورتيللو وزيرًا للدفاع (راجع زعماء ورجال دولة).

المناطق

مناطق المملكة المتحدة هي:

- في جزيرة بريطانيا العظمى: انكلترا، الويلز، اسكوتلندا.
- خارج جزيرة بريطانيا العظمى: ايرلندا الشمالية (مقاطعة أولستر - راجع أيرلندا، ج ٤، ص ٢٣٢)، جزيرة مان، الجزر الأنغلو- نورماندية (بما فيها جزيرة جرسي وجزيرة غيرنيزي، ووايت، ولاندي).

إنكلترا

مساحتها ١٣٠٤٧٨ كلم م.. ليس فيها من موقع يقع على بعد أكثر من ١٢٥ كلم عن البحر. في اواخر القرن الحادي عشر، كانت تعد مليوني نسمة؛ في اواخر القرن السابع عشر ٥،٥ ملايين؛ في ١٨٠١ نحو ٨،٨٩ ملايين؛ في ١٩٢١، نحو ٣٧،٨٩ مليونًا؛ في ١٩٩٠ نحو ٤٧،٨ مليونًا.

أهم مدنها: لندن (العاصمة)، بيرمينغهام، ليدز، ليفربول، مانشستر، بريستول، دونكستر، لايسستر، بليموث، روترهام، كنتربوري، أوكسفورد، يورك، كامبردج، وغيرها (راجع باب «مدن ومعالم»). وإنكلترا مقسمة إداريًا إلى ٤٥ كونتية، إضافة إلى منطقة لندن و ٣٠٩ أقضية (تقسيم إداري في ١٩٧٤)؛ وهناك منطقة «المرافىء الخمسة» (دوفر، هاستنغر، هايت، نيورومني وسندويتش) التي كانت تتمتع بامتيازات خاصة بها. قبل غزو نورماندیا، منحها الغازي غيوم النورماندي وضعًا قانونيًا خاصًا؛ وهذا الوضع تمّ إلغاؤه في ١٨٥٥. بارونات المرافىء الخمسة يتمتعون بامتياز الاهتمام باحتفال التتويج الملكي. حكّام المرافىء الخمسة: ونستون تشرشل (١٩٤١)، روبرت منزيس (١٩٦٥)، الملكة الأم إليزابت (١٩٧٨).

ويلز

إمارة الويلز ومونموتشاير (أو «بلاد الغال» تبعًا للغة الفرنسية).

كانت ويلز تدعى «كامبريا» في القرون الوسطى. ضُمت إلى التاج بموجب «قانون الاتحاد» الصادر في ١٥٣٥.

مساحتها ٢٠٧٦٦ كلم م.. أقدم لقب «أمير ويلز» حمله ادوارد الثاني منذ اوائل القرن الرابع عشر.

بلغ عدد سكان الويلز في ١٨٧١ نحو ١،٢٢ مليون نسمة؛ في ١٩٠١ نحو ١،٧١ مليون؛ في ١٩٣١ نحو ٢،١٦ مليون؛ في ١٩٩٥ (تقديرات) نحو ٣ ملايين.

أهم المدن: كارديف، التي تبعد ٢٣٢ كلم عن لندن؛ سوانسيا، نيوبورت، وغيرها (راجع «مدن ومعالم»).

اللغات: الانكليزية (رسمية)، والويلزية (وهي اللغة الاساسية الاولى لنحو ٧٠٪ من سكان البلاد خاصة في مناطقها الغربية).

مقسمة إداريًا إلى ٨ كونتيات و ٣٧ قضاء.

اسكوتلندا

نبذة عامة: تبلغ مساحتها ٧٨٧٨٩ كلم م.. وعدد سكانها في ١٨٠١ كان نحو ١،٦ مليون نسمة؛ وفي ١٩٢١ (٤،٤٨ ملايين)؛ وفي ١٩٥١ (٥،١ ملايين)؛ وتقديرات عددهم حاليًا، أي في ١٩٩٥ (نحو ٥،٢٥٠ ملايين).

وإسم اسكوتلندا مشتق من كلمة «سكوتي» وهي قبيلة من قبائل شعب «السلط» (Celtes) الذين أتوا من ايرلندا واستقروا في اسكوتلندا في القرنين الخامس والسادس للميلاد. استقرت القبيلة الأكبر والأساسية (قبيلة «السلط») على الساحل المعروف حاليًا باسم «أرغيل» باعداد كبيرة لدرجة انها كونت مملكة

عرفت باسم «داربـاد»»، ويتكلـم أبنـاء القبيلـة لغـة تدعى «غاليك» التي كانت لغـة اسكوتلندا حتى القرن العاشر، وقد تقلصت خلال القرون التالية واصبحت مقتصرة على سكان الاراضي الجبلية، وذلك لصالح نمو اللغة الانكليزية. وفي الوقت الحاضر، لا يزال سكان المناطق الغربية من اسكوتلندا والجزر الغربية يتكلمون الغاليكية.

أما اللغة الأخرى في اسكوتلندا فهي «سكوتش»، وهي عبارة عن شكل من أشكال الانكليزية التي نمت من لهجة «نورثمبري»»، وهي متعلقة ب «نورثمبريا»»، وهي مملكة إنكليزية قديمة تقع في شمال شرق انكلترا، وهي في الاساس لهجة أنكلو-ساكسونية مثل لهجة وادي التايمز في انكلترا التي تطورت عبر الزمان وأصبحت تعرف الآن باللغة الانكليزية. ولقد استوعبت «سكوتش» ذاتها اللغتين الفرنسية والألمانية وتأثيرات المجموعة الاسكندينافية من اللغات الجرمانية، وكانت اللغة الفصحى في المحكمة عندما ورث جيمس السادس الاسكوتلندي العرش البريطاني في ١٦٠٣، وانتقل إلى انكلترا. وقد تدهورت لغة سكوتش وفقدت حيويتها خاصة بعد طباعة الكتاب المقدس الذي اطلق عليه طبعة «جيمس» باللغة الانكليزية وليس بلغة سكوتش. إضافة إلى انه، ومع قيام البرلمان الاتحادي في ١٧٠٧، اصبحت اللغة الانكليزية لغة الادارة الرسمية. وعلى الرغم من جميع المحاولات (الانكليزية) التي بذلت للقضاء على اللغة الاسكوتلندية الاصلية، فلا يزال هناك من يتحدث بها من الشعب الاسكوتلندي، خاصة بين المزارعين وصيادي السمك في شمال وشرق اسكوتلندا.

في اسكوتلندا احزاب خاصة بالبلاد (بمعنى أحزاب إضافة إلى الاحزاب البريطانية المعروفة، خاصة «العمال» و «المحافظون»)، على رأسها «الحزب الوطني الاسكوتلندي» الذي يطالب بالاستقلال وبالاستفادة من معاهدة التحالف مع فرنسا التي وُقعت في العام ١٣٤٦. نال هذا الحزب ٢١٪ من الاصوات في انتخابات ١٩٧٤ (٧ نواب)؛ في ١٩٩١، أظهر استقصاء للرأي أجرته مؤسسة «سكوتسمان» ان ٧٧٪ من المستفتين يريدون تبديلاً للعلاقات مع لندن، و ٤١٪ مع الاستقلال الذاتي، و٢٢٪ مع الاستقلال التام.

أهم مدن اسكوتلندا، العاصمة أدنبرة (أدمبورغ)، غلاسغاو، دندي، أبردين... (راجع باب «مدن ومعالم»).

يرتكز إقتصاد اسكوتلندا على ثروات منجمية (الفحم، الغرانيت)، وعلى منتوجات زراعية (القمح، الشعير، الماشية)، وعلى صناعات (بناء السفن، التكرير). أهم صادراتها: الويسكي، الاصواف، الاقمشة؛ وأهم الواردات: المنتوجات الغذائية، المحروقات والمواد الاولية.

نبذة تاريخية: لقد نجت اسكوتلندا، بسبب موقعها النائي، من التقلبات التي عرفتها انكلترا: السيطرة الرومانية، ثم سيطرة وإقامة الأنغلز والساكسون، ثم عهود المؤسسات الاقطاعية. أما الآثار الرومانية، من قلاع وأسوار، الموجودة في اسكوتلندا فقد شيّدت بهدف حماية الحدود فقط. وبخلاف القوانين الانكليزية المستوحاة من الساكسون، تستوحي القوانين الاسكوتلندية القانون الروماني.

وفي كل مرة كان الغزاة يتجهون نحو الشمال كانوا يصطدمون بمقاومة عنيدة من السكان في اسكوتلندا، ولم ينجحوا أبدًا في الوصول إلى المناطق الشمالية في البلاد. ويقول بعض المحلّلين ان في هذا الامر يكمن سبب تخلف اسكوتلندا عن جارتها انكلترا في موضوع التطور السياسي.

لقد بدأ تاريخ اسكوتلندا (الوسيط، ثم الحديث) منذ ٨٤٣م عندما تولى كنت الاول، أول

ملك اسكوتلندي، السلطة في بلاده؛ وانتهت المملكة الاسكوتلندية في عهد آخر ملك اسكوتلندي، جيمس السادس الذي حكم ما بين ١٥٦٧ و ١٦٠٣ .هذا الملك حكم اسكوتلندا اولاً، ثم اصبح بعد ذلك ملكًا على بريطانيا العظمى وايرلندا ما بين ١٦٠٣ و ١٦٢٠. ففي ١٦٠٣، قبل الاسكوتلنديون بوحدة التاجين، وشعرت اسكوتلندا عندها انها اصبحت مساوية لانكلترا. فقبلت ايضًا بالوحدة البرلمانية (الشعبية) بموجب ميثاق ١٧٠٧.

إلا ان شعور المساواة هذا لم يدم طويلاً. فقد وقعت حوادث باعدت بينهم وبين الانكليز ولم تصل إلى حدود الفرقة او الانفصال. واكثر هذه الحوادث مرارة هي الهجرات الجماعية التي اضطروا عليها إثر هزيمة الامير شارل إدوارد في كولودن في ١٧٤٦، حيث لجأ الانكليز إلى اعنف وسائل القمع ضد سكان «الاراضي العالية» في اسكوتلندا. وقد جرت هجرات في فترات متقطعة في القرن التاسع عشر، وكذلك على أثر الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩)، حيث جاء محلهم عدد كبير من الايرلنديين. وأهم البلدان التي قصدها الاسكوتلنديون الولايات المتحدة الاميركية وكندا.

وقد فتح الربع الاخير من القرن العشرين صفحة جديدة في تاريخ اسكوتلندا. فبناء المصانع الهيدروكهربائية الكبيرة في «الاراضي العالية»، وزيادة المجمّعات النووية، وخاصة اكتشاف النفط في بحر الشمال عند الشواطىء الشرقية، كل ذلك ساهم بنهضة جديدة في البلاد، ودفع بالعديدين من الاسكوتلنديين المهاجرين للتفكير بالعودة إلى اسكوتلندا والمساهمة بالنهضة الاقتصادية.

ثمة دارسون ومحلّلون يعتقدون أن المنحى السياسي (والايديولوجي) ذاهب في الأخير، ولو بعد سنوات طوال، باتجاه إنبعاث قومية اسكوتلندية (هي عريقة في التاريخ) قد تؤدي إلى انفصال عن جسم المملكة المتحدة. وقد استند

هؤلاء على المؤشرات التي حملتها الانتخابات في اسكوتلندا، وخاصةً الانتخابات التي جرت في النصف الاول من ١٩٩٥.

فالمقترحات المطروحة، في الآونة الأخيرة للاصلاح الدستوري في المملكة المتحدة قد تؤدي إلى تغيير جذري ودائم في المشهد السياسي البريطاني، وربما إلى تفكك المملكة المتحدة. لقد تعهد حزب العمال البريطاني المعارض (اواخر ١٩٩٤ وأوائل ١٩٩٥) إنشاء برلمان لاسكوتلندا حال فوزه في الانتخابات المقبلة (في ١٩٩٧). ويعطي الاقتراح العمالي للبرلمان الاسكوتلندي صلاحيات واسعة. وتقدم حزب العمال بهذا الاقتراح لوقف التقدم الكبير في شعبية الحزب القومي الاسكوتلندي الذي يدعو إلى إنشاء كيان اسكوتلندي مستقل، مرتبط فدراليًا ببقية بريطانيا، أو في دولة مستقلة تمامًا.

ويتمتع حزب العمال بتأييد تقليدي قوي في اسكوتلندا. وقد فاز في الانتخابات الاشتراعية العامة (في ١٩٩٢) ب ٤٩ مقعدًا من المقاعد ال ٧٢ المخصصة لاسكوتلندا في برلمان وستمنستر؛ وفي الانتخابات المحلية (في نيسان ١٩٩٥) سيطر على ٢٠ مجلسًا بلديًا من المجالس البلدية ال ٢٩ في اسكوتلندا، مقابل فشل المحافظين في السيطرة على اي مجلس من هذه المجالس.

ومع ذلك، يشعر حزب العمال ان كل تقدم يحرزه القوميون الاسكوتلنديون يأتي على حسابه، فيحاول مواجهة الخطر وإدامة التأييد له عن طريق إرضاء طموح الاسكوتلنديين إلى السيطرة على شؤونهم. وتظهر استطلاعات الرأي ان المؤيدين لاقامة برلمان اسكوتلندي او للاستقلال الكامل عن بريطانيا تشكل غالبية السكان.

مناقشة-نزعة الاستقلال: ثمة فيلم سينمائي تاريخي يصور «وقائع» تاريخية اسكوتلندية أثار حالة سياسية، وطنية وقومية لدى الاسكوتلنديين دعت إلى طرح تساؤلات حول النزعة الاستقلالية (والانفصالية عن بريطانيا)، وعن مداها ومآلاتها. في «الحياة» (العدد ١١٩٠٠، تاريخ ٢١ ايلول ١٩٩٥، ص١)، كتب جاد الحاج:

تحرّك «الحزب الوطني الاسكوتلندي» للإفادة سياسيًا واعلاميًا من فيلم «القلب الباسل» الذي بدأ عرضه الاسبوع الفائت (اواسط ايلول ١٩٩٥) في لندن والمدن البريطانية الأخرى. وشهد اقبالاً منقطع النظير في غلاسكو وأدنبره. ويروي الفيلم قصة الثائر الاسكوتلندي ويليام والاس قائد الانتفاضة ضد الانكليز في بلده خلال الربع الاخير من القرن الثالث عشر.

وقف اعضاء من الحزب المذكور امام صالات السينما يوزعون مناشير عنوانها: «بعدما رأيتم الفيلم تعالوا نواجه الواقع». ومع ان والاس تحدى الانكليز منذ سبعة قرون اعتبر قادة الحزب الوطني الاسكوتلندي مأثرته درسًا مناسبًا للوضع الراهن في بلدهم. ويقول بول سكوت، نائب رئيس الحزب ان «والاس اعتبر الاستقلال امرًا محسومًا لجهة الخير العام. وتحقق له اننا من دون استقلال لن نحقق الحرية المنشودة في مجالات التجارة وتطوير القدرات واختيار التحالفات. وفي كلمة اخرى لا مجال للحديث عن اقتصاد مستقبلي إن لم نوظف طاقاتنا لذلك المستقبل كي نلعب دورًا فعالاً في اوروبا». وفي المناشير التي وُزعت بكثافة في اسكوتلندا ان الاستقلال المنشود «ليس مسألة تاريخية مضى عليها الزمن، فمعظم الامم الاوروبية تطلعت إليه، واسكوتلندا في حاجة إليه من جديد-واليوم اكثر من ٤٠ في المئة من الاسكوتلنديين يوافقون على ذلك، لأنهم صوتوا إلى جانب الحزب».

بلغت تكاليف الفيلم حوالي ٥٠ مليون دولار أخرجه وقام بدور البطولة فيه الممثل

الاسترالي ميل غيبسون وإلى جانبه الفرنسية صوفي مارسو. ويقول غيبسون انه لم يكن يتوقع رد فعل سياسيًا بهذا الحجم وان اختياره شخصية والاس نابع في الدرجة الاولى من إعجابه بالأبطال-الضحايا الذين نسيهم التاريخ.

عام ١٢٩٧، بعد مقتل والده وشقيقه على يد الانكليز. قاد والاس حملات ضارية ضد الجيش الانكليزي واستطاع ان يميز نفسه عن سواه من المقاتلين الاسكوتلنديين بقوة شكيمته وبسالة هجماته التي أوجعت الانكليز ودحرتهم غير مرة خصوصًا في معركة جسر ستيرلينغ التي جعلته رأس الحربة في المقاومة الاسكوتلندية. وفي وقت لاحق طرد والاس رجال الدين الانكليز من بلاده واستعاد مدينة بيرويك، ثم راح يشن هجمات متلاحقة على نورثمبرلاند محاولاً عقد ارتباطات سياسية وتكتيكية مع فرنسا والمانيا لدعم هجوم كبير، حاسم، كان يعده ضد جيوش التاج البريطاني في عهد الملك إدوارد الاول. إلا ان خططه تبددت عندما هزمه إدوارد عام ١٢٩٨ في معركة فالكريك.

مع ذلك لم يسقط والاس في ساحة الوغى بل خانه رجاله وسلموه إلى لندن حيث حوكم بتهمة الخيانة. وقبل تنفيذ حكم الاعدام به قال للمحكمة: «بلغوا إدوارد ملك انكلترا إني لست من أوليائه وهو ليس ملكي ولن يحصل على تقديري ما زالت الحياة تدب في جسمي هذا المظلوم.لن يحصل على احترامي ابدًا، مهما كان الثمن».

في اليوم التالي تعلق والاس في أنشوطة الشهادة وقطع رأسه في سميثفيلد، ثم أرسلت أطرافه إلى نيوكاسل وبيرث وستيرلينغ لترويع الثوار الاسكوتلنديين.

وبات ويليام والاس رمزًا للكفاح والمواجهة والبطولة والروح الاسكوتلندية في أسمى تجلياتها، كتب عنه الشعراء واستلهم حكايته الروائيون ووصفه وردزوورث بأنه زهرة وحشية تنمو بلا انقطاع في روابي بلاده الجميلة.

واللافت في مفارقة ظهور الشريط في هذه الفترة بالذات ان الحزب الوطني الاسكوتلندي الداعي إلى انفصال اسكوتلندا عن المملكة المتحدة يحقق تقدمًا ملحوظًا على الساحة المحلية ويعقد اتفاقات سرية، حسب جريدة «سكوتيش»، مع حزب العمال البريطاني في إطار استراتيجية موحدة تخدم مصالحهما في الانتخابات العامة المقبلة.

جزيرة مان

مساحتها ٥٧٢ كلم م.، يسكنها نحو ٧١ ألف نسمة. قاعدتها دوغلاس (نحو ٢٣ ألف نسمة). لها لغة خاصة تاريخيًا، لا يزال هناك نحو مئة شخص يجيدها. تابعة للتاج البريطاني (اعترف باستقلال داخلي لها في ١٧٦٥). لا نواب لها في مجلس العموم. لورد جزيرة مان هو الملكة اليزابت الثانية. لها مجلس خاص يصدر القوانين الخاصة بها، وحكومة، ومجلس تشريعي (من ١٠ أعضاء)، ومجلس يقال له «مجلس المفاتيح» (٢٤ عضوًا). القضاء فيها لا يزال يصدر أحكامًا بعقوبات جسدية (الضرب بالعصا) على مرتكبي العنف والسارقين. الضرائب على العائدات تصل إلى ٢٥،٢١٪.

الجزر الأنكلو-نورماندية

مساحتها ١٩٤،٦ كلم م.. مناخها معتدل. نحو ١٤٠ ألف نسمة.

انفصلت جغرافيًا عن البر الاوروبي منذ نحو ٦ آلاف سنة ق.م. وهي الجزء الوحيد من منطقة النورماندي الذي احتفظت به انكلترا (بموجب معاهدة باريس ١٢٥٨، حيث تخلى ملك انكلترا عن الدوقية، لكنه بقي سيّد هذه الجزر التي لم ينتبه لها المفاوضون). بين ١٢٨٤ و ١٤٦٨،

جرت سبع محاولات فرنسية لغزوها. بين ١٤٨٣ و ١٦٨٩ اصبحت منطقة محايدة بموجب مرسوم بابوي. في ١٦٨٩، اصبحت قاعدة بحرية إنكليزية. في ١٧٧٩-١٧٨١، جرت محاولتان فرنسيتان لغزوها. في ١٧٩٩-١٨٠٠، نزلت فيها كتيبة روسية من ١٧ ألف رجل بقيادة شارل دو فيومنيل. في ١٩٤١-١٩٤٥، احتلتها ألمانيا.

وضعها الحالي: تتبع التاج البريطاني (في شؤون الدفاع والعلاقات الدبلوماسية)، لكنها ليست جزءًا من المملكة المتحدة، ولا نواب لها في مجلس العموم البريطاني. قانونها المدني ناتج عن التقليد النورماندي القديم (متأثر حاليًا بالقانون الانكليزي. اللغة: الفرنسية (في المناسبات الرسمية)، والانكليزية هي الطاغية لدى السكان.

جزيرة جرسي: على مسافة ٢٥ كلم من الاراضي الفرنسية. مساحتها ١١٦،٢ كلم م.. نحو ٨٥ ألف نسمة. قاعدتها سانت إيليه (نحو ٢٩ ألف نسمة). ١٢ سيناتورًا، ٢٩ نائبًا (وجميعهم منتخبون بالاقتراع العام). اللغة الفرنسية (رسمية)، لكن الانكليزية هي التي يستعملها السكان. ثرواتها: البطاطا، الأزهار، تربية الماشية، وفيها مطاران إنكليزيان. السياحة: نحو مليون و ٣٥٠ ألف سائح، نحو ٢٥٪ منهم من البلدان الاوروبية. تتبع لها جزر صغيرة أخرى.

جزيرة غرنيسي: على مسافة ٢٥ كلم من الاراضي الفرنسية، و ١٣٠ كلم من بريطانيا. مساحتها ٦٥ كلم م.، وتعد نحو ٥٩ ألف نسمة. قاعدتها سان بيتر؛ ١٢ مستشارًا، ٣٣ نائبًا. اللغة الانكليزية (رسمية). ثرواتها: زراعة الطماطم، الأزهار، مصرف، ومركز مالي. تتبع لها ثماني جزر صغيرة أخرى.

وهناك ايضًا جزيرة وايت (٣٨ كلم م.، نحو ١٢٠ ألف نسمة)، وجزيرة لندي (قناة بريستول) ومساحتها ٤ كلم م.

معالم تاريخية

□ **الاحزاب:** حزبان رئيسيان، حزب العمال وحزب المحافظين. وخمسة احزاب أخرى أقل أهمية: حزب اليسار الديمقراطي الذي كان يحمل قبل ١٩٩١ إسم «الحزب الشيوعي»، تأسس في ١٩٢٠، أمينه العام نينا تمبل، وعدد محازبيه نحو ١٦٠٠ عضو، كان يتلقى دعمًا ماليًا من الاتحاد السوفياتي، خاصة بين ١٩٥٨ و ١٩٧٩. وحزب الديمقراطيين الليبراليين الذي تأسس في آذار ١٩٨٨، ويضم نحو ٨٢ ألف عضو. والحزب الاجتماعي الديمقراطي، تأسس في آذار ١٩٨١ على يد ١٩ عضوًا من مجلس العموم، وآخرين منشقين عن حزب العمال. وحزب الاحرار (في الأساس حزب «ويغ» الذي أسّسه مقاتلون اسكوتلنديون)، أسسه غلادستون في ١٨٧٧، ويمثل عالم الأعمال ويدافع عن التبادل

الحر؛ انقسم، في ١٩٣١، بين صموليين (انصار السير هربرت صموئيل) الذين استمروا في خط الحزب التقليدي، وبين سيمونيين (أنصار السير جون سيمون) الذين تخلوا عن خط الدفاع عن التبادل الحر، ثم التحقوا بحزب المحافظين؛ زعيم حزب الاحرار منذ ١٩٨٨ بادي أشداون (مولود ١٩٤١)، وقد نال الحزب في انتخابات ١٩٩٢ نسبة ١٧،٨٪ من الاصوات (٢٠ عضوًا في مجلس العموم، و٦٠ عضوًا في مجلس اللوردات). وحزب الخضر، تأسس في ١٩٧٣، ونال في انتخابات ١٩٨٧ نسبة ١،٤٪ من الاصوات (ونسبة ٩،٥٪ في الانتخابات البلدية)، ونسبة ١٤،٩٩٪ في الانتخابات الاوروبية؛ زعيمه جون بيشوب (راجع «الفاشيون البريطانيون»).

حزب العمال: حزب اشتراكي-ديمقراطي (الاشتراكية في مبادئه الأساسية تراجعت إلى حد كبير منذ ١٩٩١، وخصوصًا على يد زعيمه الحالي توني بلير، وقد تبين حتى اليوم - صيف ١٩٩٥- ان هذا التراجع اكسبه تأييدًا انتخابيًا متعاظمًا لدى فئات كثيرة من الناخبين). يتناوب على السلطة في بريطانيا هو وحزب المحافظين منذ ١٩٢٣.

يعود تأسيسه إلى العام ١٩٠٠، أي العام الذي تأسست فيه «لجنة لتمثيل العمال» ضمت حزبًا عماليًا مستقلاً معاديًا للماركسية وللعنف الثوري ومناديًا بالعدالة الاجتماعية وبالعمل النقابي منذ تأسيسه على يد جيمس كيرهاردي في ١٩٨٣، كما ضمت الجمعية الفابية والنقابات العمالية.

في اللجنة التأسيسية تصارع تياران: تيار الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي الذي يؤمن - متأثرًا بالماركسية بصراع الطبقات وبتأميم وسائل الانتاج والتوزيع. وتيار يتزعمه الفابيون، بزعامة النقابي كير هاردي، ينادي بتكوين جماعة مستقلة في البرلمان للتعاون مع أية جماعة أخرى تقبل بالعمل على تقديم تشريعات لصالح العمال وتعارض الاجراءات والتشريعات المعادية للعمال.

وبعد مناقشات حادة، وافقت اللجنة التأسيسية على تبني اتجاه كير هاردي: تطور وأساليب سلمية وبرلمانية، أي ان اشتراكية الحزب اصبحت تعود بجذورها «إلى الانجيل لا إلى ماركس» على حد تعبير كليمنت أتلي، أحد اقطابه.

أول انتخابات خاضها الحزب كانت في ١٩٠٦، وقد فاز فيها بخمسين مقعدًا برلمانيًا، واستمر يعطي اصواته إلى جانب الحزب الليبرالي، حتى تسنّى له ان يتقدم على الليبراليين في ١٩٢٣، فشكل رامزي مكدونالد اول حكومة عمالية في تاريخ بريطانيا، إلا ان تجربة الحزب الاولى في الحكم لم تتجاوز العام الواحد.

وفي ١٩٢٩، عاد حزب العمال ثانية إلى الحكم ليقع ضحية الازمة الاقتصادية الكبرى التي اجتاحت العالم الرأسمالي آنذاك. وفي ١٩٣١، عمد مكدونالد إلى الانشقاق عن الحزب ليترأس حكومة اتحاد وطني ضمت المحافظين والليبراليين. وابتداء من ١٩٣٤-١٩٣٦، وصل جيل جديد من القياديين إلى قمة الحزب (أبرزهم كليمنت أتلي، بيفان، كريبس...) فوضعوا برنامجًا يربط بين فكرة اصلاح البنى الاقتصادية إصلاحًا جذريًا وبين فكرة تطوير دولة الرفاهية (Welfare State). وكانت هذه الافكار هي التي أمّنت انتصار الحزب بقوة في ١٩٤٥ واستمراره في الحكم طيلة ستة اعوام عمد فيها إلى تطبيق مبادئه الاجتماعية والاقتصادية المرتكزة على التأميمات وإقامة دولة الرفاهية والاقتصاد الموجه.

وانطلاقًا من ١٩٤٩-١٩٥٠، أخذ حزب العمال يشهد انقسامًا واضحًا بين جناح محافظ ومسيطر وجناح «يساري» كان أنورين

بيفان أحد ابرز ممثليه. وبالرغم من سقوط حزب العمال في ١٩٥٠ وبقائه في المعارضة حتى ١٩٦٤، فإن هذا الانقسام بقي حادًا بين الجناحين. وعندما نجح الحزب في ١٩٦٤ في العودة إلى الحكم، حاول زعيمه، هارولد ويلسون، ان ينتهج خطًا وسطًا وان يدخل بعض التحديثات على بنى الحزب خاصة في فترة المعارضة التي امتدت من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٤. وعندما عاد ويلسون مجددًا إلى السلطة في ١٩٧٤، حاول بنجاح ان يحد من نفوذ الجناح اليساري. وترجع قوة هذا الجناح بصورة رئيسية إلى قواعده الثابتة داخل الحركة النقابية التي تزوّد الحزب بخمسة أسداس اعضائه. وبالرغم من واقع اعتماد الحزب الاساسي على النقابات فإن عليه ايضًا ان يجذب شرائح واسعة من الطبقات الوسطى التي باتت هي الأخرى تشكل قاعدة انتخابية يمكن الاعتماد عليها. ولا شك في ان التذرع بالفعالية الانتخابية والاستقلالية النسبية التي تتمتع بها المجموعة البرلمانية العمالية إزاء قيادة الحزب يساعدان كثيرًا على دعم مواقف الجناح الاصلاحي اليميني. وهذا ما حدث بالضبط، ولاقى نجاحًا في عودة تنامي الحزب وتوسع قاعدته الانتخابية على أيدي كوادره أصحاب الاتجاه الاصلاحي اليميني، خاصة مع بداية العقد الأخير (١٩٩٠-١٩٩١) وتحت قيادة جون سميث ومن ثم توني بلير (في ١٩٩٥).

فقد حقق زعيم حزب العمال المعارض توني بلير، له ولحزبه، في المؤتمر الاستثنائي للحزب الذي عقد في ٢٩ نيسان ١٩٩٥، مراجعة تاريخية مهمة بتعديل المادة الرابعة من دستور الحزب التي خاض العمال على أساسها، منذ الحرب العالمية الثانية، معاركهم من اجل الاصلاح الاشتراكي والاجتماعي ضد المؤسسة الرأسمالية المحافظة، والتي تنص على التمسك بالقطاع العام، وباتباع سياسات التأميم، الخ... وهذا التعديل يعني عمليًا إلغاء التوجهات الاشتراكية وإفراغ سياسات الحزب المطلبية من اللون الايديولوجي، وتحجيم نفوذ القيادات النقابية والتيار اليساري داخل الحزب لمصلحة زعامته الحالية وبرلمانييه وكوادره الداعين إلى الاصلاحية والليبرالية.

حزب المحافظين: تعود جذور هذا الحزب إلى حزب «توري» الذي ظهر في نهاية القرن السابع عشر. وكلمة توري (Tories) كانت تطلق في القرن السابع عشر على قطاع الطرق والرعاع الايرلنديين، ثم اصبحت تستعمل كشتيمة توجه إلى انصار الكنيسة والنظام الملكي الذي قام عام ١٦٧٩-١٦٨٠. من هنا استعملت هذه الكلمة للدلالة على أحد اوائل الاحزاب الانكليزية الذي نشأ في وقت واحد تقريبًا مع حزب «ويغز» (Whigs) المعارض للاستبداد الملكي والمطالب بالحريات الديمقراطية. أيد حزب التوري بقوة الملك تشارلز الثاني في معركته لمنع شقيقه جاك، دوق يورك، المؤمن بالكاثوليكية، من الوصول إلى العرش. وعارض الحزب جاك الثاني عندما حاول هذا الاخير التعرض للموسسة البرلمانية وللكنيسة البروتستانتية. وقد اتهم الحزب في ما بعد بالعودة إلى تأييد جاك الثاني والتآمر لاعادته إلى العرش، فظل يعارض ملوك أسرة هانوفر حتى عهد الملك جورج الثالث الذي قرّب اتباع حزب التوري منه وأغدق عليهم نعمه. وفي ١٧٨٣، انضم إلى التوري ويليام بت، ثم تبعه إدموند بورك، المفكر المحافظ الشهير، فتحول الحزب معهما إلى حزب النظام الاجتماعي والسياسي القائم المعارض لكل الآراء الليبرالية والممارسات الديمقراطية. وقد استمر الحزب طويلاً يعتمد على الأسر الارستقراطية ولكن دون ان ينغلق تمامًا امام بعض شرائح البورجوازية المتطلعة إلى النظام والاستقرار الاجتماعي والطامحة إلى المحافظة على امتيازاتها.

وقد نشأ في اوائل القرن التاسع عشر

جناح ليبرالي داخل الحزب بزعامة كانينغ دعا إلى ادخال بعض الاصلاحات السياسية والكنسية، ولكن دون ان يتمكن من إقناع القيادة بذلك، فتحقق الاصلاح الكبير في ١٨٣٢ رغمًا عنها وبفضل حزب الاحرار. إلا ان الحزب استطاع التغلب على هذه النكسة بسرعة وذلك بفضل روبرت بيل الذي أدخل إلى الحزب دمًا جديدًا وعقلية متطورة ودفع نحو التوفيق بين الدفاع عن النظام القائم من جهة وعدم الخوف من التغيير الاجتماعي من جهة ثانية. وقد توصل بيل إلى تغيير اسم الحزب فاصبح يُعرف منذ ١٨٣٦ بحزب المحافظين.

وفي اربعينات القرن التاسع عشر، برز تيار جديد داخل الحزب بزعامة ديزرائيلي عُرف باسم «التوريون الشباب» دعا إلى مزيد من العدالة الاجتماعية ووضع حجر الأساس لايديولوجية المحافظين طيلة أكثر من مئة عام. وقد توصل بنجامان ديزرائيلي، ابتداء من ١٨٦٦، ان يعيد تنظيم الحزب حوله ويتجاوز مرحلة الرأسمالية المطلقة ويحدد اهداف الحزب بالوفاء للملكية والكنيسة الأنغليكانية ونشر «نفوذ الامبراطورية البريطانية» في الخارج وتحقيق الوفاق بين الملكية والشعب بقيادة «النخبة الطبيعية» للمجتمع البريطاني أي المحافظين.

وأخذ المحافظون، على ضوء هذه الاهداف، ومنذ ١٨٦٧، يدعون إلى الاصلاحات الانتخابية والبرلمانية والاجتماعية في الداخل، ويمجدون فكرة التوسع الاستعماري في الخارج. وقد نجح المحافظون بذلك في البقاء في الحكم فترة طويلة نسبيًا إذ ظلوا يديرون عجلة الحكم في بريطانيا من ١٨٦٦ إلى ١٩٠٥ بدون انقطاع تقريبًا مستفيدين في ذلك من ازمة حزب الاحرار وانقساماته وانضمام الزعيم الليبرالي جوزف تشمبرلين إليه. وقد تعاقب على زعامة المحافظين في هذه الفترة اللورد سالزبوري وأرتور بلفور. وفي ١٩٠٥، خسر المحافظون السلطة وبقوا في المعارضة حتى ١٩١٥ حين شاركوا في حكومة اتحاد وطني بزعامة أسكويت الليبرالي، ولكنهم سرعان ما انقلبوا عليه في ١٩١٦ وتحالفوا مع لويد جورج طيلة ستة اعوام. لكنهم لم يستأثروا بالحكم فعلاً إلا مع انتصارهم الانتخابي في ١٩١٨ مستفيدين من تراجع حزب الاحرار وانضمام العديد من خصومهم التقليديين إليهم (ونستون تشرشل) ونوعية قيادييهم مثل بونار لاوي وكورزون بولدوين وأوستن ونيفيل تشمبرلين، ومن براغماتية برنامجهم، وأخيرًا بسبب نجاحهم في تخويف الناخبين من «البعبع» الأحمر الممثل بحزب العمال. وهكذا فقد بقوا في الحكم في فترة ما بين الحربين العالميتين ١٨ عامًا من اصل ٢١.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وصل تشرشل إلى الحكم على رأس حكومة اتحاد وطني استطاعت ان تقود البلاد إلى الانتصار على النازية بالتحالف مع الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي. وبالرغم من ان تشرشل استطاع ان يثبت كفاءة عالية في قيادة الحرب إلا ان الناخبين البريطانيين خذلوه عام ١٩٤٦ لعدم ثقتهم بقدرته على انجاز الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتطلبها فترة ما بعد الحرب. وهكذا انتقل المحافظون إلى صف المعارضة حتى ١٩٥١، فاكتفوا بمراقبة تجربة حزب العمال الاشتراكية والاحتجاج من وقت لآخر على سياستهم في الانسحاب السريع من المستعمرات. وعندما عادوا إلى السلطة (١٩٥١)، واستمروا فيها بدون انقطاع حتى ١٩٦٤ تبنوا سياسة العمال الاجتماعية نفسها تقريبًا فلم يعيدوا إلى القطاع الخاص سوى مصانع الحديد ووسائل النقل التي كان العمال قد أممّوها واضطروا لمتابعة سياسة تصفية الاستعمار وبناء كومنولث جديد على

انقاضها. وفي ١٩٦٤، خسر المحافظون السلطة مجددًا بسبب تفاقم الازمة الاقتصادية في البلاد وتحول قسم كبير من ناخبي الطبقة المتوسطة نحو حزب العمال. وقد استمر ابتعادهم هذه المرة عن السلطة حتى ١٩٧٠ حين فاز الحزب بزعامة إدوارد هيث باغلبية المقاعد في مجلس العموم وقاد بريطانيا في عهده إلى دخول السوق الاوروبية المشتركة. ولكنه لم يستمر أكثر من اربع سنوات عاد العمال على اثرها إلى توجيه سياسة الدولة مجددًا (١٩٧٤). وقد كلفت هزيمة المحافظين في الانتخابات (١٩٧٤) إدوارد هيث منصبه كزعيم للحزب إذ اضطر على الاستقالة (١٩٧٥) لتحل محله مارغريت تاتشر التي قادت الحزب مجددًا إلى الحكم في انتخابات ١٩٧٩ (عن حزب المحافظين، من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ج٢، ص ٥١٥-٥١٦).

□ **آرثر، الملك: حقيقة أو اسطورة:**
ملك إنكليزي لا تزال شكوك مؤرخين كثيرين حول وجوده أصلاً، فيرجّحون افتراضية كونه بطل قصة تاريخية تعاقبت الأجيال على روايتها كواقعة تاريخية تحوّل اسم صاحبها إلى بطل وطني. فكتب التاريخ الانكليزي التي تذكره، برأي المؤرخين الذين يشكون بوجوده كحقيقة تاريخية، منقولة عن الاساطير المسموعة عن ميزات الشجاعة والقوة والعدالة التي اتصف بها عهد الملك آرثر بعد الاضمحلال الذي عانت منه بريطانيا تحت حكم الرومان، وما تعرضت له بعد استقلالها عنهم من اضطرابات وتنازع على الاراضي وانقلابات وتفشي الطاعون، حتى العام ٥٠٠ م. وكان عهد آرثر الذي أتى بعد ذلك الزمن المتقلب المضطرب عهد الرفاه والثقة والسلام واستمر زهاء خمسين عامًا. عاصمة مملكته كانت «كاميلوت» في مقاطعة ويلز الحالية. والويلزيون كانوا أول من ألف أشعارًا تمتدح بطولته. لكن فرنسا تدعي حقها في آرثر، فقد انتقل تأثيره إلى شمالها إما بالأسفار او الفتوحات. والواقع ان أول الكتب التي تناولت عهده صدرت من فرنسا.

يظل الدليل التاريخي الوحيد على وجود آرثر هو ما جاء في كتاب «تاريخ البريطانيين» الذي صدر باللاتينية في ٨٢٨، وفيه وصف للمعارك التي خاضها آرثر ضد الساكسون وكان يلقب ب«دوق المعارك» لاعتماده على استراتيجية الرومان العسكرية باستخدام فرق كبرى من الفرسان. ويذكر المؤرخون ان تدريبه العسكري كان في الجيش الروماني، بل ان اسمه ربما كان آرثوروس فتحول إلى آرثر. وهناك أربع أسر ملكية في بريطانيا سمّت أبناءها بذلك الاسم لدلالاته التاريخية. ولقب ملك اسكوتلندي نفسه بآرثر تيمنًا بالانتصار على الانكليز واخراجهم من مقاطعة اسكوتلندا.

بحلول القرن الثاني عشر عمت اوروبا قصص بطولات الملك آرثر، كان يرويها محترفون في الاسواق والساحات العامة. وألّف كتّاب قصصًا عن الملك آرثر كان لها تأثير في الشكل العام الذي اتخذته اسطورته حيث تناولها شعراء وفنانون ومسرحيون في فترات تاريخية مختلفة: الشاعر ويليام بليك رسم لوحة كبرى استوحاها من معركة آرثر الاخيرة وصوّر فيها القائد رمزًا لروح الفداء عند الانسان. والشاعر تنيسون، بعده، نظم القصيدة الشهيرة «موت آرثر». وت. إليوت استوحى «أرض الخراب» من أجواء تلك الاسطورة.

في العام ١٩٨٦، نشرت جمعية آرثر الدولية موسوعة في ٢٢ جزءًا تتضمن حوالي ٣٦ ألف عنوان كتاب جدّي ودراسة أكاديمية ظهرت عن آرثر.

□ **إلغاء تجارة العبيد، وتحريرهم:** مجموعة إجراءات وقوانين برلمانية بريطانية صدرت بين ١٧٨٩ و ١٨٠٧ واستهدفت حظر اشتغال الشركات والبحّارة من التابعية البريطانية في نقل الرقيق من افريقيا إلى الولايات المتحدة. وقد كان البريطانيون بمثابة الوسطاء الرئيسيين في تلك التجارة نظرًا لتغلغلهم الاستعماري في افريقيا، ولسيطرتهم على حركة الملاحة الدولية، ولحاجة المزارع الاميركية للعبيد لجني المحاصيل.

وبعد نجاح حظر تجارة العبيد في اوروبا وأميركا في مطلع القرن التاسع عشر، أقّر البرلمان البريطاني تحرير العبيد في الامبراطورية البريطانية في صيف ١٨٣٣، ودفع تعويضات لاصحاب العبيد في حدود العشرين مليون جنيه استرليني.

□ **الجمعية الفابية:** جمعية اشتراكية تأسست عام ١٨٨٣ في لندن تدعو إلى «إعادة بناء المجتمع على أسس اخلاقية رفيعة». ويتضح لنا من إسمها انها حركة غير ثورية حيث تُنسب إلى القائد الروماني فابيوس (Fabius Maximus Verricosus) الملقب ب«المتزن» (Cunctator) لأن مبادئه الحربية كانت تعتمد على تجنب المواجهة المباشرة مع العدو واعتماد الصبر إلى ان تحين الفرصة المناسبة لتوجيه الضربة القاضية. وقد استخدم فابيوس ذلك التكتيك الحربي فعلاً ضد جيوش القائد القرطاجي هنيبعل واستطاع ان يحقق به نجاحًا في بعض المعارك. فاختار الفابيون إسم ذلك القائد الروماني للدلالة على ان نظريتهم الاشتراكية تقوم على تجنب الاساليب الثورية العنيفة والمطالب المتطرفة لبلوغ الهدف النهائي المتمثل في إقامة علاقات انسانية جديدة تعتمد على المساواة بين البشر. وبالتالي، فإنه يمكن الوصول إلى ذلك الهدف بالاستيلاء على اغلبية المقاعد في البرلمان ومن ثم تغيير القوانين الراهنة وإرساء سياسة اقتصادية تراعي المساواة في توزيع الثروة، وبالتالي فان المساواة وإزالة الامتيازات السياسية والاقتصادية وتحقيق العدالة الاجتماعية والاستيلاء الجماعي على وسائل الانتاج الكبرى (عن طريق الاقناع) واصدار التشريعات والمراقبة الديمقراطية للثروات الوطنية وللقرارات الاقتصادية، تعتبر كلها المبادىء العامة الأساسية للحركة الفابية. وخلال السنوات العشرين الأخيرة (من القرن الماضي، التاسع عشر) أولت الحركة الفابية اهتمامًا متزايدًا للامور التطبيقية العملية. فركّزت مثلاً على أهمية الدور الذي يجب ان تضطلع به السلطات الاقليمية (البلديات...) وذلك يستدعي بالضرورة إقامة نظام لامركزي ومنح تلك السلطات مزيدًا من الاستقلالية المالية والتشريعية، كما ركزت ايضًا على موضوع التأميم لوسائل الانتاج الكبرى والضمان الاجتماعي والتخطيط الاقتصادي وتنظيم المستهلكين والسياسة الاسكانية والمعمارية.

من هنا يتضح الدور الذي لعبته الحركة الفابية في تأسيس حزب العمال البريطاني في ١٩٠٦ الذي لا تختلف اهدافه الأساسية في شيء عن الاهداف الفابية، حتى ان تلك الحركة التي هي في الواقع حركة مثقفين والتي ما زالت جذورها راسخة حتى الآن، لا تزال موجودة وتلعب دورًا داخل الحزب المذكور وتضم نخبة من المفكرين السياسيين والجامعيين والأطر الخاصة العليا المعروفة بتواضعها واعتدالها. ومن أبرز الذين ساهموا بتأسيسها جورج برنارد شو.

وعندما طرحت الحركة الفابية منذ العشرينات على بساط البحث القضية الاستعمارية ونادى مفكروها وعلى رأسهم جورج برنارد شو بتحرير الشعوب المستعمرة خاصة في مصر والهند، تأثر بأفكارها العديد من المفكرين في العالم الثالث الذين التقت طموحاتهم عمليًا مع مبادىء تلك الحركة. ومن أهم المفكرين العرب الذين تأثروا بتلك الافكار الفابية سلامة موسى ومحمد فريد

أحد زعماء الحزب الوطني المصري. إلا ان تلك الحركة لم تنتشر وتتوسع بالشكل المطلوب ذلك ان ظهورها جاء في وقت كان فيه المد الاستعماري على أشده فلم يكن الاعتدال الذي نادت به بحديًا امام تنامي قوة التيارين المتناقضين اللذين يتنازعان على كسب الساحة البريطانية بشكل خاص والاوروبية بشكل عام وهما: التيار الماركسي والتيار المحافظ الذي كان يقود المد الاستعماري ويروج له، حتى ان أحد زعمائه، سيسيل، الاستعماري البريطاني الشهير حينما مرّ باحدى مظاهرات الجائعين في لندن قال: «إن حل هذه المشكلات كلها هو في المستعمرات. فهذا التناقض الاجتماعي الشديد المتأزم لا حل له إلا بالعنف الشديد في الداخل والسطو العنيف في الخارج». وقد وصف لينين الفابية بأنها «خير تعبير عن الانتهازية وعن السياسة العمالية الليبرالية» (من «موسوعة السياسة»، الموسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ج٤، ص ٤٣٨-٤٣٩).

□ **الفاشيون البريطانيون:** مجموعات إنكليزية قليلة الشأن سياسيًا لكنها ذات فعالية أمنية لما تثيره من حوادث شغب عنصري موجه في الاساس ضد الايرلنديين الكاثوليك والسود والآسيويين.

أشهر هذه المجموعات تنظيم يطلق عليه إسم «المعركة ١٨» (Combat ١٨)، على صلة وثيقة بمنظمتين ايرلنديتين مماثلتين من البروتستانت هما «جمعية الدفاع الايرلندية» و «مقاتلو ايرلندا الاحرار» المتميزتان بعمليات الاغتيال الفردية والجماعية ضد أهداف سياسية ومدنية من الاقلية الكاثوليكية في أقليم أوليستر (ايرلندا الشمالية). وكان بعض اعضاء «المعركة ١٨» قد اعتقلوا بتهم تهريب الأسلحة إلى الايرلنديين البروتستانت في أيرلندا الشمالية التي تعمل ميليشياتهم المتطرفة على تطهير البلاد عرقيًا كسبيل لحل الازمة الايرلندية، أي دفع الكاثوليك إلى الهجرة باتجاه الجمهورية الايرلندية (الجنوبية). ولا تزال هناك في منطقة الحدود بين ايرلندا الشمالية وايرلندا الجنوبية (وتحديدًا شمال مدينة لندنديري) شعارات بهذا المعنى. ولقد وقعت أعمال شغب في دبلن (في ايرلندا الشمالية-أوليستر)، في اواسط شباط ١٩٩٥، معادية لمنظمةالجيش الجمهوري الايرلندي التي كانت دخلت طرفًا في عملية السلام بعد قرار قيادتها التاريخي باختيار اسلوب الحوار للتفاوض على حق تقرير المصير للكاثوليك في أوليستر. ولقد استأثرت هذه الحوادث العنصرية باهتمام الاوساط السياسية والاجتماعية في بريطانيا كونها كانت غائبة لعدة سنوات خلت، وكونها تستهوي جيل الشباب الأنكلو-ساكسونيين (متوسطي ومتدنيي الثقافة) الذين يعتبرون ان بلادهم اصبحت عرضة «لنهب الاعراق الاخرى والمهاجرين ومهددة بالخراب الاقتصادي».

تستلهم «المعركة ١٨» إسمها أصلاً من إسم رمز الفاشية المعاصرة أدولف هتلر، وبالتحديد من ترتيب الحرفين الاولين من هذا الاسم .A.H في الابجدية الانكليزية، وهو الاول والثامن عشر. وغالبًا ما تنشر هذه المنظمة في مجلتها «مراقبة الحمر» أسماء الليبراليين واليساريين وتحضّ اعضاءها على رصد مواقفهم.

كان «الحزب القومي البريطاني» على علاقة بمنظمة «المعركة ١٨»، وكان أوحى في السنوات الأخيرة انه قرر سلوك الخيار الديمقراطي في العمل السياسي، وانه لم يعد له اية علاقة بمنظمة «المعركة ١٨». لكنه أعاد هذه العلاقة إلى سابق عهدها بعد فشل زعيمه ديريك بيكون في انتخابات المجلس المحلي لبلدية تاور هاملت في شرق لندن في ١٩٩٤.

وهذا التحالف بينهما ظهر جليًا في

حوادث دبلن المذكورة، وفي لندن (كانون الثاني ١٩٩٥) اثناء مباراة كرة قدم، حيث تبين وجود مجموعة عنصرية اخرى تطلق على نفسها إسم «صائدو الحمر في تشيلسي» (وتشيلسي أحد أحياء جنوب لندن الراقية والمجاورة لحزام شرقها المعروف تاريخيًا بأنه كان مهد الحركة الفاشية البريطانية التي قادها الزعيم موزلي وعصابات القمصان السود التي ازدهرت خلال فترة صعود الفاشية الألمانية والايطالية). وقد وزع افراد «المعركة ١٨» بطاقات كتبت عليها عبارات عرقية واضحة مثل «لا للسود، لا للباكستانيين، لا لليهود في شرق لندن». وفي منشور آخر دعت هذه المنظمة إلى «شحن غير البيض من دون استثناء إلى افريقيا وآسيا والجزيرة العربية، أحياءً أو في أكياس الجثث».

الرأي العام البريطاني أظهر رفضًا لأعمال هذه المجموعات العنصرية. رئيس الوزراء،جون ميجور، اعتبرها «خزيًا لبريطانيا». وقد نشأت، في السنوات الأخيرة، جمعيات شعبية بتشجيع عدد من نواب احزاب المعارضة يقوم اعضاؤها بتوزيع المنشورات المحذِّرة من ظاهرة الفاشية في بريطانيا واوروبا.

ومن الطبيعي ان يتأثر التوجه العنصري لهذه المجموعات الانكليزية بقوانين الهجرة البريطانية التي تعود إلى العام ١٩٠٥ عندما اصيبت الحكومة بالفزع من تدفق اليهود الفقراء على البلاد فرارًا من الاضطهاد في دول شرق اوروبا. وفي الاربعينيات والخمسينيات كان يتم استقدام عمال سود من منطقة الكاريبي لتشغيلهم في مصانع السيارات وفي القطاع العام المزدهر.

لكن طفرة ما بعد الحرب وهنت وتغيّر الجو السياسي و لم يعد العمال السود مرغوبًا فيهم كثيرًا كعمالة رخيصة، وصار ينظر إليهم على انهم يستولون على وظائف من حق الانكليز.

وحاليًا يمكن لمواطنين من دول الاتحاد الاوروبي ان يقيموا في بريطانيا، فيما يسمح بدخول اجانب لزيارة اقاربهم فقط. وفي ١٩٩٣، بلغ عدد المهاجرين إلى بريطانيا ٣٦ ألفًا من مختلف مستعمرات الكومنولث السابقة. وينتظر ايضًا (صيف ١٩٩٥) تشديد قوانين منح حق اللجوء وذلك في أجواء احتلال مشكلة المهاجرين الصفحات الاولى للجرائد البريطانية التي تنشر تحقيقات عن حوادث شغب عنصرية في مدينة برادفورد الشمالية وادعاءات رئيس الشرطة في لندن ان معظم جرائم السلب في لندن يرتكبها شبان من السود.

□ **كومنولث Commonwealth**: رابطة دولية حرة بين بريطانيا ومستعمراتها السابقة التي استقلت عنها وظلت محافظة على ولائها للتاج البريطاني. فالعاهل البريطاني هو رئيس الكومنولث. الهدف الاساسي من هذه الرابطة الابقاء على صلات التشاور والتعاون بين بريطانيا والدول المتأثرة بها سياسيًا وثقافيًا. وتتكون هذه الرابطة، بالاضافة إلى بريطانيا، من أوستراليا، والباهاماس، وبنغلادش، وبربادا، وبوتسوانا، وبروناي، وكندا، وقبرص، والدومينيك، وفيجي، وغامبيا، وغانا، وغرانادا، وغويانا، والهند، وجامايكا، وكينيا، وكيريباتي، وليسوتو، ومالاوي، وماليزيا، ومالطا، وموريشوس، وناورو، ونيجيريا، ونيوزلندا، واوغندا، وبابوا–غينيا الجديدة، وغينيا، وسانت لوسي، وسان كيتس–نفيس، وسان فنسان، وجزر سليمان (سالومون)، وساموا الغربية، وسيشيل، وسيراليون، وسنغفورة، وسري لانكا، وسوازيلاند، وتنزانيا، وتونغا، وترينيتي، وتوباغو، وتوفالو، وفانواتو، وزامبيا، وزيمبابوي.

ويلاحظ ان هناك عددًا من المستعمرات والممتلكات التابعة للتاج البريطاني سابقًا غير

مشمولة بالقائمة الواردة إما لأنها انسحبت من الكومنولث او لأنها اختارت، منذ حصولها على استقلالها، ألا تنضم إليها. والدول التي رفضت الانضمام ايرلندا، وجنوب افريقيا، وبورما، والسودان، والصومال، والكاميرون الجنوبي (حاليًا جزء من الكاميرون)، واليمن وباكستان.

وهذه الوضعية الخاصة بالكومنولث كانت نتيجة لتطور سريع قد تناول تاريخ علاقات بريطانيا العظمى بمستعمراتها السابقة الموصوفة قبلاً بالدومينيون (Dominions)، أي «الممتلكات». في هذا الصدد، كتب الدكتور إدمون رباط («الوسيط في القانون الدستوري العام»، ج١، بيروت ١٩٦٤، ص ٣٧٣-٣٧٦):

الحق ان بريطانيا لم تتوصل إلى إيجاد الحل الذي تبلور في منظمة الكومنولث، ولا سيما إثر التجربة القاسية التي كانت اصابتها في القرن الثامن عشر، بثورة مستعمراتها الاميركية الثلاث عشرة وانفصالها عنها، لتتكون منها الولايات المتحدة، إلا بعد ان اقتنعت بأنه لا بد لها من الاقرار للشعوب التي سادتها، بحقها بالحكم الذاتي وتقرير مصيرها، وحتى إذا أدّى قرارها بذلك إلى الاستقلال الناجز عن بريطانيا الام:

١- إن الحركة التي دفعت المستعمرات السابقة إلى التحرر لتكوين نفسها بهيئة دول ذات كيان خاص بكل منها، قد بدأت، بشكلها الدستوري، بعيد الحرب العالمية الاولى. ولقد كانت عندئذ شؤون الامبراطورية البريطانية خاضعة، باستثناء المملكة المتحدة والهند، لصلاحية وزارة ضخمة معروفة ب«الادارة الاستعمارية» (Colonial Office)، في حين ان المملكة المتحدة كانت تتمتع بملكيتها الدستورية وحكمها الديمقراطي ونظامها البرلماني، والهند مرتبطة بادارة استعمارية خاصة بها.

٢- والخطوة الاولى قد حدثت في شهر تموز ١٩٢٥، عندما اضطر الكولونيل أوفيس إلى التخلي عن ادارته للمستعمرات لتحل محله «امانة الدولة لشؤون دول الدومينيون» اختصت بشؤون المستعمرات السابقة التي كانت قد ارتقت وقتئذ إلى درجة الدومينيون، مع شيء من الحكم الذاتي.

٣- وفي نهاية المؤتمر الامبراطوري الذي انعقد في لندن (١٩٢٦)، تمت الخطوة الثانية بالبيان الشهير الذي صدر عنه، وفيه التصريح بأن بريطانيا العظمى والدومينيون انما يؤلفون «جماعات متمتعة بالحكم الذاتي» في حدود الامبراطورية البريطانية، وهي متساوية في كيانها، وغير خاضعة كل منها إلى الاخرى، في أي وجه من شؤونها الداخلية أو الخارجية، وانها جميعها مع ذلك موحدة بولائها المشترك للتاج، وانها مشتركة اشتراكًا حرًا كأعضاء في الكومنولث للامم البريطانية. وبالاستناد إلى هذا التصريح التاريخي قد اصبحت كل مستعمرة من المستعمرات السابقة دولة حرة متمتعة بحكمها الذاتي إن لم تكن مستقلة استقلالاً ناجزًا ومتساوية في ما بينها وعلى الأخص مع بريطانيا، سيدتها السالفة، بحقوقها والتزاماتها. وهكذا قد نالت كل منها ليس فقط حقها بأن تتخذ شكل الدولة وانما ايضًا حريتها بأن تحدد نظام الحكم فيها بوضع دستور خاص بها. وإلى هذا التاريخ يعود معظم الدساتير الخاصة بدول الكومنولث المرعية التنفيذ في الوقت الحاضر، وهي دساتير تختلف بمبادئها وأحكامها، وانما تشترك جميعًا بقاعدة إسناد الحكم فيها إلى الديمقراطية المبنية على الانتخاب الشعبي العام والشامل.

٤- والحدث الاعظم الذي حرر نهائيًا دول الكومنولث انما كان في نتيجة انعقاد المؤتمر الامبراطوري في قصر وستمنستر في اواخر ١٩٣١، إذ إنه قد صدرت عن هذا المؤتمر الشرعة التي انعتقت بموجبها دول الكومنولث عن امها بريطانيا

انعتاقًا نهائيًا لاستبدال ولائها وروابطها السابقة بها بعلاقات تعاقدية مبنية على المساواة التامة والاستقلال الناجز. وهذه الشرعة المعروفة بنظام وستمنستر (Statute of Westminster) والمؤرخة في ١١ كانون الاول ١٩٣١ قد جعلت من بيان المؤتمر الامبراطوري في ١٩٢٦ قاعدة دستورية تقضي باقرار المساواة والسيادة لكل دومينيون من الدول الاعضاء. وهي الوضعية الدستورية التي توطدت في ما بعد كلما كانت تتقدم مستعمرة من المستعمرات القديمة إلى درجة الدومينيون، ومن ثم ترتفع إلى مرتبة الدولة، وهي طريقة اتبعتها بريطانيا بكثير من الحكمة والتبصر، فمكّنتها من ان تجعل من الشعوب التي كانت تدين قبلاً لسلطانها شعوبًا حرة راضية بل عازمة على البقاء في مجموعة الشعوب المتساوية والسيدة التي يتألف منها الكومنولث (إلى هنا، أي إلى نظام وستمنستر في ١٩٣١، يصل الدكتور رباط في ذكره لمراحل الكومنولث).

وفي «موسوعة السياسة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ج٥، ص ٢٦١ ٢٦٢) نقع على:

عندما تأسست رابطة الكومنولث، في ١٩٤٤، أطلق عليها إسم «الكومنولث البريطاني للامم». لكن بناء على اقتراح تقدم به العاهل البريطاني جورج السادس، اسقطت صفة البريطاني من اسم الرابطة. وبناء على اقتراح آخر، تقدم به رئيس الحكومة الهندية الهندي نهرو، اتفق على ان يكون العاهل البريطاني رئيسًا للكومنولث، على ان يبقى هذا المنصب فخريًا، فلا دستور ولا حكومة مركزية لهذه المنظمة الدولية. كل ما هنالك لقاء سنوي بين رؤساء حكومات الدول الاعضاء، يفترض ان يتم خلاله التداول بواقعية وجدية وبعيدًا عن الاضواء في المشكلات التي يعاني منها المجتمعون: البطالة، التضخم النقدي، التخلف الاقتصادي، الخ. ويتولى صندوق التعاون التقني للكومنولث مهمة تأمين تبادل الخبرات الفنية بين الدول الاعضاء.

لقد وهنت الاواصر بين الدول الاعضاء في الكومنولث خلال العقدين الاخيرين مع زيادة حدة الخلافات والتناقضات في ما بينها. فبعض هذه الدول ينتمي إلى العالم الغربي، الصناعي، وبعضها الآخر إلى العالم الثالث والمتخلف، ناهيك عن الازمات السياسية الحادة التي كانت قد عصفت بالمنظمة إبان العدوان الثلاثي على مصر، او إبان حرب بيافرا واحداث روديسيا، الخ. وقد أصيب الكومنولث بنكسة كبيرة عندما اتجهت بريطانيا صوب اوروبا والسوق الاوروبية المشتركة، الامر الذي أحدث تغييرًا ملموسًا في تطلعاتها وعلاقتها الاقتصادية والسياسية الدولية.

□ **ماغنا كارتا Magna Carta**: أو الوثيقة العظمى، وهي وثيقة دستورية انكليزية، اصدرها الملك جون الملقب «جون بلا ارض»، شقيق الملك ريتشارد الاول (قلب الاسد)، في ١٥ حزيران ١٢١٥ إثر ثورة ١٢١٣-١٢١٥ التي قام بها البارونات والفرسان والأعيان وأهل المدن وجماعة كبيرة من رجال الكنيسة احتجاجًا على خروج الملك عن العادات والتقاليد الاقطاعية وابتزازه المتكرر للأموال. ولم تشترك، في هذه الثورة، الطبقات الاجتماعية الدنيا مثل الأقنان (العبيد) وأصحاب الحرف.

صدرت الوثيقة الاصلية باللغة اللاتينية. وهي تتألف من ٧٠ مادة هدفها الاساسي المحافظة على امتيازات البارونات وتأمين قانون دستوري للاقطاع، مع ضمان عدم اعتداء الملك على هذه الحقوق والامتيازات. كما تتضمن الوثيقة مواد قليلة تنص على حقوق الاحرار والمزارعين.

اما بالنسبة إلى الكنيسة، فقد ورد فيها مواد تكفل حرية الكنيسة. وايضًا عادات المدن

والامتيازات الخاصة الممنوحة لمدينة لندن.

ومن أهم نصوص الوثيقة المادة ٣٩، وقد جاء نصها بشكل تصريح من الملك، كما يأتي: «لا يجوز إلقاء القبض على أي شخص حر، أو اعتقاله، أو نزع ممتلكاته، أو حرمه أو ابعاده أو انزال الضرر به بأية طريقة كانت، كما اننا (أي الملك) لن نأمر باتخاذ إجراءات ضده، إلا بواسطة أحكام قانونية تصدر عمن هم من طبقة مماثلة لطبقته وبمقتضى قوانين البلاد».

وفي هذا التعهد باجراء محاكمة الرعايا امام من يكون من طبقتهم تأييد لمؤسسة المحلفين (Jury) القديمة، والعائدة باصولها التاريخية إلى القبائل الاسكندينافية التي ساهمت، مع القبائل الجرمانية السلطية (Celtes)، بتكوين الشعب الانكليزي.

وقد أردف الملك قائلاً في المادة ٤٠ التالية: «لن نمنع احدًا من الوصول إلى حقه بصورة عادلة ولن نعرقل ذلك او نساوم عليه».

ولعل الشرط الأشد شذوذًا لاصول الحكم المطلق، الذي كان عاديًا في ذلك العصر، هو الذي برز في احتياط الشرعة من ردة الفعل المتوقعة من الملك إذ إنها قد اشترطت في المادة ٢٥ منها تأليف لجنة مكونة من ٢٥ بارونًا تختص مهمتها بمراقبة تنفيذ احكام الشرعة، وذلك تحت طائلة استئناف القتال في حالة عبث الملك بتلك الاحكام.

وقد كان لهذه الشرعة أثره البعيد في انكلترا وسائر أنحاء اوروبا الاقطاعية، فاعتبرها الملوك من البدع الخطرة المهددة لسلطانهم، حتى ان البابا أنوسّانس (أنوشانوس) الثالث قد اصدر بعد قليل، استجابة لطلب من الملك جون، الذي كان قد أقّر في هذه البرهة بسيادة الكرسي الرسولي على تاجه، مرسومًا باعلان بطلان الماغنا كارتا، معتبرًا بأنها مخالفة لتعاليم الدين والشرائع اللاهوتية.

ولذلك قد تعرضت الشرعة إلى محاولات متوالية لالغائها، مما كان يحدو بالرأي العام إلى إلزام كل من الملوك الذي كان يعتلي عرشه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، بتأييد الماغنا كارتا وحتى باعلان شرع لاحقة متممة لاحكامها.

وهكذا قد اضحت هذه الوثيقة التاريخية، مع ما أحاط بها من الشرع الأخرى على ممر الاجيال موئلاً للحريات الانكليزية التقليدية، ومصدرًا لعدد من القواعد الضامنة لممارسة هذه الحريات، وبالاجمال اساسًا للقانون العام البريطاني، بل للقانون العام في جميع الاقطار التي استعمرها البريطانيون في العالم وانتشرت فيها مبادىء القانون الانكليزي (المرجع الأساسي: د. إدمون ربّاط، «الوسيط في القانون الدستوري العام»، ج١، بيروت ١٩٦٤، ص ٢٨٨-٢٩٠).

□ **المخابرات البريطانية:** أنشئت في ١٥٧٣، ومؤسسها السير فرنسيس والستيفهام وزير الدولة ومستشار الملكة اليزابت الاولى.

تقسم المخابرات البريطانية إلى ستة أقسام: القسم الخارجي، القسم البحري، القسم التجاري والصناعي، القسم الوطني الداخلي، القسم الاستعماري (خفت أهمينه بعد نيل المستعمرات استقلالها)، والقسم العسكري. وكان رئيس المخابرات البريطانية يعتبر من الشخصيات الغامضة والسرية، إذ لا يعرفه إلا المقربون جدًا. وكذلك بالنسبة لرؤساء الأقسام الستة الذين يجيء ترتيبهم في المسؤولية من بعده. ويعين رئيس المخابرات البريطانية (أنتلّجنس سيرفس) من بين رؤساء الأقسام. وقد طرأ تطور نتبينه في ما يلي:

في آذار ١٩٩٤، اعلنت وزارة الخارجية البريطانية، ولأول مرة منذ إنشاء المخابرات البريطانية، نبأ (وإسم) تعيين ديفيد رولاند سبدينغ

رئيسًا جديدًا ل«جهاز الاستخبارات السرية» (إس.أي.إس)، المعروف ايضًا باسم «إم.أي٦». وهذا الاعلان اعتبر في سياق سياسة الانفتاح التي تنتهجها حكومة المحافظين بزعامة جون ميجور.

واستلم سبدينغ مهماته خلفًا للسير كولين ماكول الذي لم يعلن إسمه كرئيس لجهاز الاستخبارات إلا في أيار ١٩٩٢، إذ كانت الحكومة ترفض حتى ذلك التاريخ الاعتراف رسميًا بوجود «إم.أي٦»؛ ومقره في المبنى الجديد المطل على نهر التايمز في فوكسهول كروس وسط لندن، الذي كلف بناؤه وتجهيزه بالمعدات الخاصة ٢٣٠ مليون جنيه استرليني.

وسبدينغ (مولود ١٩٤٣) هو الأصغر سنًا على رأس جهاز «إم.آي٦» منذ تأسيسه في ١٩٠٩. امضى معظم حياته المهنية في الشرق الاوسط. وتعتبر خبرته في شؤون المنطقة، خصوصًا في مجال مكافحة الارهاب، إحدى العوامل وراء صعوده السريع إلى قمة جهاز الاستخبارات الخارجية؛ فقد التحق بالجهاز في ١٩٦٧، وأوفد بعد عام إلى لبنان لتعلم اللغة العربية في «مركز الشرق الاوسط للدراسات العربية» المعروف ب«معهد شملان» («مدرسة الجواسيس») الذي أغلق اثر اندلاع الحرب اللبنانية (١٩٧٥). ويتوجه موظفو «إم.أي٦» ودبلوماسيو الخارجية البريطانية حاليًا إلى مركز مماثل في القاهرة.

عمل سبدينغ في بيروت وابو ظبي وعمان قبل ان يعين، في ١٩٨٦، مسؤولاً في لندن عن قسم العمليات الاستخباراتية في الشرق الاوسط. واصبح منذ ١٩٩٢ الرجل الثاني و«مدير العمليات» في جهاز الاستخبارات الخارجية الذي يعمل فيه ألف شخص في كل انحاء العالم. وذكرت صحيفة «الغارديان» انه كان مسؤولاً عن ادارة العمليات الاستخباراتية السرية خلال حرب الخليج.

وكان كيم فيليبي، العميل المزدوج السوفياتي المشهور، الذي فرّ من بيروت إلى موسكو عام ١٩٦٣، اول من كشف هوية سبدينغ كضابط استخبارات في بيروت تحت غطاء السكرتير الثاني في السفارة البريطانية، وذلك في مقابلة أجراها معه التلفزيون الأسوني عام ١٩٧١ قدّم خلالها معلومات عن مجموعة من عملاء «إم.أي٦»، وجاءت تلك الخطوة بمثابة رد انتقامي من جهاز الاستخبارات السوفياتية (كي.جي.بي) على طرد الحكومة البريطانية ١٠٥ من الدبلوماسيين والصحافيين والمسؤولين التجاريين السوفيات.

لم يحل انكشاف مهمة سدينغ والمخاطر الشخصية المترتبة على ذلك دون انتقاله إلى مواقع اخرى في الشرق الاوسط بينها ابو ظبي وعمان. إلا انه نقل في ١٩٧٢ إلى سانتياغو وبقي هناك حتى ١٩٧٤. وتزامن عمله في تشيلي مع إطاحة الرئيس سالفادور أليندي واستبداله بالجنرال بينوشيت.

تلقى سبدينغ تعليمه في مدرسة شربورن وكلية هرتفورد في اوكسفورد وتزوج غيليان كينر (١٩٧٠) ولديهما ولدان. وهو يتقن، اضافة إلى العربية، الفرنسية والاسبانية.

ورغم تأكيد الحكومة البريطانية رغبتها في الانفتاح فإن ذلك لم يصل إلى حد السماح بنشر أي صورة لسبدينغ للمحافظة على «المسنوى الضروري من السرية لقيامه بمهماته». وكانت مديرة جهاز الاستخبارات الداخلي البريطانية «إم.أي٥»، ستيلا ريمنغتون، ظهرت في الصحف وعلى شاشات التلفزيون (صيف ١٩٩٣) في ما اعتبر «سابقة» في تاريخ اجهزة الاستخبارات البريطانية (عن «الحياة»، تاريخ ٦ آذار ١٩٩٤، الصفحة الاولى).

تلقت المخابرات البريطانية ضربة موجعة

عندما تمكنت المخابرات السوفياتية، في الثلاثينات، من تجنيد اربعة رجالات بريطانيين بارزين تخرجوا في جامعة كامبريدج، وعملوا في خدمة ال«كي.جي.بي» مدة سنوات طويلة قبل افتضاح امرهم. وكان أبرزهم كيم فيلبي الذي لم يفتضح أمره إلا في ١٩٦١، فتم تهريبه من بيروت (حيث كان يعمل مراسلاً صحافيًا) إلى موسكو حيث عاش بقية سنوات عمره إلى ان توفي في ١٩٨٨. ومثله كان ايضًا دونالد مكلين الذي توفي ايضًا في موسكو في ١٩٨٣.

□ **المسلمون في بريطانيا:** «برلمان للمسلمين أنشىء في تشرين الاول ١٩٩١ وعقد أول اجتماع له في ٤-٥ كانون الثاني ١٩٩٢ واعترف به قسم من مسلمي بريطانيا، ومكون من مجلسين: ١٥٠ عضوًا تنتخبهم ٤٠ مجموعة، زعيمهم الدكتور كليم صدّيقي، مدير المعهد الاسلامي في لندن. يطالبون بأن تحظى المدارس الاسلامية الخاصة، وعددها ٩٠ مدرسة، بالمساعدات أسوةً بالمدارس الانغليكانية أو اليهودية، وإلا يهدّدون بالعصيان المدني» (من الكتاب السنوي «كيد» Quid، ١٩٩٤، ص ١١١٢).

«تليفورد - الواقعة على مسافة تبعد نحو نصف ساعة من لندن - خطة لقاء لمسلمين من ٧٠ دولة، في إطار مؤتمر سنوي يبلغ عدد المؤتمرين المسلمين فيه نحو ١٥ ألف شخص، يضع كل منهم ذراعه على كتف الآخر ويقلدهم في ذلك مئات الالوف عبر شبكات الاتصال بالاقمار الاصطناعية» («الحياة»، العدد ١١١٤٦، تاريخ ٢٠ آب ١٩٩٣، ص ١٨).

ومن استطلاع ميداني نشرته مجلة «العربي» (العدد ٣٦٧، حزيران ١٩٨٩، ص ٧٠-٩١) نقع على ما يمكن إيجازه حول وضع مسلمي بريطانيا بالتالي:

يزيد عدد المسلمين في بريطانيا على مليوني نسمة، وعلى الرغم من ان بعضهم ينزل بالرقم إلى مليون ونصف مليون، ويصل به آخرون إلى ٣ ملايين، فإن الارجح ان يكون العدد مليونين. ويبدو ان من يعتمدون رقم ٣ ملايين يضيفون إلى المسلمين الحاصلين على الجنسية البريطانية الطلبة والموظفين وغيرهم من العاملين في بريطانيا كمغتربين ممن لم يحصلوا على الجنسية البريطانية.

وليست هناك احصائية معتمدة لعدد المسلمين هناك بعد، ولا توجد أي مواد مكتوبة وموثقة تتضمن المعلومات الاساسية عنهم. ولكن يقدر عدد سكان بيرمنغهام المسلمين بين ١٠٠-١٥٠ ألف نسمة. وفي برادفورد بين ٦٠-٨٠ ألف نسمة، وفي منطقة شرق لندن وحدها هناك ٥٠ ألفًا. ويوجد في بيرمنغهام ٦٠ مسجدًا ومركزًا اسلاميًا، وفي برادفورد ٣٨ مسجدًا ومركزًا. ويحضر الدروس الدينية في المركز الثقافي الاسلامي بلندن ١٥ ألف تلميذ، ويحضر الاحتفال بعيد الفطر في المركز نفسه نحو ٦٠ ألف شخص.

كانت بداية وجود المسلمين في بريطانيا في اواخر القرن الماضي (التاسع عشر) عندما بدأت اعداد قليلة من المسلمين المنتمين إلى الدول الخاضعة للحكم الاستعماري البريطاني بالتوافد على بريطانيا لاسباب مختلفة، بعضهم جاؤا موظفين لدى الاقسام المهتمة بشؤون بلادهم، وبعضهم الآخر جاؤا عمالاً في المصانع البريطانية، ومعظمهم من شبه القارة الهندية والآخرون من شرق افريقيا وجنوب افريقيا ومن جزر الهند الغربية ومن ايران وماليزيا وتركيا وقبرص.

وفي بدايات هذا القرن جاءت جالية يمنية قليلة العدد عمل معظم افرادها في مصانع مانشستر وبيرمنغهام وبرادفورد ومدن الساحل الشرقي وكانت النواة الاولى للجالية العربية المسلمة هناك،

وتلاهم بعد ذلك مهاجرون عرب من مصر والعراق والمغرب وفلسطين وليبيا وتونس. ثم ازدادت اعداد المهاجرين المسلمين إلى بريطانيا في نهاية الخمسينات وبداية الستينات مع أفول شمس الاستعمار.

في بداية الثمانينات اكتسب الجيل الثاني (الأبناء) الجنسية البريطانية، وبدأ نوع من علاقة بين الشرق (بلدان أصل المهاجرين) وبين المسلمين البريطانيين، أساسها تقديم الدعم المالي لهم لبناء المساجد والمدارس والمراكز الدينية. فاستفاد المسلمون البريطانيون، كمواطنين، من حقوق غير متوافرة في بلدانهم الأصلية (حقوق الانسان الاساسية، والحق في التعبير والاحتجاج والتنظيم وغيرها) وعملوا على تنظيم أنفسهم حول مرجعيات مدنية ودينية إسلامية وفي إطار مؤسسات إسلامية، فنشط تعليم العربية والأوردية والبنغالية والبنجابية، واصبح الاسلام الديانة الثانية في بريطانيا بعد المسيحية.

مسجد بيرمنغهام المركزي.

مدن ومعالم

* **أبردين Aberdeen**: مدينة ومرفأ على الساحل الشمال الشرقي من اسكوتلندا. نحو ٢٢٣ ألف نسمة. أول مرفأ في اسكوتلندا والثالث في بريطانيا. شهيرة بمقالع حجر الغرانيت.

* **أبريستويت Aberystwyth**: في وسط الساحل الغربي من الويلز، مرفأ صيد ومدينة صغيرة، فيها مكتبة بلاد الويلز الوطنية التي تأسست في ١٩٣٧، فيها أحد الفروع الأساسية لجامعة الويلز، والفروع الأخرى في كارديف وبانغور وسوانزيا.

* **أدنبره (أدمبورغ) Edimbourg**: المدينة الشديدة الاعتزاز بتقاليدها الثقافية، ويطلق عليها احيانًا لقب «أثينا الشمال».
عاصمة اسكوتلندا التاريخية، الادارية، الثقافية والفنية. نحو ٦٥٠ ألف نسمة. فيها قلعة تاريخية تعود إلى القرن الحادي عشر (أدمبورغ كاستل) وتحتوي على ثروة اسكوتلندا (ريغاليا) وتتسع مساحةً حتى تصل إلى القصر الملكي «هوليرود» (القرن السابع عشر). وهناك كاتدرائية سان جيل، القوطية الطراز (القرن الرابع عشر-الخامس عشر)، وأحياء سكنية تعود ببنائها إلى القرن الثامن عشر، وأحياء حديثة. جامعتها تأسست في ١٥٨٢، ومتاحف ومعارض عديدة. منذ ١٩٤٧، والمدينة تشهد سنويًا مهرجانًا فنيًا مهمًا: موسيقى، رقص الباليه، مسرح. الصناعات نمت في المناطق الشمالية منها خصوصًا: بناء السفن، الصناعة الميكانيكية والكهربائية والكاوتشوك. اما صناعة المشروبات الروحية (الويسكي) فهي الاقدم والأشهر.
يرجح ان إنشاء المدينة يرتقي إلى القرن السابع. ولكنها لم تشتهر إلا في القرن الحادي عشر عندما كانت تحت حكم مالكولم الثالث. في القرن الخامس عشر، اصبحت عاصمة اسكوتلندا (في عهد جاك ستيوارت الثاني). في القرن السابع عشر شهدت اضطرابات سياسية ودينية عنيفة، واحتلها كرومويل في ١٦٥٠. بعد توقيع «ميثاق الاتحاد» بين انكلترا واسكوتلندا (١٧٠٧) انتفض سكان المدينة، لكن دون جدوى. فخسرت المدينة مذّاك اهميتها السياسية، ولا تزال تحتفظ بأهميتها الثقافية.
في آب من كل عام، تقيم أدنبره مهرجانًا دوليًا فيه عروض غنائية ومسرحية ورياضية، وأهمها العرض العسكري الذي يقام يوميًا طوال فترة المهرجان الذي يسمونه «تاتو». وقد بدأ المهرجان العسكري منذ العام ١٩٥٠، ويستضيف عادة فنانين عسكريين ومدنيين من دول عدة.
ومن أهم المعالم الثقافية في أدنبره «الارشيف الاسكوتلندي الوطني» الذي تحتفظ فيه اسكوتلندا بجميع سجلاتها العامة منذ ١٣٨٦، ولقد وضع حجر الأساس لمبنى الارشيف الحالي في ٢٧ حزيران ١٧٧٤ وانتهى العمل به في أيار ١٧٧٨.

* **إكستر Exeter**: مدينة في جنوب إنكلترا، تصل بحر المانش بواسطة قنال. قاعدة منطقة ديفون. نحو ١٣٠ ألف نسمة. فيها جامعة. مركز زراعي وتجاري. فيها كاتدرائية بدأ تشييدها في العام ١١١٢ على الطراز الروماني ثم أدخل عليها الطراز القوطي، وانتهى العمل بها نحو العام ١٣٦٥. وفي المدينة آثار أخرى تعود إلى القرون الوسطى.
سكنها الرومان، ثم الساكسون. استولى عليها الملك الغازي غيوم في ١٠٦٦. وكانت مركزًا رئيسيًا لأسرة لانكستر إبان «حرب الوردتين» الوراثية.

* **أوكسفورد Oxford**: مدينة تقع شمال غربي لندن عند منابع نهر التيمز. مسقط رأس الملك

ريتشارد قلب الأسد. قال فيها الملك جيمس الاول انه لو لم يكن ملكًا لتمنى ان يكون من رجالها. شهيرة، قبل كل شيء، بجامعتها.

تتألف جامعة أوكسفورد من خمس قاعات خاصة و٣٥ كلية منفصلة لكل منها تاريخ خاص. وأولى هذه الكليات «كلية بليول» التي أسسها جون بليول قرابة العام ١٢٦٠ ليكفّر عن النزاع الذي نشأ بينه وبين أسقف دورام، وآخرها الكلية الجديدة التي أسسها اسقف ونشستر. وقد أثار اساتذتها دهشة الناس (في ١٩٦٤) عندما اقترحوا الموافقة على التحاق الطالبات في مرحلة التخصص الاولى بعدما بقي هذا الامر وقفًا على الطلاب الذكور قرابة ستمائة سنة.

عرفت أوكسفورد قديمًا، إضافة إلى كونها مركزًا جامعيًا، بصناعة المجادل البخارية، وخصوصًا بالطباعة المعتبرة أشهر صناعاتها، إذ تعتبر من أقدم مراكز الطباعة في اوروبا (في اوائل الثمانينات توفي أحد كبار المصححين في مطبعة جامعة أوكسفورد القائمة في أبنية شارع والتون القديمة فتساءل الناس إذا كان في الامكان إيجاد خلف له يعرف هو ايضًا ٥٥ لغة).

بقيت مطبعة جامعة أوكسفورد سنوات طويلة الرافد الاساسي للعمل في المدينة. غير ان صناعة السيارات ما لبثت ان غلبت عليها، فنشأ اولاً مصنع محركات «موريس» ثم شركة الفولاذ المضغوط. والاثنان الآن جزء من شركة «أوستن روفر».

أما مركز أوكسفورد فهو مفترق الطرق الذي يدعى «كارفاكس» (الطرق الاربع) ويحوطه جزء كبير من المدينة القديمة المسوّرة. ولا يزال هذا الجزء القديم قائمًا بشوارعه التي تحتفظ بطابع القرون الوسطى. وفي قلب هذا الموقع تقع ابنية الجامعة القديمة التي تمثل مشهدًا من الفن القوطي.

والمدينة إلى ذلك حافلة بالتماثيل الناتئة التي تصوّر اشخاصًا او حيوانات. إلا ان اشهرها جميعًا يقع في كلية ماغدالين في ساحة المدينة، وكان في الأصل تمثالاً كاريكاتوريًا للدكتور إدوارد اليرتون الاستاذ الفخري في الثلاثينات من القرن الماضي. ويقال انه امر بتشويه معالم التمثال، فجوّف المعماري الخدّين وغوّر العينين فاختفت تلك المعالم. على ان الدكتور اليرتون بقي على مرّ السنين ينظر إلى التمثال من نافذته القريبة فيروعه ان يجد الشبه بينهما يزداد باطراد، حتى غدا التمثال نسخة مطابقة له عندما وافته المنية في ١٨٥١.

لا يزال الغموض يكتنف تأسيس أوكسفورد. لكن الثابت ان الساكسونيين هم الذين أسّسوها. وعن تأسيس الجامعة، فالبعض يعتقد انها أنشئت بعد وصول لاجئين بريطانيين طردوا من جامعة باريس في أثر موجة الخوف من الأجانب التي عمّت الفرنسيين في ١١٦٧. وأيًا تكن حقيقة الامر فقد ظهرت في المدينة جماعات من الاساتذة والطلاب خلال القرون الوسطى. وفي عصر النهضة باتت المدينة الصغيرة احد المراكز الفكرية في العالم الغربي، وقد أسست جامعة كامبردج نفسها بفضل علماء من جامعة أوكسمورد.

في القرن السابع عشر، كان انبعاث العلم في بريطانيا من خلال جامعة أوكسفورد. اما القرن الثامن عشر فاتّسم، فيها وفي انحاء المملكة، بالكسل والفساد وبظهور المشاهير من الرجال وبانشاء الأبنية الجميلة. وفي القرن التاسع عشر عرفت أوكسفورد نشاطًا فكريًا هائلاً ترك أثره في بنية بريطانيا.

والتغير الذي طرأ على الحياة في بريطانيا خلال القرن العشرين ينعكس في مدينة أوكسفورد على نحو واضح لعله يفوق انعكاسه في أي مدينة بريطانية أخرى. ومن مظاهر هذا التغير انتشار الصناعة وافول الطبقة الحاكمة ونهاية الامبراطورية والتأثر بالقيم السائدة في المدن وحمل ميرات حربين

طاحنتين. فمدينة أوكسفورد صورة مصغّرة عن بريطانيا، وفيها يستطيع المرء رؤية جوهر هذه المملكة عبر القرون.
في أوكسفورد «منحف تاريخ العلوم» الذي يتوهج بناؤه بالاسطرلابات التي تعتبر أهم مجموعة من نوعها في العالم. ومن بينها تحفة رائعة نادرة هي اسطرلاب اسلامي كروي ربما كان الوحيد الكامل اليوم... اضافة إلى روائع النفائس الشرقية. بعضها من القاهرة، ومن سامرّاء في العراق ومن الرّقة في سورية (من جان موريس، مجلة «المختار»، عدد حزيران ١٩٨٥، ص ٥٠-٥٥).

* **باث Bath**: مدينة في انكلترا على بعد نحو ١٦ كلم جنوب غربي بريستول. نحو ١٣٥ ألف نسمة.
إسمها عائد للحمامات الرومانية المبنية هناك منذ القرن الميلادي الأول (أكتشفت في ١٧٥٥)، وقد بناها الرومان فور اكتشافهم ينابيع معدنية في المنطقة. لا تزال مركزًا سياحيًا مهمًا بسبب هذه المياه والآثار الرومانية. قصدها مشاهير انكليز وأقاموا فيها، منهم إدموند بورك ووليام بث في القرن الثامن عشر.

* **بريستول Bristol**: مدينة في جنوب غربي إنكلترا، على نهر آفون ومصب نهر سفرن، تتصل بالويلز بنفق طوله ٧ كلم. نحو ٧٥٠ ألف نسمة. مرفأ تجاري نشط.صناعة حديدية وكيميائية وغذائية وبناء السفن. استفادت كثيرًا من بناء ثلاثة مفاعل نووية عند مصب سفرن.
أنشئت بريستول في العهد الروماني، ونمت في العهد النورماندي (القرن الثاني عشر)، وعرفت نهضة قوية في القرن الرابع عشر بسبب تجارة الأصواف. منها أبحر سيباستيان وجان كابوت إلى كندا في العام ١٤٩٧. وفي القرن السابع عشر، نشط مرفأ بريستول تجاريًا مع جزر الهند الغربية.

في القرن التاسع عشر، عرفت ازدهارًا تجاريًا جديدًا بفضل توسيع مرفئها وتحسنه. القصف الالماني النازي اصابها بأضرار بالغة.

* **بريغتون Brighton**: المحطة البحرية الأهم على بحر المانش، وفي الجنوب الشرقي من انكلترا. نحو ٢٥٠ ألف نسمة. عرفت شهرة واسعة في اواخر القرن الثامن عشر. مركز إقامة صيفي لأمير الويلز الذي اصبح الملك جورج الرابع.

* **بلاكبول Blackpool**: مدينة في انكلترا على البحر الايرلندي. نحو ٢٥٠ ألف نسمة. تنتشر فيها مخيمات العطلات الصيفية. صناعات ميكانيكية وغذائية.

* **بلايموث Plymouth**: مدينة ومرفأ في الجنوب الغربي من انكلترا. نحو ٣٧٥ ألف نسمة. منها انطلقت (في عهد اليزابت الاولى) الحملات التي جعلت من إنكلترا إحدى القوى العظمى، وأهمها الحملة التي قادها فرنسيس دريك لمواجهة «الارمادا» الاسبانية فقضى عليها (١٥٨٨). ومن بلايموث ايضًا (بعد ثلاثين عامًا)، أبحر الاسطول «ماريفلاور» باتجاه العالم الجديد.
نمت فيها صناعات متعددة: تعليب الاسماك، صناعة المنظفات، التجهيزات الميكانيكية والكهربائية. أنزل الطيران الحربي النازي بها اضرارًا فادحة، وأعيد بناؤها من جديد بين ١٩٥١ و ١٩٦٣.

* **بورتسموث Portsmouth**: مدينة في جنوب انكلترا. نحو ٣٢٥ ألف نسمة. أهم مرفأ حربي بريطاني. في متحفها («فيكتوري») سفينة الاميرال نلسون. المنشآت البحرية والميكانيكية والمنتوجات الكيميائية تشكل أهم صناعاتها.
تأسست في المرحلة النورماندية. هنري الثامن جعل منها (في أواخر القرن الخامس عشر) المرفأ الحربي

الاول على الشاطىء الجنوبي. أثناء الحرب العالمية الثانية تعرضت لقصف ألماني كثيف، وفيها تجمع الجزء الأكبر من الأسطول الذي شارك في نزول الحلفاء على النورماندي (١٩٤٤).

* **بيرمنغهام Birmingham:** ثاني أكبر مدينة في انكلترا بعد لندن. نحو ١،٧٥ مليون نسمة (نحو ٣ ملايين مع الضواحي). تمتد على مساحة ٢٠٧ كلم م.، وتقع في الشمال الغربي من البلاد. أحد أهم المراكز الصناعية في اوروبا. نموها مرتبط بشكل وثيق بالثورة الصناعية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع التي اتاحت استثمارًا رشيدًا لأحواض الفحم ومناجم الحديد. وبيرمنغهام، إضافة إلى ذلك، مركز ثقافي (جامعة، متاحف، ومكتبة مخصصة لشكسبير).

* **جدار هادريان:** جدار أمر ببنائه الامبراطور الروماني هادريان (عام ١٢٢م.) «للفصل بين الرومان والبرابرة». يمتد عابرًا عنق بريطانيا لمسافة ١١٧ كلم من بحر الشمال إلى البحر الايرلندي، ويبلغ عرضه ٢،٥م، وعلوه ٦،٥م، وتداخله حصون صغيرة تفصل بين الواحد والآخر مسافة

جدار هادريان.

١،٥ كلم وابراج مراقبة كل نصف كلم، و١٦ حصناً ملاصقة للجدار او متداخلة فيه، لستة منها ابواب شمالية ضخمة تحوّل حامياتها رد هجمات الأعداء، وإلى الشمال امتد خندق للقتال بلغ عرضه ثمانية امتار.

تعرضت الحصون الرومانية الموجودة في القسم الشمالي من الجدار لعدة هجمات. وأشيع ان الجدار اجتيح مرة على الاقل، وكان ذلك عام ٣٦٧م. وتضمنت رسوم اكتشفت في القرن التاسع عشر وتمثل برابرة ملتحين ينهمرون فوق الحصون وعبر فتحاتها فيما ألسنة النار تتصاعد في السماء. غير ان الدلائل التي تثبت صحة هذه الهجمات ما زالت قليلة. ودمار بعض الحصون يظهر انه كان من عمل الرومان انفسهم وليس البرابرة، وذلك عند تراجعهم النظامي وتخليهم عن المراكز الامامية.

هناك ١٢٠٠ نص منقوشة على حجارة ومباني الجدار، ووجد على طول الجدار ما يزيد على مئة ألف قطعة نقدية، وبقايا مسامير النعال ورؤوس الرماح والقطع الزجاجية الصغيرة.

أكبر الحصون التابعة للجدار موجود في كامبريا، إذ احتل مساحة ٣ هكتارات ونصف هكتار، وكان يشكل قاعدة لألف فارس. أما عن نمط الحياة، فقد كتب روبن بيرلي (ابن البروفسور أريك بيرلي العالم المتفوق في دراسة هذا الجدار، وكانت عائلة بيرلي تملك منذ ١٩٢٩ عقاراً يبعد كيلومتراً واحداً جنوب الجدار ويضم حصناً وحفريات أثرية ومتحفاً، وهو اليوم في رعاية الدولة) تفاصيل بشأنها هي الأهم بين كل الدراسات والتفسيرات حول الجدار.

في هذا المكان يرى الزائرون (من انحاء العالم) لوحة «عائلة الامبراطور ماركوس»، وكلب محنط، وصورة ترمز إلى الأم مارتا وهي تطبخ، وتفاصيل أخرى كالأواني السامّية، والكؤوس الفرنسية... وأمشاط، وقطع نقود تحمل رسومًا للامبراطورات.

وفي مكان آخر من الجدار (في منطقة فيندولندا) تعرض «لوحة المقاومة» وهي مجموعة من الترجمات لبضعة آلاف من الوثائق الخشبية الرقيقة كتب عليها بالحبر، وهي تشكل أقدم أرشيف مكتوب في بريطانيا. وكان روبن بيرلي، مع فريق من المنقبين، اول من وجد باكورة هذه الوثائق (في ١٩٧٣) في أرضية منزل أحد الضباط، وتضم رسائل شخصية وتعليمات للجنود ولوائح مأكل ومشرب للجنود والضباط والحفلات الخاصة.

* **دربي Derby**: مدينة في وسط انكلترا. قاعدة كونتية دربيشاير. نحو ٣٠٠ ألف نسمة. عقدة مواصلات مهمة ومركز صناعي نشط: بورسلين، صناعة جلدية، سيارات.

* **دندي Dundee**: مدينة ومرفأ في شمال اسكوتلندا. نحو ٢٧٥ ألف نسمة. جامعة. مرفأ كبير لصيد السمك. صناعات غذائية. في دندي هُزم روبرت بروس ولاقى مصرعه (١٣١٨) على يد إدوارد الثاني.

* **دوفر (Dover, Douvres)**: مدينة ومرفأ في جنوب شرقي انكلترا. نحو ٨٥ ألف نسمة. قصر يعود إلى القرن الثاني عشر. محطة بحرية. أول مرفأ عبور باتجاه فرنسا (كاليه، بولونيو، دنكرك)، وبلجيكا (أوستاند)، وهولندا (فلسينغ). في ايام الرومان، كانت تعرف باسم «دوبري» أو «دوبريس»، واشتهرت كنقطة للمواصلات دوفر-كونتربوري-لندن. واكتسبت أهمية استراتيجية في الفترة النورماندية، إذ شكلت مع هاستنغز ورومني وهايت وسندويتش أحد «المرافىء الخمسة» المتحكمة بالدخول إلى إنكلترا. معاهدة دوفر السرية الموقعة في ٢٢ أيار ١٦٧٠ بين الملك لويس الرابع عشر (فرنسا) وتشارلز الثاني (ملك انكلترا)

تلزم ملك انكلترا باعتناق الكاثوليكية والوقوف إلى جانب الملك لويس الرابع عشر في حربه ضد المقاطعات المتحدة ودعمه في مطالبته بالعرش الاسباني.

* **سانت أندريوس Saint-Andrews**: مدينة في اسكوتلندا شهيرة بجامعتها القديمة وبرياضة الغولف التي يعتقد انها انطلقت منها.

* **ساند هيرست Sandhurst**: مدينة في مقاطعة يوركشير في انكلترا. تقوم في جوارها الاكاديمية الملكية العسكرية التي تحمل الاسم ذاته. تأسست في ١٨٠٢، وصارت تعرف منذ ١٩٤٦ باسم الاكاديمية العسكرية الملكية. تخرج فيها عدد ملحوظ من الضباط العرب. ومن الشخصيات الانكليزية المتخرجة فيها: تشرشل ومونتغومري وأللنبي.

* **سترافورد-أون-أفون Straford-on-Avon**: مدينة صغيرة في جنوب غربي انكلترا، يخترقها نهر أفون. شهرتها الأساسية من كونها مسقط رأس شكسبير.

* **ستونهنج Stonehenge**: أشهر الآثار البريطانية التي تعود إلى ما قبل الميلاد. وهي كناية عن نصب حجرية عملاقة على الجهة الغربية من سهل سالزبوري في محافظة ولتشير جنوب غرب انكلترا. ظهرت أولى المحاولات لتفسير سبب وجود تلك الحجارة (النصب) في ذلك المكان في كتاب «تاريخ ملوك بريطانيا» للمؤرخ جفري ماغوت الذي عاش في القرن الثاني عشر، والذي اطلع على أشعار قديمة لقبائل السلط فعثر في قصيدة منها على قصة مفادها ان هذه الصخور أحضرت من ايرلندا ايام الملك آرثر تخليدًا لذكرى المقاتلين الذين سقطوا في المعارك ضد الساكسون الغزاة. ومنذ ذلك الحين بدأت محاولات حل سر الحجارة ونسبت «ستونهنج» (وترجمتها «الصخور المعلّقة» أو «الصخور المدلاّة») ايضًا إلى الرومان والدانماركيين والفينيقيين والفراعنة وحتى إلى العمالقة والسحرة واللاجئين من القارة الغارقة «أطلانتيس». وهناك ايضًا أساطير تعزوها إلى رجال من الفضاء الخارجي.

أما في القرن الثامن عشر، فقد أعلن عالم الآثار ويليام ستاكلي ان ستونهنج بالاساس معبد لكهنة عرفوا باسم «درويد» (Druids) وهم فئة من كهنة الفينيقيين قدموا إلى الجزر البريطانية في عهد ابراهيم الخليل من وطنهم الام كنعان، وقد بنوا هذا المعبد. والثابت تاريخيًا ان الفينيقيين قدموا إلى الجزر البريطانية واخذوا منها بعض المعادن كالقصدير والتنك من ديفون (Devon) وكورنويل (Cornwall).

وهناك رأي مخالف للكاتب ولتر تشارلتون مفاده ان ستونهنج بنيت عندما حكم الدانماركيون بريطانيا، وان هذه الصخور أقيمت لتكون مكانًا خاصًا لتتويج الملك. وقد وصف هذا الكاتب نصبًا في الدانمارك مشابهًا لستونهنج إثباتًا لاقواله.

ومنذ سنوات عدة، برزت نظرية حول احتمال ان تكون ستونهنج مرصدًا فلكيًا لرصد حركات شروق الشمس وغروبها وكذلك القمر على محاذاة الافق، وكذلك رصد الكسوف والخسوف.

قسّم علماء الآثار الحقب الزمنية التي بنيت خلالها هذه النصب إلى اربع تعود اولاها إلى حوالي ٢٧٥٠ سنة ق.م. وبنظرة إلى الهيئة الخارجية للنصب نجدها كالآتي: دائرة خارجية من الصخور الرملية الضخمة مسقوفة بصخور اخرى، تليها إلى الداخل دائرة أخرى كاملة ايضًا من الصخور الاصغر حجمًا ولونها ازرق، وتتبع هذه الدائرة محطات خمس، وهي ايضًا من الحجارة وتقع إحداها، وهي الأكبر، إلى جهة الغرب تمامًا.

ستونهنج.

وتتألف كل واحدة من هذه المحطات من صخرتين مسقوفتين بثالثة وتشكل مجتمعة ما يشبه حدوة الحصان. وتقع خارج هذه الدوائر إلى الشرق حجارة يعرف أهمها ب«حجر الكعب» وهو الذي تتعامد عليه الشمس تمامًا أثناء شروقها في ٢١ حزيران. ويبدو هذا المشهد للواقف تمامًا في منتصف الدوائر مباشرة امام المحطة الخامسة الكبرى.

وهذه الحجارة الزرقاء نقلت من ويلز على مسافة ١٣٥ ميلاً بحرًا عبر قناة بريستول، ثم برًا إلى مكان ما من سهل سالزبوري إلى ان استعملت في بناء ستونهنج الثانية. أما الحجارة الرملية الضخمة فقد اقتطعت من مقالع محلية قريبة. وبنيت المحطات الاربع داخل دائرة النصب بطريقة لتشكل زوايا مستطيل يتجه ضلعاه الأصغران بدقة إلى مكان شروق الشمس في منتصف الصيف، كما يتجهان ايضًا وبالدقة عينها إلى مكان غروبها في منتصف الشتاء. وضلعاه الأكبران يتجهان إلى أعلى نقطة يصل إليها القمر جنوبًا، وأسفلها يصل إليها شمالاً. والحدثان الأخيران للقمر يحصلان مرة كل ١٨ عامًا ونصف العام.

يبدو من هذه الحقائق ان بناة ستونهنج كان همهم تعيين بعض الاتجاهات الفلكية المهمة من خلال بنائهم هذا الهيكل المكشوف. ونتيجة هذا الاكتشاف الحديث (للمهمة التي بنيت من أجلها ستونهنج) انتفى اعتقاد ساد فترة، وهو ان هذا البناء أقيم ليكون مظهرًا جنائزيًا، وانما ليكون مرصدًا استخدمه فلكيون محترفون لدراسة الاجرام السماوية.

اليوم، تقصد ستونهنج جماعات كثيرة، في ٢١

حزيران من كل عام، للاحتفال ببزوغ الشمس في أطول يوم لها خلال العام.
وتعني ستونهنج لكثيرين بعدًا معتقديًا مرتبطًا بقوى وقدرات خفية على علاقة بحركة الكون، أكثر هؤلاء حدية وثقافة فئة «درويد» (Druids) الذين اختاروا لهم هذا الاسم لأنه كان يطلق على طبقة الكهنة في القبائل السلطية (تكتب احيانًا «سالت» Celtes).

* **سفيرن Svern**: نهر يفصل بين انكلترا وويلز. وتجري حاليًا (١٩٩٥) إقامة جسر عملاق، إلى جانب جسر قديم، فوق مصب النهر. ويعتبر هذا الجسر الذي سيكلف إنشاؤه ٣٠٠ مليون جنيه إسترليني من أكبر المشاريع الانشائية قيد التنفيذ في اوروبا. والمعلوم ان الجسر القائم حاليًا (القديم) هو الشريان الذي لا يسع الصناعات القائمة في جنوب مقاطعة ويلز ان تستغني عنه، وهي الصناعات التي نشأت إلى جانب الطريق الواسعة السريعة المسماة «الطريق الرابعة» منذ تراجع صناعة استخراج الفحم الحجري وتصنيعه وتصديره. سيكون طول الجسر الجديد ٥ كلم (القديم ٣ كلم).

* **سوانسيا Swansea**: ثاني مدينة في الويلز. مرفأ لتصدير الحديد والفحم.

* **شيفيلد Sheffield**: مدينة في انكلترا، شمال دربي. نحو ٦٥٠ ألف نسمة. مركز لصناعة الفولاذ منذ القرن السابع عشر.

* **غرينيتش Greenwich**: مدينة قديمة في انكلترا. اليوم، ضاحية من ضواحي مدينة لندن (تابعة للندن الكبرى). على الضفة اليمنى لنهر التيمز. نحو ٣٧٥ ألف نسمة. فيها مرصد فلكي فيه يمر خط الطول المقياس الذي جرى تبنيه على هذا الاساس من جميع البلدان تقريبًا. وقد أسس المرصاد تشارلز الثاني في ١٦٧٥، ووضع تصاميمه كريستوفر رن (C. Wren). وغرينيتش مسقط رأس اليزابت الاولى وهنري الثامن.

* **غلاسغو (غلاسكو) Glasgow**: مدينة في اسكوتلندا. تبعد خمسين دقيقة بالقطار عن أدنبره. تعد اكثر المدن حيوية وازدهارًا في المملكة بعد لندن. عدد سكانها نحو ١،٣ مليون نسمة. مطارها الأكثر ازدحامًا بعد مطار لندن، حيث يمر فيه ٤،٦ مليون مسافر في العام. وفيها ثلاث جامعات، وإثنتا عشر كلية للتعليم العالي يدرس فيها ٧٠ ألف طالب وطالبة. واختيرت غلاسكو العاصمة الثقافية لأوروبا الجديدة (الموحّدة) حيث عقدت فيها احتفالات ثقافية اوروبية للعام ١٩٩٠.
مركز صناعي مهم منذ اليوم الذي انكبّ فيه جيمس واط (في القرن الثامن عشر)، وهو ابن مهندس في إنشاء المراكب، على أبحاثه لتحسين الآلة البخارية (المناطق المجاورة لغلاسكو غنية بالفحم).
فيها متحف شهير. جامعتها تعود إلى القرن الخامس عشر. أحد أشهر اساتذتها في القرن الثامن عشر كان آدم سميث المعروف بأنه كان من أبرز واضعي الاقتصاد السياسي.
أسّس المدينة سان مونغو في القرن السادس. نمت في القرن الثاني عشر حول الكرسي الأسقفي فيها، ثم حول الجامعة (١٤٥٠). وابتداءً من ١٧٠٧، تاريخ انضمام اسكوتلندا إلى انكلترا، بدأ نمو غلاسكو يرتبط بمرفئها وبتجارة التوابل مع جزر الهند الغربية.

* **كارديف Cardiff**: عاصمة الويلز. أعيد بناؤها من جديد تقريبًا بعد الحرب العالمية الثانية حيث أنزل بها القصف الألماني دمارًا هائلاً. تقع قرب قنال بريستول، وتعد نحو ٤٥٠ ألف نسمة. فيها

آثار. أكبر مرفأ للفحم في بلاد الويلز منذ نهاية القرن الثامن عشر.

*** كامبردج Cambridge**: «ريدج» أي الجسر، و«كام» هو نهر من روافد نهر «أوز». مدينة في جنوب شرقي إنكلترا، على بعد ٧٥ كلم شمال شرقي لندن. نحو ٢٢٥ ألف نسمة. جامعة شهيرة. ومتحف أسس في ١٨١٦. صناعتها قائمة على تحويل المنتوجات الزراعية، وعلى الأجهزة الكهربائية.
جامعتها هي الأشهر إلى جانب جامعة أوكسفورد. تضم ٢١ كلية، أقدمها تأسست في ١٢٨٤. وتضم، منذ القرن السادس عشر، إدارة خاصة بالطباعة والنشر.

*** كنتربوري Canterbury**: مدينة في إنكلترا، في شمال شرقي كونتية كنت (Kent مساحتها ٤٠٣٣ كلم م. يحدها نهر التيمز شمالاً وبحر المانش في الجنوب الشرقي). نحو ٧٥ ألف نسمة. مركز كرسي الكنيسة الأنغليكانية. كاتدرائيتها هي الأشهر في إنكلترا، بنيت بين ١٠٧٠ و ١٥٠٣. وكنتربوري كانت عاصمة مملكة كنت في القرن الخامس. أصبحت مركز الأسقف الأنغليكاني الأعلى، وكانت محجة للمؤمنين في القرون الوسطى.

*** كورنويل Cornwall, Cournailles**: كونتية واقعة في أقصى الجنوب الغربي من إنكلترا، بين المانش وقنال بريسول. نحو ٤٥٠ ألف نسمة. مرافئها التي كانت تعرف في الماضي نشاطًا تجاريًا محمومًا لم تعد حاليًا أكثر من قرى لصيادي السمك. مناجم القصدير في المنطقة كانت مستغلة من القرن السابع عشر إلى اواسط القرن التاسع عشر. سكان المنطقة لا يزالون يحيون عيدًا سنويًا، «رقصة الأزهار»، يعود إلى ايام الوثنيين.

*** كوفنتري Coventry**: مدينة في إنكلترا. على مسافة قريبة من بيرمينغهام. نحو ٤٥٠ ألف نسمة. فيها جامعة. مركز قديم لصناعة الأقمشة. اما اليوم، فهي مركز كبير لصناعة السيارات والدراجات الهوائية، والجرارات الزراعية.
أنشئت في القرن الحادي عشر حول دير، ثم اصبحت في القرون الوسطى مدينة صناعية وتجارية للأقمشة، وفي القرن الثامن عشر دخلت عصر الصناعة الميكانيكية. تهدّم جزء كبير منها في الحرب العالمية الثانية. وفي ١٩٦٢، بُنيت كاتدرائية جديدة على انقاض القديمة وباسم القديس ميشال (ميخائيل).

*** لندن London (Londres)**: عاصمة المملكة المتحدة ومركز الكومنولث. أحد أهم مراكز الحياة السياسية والاقتصادية في العالم الغربي؛ اقترن اسمها/ لمدة طويلة، بالقوة والعظمة كونها كانت عاصمة الامبراطورية البريطانية المترامية الاطراف في جهات العالم قاطبة. الامبراطورية لم تعد قائمة، وعلاقات دول الكومنولث تتراخى يومًا بعد يوم، والجنيه الاسترليني تخلى عن مكانته للدولار الاميركي، فإذا كانت لندن لا تزال توحي بالعظمة فمردّ ذلك إلى موروثها التاريخي.
لندن الكبرى تضم، إضافة إلى مركز المدينة والضواحي الملحقة به مباشرة، ٣٢ دائرة إدارية يقال لها «بوروغ»، فتغطي (لندن الكبرى) مساحة ١٦٠٠ كلم م. وتمتد على مسافات تتراوح بين ١٩ و ٢٦ كلم. تعد نحو ٩ ملايين نسمة. ومجلس «لندن الكبرى» يؤمن كل الخدمات البلدية. وحفاظًا على التقليد فإن للندن المركز (أي قلب المدينة) رئيس بلدية هو عادة من طبقة اللوردات، ومنصبه شرفي فقط، ويرمز إلى تقليد يعود إلى العام ١٢١٥، عندما قرّر الملك جان بلا أرض إجراء انتخابات رئيس بلدية لندن كل عام.
قبل دخول الرومان، كانت لندن مجرد تجمع سكني

بسيط. لكن سرعان ما لاحظ الرومان أهمية موقعها كعقدة مواصلات، فأقاموا فيها، وأسموها «لونديتيوم»، وأول ذكر لها في السجلات التاريخية يعود إلى العام ٦١م. أي بعد نحو قرن من غزو القيصر الروماني للبلاد. المؤرخ الروماني تاسيت يذكر ان ملكة قبائل «الأيسينيين» وتدعى بوديكا غزت لونديتيوم وأعملت السيف في رقاب أهليها؛ وبعد مدة عاد إليها الرومان وأعادوا بناءها، وفي العام ١٢٠ (في عهد القيصر هادريان) أصبحت المدينة محاطة بأسوار وقلاع لا يزال بعضها قائمًا حتى اليوم (راجع «جدار هادريان في سياق هذا الباب «مدن ومعالم»).

غادرت الجيوش الرومانية لندن في القرن الخامس. فنشبت الحروب بين قبائل السلط والساكسون والدانماركيين للسيطرة على المدينة التي دمّرت جزئيًا، والتي لم يعد يُؤتى على ذكرها حتى نهاية القرن التاسع، حيث عادت لتعرف بعض النهضة في عهد ملك الساكسون ألفرد.

بعد معركة هاستنغز (١٠٦٦) التي تقرر على أثرها مصير إنكلترا، أعلن الساكسون استقلال مدينة لندن. وفي الغزوة التي شنّها الملك النورماندي، غيوم الأول، على البلاد، أجرى مفاوضات مع اللندنيين منحهم بموجبها ميثاقًا خاصًا. وفي عهده، أنشيء «البرج الأبيض»، وهو نواة البرج الحالي المسمّى «برج لندن» أو «تاور بريدج».

وأصبحت المدينة، في عهد ريتشارد الاول «قلب الأسد» وشقيقه جان «بلا أرض» (في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر)، تتمتع بتنظيم إداري لا يزال حتى اليوم قاعدة البنى الادارية المعمول بها في المدينة.

وشكلت القرون الوسطى مرحلة بناء وعمران: أول كاتدرائية على إسم القديس بولس (أصبحت تضم رفات ملوك إنكلترا)، ومدارس القانون الاربع (Inns of Court)، التي لا تزال حتى اليوم تخرّج غالبية رجال القانون في بريطانيا.

في القرن السادس عشر، اصبحت لندن مركزًا تجاريًا مزدهرًا. وانتقلت غالبية مراكزها الدينية إلى الكنيسة الأنغليكانية (بالتمرد الذي قاده الملك هنري الثامن على الكنيسة الكاثوليكية).

في عهد الملكة إليزابت الاولى (من أسرة تودور) ثبتت لندن أقدامها كمركز ثقافي وكعاصمة السلطة السياسية في آن. إنه العهد الذي برزت فيه أسماء رجال كبار: السير فرنسيس دريك (الملاّح الشهير وأميرال الاسطول)، والسير وُلتر راليغ (شاعر)، والفيلسوف فرنسيس بيكون، والشاعر كريستوفر مارلوي؛ وهو قبل كل شيء آخر عهد

خريطة وموقع مدينة لندن

ويليام شكسبير ومسرحه المقام على ضفاف نهر التيمز.

استمرت لندن آخذة بالنمو في القرن السابع عشر. لكنها نكبت بكارثتين: في ١٦٦٥، مرض الطاعون الذي ذهب بنحو ٧٥ ألف شخص من أبنائها، ثم في أيلول ١٦٦٦، حريق هائل استمر خمسة أيام وقضى على أحياء سكنية بكاملها، من بينها كاتدرائية القديس بولس. لكن سرعان ما نهضت المدينة من ركامها، وأعادت بناء ما تهدّم، وجاء العمران ممهورًا بطابع أكبر مهندسي عصره السير كريستوفر ورن (S.C.Wren) الذي وضع، لوحده، تصاميم ٥٢ كنيسة، من بينها كاتدرائية القديس بولس الحديثة.

بعد الحرب العالمية الثانية، وخلال عقد واحد تقريبًا، طرأ تعديل كبير على المشهد المعماري العام لمدينة لندن. فبعد ان كان هذا المشهد ثابتًا وتقليديًا إلى حد كبير خلال نحو قرنين ونصف القرن، أخذت العمارات الحديثة والشاهقة ترتفع، إما في مناطق العمارات القديمة ومتداخلة معها، وإما في مناطق جديدة أعدّت خصيصًا للبنيان الحديث السكني أو التجاري. وكان قصف الطيران الألماني النازي (كانون الاول ١٩٤٠) للندن تسبّب، إضافة إلى الدمار، في حرائق هائلة اعتبرت «حريق لندن الثاني الكبير».

متاحف لندن عديدة. أشهرها المتحف البريطاني المتضمن على إحدى أهم المكتبات في العالم (راجع «المكتبة البريطانية» في هذا السياق «مدن ومعالم»).

لندن (معاهدات واتفاقيات ومؤتمرات دولية):

عبر تاريخها الحديث، استضافت مدينة لندن العديد من المؤتمرات الدولية، وارتبط اسمها بعدد لا يحصى من الاتفاقيات والاعلانات والمعاهدات التي وقعت فيها وتناولت أساسًا العلاقات الدولية.

أهم المؤتمرات ثلاثة:

١- مؤتمر ١٩٢٠ الذي عقده المجلس الاعلى للدول الحليفة التي ربحت الحرب العالمية الاولى من اجل بحث شروط الصلح وابرام معاهدة سلام مع السلطنة العثمانية. تم خلاله الاتفاق المبدئي على تقسيم تركة «الرجل المريض» (السلطنة العثمانية) بالاستناد إلى اتفاقية سايكس-بيكو. وعندما انفضّ المؤتمر (٢٠ شباط-٣آذار ١٩٢٠) تابعت اللجنة الفرعية التي شكلها برئاسة اللورد كورزون وزير خارجية بريطانيا عملية البحث بتفاصيل تقسيم الاراضي التي كانت جزءًا من الامبراطورية العثمانية. وقد عقدت هذه اللجنة نحوًا من خمسين جلسة إلى ان انهت اعمالها بوضع معاهدة «سيفر» للسلام التي فرضها الحلفاء على تركيا.

٢- مؤتمر ١٩٣٩ الخاص بالمشكلة الفلسطينية، حضره ممثلون عن العرب واليهود تلبية لدعوة من الحكومة البريطانية التي كانت حاولت خلال السنوات السابقة تمرير مشروع تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية. كان جمال الحسيني رئيسًا للوفد الفلسطيني والوفود العربية. وعقد المؤتمر بحضور الوفد البريطاني ايضًا برئاسة وزير المستعمرات مالكوم ماكدونالد. وتشكلت من المؤتمر لجنة مشتركة للنظر في الخلافات على تفسير المراسلات المتبادلة بين الحسين وماكماهون وتقرير وضع فلسطين في العهد البريطاني. وقد تضمن البيان الختامي لأعمال اللجنة على نقطة مهمة جدًا، مفادها «انه لم يكن من صلاحية الحكومة البريطانية التصرف في فلسطين دون رغبات ومصالح جميع سكانها الأمر الذي أكّد موافقة بريطانيا على لا شرعية وعد بلفور لكونه يتنافى مع رغبات ومصالح سكان فلسطين العرب الذين يشكلون ٩٠٪ من مجموع السكان». لكن بعد أقل من شهر واحد من اختتام المؤتمر، أصدرت الحكومة البريطانية، في أيار ١٩٣٩، «الكتاب الأبيض» الشهير الذي لخّص الخطوط العريضة

لسياستها في فلسطين، فنصّ على إنشاء دولة فلسطينية مستقلة، لكنه لم يقفل باب الهجرة اليهودية وإن كان قد حدّدها بالقياس على المراحل الماضية. وقد تبين في ما بعد ان قصد بريطانيا من وراء إصدار هذا الكتاب كان السعي لاخماد نار الثورة في فلسطين وتخفيف النقمة عليها داخل البلدان العربية.

٣- مؤتمر ١٩٤٦ الخاص بالمشكلة الفلسطينية، انعقد بناء على دعوة وجهتها الحكومة البريطانية إلى العرب واليهود إثر النقمة التي عمّت فلسطين والعالم العربي بسبب التقرير الذي كانت قد وضعته لجنة التحقيق الاميركية-البريطانية والذي جاء منحيزًا للحركة الصهيونية وأوصى بفتح باب الهجرة لليهود وعدم إنشاء دولة فلسطينية مستقلة. في المؤتمر، قدّم كل طرف مشروع حل: - مشروع عربي دعا إلى إنهاء الانتداب وقيام دولة واحدة ديمقراطية وإنشاء حكومة إنتقالية برئاسة المندوب السامي البريطاني - مشروع يهودي دعا إلى إقامة دولة يهودية مستقلة في مساحة تبلغ ٦٥٪ من فلسطين - مشروع بريطاني (مشروع بيفن وزير الخارجية) جاء ترجمة لما ورد في تحقيق اللجنة الاميركية-البريطانية. رفض العرب واليهود على حد سواء مشروع بيفن، فأعلنت بريطانيا إيقاف اعمال المؤتمر وإحالة المشكلة الفلسطينية برمتها إلى منظمة الامم المتحدة اعتبارًا من ٢ نيسان ١٩٤٧.

أما عن المعاهدات والاتفاقات والاعلانات الموقعة والصادرة عن لندن، فأهمها حسب تسلسلها الزمني:

١- معاهدة ١٨٢٧ بين بريطانيا وفرنسا وروسيا بهدف «تهدئة الاحوال» في اليونان.

٢- معاهدة ١٨٣٤، بين بريطانيا وفرنسا والبرتغال واسبانيا لاقرار «السلم في شبه جزيرة إيبيريا».

٣- معاهدة ١٨٣٩، بين هولندا وبلجيكا لتكون بمثابة تسوية نهائية للنزاع بين الهولنديين ورعاياهم السابقين البلجيكيين. وقد أدت المعاهدة إلى اقامة ملكية مستقلة في بلجيكا بعد إسقاط الحكم الهولندي. وقد اعتبر توقيع هذه المعاهدة بمثابة انتصار لدبلوماسية لورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا، وموريس دي تاليران سفير فرنسا لدى بريطانيا آنذاك. إذ يعتبر تأسيس مملكة بلجيكا الحديثة نتيجة لاتفاق هذين الدبلوماسيين أكثر مما هو نتيجة للقوة العسكرية البلجيكية.

٤- إتفاقية ١٨٥٤، بين بريطانيا وفرنسا بشأن «تقديم المساعدة العسكرية لتركيا ضد اعتداءات روسيا».

٥- معاهدة ١٨٧١، بين بريطانيا والنمسا وفرنسا والمانيا (بروسيا) وايطاليا وروسيا وتركيا بهدف تعديل نصوص معينة في المعاهدة الخاصة بالبحر الاسود والدانوب الموقعة بين الاطراف المذكورة في ٣٠ آذار ١٨٥٦.

٦- معاهدة ١٨٨٣، بشأن الملاحة في نهر الدانوب بين بريطانيا والنمسا-هنغاريا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا وتركيا.

٧- اعلان ١٩٠٤، وهو اعلان استعماري مشترك اصدرته بريطانيا وفرنسا بشأن مصر والمغرب، اشتمل على خمس مواد سرية (من أصل تسع مواد هي كامل الاعلان) كشفت عنها الوثائق التي اعلنتها الحكومة البلشفية في اعقاب ثورة اوكتوبر الاشتراكية (١٩١٧).

٨- اعلان ١٩٠٩، متعلق بالملاحة الدولية وخاصة في اوقات الحرب، اقترحته دول بحرية كبرى والولايات المتحدة واليابان وذلك بعد اجتماع ممثليها في مؤتمر لندن البحري الدولي (٤ كانون الاول ١٩٠٨).

٩- معاهدة ١٩١١، بين بريطانيا واليابان «بشأن احترام وحدة وسلامة اراضي الصين والسلام العام في شرق آسيا والهند والحقوق الأقليمية والمصالح

الخاصة للطرفين في تلك المناطق».

١٠- معاهدة ١٩١٣، بين تركيا من جانب ودول حلف البلقان من جانب آخر (الصرب، بلغاريا، واليونان).

١١- معاهدة ١٩١٥، معاهدة سرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا من جانب، وايطاليا من الجانب الآخر، وتضمن التعويض الاقليمي لايطاليا إذا اصبحت حليفًا في الحرب في غضون شهر واحد من تاريخ توقيع هذه المعاهدة (٢٦ نيسان ١٩١٥). وقد كشفت ثورة اوكتوبر كل النصوص السرية لهذه المعاهدة.

* **ليدز Leeds**: مدينة في شمال انكلترا (وسط مقاطعة-كونتية-يوركشاير). نحو ٦٥٠ ألف نسمة. أقدم مركز لصناعة القطنيات في انكلترا، الصناعة التي انطلقت في القرن السادس عشر. لكنها تخلت عن هذه الصناعة لمصلحة برادفورد، وطوّرت صناعاتها الميكانيكية والكيميائية (خاصة صناعة المنظفات). مركز اداري وفني.

* **ليفربول Liverpool**: مدينة في انكلترا على الضفة اليمنى من نهر مرسي. نحو ٩٠٠ ألف نسمة. جامعة. كرسي اسقفي كاثوليكي، وكرسي اسقفي أنغليكاني. عرف ميناؤها انطلاقة قوية ابتداء من القرن الثامن عشر وبصورة متزامنة مع تطور صناعتها القطنية، فأصبح ثاني مرفأ بريطاني من حيث الأهمية. وقد نمت الصناعة فيها، وتاليًا الحركة التجارية في المرفأ، بعد ازمة ١٩٢٩ الاقتصادية العالمية: المنشآت البحرية، الصناعات الميكانيكية، والكيميائية (زجاج، منظّفات، أدوية، مواد بلاستيكية) والمنتوجات الغذائية. تتصل ليفربول بمانشستر بواسطة قناة، وفيها البورصة القطنية الاولى في العالم.

* **لينكولن Lincoln**: مدينة في انكلترا على نهر ويتام؛ نحو ١٥٠ ألف نسمة. مركز اسقفية. قصر أثري بناه غيوم الغازي. كاتدرائية بنيت بين ١١٩٢ و ١٢٣٥ في موقع كنيسة رومانية، وتعدّ إحدى روائع الطراز القوطي. مركز صناعي (التجهيزات الثقيلة، قطع للسيارات، وآلات زراعية). كانت لينكولن مستعمرة رومانية قديمة. اكتسبت أهمية خلال القرون الوسطى، اولاً كعاصمة لمملكة ساكسونية، ثم كمستعمرة دانماركية (القرن التاسع).

* **مانشستر Manchester**: مدينة في انكلترا. نحو ٨٥٠ ألف نسمة. مركز اسقفي. جامعة. كانت في القديم معسكرًا رومانيًا. عرفت انطلاقتها الاولى في القرون الوسطى بفضل صناعة وتجارة الأصواف، لكن نموها الحقيقي بدأ في نهاية القرن الثامن عشر وكان مرتبطًا بالصناعة القطنية. خط سكة حديد (١٨٣٠) وقناة على نهر مرسي (١٨٩٤) ربطاها بمدينة ليفربول وزاداها نشاطًا إقتصاديًا حتى اصبحت تحتل المركز العالمي الاول في الصناعة القطنية. إضافة إلى ذلك، هناك الصناعة الميكانيكية (سيارات، آلات كهربائية) والصناعة الكيميائية (كاوتشوك، عقاقير)، وهذه الصناعات منتشرة في الضواحي وعلى شعاع ٤٠ كلم من المدينة. ومانشستر مركز مصرفي واداري كبير. ومنها بدأت مجلة «غارديان». لا أهمية سياحية للمدينة، لكنها تمتلك متاحف مهمة.

* **المكتبة البريطانية**: منذ سنوات قليلة بدأ العمل فعليًا على إقامتها بعدما ظل البريطانيون يتحدثون عن إنشائها منذ اواسط هذا القرن، وصادق مجلس العموم عليها في ١٩٧١. وموعد افتتاحها هو العام ١٩٩٦. ورغم ما ينفق من أجلها، فمن المتوقع انها ستبقى في المرتبة الثالثة في العالم من حيث حجم المعلومات بعد مكتبة لينين في موسكو ومكتبة الكونغرس في واشنطن، ولكنها ستكون

الاولى في التجهيز والخدمات التي ستقدمها على المستوى المحلي والعالمي.
المكتبة البريطانية، في الأساس، جزء من المتحف البريطاني حيث احتلت منذ تأسيسها في ١٨٠٥ الجناح الأهم، أي «الغرفة الدائرية للقراءة». وكان مصمّمو هذه الغرفة يتوقعون، آنذاك، ان يتوسع العلم والمعرفة إلى حدود ٧٢ ألف كتاب. ولم يكن يخطر ببالهم أبدًا ان المكتبة ستحوي يومًا حوالي ١١ مليون كتاب موزعة على ١٨ بناية.

لهذا صمّم المهندس، كولن ولسون، للمكتبة الحديثة التي يجري إنشاؤها حاليًا، مبنى موحدًا يستوعب محتويات كل تلك البنايات ما عدا مركز الصحف والمكتبة الصوتية ومركز الوثائق التي ستظل في اماكنها القديمة. وستحتوي المكتبة الجديدة على بليون عنوان، وستصلها نسخة من كل جريدة وكتاب يصدران في بريطانيا، إضافة إلى الكتب والمنشورات التي تصدر في الخارج وتشرف عليها لجنة خاصة لانتقاء أهمها. ويعتبر مركز الوثائق الذي يوجد في بوركشير اكبر مركز للمعلومات في العالم في حقول العلم والطب والتكنولوجيا، ويصله ما يزيد على ٢٢٠ ألف مجلة للأبحاث و٣٠٠ ألف تقرير عن أهم الندوات في العالم؛ ويبعث المركز بوثائقه إلى كل انحاء العالم.

«ماغنا كارتا» التي تعتبر أهم وثيقة تجذب الناس لزيارة المكتبة، تعرض في علبة زجاجية خاصة، إضافة إلى علب أخرى لعرض مئات الوثائق، من نسخ السمفونيات الاولى إلى مخطوطات شكسبير، وبرنارد شو... إلى وثائق الاختراعات التي حققت ثورة وتقدمًا في حياة الانسان.

تبدو بناية المكتبة من الخارج وكأنها بناية مطار، صمّمها ولسون بتأثير من الهندسة الاسكندينافية. وتحتوي المكتبة على مطعم ومسرح وقاعة للندوات. وامامها ساحة واسعة معدّة للفرق المسرحية والموسيقية تقدم عروضها في الهواء الطلق.

* **ميلفورد هافن Milford Haven**: في الجنوب الغربي من بلاد الويلز. تشكل اكبر مجمع نفطي في بريطانيا، إذ تؤمن إنتاجًا سنويًا يفوق ٢٥ مليون طن سنويًا.

* **نفق المانش**: «منذ العام ١٠٦٦، لم يعبر بحر المانش إلى اليابسة البريطانية مستعمر او محتل، إلا ان الوسواس الانكليزي المتأصل حول ذلك العبور ما انفك يزعزع كل محاولة مهما كانت غير عدائية. وفي مسرحية «ريتشارد الثاني» يصف شكسبير ذلك الفاصل المائي بين يابستي فرنسا والجزيرة البريطانية بأنه «الخندق السائل الذي يحمي البيت ضد كل التعساء في أرضهم». واليوم (٦ ايار ١٩٩٤) إذ تدشن الملكة إليزابت الثانية والرئيس فرنسوا ميتران (فرنسا) اول اتصال بري بين الشاطئين تطوى إلى الأبد خرافة الجزيرة التي لا تقهر وتبدأ صفحة اوروبية ودولية جديدة بالنسبة إلى المملكة المتحدة.
بلغت كلفة النفق الذي يصل فوكستون (بريطانيا) بكاليه (فرنسا) أكثر من عشرة بلايين جنيه استرليني، وكان متوقعًا تدشينه في ١٥ حزيران العام الفائت (١٩٩٣) لولا الحزازات التقليدية بين الفرنسيين والانكليز التي ظهرت في أسلوبي العمل المختلفين خصوصًا الاصرار الانكليزي على اتباع ضمانات السلامة المرعية لديه، في مقابل الدينامية الهندسية المتجددة لدى الفرنسيين.
(...) الرحلة تحت الماء لا تستغرق أكثر من ٣٥ دقيقة، وحسب المواصفات المتوافرة لا يغادر الركاب سياراتهم او حافلاتهم، بل يجلسون فيها طوال مدة العبور... وأفاد تقرير بأن مخاطر السفر عبر النفق الجديد أقل بين ٢٠ و ٥٠ ضعفًا عنها في الوسائل الأخرى... (من حاد الحاج، «الحياة»، تاريخ ٦ ايار ١٩٩٤، الصفحة الاولى).

* **لوتنغهام Nottingham**: مدينة في وسط انكلترا،

على نهر ترانت. نحو ٥٠٠ ألف نسمة. كرسي اسقفي كاثوليكي. جامعة. فيها قصر من عصر النهضة، وكنيسة (القرن الخامس عشر) ذات طراز قوطي، وأوتيل من القرن الثاني عشر. صناعتها الاساسية المنتوجات الكيميائية، ثم الصناعات الميكانيكية والجلدية واليدوية، والتبغ.
كانت مركزًا لاقامة الملكين اللذين أضاعا عرشيهما: ريتشارد الثالث إبان حرب الوردتين، وتشارلز الاول في الحرب الاهلية. ونوتنغهام مرتبطة باسم البطل الاسطوري روبن هود.

* **نيوبورت Newport** في لغة الويلز Casnewidd ar Wysg هو أسم نيوبورت. مدينة في جنوب شرقي بلاد الويلز. نحو ٢٢٥ ألف نسمة. فيها قصر يعود إلى القرن الثاني عشر، وكنيسة من العهد النورماندي. مرفأ نيوبورت يصدر الفحم المستخرج محليًا ويستورد الحديد. ترتكز صناعتها على صناعة الفولاذ والألومينيوم والمنتوجات الكيميائية والآلات الكهربائية. تتصل المدينة بمدينة بريستول بواسطة جسر يربط الطرقات البرية وبواسطة نفق نهري.
وميزة نيوبورت انها أقرب مدن الويلز إلى الحدود مع انكلترا.

* **نيوكاستل Newcastle:** مدينة في شمال غربي انكلترا. نحو ٤٧٠ ألف نسمة. كرسي اسقفي أنغليكاني. جامعة. بيوت تعود إلى القرن الثامن عشر. كاتدرائية ذات طراز قوطي. قصر بناه الملك غيوم الأشقر (١٠٨٠) ابن غيوم الغازي. متاحف مهمة. مركز كبير لتصدير واستيراد الفحم الحجري (حوض دورهام)، ومركز صناعي كبير في المنطقة الشمالية من انكلترا. مصفاة للنفط،

مبنى البرلمان وبرج بيغ بن على الضفة اليسرى من نهر التيمز.

صناعات ثقيلة، ومنشآت بحرية.

* **هستنغس Hastings**: مدينة ومرفأ على الشاطىء الجنوبي من انكلترا. نحو مئة ألف نسمة. بجوارها، حقق غيوم الغازي (النورماندي) انتصارًا ساحقًا على آخر الملوك الأنكلو-ساكسون هارولد الثاني، ومع غيوم بدأ حكم النورمانديين. في القرن الثالث عشر، كانت هستنغس أحد أهم «المرافىء الخمسة» التي كانت تحمي مناطق الدخول إلى انكلترا.

* **وستمنستر Westminster**: دير في لندن القرن الثامن عشر، بناه الملك هنري الثالث، يحتوي على مدافن ملوك وكبار رجالات إنكلترا. وقصر وستمنستر، شيّد في العام ١٨٤٠ (مكان القصر القديم الذي قضى عليه حريق ١٨٣٤) ليكون قصر البرلمان البريطاني.وضع تصاميمه ش.باري الذي اعتمد الفن المعماري (الطراز القوطي). يقوم على ضفة نهر التيمز على طول ٢٧٥ مترًا. وبجواره الملاصق قاعة كبرى (وستمنستر هول)، وهي الجزء الذي استمر قائمًا من القصر القديم، وتستخدم لاجتماعات البرلمان.

* **وندسور Windsor**: مدينة إنكليزية على نهر التيمز. نحو ٣٥ ألف نسمة. قصر ملكي بناه إدوارد الثالث. الأسرة الملكية «ساكس-كوبورغ-غوتا» اتخذت في ١٩١٧، إسم «وندسور».

* **يورك York**: مدينة إنكليزية على نهر أوز. قاعدة كونتية يوركشاير. نحو ١٧٠ ألف نسمة. احتلها الرومان لنحو ثلاثة قرون وجعلوها قاعدة اساسية لقواتهم العسكرية. تحيط بها أسوار أثرية. فيها كنائس عديدة، وكاتدرائيتها (القرن الحادي عشر) تنافس كاتدرائية كنتربوري. قصرها التاريخي كان مركز إقامة الذين حملوا لقب «دوق يورك»، ومنهم ريتشارد الثالث الذي اصبح في ما بعد ملك انكلترا

زعماء ورجال دولة

* **أتلي، كليمنت ريتشارد Attle, C.R.** (١٨٨٣-١٩٦٧): سياسي بريطاني وزعيم حزب العمال (١٩٢٥). نائب رئيس الوزراء (١٩٤٢-١٩٤٥) في وزارة تشرشل الائتلافية. رئيس الوزراء (١٩٤٥). أممت حكومته الكثير من الصناعات، وأنهى الانتداب على فلسطين والاشراف على الهند. تزعّم المعارضة بعد فوز المحافظين (١٩٥١). انتهت رئاسته للحزب (١٩٥٥)، ومُنح لقب إيرل.

* **إدوارد السابع Edward VII** (١٨٤١-١٩١٠): ملك بريطانيا (١٩٠١-١٩١٠). الابن الأكبر للملكة فكتوريا وخليفتها. بالغ الألمان في تقويم دوره في السياسة الخارجية المعادية لهم رغم

انه لعب دورًا غير اساسي في تثبيت عرى التحالف البريطـاني-الفرنسـي اثنـاء زيـارة لـه لبـاريس (١٩٠٣)، ولم يعـرف عنـه الاهتمـام بالقضايـا الداخلية.

* **اسكويت، هوبرت هـنري Asquith, H.H.** (١٨٥٢-١٩٢٨): سياسي ورجل دولة بريطاني. وزيـر الداخليـة (١٨٩٢-١٨٩٥). سـاند المستعمرين في حرب البوير في جنوب افريقيـا. وزير المال (١٩٠٥). رئيـس الـوزراء (١٩٠٨) خلفًا لكامبل-بانرمان. اتخذ موقفًا قمعيًا من ايرلندا كاد يؤدي إلى حرب أهلية (١٩١٣-١٤). شكل حكومة ائتلافية (١٩١٥). تحالف ضده المحافظون ولويد جورج فـازاحوه عن الحكم وأزاحـوا معه حزبه (الحزب الليبرالي) الذي قام في داخله صراع حاد أدّى إلى إضعافه.

* **أكتـون، جـورج دالـبرغ Acton, G.D.** (١٨٣٤-١٩٠٢): مفكر سياسي بريطـاني. ولـد في نابولي وتلقى علومه بشكل دروس خاصة نظرًا لكونـه كاثوليكيًا محظـورًا عليه آنـذاك الانتسـاب لجامعة كامبردج. انتخب نائبًا عن حـزب الاحـرار واصبح صديقًا لزعيـم الحـزب غلادستون. حصـل على لقب بـارون (١٨٦٩). ورغـم كاثوليكيتـه رفض قبول قرارات مجلس الفاتيكان حـول عصمـة البابا وآمن بالاهمية الحيوية للحرية السياسية. عـين استاذًا في جامعـة كمبردج بعـد الغـاء الفحـوص الدينية الموجهة ضد الكـاثوليك (١٨٧١). اشـرف هناك على تخطيـط سلسـلة الأعمـال الصـادرة عـن الجامعـة «التـاريخ الحديـث»، وكتـب «تـاريخ الحرية» - دون ان يتمكن من انجازه - وترك اثـرًا ملحوظًا في المناخ الفكري للمؤرخين البريطانيين.

* **الكسندر، هارولد روبرت Alexandre, H.R.** (١٨٩١-): قائد بريطاني. قاد في الحرب العالميـة الثانية عملية التقهقر من بانكوك وبورما. انتصر في شمـالي افريقيـا وصقليـة. الحـاكم العـام لكنـدا (١٩٤٥-١٩٥٢). وزير الدفاع في وزارة تشرشل (١٩٥٢).

* **أللنـبي، فيسـكونت إ. Allenby, V.E.** (١٨٦١-١٩٣٦): إدمونـد هـنري اللنـبي، قـائد عسكري وسياسي بريطاني. مندوب سـامي بمصر (١٩١٩-٢٥). اشترك في حـرب البوير (جنوب افريقيـا) مــن ١٨٩٩ إلى ١٩٠٢. وفي الحـرب العالميـة الثانيـة. قـاد الجيش البريطـاني في فرنسـا (١٩١٥-١٩١٧). قاد القوات البريطانية في غـزو فلسطين ضـد تركيـا (١٩١٧-١٩١٩)، فاستولى على القدس ودمشق وحلب بعد هزيمـة الاتـراك في موقعة «مجدو» بمساعدة العرب: جيش الشـريف حسين وعـرب فلسطين بموجب اتفـاق حسـين-مكماهون. منح رتبة فيلـد مارشـال وعـين مندوبًا ساميًا بمصر بعـد نشـوب الثورة المصريـة خلفـًا لريجنـالد وينجيت. قـامت سياسته علـى تعميـق الخـلاف بـين المعتدلـين (أنصـار عـدلي يكـن) والمتشـددين (أنصـار سـعد زغلـول) في صفـوف الحركة الوطنية. اعترف باسـتقلال مصـر (تصريـح ٢٨ شباط ١٩٢٢) مـع تحفظـات. حصـل انصـار زغلول في انتخابات ١٩٢٤-١٩٢٥ علـى أغلبيـة كاسحة. استقال اللنبي في ١٩٢٥.

* **اليزابت الثانية** (١٩٢٦-): ملكـة بريطانيـا وشمال ايرلندا. إبنة دوق يـورك (١٨٥٢-١٩٥٢) الـذي تـوج ملكـًا (١٩٣٦) تحت اسـم جـورج السـادس. تزوجـت (١٩٤٧) مـن الأمـير فيليـب مونتباتن، ابن الأمير اندرو اليونـاني، الـذي اصبح يدعـى دوق أدنـبره. خلفـت والدهـا، بعـد موتـه وتوجـت ملكـة (١٩٥٣). ورغـم انهـا تملـك ولا تحكم فإنها نجحت في فرض احترامها على المسـرح السياسـي، وفي تقديـم نفسـها كرمـز لوحـدة

البريطانيين وحسن سير موسساتهم الديمقراطية. قامت بعدة زيارات للخارج، وبشكل خاص لدول الكومنولث. لها اربعة اولاد. لكن الوضع العائلي لعائلتها (خصوصًا لجهة العلاقات العاطفية لولديها تشارلز وأندروز وزوجتيهما) هو موضوع الصحافة البريطانية والعالمية اليومي خلال السنوات الأخيرة، لما يشوبه من عدم استقرار مصحوبًا احيانًا بفضائح.

* **امري، جوليان .Amery, J** (١٩١٩-): سياسي ورجل دولة بريطاني محافظ. عمل في المخابرات (في مصر وفلسطين) واصبح ضابط ارتباط مع المقاومة الألبانية للاحتلال الألماني (١٩٤٤). اوفده تشرشل للتفاهم مع شيانغ كاي تشيك في الصين (١٩٤٥). نائب منذ ١٩٥٠، ونائب لوزير الحربية (١٩٥٧-١٩٥٨)، وللمستعمرات (١٩٥٨-١٩٦٠). وزير الطيران، ثم وزير الاعمار والأشغال، ثم وزير الخارجية (١٩٧٢-١٩٧٤).

* **إيدن، انطوني روبرت .Eden, A.R** (١٨٩٧-١٩٧٧): سياسي ورجل دولة بريطاني. ضابط اركان حرب في الحرب العالمية الاولى. بدأ حياته السياسية (١٩٢٣) بانتخابه عن المحافظين. وزير الخارجية (١٩٣٥). استقال احتجاجًا على سياسة تشمبرلن المهادنة لهتلر (١٩٣٨). عينه تشرشل وزيرًا للخارجية (١٩٤٠-١٩٤٥). كان له دور كبير في تشجيع إنشاء جامعة الدول العربية (١٩٤٣). وزير الخارجية (١٩٥١-١٩٥٥). رئيس الوزراء بعد استقالة تشرشل. اشترك في الحرب على مصر (العدوان الثلاثي -١٩٥٦). وبفشل هذه الحرب، انسحب من الحياة السياسية، فأصبح عضوًا في مجلس اللوردات تحت لقب لورد أفون.

* **بانكهرست، اميلين .Pankhurst, E** (١٨٥٨-١٩٢٨): قائدة نسائية بريطانية تزعمت حركة المطالبة لنيل المرأة حقوقها وفي مقدمتها حق الانتخاب. ألفت (١٨٨٩) عصبة حق المرأة الانتخابي، وبعد خمس سنوات ألفت «اتحاد المرأة الاجتماعي والسياسي». وبعد اجتماعها مع رئيس الوزراء (١٩٠٦)، تيقنت من صعوبة تحقيق مطالبها بالطرق البرلمانية فلجأت إلى الوسائل العنفية وألقي القبض عليها مرات (١٩٠٨، ١٩٠٩، ١٩١١، ١٩١٢ حيث اضربت عن الطعام فأفرج عنها). اعيدت إلى السجن (١٩١٣ وحكمت بثلاث سنوات سجن مع الأشغال). حثت النساء على العمل في المصانع والتطوع في القوات المسلحة اثناء الحرب العالمية الأولى. رشحها حزب المحافظين للنيابة عام وفاتها.

* **براون، جورج .Brown, G** (١٩١٤-): سياسي بريطاني من حزب العمال. وزير الزراعة (١٩٤٧)، الأشغال (١٩٥١). مثل بريطانيا في الجمعية الاستشارية للمجلس الاوروبي في ستراسبورغ (١٩٥١-١٩٥٢) و (١٩٦٠-١٩٦٣). وزير الاقتصاد (١٩٦٤) في حكومة ويلسون العمالية. ثم وزير الخارجية حيث استقال (١٩٦٨). فشل في تولي رئاسة الحزب العمالي. منح لقب لورد واصبح عضوًا في مجلس اللوردات. عرف بمواقفه المعتدلة من القضايا العربية وانتقاده احيانًا السياسة الاسرائيلية.

* **بلفور، جيمس آرثر .Balfour, J.A** (١٨٤٨-١٩٣٠): سياسي بريطاني صاحب التصريح أو الوعد المعروف باسمه (راجع إسرائيل، ج١، ص ٣٥٦). تلقى تعليمًا مشبعًا بتعاليم العهد القديم. اهتم بالمسألة اليهودية (١٩٠٢-١٩٠٥) اثناء توليه رئاسة الوزراء حين بدأت موجة هجرة يهود

شرقي اوروبا تجتاح بريطانيا فوقف منها موقفًا معارضًا. قابل الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن (١٩٠٦) واعجب به. فاستعاد اهتمامه بالصهيونية. وزير خارجية (١٩١٦)، فساعد الصهيونية. اعتزل عام ١٩٢٢، وشارك بافتتاح الجامعة العبرية (١٩٢٥) حين استقبلته فلسطين بالاضراب العام، ودمشق بالتظاهرات، فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى تهريبه تحت حراسة مشددة. وفي اسرائيل مزرعة تعاونية (بالفوريا) تحمل اسمه.

* **بلومر، هربرت تشارلز Plumer, H.C.** (١٨٥٧-١٩٣٢): عسكري واداري بريطاني. برز في حرب البوير. جنرال (١٩٠٢). انتصر في مضيق مسّينا (١٩١٧). فيلدمارشال (١٩١٩). حاكم مالطا (١٩١٩-١٩٢٥). مندوب سامي في فلسطين (١٩٢٥-١٩٢٨) حيث تميزت هذه الفترة بركود سياسي.

* **بلير، توني** (١٩٥٣-): سياسي بريطاني وزعيم حزب العمال ابتداءً من ٢١ تموز ١٩٩٤، وعلى أثر وفاة زعيمه السابق جون سميث. وكان توني بلير وزير الداخلية في حكومة الظل.
ولد بلير في عائلة من الطبقة الوسطى. خلال دراسته في جامعة أوكسفورد، كان المغنّي الرئيسي لفرقة «روك»، و لم ينهمك في أي نشاط سياسي. لكن، بعد تخرجه، أنضم إلى حزب العمال في ١٩٧٥. عضو في مجلس العموم للمرة الاولى في ١٩٨٣. يعطي انطباعًا بأنه شخص لطيف وعلى شيء من الضعف. لكن صحيفة «فايننشال تايمز» وصفته بأنه، على غرار مارغريت تاتشر «سياسي خطر، تكمن خطورته في انه يحمل افكارًا سياسية وطموحًا على حد سواء»، وأنه صلب.
عندما كان وزير الداخلية في حكومة الظل (داخل حزب العمال المعارض) رفع شعار «التشدد حيال الجريمة، التشدد حيال أسباب الجريمة».

أُمل منه عند انتخابه زعيمًا لحزب العمال (في ٢١ تموز ١٩٩٤) المحافظة على وحدة الحزب كما كان الامر في ايام سلفه جون سميث الذي نجح في اعادة لحمة الحزب بعد انقسامات عانى منها في ايام نيل كينوك. وعلى خطاه مضى بلير قدمًا في التخلص من نفوذ الأقلية اليسارية والحركة النقابية داخل الحزب، ونجح بتعديل الدستور وقوانين الحزب. والمهمة الكبرى امام حزبه، كما قال (صيف ١٩٩٥) «تحضير الأمة لاستقبال تغير اقتصادي متزامن مع اعادة تأسيس نظام اجتماعي. لقد أخطأ اليسار القديم عندما أهمل البنى الاخلاقية واستسلم لقوى الضغط المحدودة المطالب». وموقفه هذا اكسب العمال أوساطًا مالية، على رأسها روبرت ميردوخ «ملك المال وصاحب الامبراطورية الاعلامية الكبرى». وهذه هي المرة الاولى التي تتبنى فيها مؤسسة رأسمالية احتكارية الوقوف إلى جانب حزب العمال منذ تأسيسه.

* **بورتيللو، مايكل** (١٩٥٣-): وزير العمل، ثم وزير الدفاع (إثر التعديل الحكومي الواسع في ٥ تموز ١٩٩٥) في حكومة المحافظين الحالية (بزعامة جون ميجور). يقال فيه إنه «الوريث المتوج» لزعيمة المحافظين السابقة مارغريت تاتشر، وإنه اكثر شخصيات الحزب قوة وقدرة على قيادته.
من أصل اسباني، وينتمي إلى تراث سياسي اشتراكي. لكنه انقلب على هذا التراث، فوجد نفسه أثناء دراسته الجامعية في كامبريدج إبنًا طبيعيًا لأفكار المنظّر الايديولوجي للتاتشرية، في ايامها الأولى (اواخر السبعينات واوائل الثمانينات) السير كيث جوزف. وقاد بالفعل تيار اليمين المحافظ داخل اتحاد الطلبة في الجامعة كما نشط في إطار منظمة الشباب في حزب المحافظين قبل ان تكتشفه تاتشر. تبنى الرؤى اليمينية المحافظة على رغم تأثيره السابق بوجهات نظر والده الاشتراكية. وكان والده شاعرًا حربيًا قد فرّ من نظام فرنكو ولجأ إلى

بريطانيا حيث تعرف على زوجته المنتمية إلى المذهب الكالفيني ومديرة المدرسة الاسكوتلندية. عضو بمجلس العموم للمرة الاولى (١٩٨٤). مستشار في وزارة الخزانة، ثم وزير دولة في وزارة الصحة والشؤون الاجتماعية (١٩٨٧). قاد حملة ترويج «ضريبة الرأس» التي كانت من بين الأسباب الرئيسية لسقوط تاتشر. بعد انتخابات ١٩٩٢ العامة، عينه رئيس الوزراء ميجور في المركز الثاني في وزارة الخزانة.

* **بولدوين، ستانلي Baldwin, S.** (١٨٦٧-١٩٤٧): رجل دولة بريطاني. رئيس وزراء مرات عديدة. وزير تجارة (١٩٢١). رئيس وزراء (١٩٢٤-١٩٢٩). وزير في حكومة ماكدونالد (١٩٣١-١٩٣٥). سعى إلى سياسة تقرب مع فرنسا وعدم التدخل في الازمات الدولية. عارض (١٩٣٦) زواج الملك ادوارد الثامن من السيدة سيمبسون واجبره على التخلي عن العرش لأخيه الملك جورج السادس. اعتزل الحياة السياسية بعد تتويج الملك جورج السادس.

* **بيرنز، جون إيليوت Burns, J.E.** (١٨٥٨-١٩٤٣): سياسي ونقابي بريطاني وأحد ابرز وجوه الاشتراكية الديمقراطية البريطانية. ساهم في تأسيس «الاتحاد الديمقراطي»، اول منظمة عمالية بريطانية اعلنت عن تبنيها للنظرية الماركسية. اعتقل (١٨٨٦) على اثر مظاهرات الاثنين الاسود، و١٨٨٧ بعد مظاهرات دامية. انتخب عضواً في مجلس بلدية لندن (١٨٨٩)، ونائبًا (١٨٩٢، و١٨٩٥، و١٩٠٠ و١٩٠٦). في هذه السنة الاخيرة بدأ يتجول من الماركسية إلى الليبرالية السياسية، مشارك في الحكومة كوزير لشؤون البلديات. وزير للتجارة (١٩١٤) واستقال منها عشية اندلاع الحرب بسبب معارضته لها، واعتزل السياسة.

* **بيفن، أنورين Bevan, A.** (١٨٩٧-١٩٦٠): سياسي ورجل دولة بريطاني. أحد زعماء الجناح اليساري في حزب العمال. نائب (١٩٢٩) وزار الاتحاد السوفياتي. طالب بالتأميم الكامل لوسائل الانتاج. وزير الصحة (١٩٤٥) فأمم الطب. وزير العمل (١٩٥٠) واستقال في نيسان (١٩٥١) احتجاجًا على التوسع في الميزانية العسكرية على حساب الخدمات الصحية. هاجم زعامة اميركا لأوروبا وبرامج التسلح.

* **بيفن، ارنست Bevin, E.** (١٨٨١-١٩٥١): سياسي ورجل دولة بريطاني وزعيم عمالي. عرف بالقدرة على التنظيم. وزير الخارجية (١٩٤٥). اشترك في محادثات بوتسدام (آب ١٩٤٥). تفاوض مع اسماعيل صدقي لإجراء مفاوضات الجلاء عن مصر، وعارض الشعب المصري مفاوضات صدقي-بيفن، والامر نفسه حصل في مفاوضات جبر-بيفن في العراق. له دور كبير في مشروع مارشال الاميركي لمساعدة اوروبا والحلف الأطلسي. لعب دورًا مميزًا في القضية الفلسطينية، إذ عارض الهيمنة الصهيونية على السياسة الخارجية البريطانية والاميركية، فشنت عليه حملة تشهير اعلامية في اواخر ايامه وبعد مماته.

* **بيفيردج، وليام هنري Beveridge, W.H.** (١٨٧٩-١٩٦٣): سياسي واقتصادي بريطاني. تولى مكتب التوظيف والبطالة التابع للحكومة. احد المختصين في مشكلة البطالة. عميد الكلية الجامعية في أوكسفورد (١٩٣٩). نشر تقرير عن نظم الضمان الاجتماعي (١٩٤٢)، فبيع منه أكثر من ٧٠ ألف نسخة في يوم واحد. متأثر بفكر كينز الاقتصادي.
تبنى تشرشل الخطوط العامة لهذا التقرير الاقتصادي الذي لا يزال مرجعًا اساسيًا لكثير من الحكومات البريطانية خصوصًا في ميدان الضمان

الاجتماعي. انتخب بيفيردج نائبًا (١٩٤٤).

*** تاتشر، مارغريت .Thatcher, M** (١٩٢٥-): سياسية وزعيمة بريطانية. درست القانون في أوكسفورد، ومارست المحاماة، ثم صارت تنتخب نائب عن حزب المحافظين ووزيرة برلمانية بعدذلك. وزيرة التربية والعلوم (١٩٧٠-١٩٧٤). زعيمة حزب المحافظين (١٩٧٥) خلفًا لادوارد هيث، فزعيمة المعارضة. جالت في دول كثيرة. أثارت في وجه الحكومة العمالية عددًا من القضايا. اتخذت إزاء الملونين في بريطانيا مواقف اعتبرت في نظر البعض شبه عنصرية. كما ان مواقفها من القضايا الخارجية تشبه إلى حد واضح مواقف قادة المحافظين في الخمسينات. رئيسة الوزراء (١٩٧٩)، فكانت اول امرأة تتولى هذا المنصب السياسي الخطير في بلادها.

في سياستها في العالم الثالث، ظهرت تاتشر ديمقراطية لا تساوم الدكتاتوريين ولا تتردد في الدفع نحو سياسات تدخلية (وكثيرًا ما جاءت هذه السياسات التدخلية لدعم الولايات المتحدة ولمصلحتها، والمثال الأبرز هنا الحرب على العراق- حرب الخليج الثانية).

وسياستها الداخلية انطوت على ملامح ماضوية حادة، مثل التبشير بالقيم والفضائل الفيكتورية، وتحطيم النقابات من دون ارفاق ذلك بالزام الرأسمالية بأية تقديمات؛ فاقترن إسمها بحركة اليمين الجديد الذي بدأ يجتاح العالم منذ اوائل الثمانينات. ومع هذا يعترف البريطانيون (أنصار وأخصام) انها كانت من أبرز حكام المملكة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وانها فعلت الكثير من اجل اقتصاد المملكة. لكن ضريبة محلية (بول تاكس) حاولت فرضها، فلم تفلح. وضريبة «بول تاكس» (ضريبة الرأس) كانت من بين الاسباب الرئيسية التي اسقطت تاتشر. إذ كانت تاتشر استبدلت الضريبة البلدية على العقارات ب«ضريبة الرأس» التي احتسبت وفقًا لعدد الراشدين المقيمين في العقار. ولكن هذا التشريع سقط قبل سقوط تاتشر نفسها جراء قيام حركة احتجاج واسعة تخللتها اعمال شغب في لندن وغيرها من المدن البريطانية.

في كتابها «الطريق إلى السلطة» (١٩٩٥)، تدعو تاتشر إلى «إجراء تغييرات كبيرة في السياسة الخارجية والداخلية تتقدمها عودة إلى السيادة البريطانية على المؤسسات الوطنية ورفض معاهدة ماستريخت واعلان فوري لاستقلال الجنيه الاسترليني عن العملة الاوروبية المشتركة (إيكو) والعودة إلى القيم الأساسية للمحافظين في المجتمع». واتهمت خليفتها، رئيس الوزراء جون ميجور، بالتسبب في ركود عميق، هو الأسواء الذي شهدته بريطانيا منذ ٥٠ عامًا.

*** تشرشل، ونستون .Churchill,W** (١٨٧٤-١٩٦٥): سياسي ورجل دولة بريطاني. ينتمي إلى أسرة مارلبورو البريطانية العريقة المحافظة سياسيًا. بدأ حياته العملية في الخدمة العسكرية في الهند وكوبا والسودان (١٨٩٥). أسر في حرب البوير في جنوب افريقيا. وعلى أثر عودته انتخب نائبًا عن المحافظين. وبعد اربع سنوات انضم إلىحزب الاحرار، وعين وزيرًا للتجارة (١٩٠٨-١٩١٠)، ثم وزيرًا للداخلية، فوزيرًا للبحرية (١٩١١)، واستقال من هذا المنصب بعد فشله في غزو الدردنيل (١٩١٥). بعدها، تقلب في المناصب الوزارية، منها وزير المستعمرات حتى ١٩٢٢ عندما استقال من حزب الاحرار. وفي ١٩٢٤ دخل البرلمان عن المحافظين ثانية وتولى وزارة المالية لخمسة اعوام. في الثلاثينات كان يحذر الغرب من عواقب هتلر والنازية. ومع نشوب الحرب العالمية الثانية عين وزيرًا للبحرية، ثم رئيسًا للوزراء خلفًا لنيفيل تشمبرلين طيلة الحرب واكتسب شهرته لدوره في قيادة بريطانيا اثناءها. عارض استقلال المستعمرات البريطانية. نصح الاميركيين باستمرار

مايكل بورتيللو.

مالكولم ريفكند.
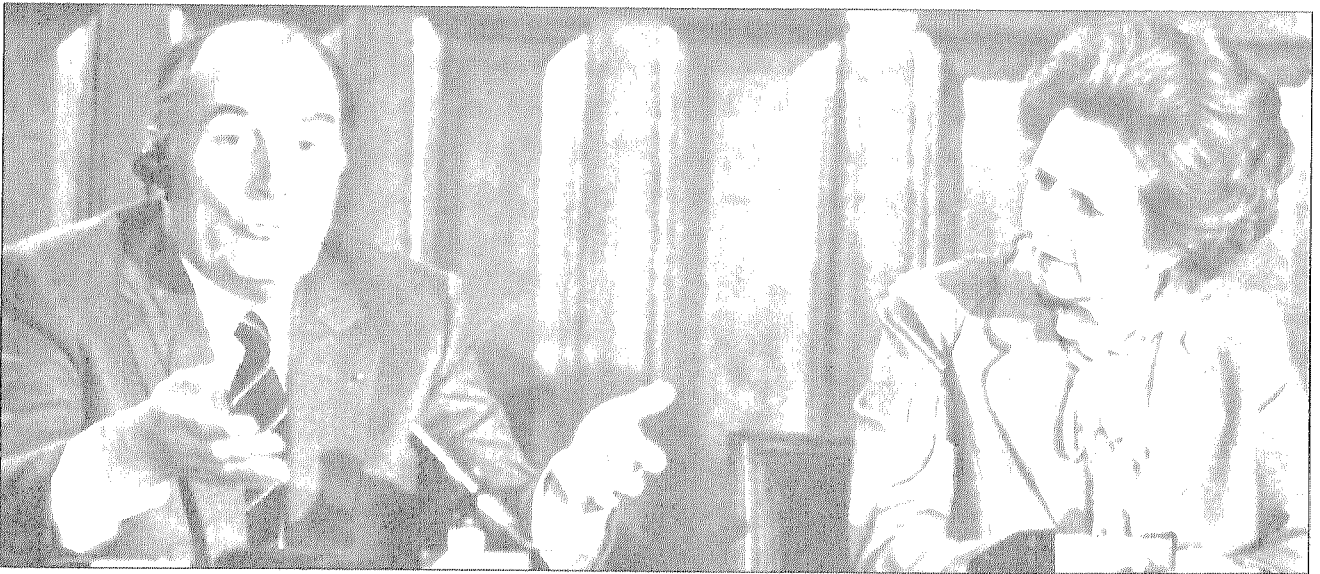
مارغريت تاتشر والرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران.

الحرب ضد الشيوعيين حتى بعد هزيمة هتلر. فشل حزبه في الانتخابات (١٩٤٥). عاد إلى رئاسة الوزراء (١٩٥١-١٩٥٥). تقاعد من البرلمان والحياة السياسية (١٩٦٤). اشتهر بنزعته الارستقراطية، وبدعمه للمشاريع الصهيونية (كتاب تشرشل الابيض). له مؤلفات، اهمها: «تاريخ الشعوب الناطقة بالانكليزية»، ومذكراته عن الحرب العالمية الثانية.

وتشرشل كان اول سياسي يستعمل، ولأول مرة، عبارة «الستار الحديدي»، وذلك في ٥ آذار ١٩٤٦، وفي خطاب ألقاه في كلية فالتون في ولاية ميسوري الاميركية. في ذلك الحين، كان تشرشل قد فشل في الانتخابات و لم يعد رئيسًا للحكومة البريطانية، لكنه دعي، مع الرئيس الاميركي ترومان، إلى تلك الجامعة للحصول على دكتوراه فخرية ولالقاء محاضرة سياسية يعبّر فيها عن تصوره لأحوال عالم ما بعد الحرب وما بعد استخدام القنبلة النووية.

*** تشمبرلين، جوزف Chamberlain, J.** (١٨٣٦-١٩١٤): سياسي ورجل دولة بريطاني. نائب (١٨٧٦). وزير للتجارة (١٨٨٠-١٨٨٥). اختلف مع غلادستون وانشق عن الحزب الليبرالي. وزير المستعمرات (١٨٩٥). استقبل تيودور هرتزل وشجع المشروع الصهيوني وقدم عدة اقتراحات لإقامة مستعمرات ومعسكرات صهيونية تكون منطلقًا إلى فلسطين.

*** تشمبرلين، نيفيل Chamberlain, N.** (١٨٦٩-١٩٤٠): سياسي ورجل دولة بريطاني. نائب (١٩١٨). وزير المالية (١٩٢٣)، ثم وزير الصحة فوزير المالية من جديد. رئيس الوزراء (١٩٣٧). حاول مهادنة هتلر، وعقد معه اتفاقية ميونخ (١٩٣٨) التي اعتبرت رمزًا لسياسة المهادنة الفاشلة. ورأي آخر يقول ان هذه الاتفاقية اعطت بريطانيا المزيد من الوقت للتسلح، وقد عقدها تشمبرلين لوعيه حاجة بريطانيا للوقت. استقال في ايار ١٩٤٠.

*** توينبي، أرنولد Toynbee, A.** (١٨٨٩-١٩٧٦): مؤرخ وفيلسوف تاريخ، بريطاني. لعله اكبر المؤرخين المعاصرين في العالم، وأغزرهم علمًا وانتاجًا وأوسعهم شهرة. ولد في لندن لأبوين مثقفين، ودرس في أوكسفورد، ومنها تخرج. التحق بمعهد علم الآثار البريطانية في أثينا. درّس في أوكسفورد، ونشر «القومية والحرب» و«اوروبا الجديدة». التحق بقسم الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية (١٩١٥) حيث كتب اكثر من مطالعة مركزة (١٩١٨-١٩١٩) حول تعارض وعد بلفور مع التزامات بريطانيا إزاء العرب بموجب مراسلات حسين-مكماهون. واتخذ الموقف نفسه أثناء مؤتمر السلام في باريس (١٩١٩).

ترك الخدمة الحكومية ليصبح استاذ التاريخ البيزنطي واليوناني المعاصر في جامعة لندن. عمل مراسلًا لجريدة مانشستر غارديان (١٩٢١-١٩٢٢) أثناء الحرب التركية-اليونانية. ترأس قسم الدراسات في وزارة الخارجية (١٩٤٣-٤٦) محتفظًا باستاذيته في جامعة لندن التي كان عين فيها منذ ١٩٢٥. نشر، طيلة هذه الفترة مؤلفات عديدة، إلا ان أعظم مؤلفاته يبقى «دراسة في التاريخ» (١٢ جزءًا نشرها بين ١٩٣٤ و١٩٦١)، وهي أهم وأعمق محاولة لدراسة تاريخ البشرية برمته، ووضعت صاحبها في سجل العلماء الخالدين. والجدير ذكره ان توينبي دان ظاهرة الامبريالية وناصر القضية العربية في فلسطين، وتعرض، من جراء ذلك، لأوسع الحملات والتشهير في بعض أجهزة الاعلام الغربية. وأيّد، انطلاقًا لمفهومه الحضاري، فكرة الوحدة العربية. أبدى «اتحاد المؤرخين العرب» تقديرًا وتكريمًا لهذا

الفيلسوف المؤرخ في الندوة العالمية الخاصة التي عقدت عام ١٩٧٧.

*** جورج الخامس Georges V** (١٨٦٥-١٩٣٦): ملك بريطانيا. ابن الملك ادوارد السابع. خدم في سلاح البحرية (١٨٧٧-١٨٩٢). أبدى احترامًا لنظام بلاده فقام بوظيفته كملك دستوري وحسب، ولم يتدخل في السياسة إلا في حالات رئيسية وفي أوقات متباعدة، وذلك بناء على نصيحة مستشاريه الدستوريين: ١٩١١ و١٩١٤ (الازمة الايرلندية)، وتعيين بولدوين رئيسًا للوزراء (١٩٢٣)، وتشكيل الحكومة القومية (١٩٣١). أبدى اهتمامًا خاصًا بالهند التابعة للعرش البريطاني، فكان الملك الوحيد الذي زارها أثناء تربعه على العرش.

*** جورج السادس Georges VI** (١٨٩٥-١٩٥٢): ملك بريطانيا. ابن جورج الخامس ووالد إليزابت الثانية. أعتلى العرش على أثر استقالة أخيه إدوارد الثامن (١٩٣٦). خدم في سلاح البحرية (١٩٠٩-١٩١٦)، ثم في سلاح الطيران. أبدى اهتمامًا بالمشاريع الخيرية الاجتماعية. ابتعد عن السياسة اكثر مما فعله والده، وتمتع بشعبية واسعة في بريطانيا. زار الولايات المتحدة الاميركية (١٩٣٩)، فكان أول ملك بريطاني يزورها.

*** رسل، برتراند Russel, B** (١٨٧٢-١٩٧٠): فيلسوف وعالم رياضيات واجتماع بريطاني، تميز بموقف سياسي كبير وفريد من نوعه. فقد اشتهر بوقوفه ضد الحرب وضد الأسلحة النووية بشكل خاص. وقد كلفته هذه المواقف احيانًا الدخول إلى السجن رغم كبر سنه. أما موقفه الفريد والمتميز فهو في تأسيسه (أيار ١٩٦٧) محكمة دولية (أدبية طبعًا) ضد جرائم الحرب الاميركية في فيتنام ترأسها جان بول سارتر، دانت التدخل الاميركي «الاجرامي» في هذا البلد. كما اشتهر بمواقف كثيرة مؤيدة للعرب. نال جائزة نوبل للسلام (١٩٥٠).

*** ريفكند، مالكولم** (١٩٤٦-): وزير الدفاع في حكومة المحافظين الحالية (١٩٩٥)، ثم وزير الخارجية إثر التعديل الحكومي الذي أجراه رئيسها جون ميجور في ٥ تموز ١٩٩٥. وعمل ريفكند قبلاً وزيرًا للدولة في الفترة من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٦، وحاز على إعجاب الجهاز الدبلوماسي فيها، ولذلك فإن الدبلوماسيين في وزارة الخارجية رحّبوا كثيرًا بخلافته للوزير هيرد على رأس الخارجية. وريفكند هو أول يهودي يتولى هذا المنصب السياسي المهم منذ إعلان دولة اسرائيل. وإزاء هذا الأمر علّق مسؤولون بريطانيون على ان موضوع الدين لا يدخل مطلقًا في تنفيذ سياسات بريطانيا تجاه العالم، وكذلك ان عملية السلام في المنطقة غيّرت مفاهيم كثيرة؛ وان ريفكند يعرف المنطقة جيدًا من خلال الفترة الطويلة التي عمل فيها وزيرًا للدفاع، وانه زار عددًا كبيرًا من دول الخليج. والمعلوم ان مشكلة البوسنة كانت تمثل أهم أولويات ريفكند خلال عمله وزيرًا للدفاع.
الاوساط الصهيونية لم تخف فرحها بتعيينه وزيرًا للخارجية، إضافة إلى تعيين رئيس حزب المحافظين السابق جيريمي هانلي وزير دولة للشؤون الخارجية، إذ إن للرجلين «سجلاً ناصعًا وطويلاً في دعم اسرائيل»، كما اعلن متحدث باسم التجمع البرلماني البريطاني-الاسرائيلي. وكان ريفكند القى خطابًا قبل ست ساعات من تعيينه امام اعضاء غرفة التجارة البريطانية-الاسرائيلية أعلن فيه عن دعمه المطلق لعملية السلام في الشرق الاوسط وتعهده إزالة كل العوائق امام بيع اسرائيل المعدات العسكرية بعد قرار الحكومة البريطانية رفع الحظر الذي كان مفروضًا على اسرائيل منذ احتياحها

لبنان عام ١٩٨٢ في العام الماضي (١٩٩٤).

*** سبدينغ، رولاند:** راجع «المخابرات البريطانية» في باب معالم تاريخية.

*** سليم، ويليام جوزف Slim, W.J.** (١٨٩١-١٩٧٠): عسكري واداري بريطاني. حارب في السودان وارتيريا (١٩٤٠). قضى على ثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١). قاتل في جنوب شرقي آسيا (خصوصًا في بورما) في الحرب العالمية الثانية، وعند نهايتها كان قد اصبح قائدًا لقوات الحلفاء البرية هناك. بعد انتهاء الحرب، عين رئيسًا للاركان البريطانية خلفًا لمونتغمري (١٩٤٨)، ثم حاكمًا لاستراليا (١٩٥٣-١٩٥٩).

*** سميث، جون** (١٩٣٩-١٩٩٤): سياسي ورجل دولة وزعيم حزب العمال البريطاني. تولى رئاسة حزب العمال (١٩٩٢) خلفًا لنيل كينوك. فدأب على اصلاح موقف الحزب وإدخال دم جديد في عروق إدارته إثر الهزيمة التي مني بها حزب العمال للمرة الثالثة على التوالي في الانتخابات العامة الاخيرة (١٩٩٢). ولم يتولّ سميث زعامة الحزب إلا بعد معركة حامية داخل الحزب، قاد خلالها حركة تصحيحية بمساندة الجناح اليميني الاصلاحي. وكان سميث عرف بقربه من مجتمع المال والاعمال البريطاني كونه تولى حقيبة التجارة في حكومة رئيس الوزراء جيمس كالاهان في ١٩٧٨-١٩٧٩. وقد شكّل توجه سميث اليميني داخل الحزب ضمانة للمترددين بين تأييد حزب المحافظين الذي يعاني من خلافات وانشقاقات في صفوفه، وبين حزب العمال الذي لم يتمكن في عهد السلف (كينوك) من رسم صورة واضحة لسياسته الداخلية والخارجية في اعقاب انهيار المعسكر اليساري في اوروبا. فنجح سميث في الحفاظ على وحدة الحزب وفي قيادته نحو استعادة مكانته تدريجيًا حتى تفوّق، تبعًا لانتخابات المجالس المحلية، ولاستطلاعات الرأي العام، ولتوقعات السياسيين، على حزب المحافظين الحاكم وعلى سائر الاحزاب الأخرى، واعتبر سميث انه سيكون رئيس الوزراء بدون منازع في ١٩٩٦.

لكن وفاة سميث المفاجئة (بنوبة قلبية، في ١٢ ايار ١٩٩٤)، أعادت قضية الصراع على زعامة حزب العمال تطرح نفسها (راجع «بلير، توني» في هذا الباب).

*** سيلكين، جون Silkin, J** (١٩٢٣-): سياسي ورجل دولة بريطاني. من عائلة يهودية سياسية وثرية. نائب عن حزب العمال (منذ ١٩٦٣). وزير الأشغال (١٩٦٩-١٩٧٠). وزير التخطيط (١٩٧٤-١٩٧٦). وزير الزراعة والاغذية والأسماك (١٩٧٦-١٩٧٩). نشط لصالح إنماء التبادل مع اسرائيل، ومحاربة المقاطعة العربية لها. برز اسمه عند التنافس في زعامة حزب العمال في اعقاب استقالة جيمس كالاهان بعد هزيمة الحزب (١٩٧٩).

*** شو، جورج برنارد Shaw, G.B.** (١٨٥٦-١٩٥٠): مفكر سياسي وأديب من اكبر أدباء بريطانيا من أصل ايرلندي. يعتبر من أشهر اعضاء الجمعية الاشتراكية الفابية التي أثرت تأثيرًا كبيرًا في تطور الاشتراكية البريطانية منذ مطلع القرن العشرين. له كتابات في الاشتراكية والفقر والعدل والدين والموسيقى وغيرها من قضايا العصر. في ١٨٧٧، كتب مقالاته الفابية الشهيرة التي يدرس فيها الاسس الاقتصادية والاخلاقية للاشتراكية والرأسمالية. وفي ١٩١٤، هاجم الحرب في كتيب ملحق بجريدة «نيو ستيتسمان».

*** صموئيل، هربرت Samuel, H** (١٨٧٠-

١٩٦٣): سياسي بريطاني يهودي، واول مندوب سام بريطاني في فلسطين. أول وزير بريطاني تبنى الصهيونية (١٩١٤). في ١٩١٥، قدّم مذكرة للحكومة البريطانية حول إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين عن طريق تحويل فلسطين إلى محمية بريطانية، وساهم في إصدار وعد بلفور. زاد في عهده (كمندوب سام بريطاني في فلسطين) عدد المستوطنات اليهودية من ٤٤ إلى ١٠٠ مستوطنة، وحصلت اكثر من انتفاضة عربية.

*** غلوب، جون باغوت Glub J.B.** (١٨٩٧-١٩٨٦): ضابط بريطاني عمل في الجيش البريطاني في العراق عام ١٩٢٠. وفي ١٩٢٦، استقال من الجيش البريطاني والتحق بقوات الصحراء العراقية ليضع حدًا للغزوات القبلية فيها، وعندما نجح في مهمته هذه، عينته الحكومة الاردنية في جيشها لقمع الغزوات البدوية كما فعل في العراق، وبقي في منصبه هذا طيلة الفترة الواقعة بين ١٩٣٠ و١٩٣٩. وفي ١٩٣٩، اختير رئيسًا لأركان حرب الجيش العربي الاردني الذي كان يعمل فيه عدد كبير من الضباط البريطانيين. وكان هذا الجيش العربي يتلقى سنويًا معونة بريطانية مالية كبيرة نسبيًا. وكان غلوب يدّعي دائمًا انه كان مواليًا ومخلصًا للقضايا العربية وانه ترك جانبًا ولاءه لبريطانيا، ولكن الدور الذي قام به في الحرب العربية-الاسرائيلية الاولى (١٩٤٨-١٩٤٩) كشفه وفضح أمره. وفي ١٩٥٦، طرده الملك حسين من الجيش الاردني، فجاء ذلك صفعة قوية لنفوذ بريطانيا وهيبتها في الشرق الاوسط. وبعد عام واحد ألغى الاردن معاهدته مع بريطانيا والتي كانت قد عُقدت في ١٩٤٨. له مؤلفات عديدة في تاريخ العرب، ومذكرات نشرها في كتاب.

*** غيتسكيل، هوغ Gaitskell, H.** (١٩٠٦-١٩٦٣): رجل دولة بريطاني وزعيم حزب العمال (من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٣). عمل استاذًا في جامعة لندن. اصبح نائبًا لحزب العمال (١٩٤٥). وزير دولة في حكومة كليمنت أتلي للشؤون الاقتصادية، ثم وزيرًا للخزانة (١٩٥٠-١٩٥١). اتهمه بعض قادة حزب العمال بمحاولة الخروج على الخط الاشتراكي للحزب، الامر الذي أدّى إلى استقالة ولسون من الوزارة وتزعزع وحدة الحزب وإلى خسارة حزب العمال الانتخابات خلال الخمسينات. انتخب خلفًا لأتلي في زعامة الحزب (١٩٥٥). وعلى الرغم من نجاح «الجناح اليساري» في إحباط محاولات غيتسكيل لالغاء الفقرة الرابعة من برنامج الحزب المتعلقة بالتأميم، فإن غيتسكيل احتفظ بزعامة الحزب حتى وفاته في ١٩٦٣.

*** فوت، مايكل Foot, M.** (١٩١٣-): سياسي بريطاني. تزعم حزب العمال من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٣ خلفًا لجيمس كالاهان. وزير الاستخدام في حكومة هارولد ويلسون (١٩٧٤). تحدر من أسرة بريطانية ميسورة. اعتنق الاشتراكية لأسباب عاطفية أكثر منها عقلانية. فقد كان انتمى في شبابه إلى حزب الاحرار، لكن عمله في إحدى شركات الملاحة اتاح امامه فرصة التعرف إلى الاوضاع المزرية لحياة عمال مدينة ليفربول، فانتمى إلى حزب العمال وجعل من نفسه لسان حال النقابات العمالية والجناح اليساري داخل الحزب. ودفاعه الدؤوب عن المضطهدين وإيمانه بالعدالة الاجتماعية اقترنا على الدوام بنزعة ليبرالية قوية. فشل في تحقيق النصر لحزبه في انتخابات حزيران ١٩٨٣ النيابية.

*** فكتوريا الاولى Victoria I** (١٨١٩-١٩٠١): ملكة بريطانيا وأيرلندا (١٨٣٧-١٩٠١)، وامبراطورة الهند (١٨٧٦-١٩٠١). حكمها أطول حكم وأكثره مهابة في تاريخ بريطانيا

العظمى: في أيامها سيطرت بريطانيا على خمس الكرة الارضية. وقد عرفت بريطانيا في عهدها الهدوء والاستقرار في الوقت الذي عصفت فيه رياح الازمات والثورات في بقية البلدان الاوروبية، ما أدّى إلى اندثار وإطاحة العديد من الانظمة والحكام.

حفيدة جورج الثالث. كانت تبدو عادية و لم يكن احد يتوقع انها ستتربع على عرش بريطانيا. عاشت طفولة قاسية بعد موت أبيها (١٨٢٠)، وما كادت تبلغ سن الرشد حتى توفي عمها غليوم الرابع (٢٠ حزيران ١٨٣٧). وارتقت العرش (١٨٣٧) دون اية تجربة في السياسة وادارة امور الدولة، وفي وقت كانت فيه هيبة الدولة في أقصى درجات الانحطاط.

تربعت فيكتوريا الاولى على العرش طيلة ٦٤ عامًا عرفت بريطانيا خلالها جميع اشكال النمو والتطور حتى اصبحت مثالاً للملكية الدستورية، وهذا ما يطلق عليه «العهد الفيكتوري».

برهنت عن صلابتها وعزيمتها وقوة بأسها وتمسكها بامتيازاتها الملكية، فأبعدت، منذ البدء امها عن التدخل في شؤون الدولة واعطت مثالاً عن استقامتها وتعلقها بمصلحة المملكة.

كانت تتابع كل ما يجري وتتدخل بجرأة وحزم في كل التعيينات التي تطال صلاحيات العرش (الجيش، الكنيسة، مجلس اللوردات...). وكذلك الامر على الصعيد الخارجي، إذ إنه كان من الصعب جدًا عدم الاخذ برأيها بعين الاعتبار أو رفضه حتى في تعيين وزير او سفير او موظف كبير رغم ان هذه الامور هي من صلاحيات رئيس الوزراء.

إن تعلق رعاياها بها لم يعوض خسارتها بموت زوجها (قريبها ألبير، ١٨١٩-١٨٦١ الذي أنجبت منه تسعة أطفال)، فاعتكفت خلال عشر سنوات لتعود بعدها وتتسلم زمام الامور. لكن السنوات الأخيرة من حكمها شهدت العديد من الازمات السياسية والاجتماعية مع صعود المنافسة على الصعيد الاقتصادي وتعقد المشكلات الاجتماعية ونمو الحركة العمالية، يضاف إلى ذلك بعض الهزائم على الصعيد الخارجي. لكن بريطانيا، عند موت فيكتوريا الاولى، بقيت في قمة مجدها، فكانت «الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس».

*** كارادون، لورد Caradon, L.** (١٩٠٧-):
اداري ودبلوماسي بريطاني. اسمه الأصلي هيوفوت. عمل في الادارة البريطانية في فلسطين. أصبح حاكمًا لجامايكا (١٩٥١-١٩٥٧)، ولقبرص (١٩٥٧-١٩٦٠). أحد الذين صاغوا القرار ٢٤٢ الشهير الصادر في تشرين الثاني ١٩٦٧ (عقب حرب ١٩٦٧ واحتلال اسرائيل لاراض عربية). وهو صاحب مواقف متأرجحة إزاء القضية الفلسطينية.

*** كارينغتون، بيتر Carrington, P.** (١٩١٩-):
سياسي بريطاني محافظ برز في الحقل الدبلوماسي. يتحدر من أسرة ارستقراطية (لورد) وتخرّج في معهد ايتون ودخل اكاديمية ساندهيرست الحربية ورقي إلى رتبة مايجور في سلاح رماة القنابل اليدوية. في ١٩٥٩، عين مندوبًا ساميًا في اوستراليا، وفي ١٩٦٩ قائدًا للبحرية، وفي ١٩٧٠ وزيرًا للدفاع، وفي ١٩٧٤ وزيرًا للطاقة. وعلى الرغم من وفائه لزعيم المحافظين ادوارد هيث، ووقوفه إلى جانبه حتى بعد ان انتهى صراعه مع نقابات عمال المناجم إلى هزيمة الحزب في انتخابات ١٩٧٤ النيابية وهزيمة هيث في الانتخابات الحزبية، فقد اختارته مارغريت تاتشر وزيرًا للخارجية في الحكومة التي شكلتها في ١٩٧٩. وفي ١٩٨٤، عيّن اللورد كارينغتون امينًا عامًا لمنظمة الحلف الأطلسي.

ينتمي كارينغتون إلى ما يمكن اعتباره الجناح

الليبرالي داخـل حـزب المحافظين. فقـد أدان بشـدة صفقات الاسلحة التي أبرمتهـا بـلاده مـع حكومـة جنوب افريقيا العنصرية. كما انه تصدّى بشجاعة، عندمـا كـان وزيـرًا للخارجيـة، للضغـوط الـتي مورست عليه من حزبه مـن اجـل رفـع العقوبـات عـن الحكـم العنصـري في روديسـيا والاعـتراف بحكومة إيان سميث. وهو مـن انصـار ربـط مصير بريطانيا بمصير اوروبا.

*** كالاهان، جيمس .Callaghan, J** (١٩١٢-): سياسـي ورجـل دولـة بريطـاني. تـرأس الحكومـة العمالية (١٩٧٦-١٩٧٩).
ولد في أسرة وضيعة، واضطر علـى العمـل وهـو لا يزال في السـابعة عشـرة، فلـم يدخـل إلى الجامعة. انتمى إلى حزب العمال (١٩٣١) ونشط في الحقل النقابي. في ١٩٦٩، عارض بشدة المشـروع الـذي كانت قد تقدمت به برباره كاسل، وزيـرة العمـل في حكومة ويلسون، والرامي إلى اضعـاف سـلطة النقابات وفرض قيود على حق الاضراب.
في ١٩٤٧، وزيـر المواصـلات. بـين ١٩٦٤ و١٩٧٦، شغل بالتناوب ثـلاث وزارات أساسية: وزير المالية حيث واجه مشكلة انخفاض قيمة الجنيه الاسترليني؛ فرغم انه كان قد تابع خصيصًا دروسًا في الاقتصاد في جامعة أوكسـفورد، كيمـا يتمكـن من النهوض باعباء منصبـه الـوزاري الجديـد، فقـد فاته ادراك ضرورة اللجوء إلى تخفيض قيمـة العملـة الوطنية، وتمسك باصرار بقيمة الجنيه إلى ان فـرض التخفيض نفسه عليـه مما أضّر بسـمعته في حسـن تسيير شؤون المال. عين بعد ذلك وزيرًا للداخليـة، فطلب التصويت على مشروع قـانون يحـد مـن هجرة عمـال الكومنولـث الملونـين باتجـاه انكلـترا. ومـن الداخليـة، انتقـل إلى الخارجيـة حيـث نظّـم الاستفتاء على دخـول بريطانيـا السـوق الاوروبيـة المشتركة.
في ١٩٧٦، أصبـح رئيسًـا للـوزراء خلفًـا لهـارولد ويلسون الذي قدّم استقالته بصورة مفاجئـة. تـألق نجمه على مدى عامين ثـم بـدأ يخبـو بـالتدريج ولا سيما بعد تنظيمه استفتاءين حول نقل الصلاحيات إلى اسـكوتلندا ومقاطعـة ويلـز، جـاءت نتائجهمـا سلبية. وبعد دخوله في نزاع مع النقابـات العماليـة التي رفضت تحديد زيادة الاجـور بنسبة ٥٪ كمـا كـان قـد اقـترح. اسـتقال مـن منصبـه كرئيـس للحكومـة بعـد هزيمته الانتخابيـة امـام مـارغريت تاتشـر في آذار ١٩٧٩، ثـم اسـتقال مـن زعامـة حزب العمال في اواخر ١٩٨٠.

*** كـامبل-بالرمـان، هـنري -Campbell .Bannerman, H** (١٨٣٦-١٩٠٨): سياسـي ورجل دولة بريطاني. ابن عائلة عريقـة. انضـم إلى حـزب الاحـرار واصبـح، في ١٨٨٦، وزيـرًا للحربيـة، وفي ١٨٩٨ زعيمًـا لحـزب الاحـرار. عـارض حـرب البويـر وطـالب بادخـال بعـض الاصلاحـات. رئيـس الـوزراء في اواخـر ١٩٠٥، واستقال في ١٩٠٨ لأسباب صحيـة. ورد إسمـه في بعض الكتب التي أرّخت الحركـة الصهيونيـة علـى انه أولى فلسطين اهتمامًا استعماريًا وأيّـد المشـروع الصهيونـي انطلاقًـا مـن المصـالح الاسـتعمارية البريطانية. إلا ان هذه الكتب لم تستند إلى مصـادر ثابتـة وان كـان الامـر منطقيًـا في سياق السياسـة البريطانية العامة، وبالنسبة إلى موقعه الشـخصي في قيادتها في مطلع القرن العشرين.

*** كاينز، جون ماينارد .Keynes, J.M** (١٨٨٣-١٩٤٦): اقتصـادي بريطـاني. تخـرج في جامعـة كمـبريدج. عمـل، علـى مـدى عـامين، موظفًـا في المالية في الهند، ثـم عـين، في ١٩١٥، مستشـارًا في وزارة الماليـة البريطانيـة. شـارك، في ١٩١٩، في مؤتمر السلام في باريس، بيد انه تخلـى بسـرعة عـن هذه المهمة، ليكتب دراسة حول النتائج الاقتصادية للسـلم منتقـدًا فيهـا الأعبـاء الباهظـة الـتي فرضتهـا

معاهدة فرساي على اقتصاد المانيا. عارض سياسة الانكماش النقدي التي انتهجتها الحكومة البريطانية في مرحلة ما بعد الحرب، وعن عدم رضاه عن النظريات الاقتصادية والمالية التقليدية. وبات يعتبر، بعد ان اصبح عضوًا في اللجنة الحكومية للشؤون المالية والصناعية، ابرز ناقد اقتصادي ومالي في عصره. وعرض كاينز طروحاته في «الصحيفة الاقتصادية» التي أشرف على ادارتها، وكذلك في مؤلفاته العديدة. وفي ابان الحرب العالمية الثانية، عُيّن حاكمًا لمصرف انكلترا، وقد مثل بلاده في محادثات بريتون وودز (١٩٤٤) حيث قدم خطة لنظام نقدي عالمي جديد باتت تعرف ب«خطة كاينز». وقد اقترح إنشاء مصرف دولي يضطلع، على صعيد عالمي، بالدور الذي تضطلع به المصارف المركزية على صعيد قومي، وعملة دولية دعاها «بانكور». وقد كان لكاينز أثره الكبير على الاقتصاديين، وثمة مدرسة اقتصادية اليوم تعرف ب«الكاينزية».

*** كرومر، اللورد Cromer, L.** (١٨٤١-١٩١٧): إسمه إيفلن بارنغ كرومر. سياسي بريطاني ومعتمد بمصر من ١٨٨٣ إلى ١٩٠٧. ضابط في الجيش البريطاني في ١٨٥٨. سكرتير خاص لحاكم الهند البريطاني من ١٨٧٢ إلى ١٨٧٦. وفي هذه السنة، جاء إلى مصر مندوبًا لصندوق الدين الذي يضمن حقوق الدائنين الاجانب. وزير مالية الهند من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٣. وفي ١٨٨٣، عاد إلى مصر بعد الاحتلال معتمدًا (قنصلاً عامًا) بريطانيًا، وصار الحاكم الفعلي حيث وطّد تبعية مصر السياسية والاقتصادية لبلاده. كان على كفاية مالية وادارية كبيرة فاعتنى بتنظيم الجهاز الاداري وموارد الدولة ومسائل الري. عيّن مستشارين انكليز في الوزارات المصرية ليكونوا جهازه للسيطرة على الادارة المصرية بما يبدونه من «نصائح ملزمة». سلب الخديوي أهم صلاحياته وألغى النظام النيابي. وضع سياسة للتعليم هدفها تخريج الموظفين. ومع نمو الحركة الوطنية المصرية في بداية القرن العشرين، وازدياد السخط على سياسته، خاصة بعد حادث دنشواي في ١٩٠٦، سحبته حكومته وعيّنت معتمدًا آخر يتبع سياسة احتواء الخديوي من جهة والحركة الوطنية المصرية من جهة ثانية. في ١٩١٧، عينته حكومته رئيسًا للجنة تبحث اسباب فشل حملة الدردنيل.

*** كوكس، بيرسي زكريا Cox, P.Z.** (١٨٦٤-١٩٢٤): عسكري واداري استعماري بريطاني. شغل منصب قنصل ومعتمد سياسي لبريطانيا في مسقط (١٨٩٩-١٩٠٤). عين أثناء الحرب العالمية الاولى ضابطًا سياسيًا ورئيسًا للقوة البريطانية-الهندية الاستكشافية طيلة الحرب وشغل منصب المندوب السامي البريطاني في العراق ١٩٢٠-١٩٢٣ حيث حارب التطلعات الوطنية والاستقلالية، وأشرف على تثبيت دعائم سيطرة بريطانيا على مقدرات العراق والحياة السياسية فيها في تلك الفترة التأسيسية من تاريخ العراق الحديث.

*** كيتشنر، هربرت-اللورد- Kitchener, H.** (١٨٥٠-١٩١٦): قائد عسكري وسياسي بريطاني، ومعتمد بريطانيا في مصر من ١٩١١ إلى ١٩١٤. تلقى علومه في الكلية الحربية في وولويتش، ثم ألحق ببعثة سلاح المهندسين البريطاني في ١٨٧١، وأعيد للعمل في مؤسسة بريطانية مختصة بالدراسات الفلسطينية. أوفد إلى قبرص في ١٨٧٨. اشتغل في الجيش المصري في ١٨٨٣ عقب الاحتلال الانكليزي، ثم عين حاكمًا لشرق السودان من ١٨٨٦ إلى ١٨٨٨. عين سردارًا (قائدًا) للجيش المصري في ١٨٩٢ في السنة التي عين فيها عباس حلمي الثاني خديويًا، واصطدم بالخديوي واجبره على الاعتذار له علنًا في ١٨٩٤. قاد حملة اعادة فتح السودان في ١٨٩٦،

ولما حقق الانتصار على القوات المهدية في معركة ام درمان الحاسمة (١٨٩٨)، عين حاكمًا عامً على السودان «المصري البريطاني». قاد الحملة البريطانية في حرب البوير في جنوب افريقيا من ١٨٩٩ إلى ١٩٠٢ حيث ارتكب الفظائع قتلاً وحرقًا. عين قائدًا للقوات البريطانية في الهند من ١٩٠٤ إلى ١٩٠٩. عين معتمدًا لبريطانيا في مصر بعد وفاة ألدون غورست في ١٩١١. عدل عن سياسة الوفاق مع الخديوي التي انتهجها سلفه، واستعاد سياسة كرومر المتشددة. مع بداية الحرب الاولى (١٩١٤) ترك مصر لتعيينه وزير حرب في بلاده. مات (١٩١٦) غريقًا في طرّادة بريطانية كانت في طريقها إلى روسيا.

*** كيلرن – اللورد – Kelrin** (١٨٨٠-١٩٦٤): مايلز لامبسون كيلرن. معتمد (مندوب سام) وسفير بريطانيا في مصر (١٩٣٤-١٩٤٦). عمل في وزارة الخارجية البريطانية (١٩٠٣)، وفي اليابان (١٩٠٦-١٩١٠)، وفي صوفيا (١٩١١)، وبكين (١٩١٦). عمل مندوبًا ساميًا في سيبيريا (١٩٢٠)، ثم وزيرًا مفوضًا في الصين (١٩٢٦-١٩٣٣). جاء مصر مندوبًا ساميًا فيها (١٩٣٤-١٩٣٦)، ولعب دورًا مهمًا في صياغة توازن سياسي بين الملك وحزب الوفد حيث تمكن من ابرام معاهدة ١٩٣٦ مع وفد مفاوضة مصري شاركت فيه معظم الاحزاب وفي مقدمتها حزب الوفد. صار سفيرًا لبلاده في مصر بموجب تلك المعاهدة (١٩٣٦) متمتعًا، في الواقع، بسلطات المندوب السامي. كان هو صاحب حادث «٤ فبراير» (راجع «مصر» في موقعها في الموسوعة)، إذ أرغم الملك فاروق على قبول وزارة وفدية بسبب ما لاحظه من ميل الملك إلى المانيا وغيرها من دول المحور المعادية للانكليز في الحرب العالمية الثانية. وكان لهذا الحادث تأثير ضخم في السياسة المصرية واتجاهاتها بعد الحرب الثانية. منح لقب لورد في تلك الاثناء. نقل من مصر (في ١٩٤٦) لما شرعت بريطانيا في تحسين علاقاتها بالملك فاروق توحيدًا لجهودها ضد الحركة الوطنية والشعبية بعد الحرب.

*** كينوك، نيل Kinnock, N.** (١٩٤٢-): سياسي بريطاني وزعيم حزب العمال (انتخب في ٢ تشرين الاول ١٩٨٣). خطيب ومتحدث لبق ودمث الاخلاق.
ولد في شيفيلد في عائلة عمالية فقيرة، من أصل اسكوتلندي حيث كان والده يعمل في منجم ووالدته ممرضة. انضم إلى حزب العمال (١٩٥٧). درس في جامعة كارديف وحصل على دبلوم في العلاقات الصناعية، وعمل مدرسًا في منطقته عدة سنوات.
نائب عن إحدى دوائر بيرمنغهام (١٩٧٠) لمدة ١٥ عامًا. سكرتير دولة في وزارة الخارجية، ثم وزير الاسعار والاستهلاك (١٩٧٤-١٩٧٥) (راجع «سميث، جون» في هذا الباب «زعماء ورجال دولة»).

*** لورانس (العرب)، توماس إدوارد Lawrence, T.E.** (١٨٨٨-١٩٣٥): مغامر سياسي استعماري بريطاني عُرف ب«لورانس العرب». درس التاريخ والآثار في جامعة أوكسفورد، وانضم إلى بعثة الآثار في بلاد ما بين النهرين (١٩١١). التحق بالمخابرات التابعة للجيش البريطاني في أثناء الحرب العالمية الاولى في مصر، ثم انضم (١٩١٦) إلى القوات العربية المحاربة ضد الدولة العثمانية بقيادة فيصل الاول ابن الشريف حسين، ولعب دورًا مهمًا في تلك الثورة. قطع الخط الحديدي الواصل بين المدينة ودمشق وقاد الجيش العربي إلى احتلال ميناء العقبة. ودخل مع الجيش العربي دمشق (١٩١٨) قبل ان يدخلها الجنرال اللنبي. رافق فيصل إلى مؤتمر السلام في

فرساي. بعد فشل المؤتمر ونكث بريطانيا وعودها للعرب، رجع إلى بريطانيا وانضم إلى القوات الجوية باسم مستعار (روس)، وفي الوقت نفسه، غيّر إسمه إلى ت.أ. شو. اشتهر باسم «لورانس العرب» خاصة بعد نشره مذكراته عن حرب الصحراء «ثورة في الصحراء» (١٩٢٧)، و«أعمدة الحكمة السبعة» وهو كتاب ذو «أهمية دلالية على تركيبه النفسي غير السويّ». ويصف في كتابه الثالث «دار سك النقود» حياته وهو في القوات الجوية. ترجم الأوديسا إلى اللغة الانكليزية. مات بحادث اصطدام أثناء قيادته درّاجته النارية.
موضوع إخلاصه للقضايا العربية (والاخلاص هذا كثيرًا ما كان هو يحب ان يظهره ويعلنه ويكتب عنه) كثيرون من الدارسين يثيرون حوله الشكوك؛ لكن الاسناد الدافع له لم يتوافر بعد.

* **لويد جورج، دافيد Lloyd Georges, D.** (١٨٦٣-١٩٤٥): سياسي ورجل دولة بريطاني. ولد في عائلة فقيرة من مقاطعة ويلز. نائب لمدة ٥٤ عامًا متواصلاً عن دائرته الانتخابية. عارض بشدّة حرب البوير في جنوب افريقيا. وزير التجارة (١٩٠٦)، والخزانة (١٩٠٨) حيث قدّم ميزانية احدثت هزة سياسية عنيفة لاحتوائها على اصلاحات ومبادىء جذرية مثل تأمين العمال ضد البطالة والمرض والشيخوخة ورفع الضرائب عن الايرادات غير المكتسبة، فثار عليه المحافظون ورجال المال ووقفوا ضده. فرفضت ميزانيته. وزير الذخيرة (١٩١٥) ووزير الحرب (١٩١٦) بعد وفاة اللورد كيتشنر. ألّف وزارة ائتلافية (١٩١٦) قادت بريطانيا نحو النصر في الحرب. أيّد الصهيونية وحقق الأطماع البريطانية في مؤتمر فرساي وعقد معاهدة مع أيرلندا منحت بموجبها استقلالاً ذاتيًا (١٩٢١) فثارت عليه ثائرة المحافظين مرة ثانية وأسقطوا وزارته، إلا انه بقي عضوًا في مجلس العموم حتى قبيل وفاته. كان معارضًا لسياسة اللين التي انتهجها تشمبرلين مع هتلر قبل نشوب الحرب العالمية الثانية والتي مُنح هتلر بموجبها اراضي واسعة من تشيكوسلوفاكيا. منح لقب «إيرل» في عام ١٩٤٥.

* **ليدل هارت، باسيل هنري Liddell Hart, B.** (١٨٩٥-١٩٧٠): مفكر عسكري واستراتيجي بريطاني. ولد في لندن، وتعلم في كامبردج، واشترك في الحرب العالمية الاولى. اهتم بالحرب الميكانيكية، وشرح اساليبها، وتبنتها وزارة الحربية البريطانية. وتأثر بنظرياته العسكرية (خارج بريطانيا) قادة كثيرون، أبرزهم غوديريان، وروميل، وفون سيكت (ألمانيا)، وديغول (فرنسا)، وتوختشفكي (الاتحاد السوفياتي)، وإيغال يادين، وإيغال آلون، واسحق رابين (اسرائيل).
والواقع ان تأثير افكار ليدل هارت على القادة الاسرائيليين لم يكن مرجعه كتاباته فقط، وانما كان لاتصالات القادة الصهيونيين المباشرة به أثناء الثورة الفلسطينية في ١٩٣٦-١٩٣٩، وحماسه في تأييد الحركة الصهيونية ومساندة جهودها العسكرية المشتركة مع القوات البريطانية. روى ليدل هارت في مذكراته (١٩٦٥) تفاصيل لقاءاته مع قادة الحركة الصهيونية ومع ضابط الاستخبارات البريطاني «أورد وينجت» الذي نظّم وحدات خاصة من الهاغاناه سميت «الفرق الليلية الخاصة» كانت تشن غارات وتنصب كمائن للمقاتلين الفلسطينيين، وعن تقديمه إياه لتشرشل وإيدن حتى يعاوناه في جهوده هذه. وقد استمر ليدل هارت على موقفه المؤيد للصهيونية ولاسرائيل بعد نشأتها في ١٩٤٨، وكتب الكثير من التعليقات في مقالاته وكتبه حول الجيش الاسرائيلي وكفاءته وتطبيقه لاستراتيجية التقرب غير المباشر: نشر مقالاً عقب حرب ١٩٦٧ بعنوان «استراتيجية حرب» أوضح فيه كيفية تطبيق هذا

الجيش لهذه الاستراتيجية خلال حرب ١٩٦٧ معتبرًا اياه أفضل تطبيق لها ولمبادىء الحرب الخاطفة. وفي ١١ آب ١٩٦٧، كتب مقالاً حول قناعته بضرورة استمرار احتلال اسرائيل للاراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ لضمان أمنها مستقبلاً.
ورغم شيوع افكار ليدل هارت العسكرية وتأثيرها على قادة كثيرين خارج بريطانيا، فإن القادة العسكريين البريطانيين رفضوها بشدة، الأمر الذي كان له آثاره السلبية على تطور القوات المدرعة البريطانية من حيث التنظيم والتكتيك.

*** ماكدونالد، جيمس رامزي Macdonald, J.R.** (١٨٦٦-١٩٣٧): سياسي ورجل دولة بريطاني.
أول رئيس حكومة عمالية في بريطانيا (١٩٢٤)، لكنه تراجع عن مبادىء حزب العمال الاشتراكية في ١٩٣١. كان انتسب إلى حزب العمال المستقل في ١٨٩٤، ثم ساهم في تأسيس حزب العمال في ١٩٠٠، وقاد هذا الحزب في مجلس العموم البريطاني منذ ١٩١١ حتى ١٩١٤ حين اضطر إلى التخلي عن هذه القيادة بسبب معارضته لاشتراك بريطانيا في الحرب العالمية الاولى. وبعد انتهاء الحرب، عارض ايضًا التدخل البريطاني في الحرب الأهلية الروسية. وأثناء فترة رئاسته للوزراء، اعترفت بريطانيا رسميًا بالاتحاد السوفياتي. واتهم بخيانة الحزب عندما شكّل حكومته (١٩٣١) بأغلبية من حزب المحافظين. استقال من جميع مناصبه السياسية والرسمية في ١٩٣٥.

*** ماكميلان، هارولد Mac Millan, H.** (١٨٩٤-١٩٨٦): سياسي ورجل دولة بريطاني.
رئيس حكومة المحافظين (١٩٥٧-١٩٦٣). انتخب نائبًا للمرة الاولى (عن حزب المحافظين) في ١٩٢٤. وزير المال (١٩٥٥) في حكومة انطوني إيدن. دخل مجلس العموم في ١٩٨٢. وفي ١٩٨٤، دخل مجلس اللوردات بعد ان منح لقب الكونت ستوكتون.

*** موزلي، أوزوالد (سير) Mosley, O.** (١٨٩٦-١٩٨٠): سياسي بريطاني ومؤسس حزب اتحاد الفاشيين البريطاني (B.V.F.).
ولد في أسرة ارستقراطية. انضم في شبابه إلى حزب المحافظين وانتخب نائبًا عنه في ١٩١٨، أعيد انتخابه في ١٩٢٢ لكن بصفته مرشحًا مستقلاً. تعاون مع حزب الاحرار، ثم أعلن عن انتمائه إلى حزب العمال، فاعتبر من أبرز منظّريه وأكثرهم دينامية. دخل حكومة ماكدونالد الثانية (١٩٢٩)، فتولى حقيبة ميزانية لانكستر. استقال من الحكم لمعارضته السياسة الاقتصادية.
في ١٩٣٢، سافر إلى ايطاليا، واضطلع عن كثب على تجربة موسوليني. ولدى عودته إلى انكلترا أسّس «اتحاد الفاشيين البريطاني»، وألحقه بتنظيم عسكري على غرار الميليشيا الفاشية الايطالية. عارض بشدة دخول بريطانيا الحرب إلى جانب الحلفاء ضد دول المحور، واعتقل في ١٩٤٠ في أعقاب معركة دنكرك. أطلق سراحه في ١٩٤٣، فحاول إعادة بناء حزبه، غير انه لم يفلح. هاجر إلى فرنسا في ١٩٥٢ وظل مقيمًا فيها حتى وفاته في كانون الاول ١٩٨٠.

*** مونتباتن، لويس (لورد) Mountbatten, L.** (١٩٠٠-١٩٧٩): اميرال ودبلوماسي بريطاني وآخر حاكم بريطاني للهند.
ولد في أسرة ارستقراطية تمت بصلة قربى بالسلالة الملكية الحاكمة: أمه حفيدة الملكة فكتوريا؛ أما والده الامير لويس دو باتنبرغ، فقد كان من أصل ألماني. ومع ان والده كان يحمل الجنسية البريطانية، فقد اضطر إبان الحرب العالمية الاولى، وتحت ضغط الرأي العام، إلى التخلي عن منصبه كقائد للبحرية. وقد كان لهذه الحادثة وقعها الأليم في

نفس لويس الشاب الذي لم يغفر لبلده ولمواطنيه ما اعتبره اجحافًا بحق والده.
التحق بالبحرية بدوره، وهو لا يزال في السادسة عشرة، وظل يصعد سلّم الرتب بشجاعة ومثابرة إلى ان ظفر (في ١٩٥٥) بالمنصب الذي شغله والده من قبله: القائد العام للبحرية الملكية البريطانية.

في ١٩٣٩، تولى اللورد مونتباتن قيادة المدمّرة البريطانية «كيلّي»، وقد غرقت هذه المدمّرة بالقرب من شواطىء جزيرة كريت اليونانية في ١٩٤١ بعد ان اصابها الطيران الالماني. وقد بقي مونتباتن على ظهر المدمّرة إلى ان غادرها آخر بحّار، وعندما نزل منها رفض ان يبارح المكان قبل ان يؤدي التحية إلى السفينة الغارقة. وقد اعتبر سلوكه ضربًا من البطولة فأسندت إليه قيادة حاملة طائرات. وفي ١٩٤١، اختاره تشرشل لقيادة العمليات المشتركة.

في اواخر ١٩٤٣، عين قائدًا أعلى لقوات الحلفاء في جنوب شرقي آسيا، فتمكن من اعادة احتلال بورما. وقد لُقّب مذّاك «بطل بورما». ونتيجة احتكاكه بهذه المنطقة المضطربة من آسيا، أدرك ان الحركات الوطنية فيها قد غدت تشكل مدّاً يستحيل مقاومته، فانتهج سياسة جديدة ترمي إلى احتذاب العناصر الوطنية؛ وقد طبقّها في بورما، ثم في سنغافورة، وأخيرًا في الهند حيث عيّنه أتلي حاكمًا عليها في ١٩٤٧. وقد اختلف المؤرخون في تقييمهم للدور الذي اضطلع به في الهند؛ بعضهم امتدحه زاعمًا انه كان إيجابيًا بالنسبة إلى قضية استقلال هذا البلد، وبعضهم الآخر حمّله مسؤولية المجازر الرهيبة التي حصلت بين الهندوس والمسلمين والتي رافقت مسيرة الاستقلال.
بعد مغادرته الهند، عاد إلى سلاح البحرية، فتسلّم قيادة القوات البحرية البريطانية في البحر المتوسط، ثم قيادة قوات الحلف الأطلسي. وفي ١٩٥٥، أصبح القائد العام للبحرية الملكية البريطانية. ومن ١٩٥٩ إلى ١٩٦٥ تولى قيادة أركان الدفاع العامة ورئاسة لجنة قادة الاركان.
اغتيل اللورد مونتباتن في ١٩٧٩ على ظهر سفينة صيد، فيما كان يقوم برحلة بحرية؛ وقد حُمّل الأيرلنديون المتطرفون مسؤولية اغتياله.

*** مونتغومري، برنارد (لورد) Montgomery, B.** (١٨٨٧-١٩٧٥): قائد عسكري بريطاني. التحق بالجيش في ١٩٠٨. قاد فرقة المشاة الثالثة في فرنسا (١٩٣٩-١٩٤٠) إلى ان انسحبت الحملة البريطانية من فرنسا امام القوات الالمانية. نال شهرة واسعة بعد توليه قيادة الجيش البريطاني الثامن في ١٩٤٢ في شمال افريقيا حيث حقق انتصارًا كبيرًا وحاسمًا على القائد الألماني رومل في معركة العلمين. تولى بعد ذلك قيادة القوات البرية المتحدة (قوات الحلفاء) التي انتصرت في معركة النورماندي، وتعتبر من المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية. وتولى قيادة القوات البريطانية في ألمانيا بعد الحرب مباشرة (١٩٤٥-١٩٤٦)، ثم اصبح رئيسًا لهيئة اركان الحرب البريطانية (١٩٤٦-١٩٤٩)، ونائبًا للقائد الاعلى لقوات حلف الأطلسي من ١٩٥١ إلى ١٩٥٨. كتب مذكراته عن الحرب العالمية الثانية ونشرها باسمه.

*** ميجور، جون Major, J.** (١٩٤٣-): سياسي ورئيس وزراء بريطاني. ولد في عائلة أقرب إلى الفقر منها إلى الوسط. ترك المدرسة في سن السادسة عشرة. فعانى البطالة وفشل في امتحان تقدم إليه ليصير جابيًا لأسعار تذاكر البص، ثم استقر موظفًا صغيرًا في بنك تجاري. وعن طريق انتمائه إلى حزب المحافظين، فاز بمقعده النيابي الاول عن دائرة هانتغدون، شمال لندن. لكن صعوده بدأ يتسارع مع وصول تاتشر إلى رئاسة الحكومة في ١٩٧٩، خصوصًا منذ ١٩٨٩ حين

تولى وزارة الخارجية، وبعدها بأشهر ثلاثة (وعلى أثر استقالة نيجل لوسن) وزارة الخزانة حيث برهن على تبعيته الحادة لرئيسة الوزراء مارغريت تاتشر، فأبقى نسب الفائدة مرتفعة للحدّ من التضخم، فيما عمل على خفض الانفاق. لكنه ايضًا، أشرف على ادخال بريطانيا النظام النقدي الاوروبي، أي ربط عمليًا الجنيه الاسترليني بحركة يتحكم بها الدويتشمارك الالماني.
رئيس الوزراء (حلفًا لتاتشر) منذ ١٩٩١. في حزيران ١٩٩٥، استقال من زعامة المحافظين، لينتخب من جديد زعيمًا للحزب في ٤ تموز ١٩٩٥.

*** هاليفاكس، أروين (لورد) .Halifax, E** (١٨٨١-١٩٥٩): سياسي بريطاني. مُنح لقب فيكونت في ١٩٤٣، وكان يعرف قبل ذلك باسم لورد أروين. مثل حزب المحافظين في مجلس العموم (١٩١٠)، اشترك في الحرب العالمية الاولى. وزير التربية (١٩٢٢)، ثم الزراعة (١٩٢٤). عُين نائبًا للملك في الهند (باسم لورد أروين) في ١٩٢٨، ثم عاد وزيرًا للتربية (١٩٣٢). تردّد إسمه قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية بمقابلته هتلر (١٩٣٧) لتسوية مسائل الخلاف بين المانيا وبريطانيا وديًا. وزير الخارجية خلفًا لإيدن (١٩٣٨)، ثم عاد إيدن وخلفه في ١٩٤٠. سفير في واشنطن حتى نهاية الحرب (١٩٤٦).

*** هايندمن، هنري ميرز** (١٨٤٢-١٩٢١): سياسي اشتراكي بريطاني. نادى في بدء حياته بمبادىء كارل ماركس. أسس في ١٩١١ الحزب الاشتراكي البريطاني الذي تشتت صفوفه خلال الحرب العالمية الاولى. شن حملات متواصلة على سياسة الحكومة البريطانية الاستعمارية بالهند. ألّف عدة كتب في المبادىء الاشتراكية، أهمها «إقتصاديات الاشتراكية» (١٩٠٢).

*** هندرسون، آرثر** (١٨٦٣-١٩٣٥): سياسي بريطاني. عضو في مجلس العموم لأول مرة (١٩٠٣). اشترك في حكومتي اسكويت ولويد جورج الائتلافيتين (١٩١٥-١٩١٨)، ثم استقال وانضم إلى المعارضة. وزير داخلية في أول وزارة للعمال (برئاسة ماكدونالد-١٩٢٤)، ثم وزارة العمال الثانية (١٩٢٩-١٩٣١). تزعم حزب العمال في مجلس العموم (١٩٣٣-١٩٣٥). تولى رئاسة المؤتمر الدولي لنزع السلاح (١٩٣٢-١٩٣٣)؛ ومنح جائزة نوبل للسلام في ١٩٣٤. ارتبط اسمه بالمفاوضات البريطانية-المصرية، فعرفت الاولى بمفاوضات هندرسون-محمد محمود (بدأت صيف ١٩٢٩)، والثانية بمفاوضات هندرسون-النحاس (لندن، نيسان-ايار ١٩٣٠) وفشلت بسبب مسألة السودان.

*** هيث، إدوارد .Heath, E** (١٩١٦-): سياسي بريطاني وزعيم حزب المحافظين. تخرج في جامعة أوكسفورد حيث انتخب (وهو طالب) رئيسًا لاتحاد المحافظين. اشترك في الحرب العالمية الثانية، وخدم في فرنسا وبلجيكا وهولندا والمانيا ومنح، في نهايتها، رتبة مقدّم في سلاح المدفعية. انتخب عضوًا في مجلس العموم (١٩٥٠). وزير العمل (١٩٥٩). انتخب زعيمًا لحزب المحافظين في المعارضة بعد تنحي ماكميلان الرئيس السابق للحزب والحكومة (١٩٦٥). رئيس الحكومة في ١٩٧٠.

*** هيرد، دوغلاس ريتشارد .Heard, D.R** (١٩٣٠-): سياسي ورجل دولة بريطاني. درس في جامعة ترينتي. التحق بالسلك الدبلوماسي في ١٩٥٢، وأُرسل إلى بيكين. عمل في البعثة البريطانية في الامم المتحدة. تقلّد عدة مناصب دبلوماسية. وعمل ناطقًا عن الشؤون الاوروبية لأحزاب المعارضة. وزير الداخلية (١٩٨٢-

١٩٨٤)، ثم وزير دولة للشؤون الخارجية. ثم وزير الخارجية.

بالنسبة إلى سياسته العربية، ارتبط إسم ريتشارد هيرد بقوة باسم وزير الخارجية البريطاني السير انتوني إيدن، من خلال تشابه سياستيهما العربية. ففي ١٩٤١، صدر عن إيدن تصريح يؤيد فيه «التطلعات العربية نحو الوحدة»، وعرف ذلك التصريح ب«اعلان مانشيون هاوس» (نسبة إلى إسم المبنى الذي صدر فيه). واليوم، بعد اكثر من نصف قرن، عاد هيرد وأعلن في قاعة «بانكويتنغ هاوس»، وبمناسبة الاحتفال باليوبيل الذهبي للجامعة العربية وبحضور أمينها العام: «إن عدم توحد العرب لا يساعد إلا أعداء العرب وقوى عدم الاستقرار... إن امام بلادي بريطانيا مسؤولية خاصة إزاء العرب بسبب الماضي والحاضر... واصلوا، أيها العرب، تزويدنا بنصائحكم ولا تنسوا تذكيرنا وتقديم تصوركم وما تتوقعونه منا. عاملونا كأصدقاء اعزاء وقوم يتمنون لمصلحتهم ومصلحتكم معًا نظامًا جديدًا وعادلاً وسلامًا في الشرق الاوسط. فإن فعلتم فإننا سوف نستجيب، ونواصل دعمنا بكل طاقاتنا لنجاح جامعتكم والامة العربية».

*** هيوم، الكسندر .Hume, A** (١٩٠٣-): سياسي بريطاني. ولد في أسرة اسكوتلندية قديمة. كان يعرف باسم لورد هيوم قبل ان يرث لقب «إيرل» عن والده تشارلز أرشيبولد دوغلاس هيوم في ١٩٥١. عضو مجلس العموم (١٩٣١) عن حزب المحافظين. عمل سكرتيرًا خاصًا للسير أوستن تشمبرلين الذي تولى رئاسة الوزارة الائتلافية في ١٩٣٧، وحضر معه مؤتمر ميونخ في صيف ١٩٣٨. فقد مقعده في مجلس العموم لأول مرة في انتخابات تموز ١٩٤٥ التي جاءت بوزارة العمال بعد الحرب. أعيد انتخابه في ١٩٥٠. انتقل إلى مجلس اللوردات على أثر وفاة والده (١٩٥١). وزير شؤون الكومنولث في وزارة إيدن (١٩٥٥)، ثم في وزارة ماكميلان التي خلفتها. وزير الخارجية (١٩٦٠). رئيس الحكومة خلفًا لماكميلان الذي استقال في ١٨ تشرين الاول ١٩٦٣، واستمر في الحكم حتى ١٦ تشرين الاول ١٩٦٤، أي حتى فوز حزب العمال وتشكيل وزارة برئاسة هارولد ويلسون. تزعم المعارضة حتى تموز ١٩٦٥.

*** ويستن، جون** (١٩٣٩-): دبلوماسي وسياسي بريطاني. خرّيج جامعة أوكسفورد. ضابط في كوماندوس مشاة البحرية البريطانية. أرسل إلى الصين بعد وقت قصير من انضمامه إلى وزارة الخارجية عندما كانت «الثورة الثقافية» تجتاح الصين؛ واشعل الحرس الأحمر النيران في السفارة البريطانية في بكين واحتجزوا جون وزوجته سالي كرهائن مدة ١٨ شهرًا. وفي ١٩٧٤، نقل إلى المكتب الخاص لوزير الخارجية، وهي وظيفة لا ينالها إلا الذين يعتبرون من الدبلوماسيين الواعدين. وعمل مع وزيري الخارجية العماليين جيمس كالاهان وانطوني كروسلاند. ثم أرسل إلى واشنطن قبل ان يصبح في ١٩٨٥ الوزير المفوض في السفارة البريطانية في باريس وكان من بين مهماته الرئيسية بعد ذلك تمثيل بريطانيا في المفاوضات التي أدت إلى الوحدة الالمانية. عمل سفيرًا لبريطانيا في الحلف الاطلسي، فاكتسب خبرة واسعة في مشاكل التنسيق بين اهداف واساليب الامم المتحدة وقوة الحماية الدولية في يوغوسلافيا من جهة، وحلف الأطلسي الذي يفترض ان يوفر لها الدعم الجوي من الجهة الثانية. فاعطته السنوات الاربع التي قضاها في بروكسيل خبرة غنية في التعامل مع الاوجه العسكرية والدبلوماسية والسياسية للازمة اليوغوسلافية. في تموز ١٩٩٥، عين رئيسًا للبعثة البريطانية في مجلس الامن. عضو مجلس العموم البريطاني عن حزب المحافظين، سيريل تاونسند، قال فيه: «في الثالث

من تموز ١٩٩٥، تكلم جون ويستن في اجتماع انعقد برئاستي في مبنى مجلس العموم نظمته اللجان البرلمانية المساندة للامم المتحدة، واثار اعجابنا بمعرفته الدقيقة بالقضايا المتنوعة الحالية التي سيواجهها في منصبه الجديد، قضايا مثل عملية السلام في الشرق الاوسط والموقف من العراق وليبيا ومنظمة اليونسكو وتطوير الامم المتحدة والسيطرة على النمو السكاني والعملية الكبرى المطلوبة لازالة الألغام الارضية في الكثير من مناطق الصراع في العالم» («الحياة»، العدد ١١٨٦٣، تاريخ ١٥ آب ١٩٩٥، ص ١٧).

* **ويلسون، هارولد .Wilson, H** (١٩١٦-١٩٩٥): سياسي ورجل دولة بريطاني. زعيم حزب العمال ورئيس وزراء.
بدأ حياته السياسية كنائب عمالي (١٩٤٥)، ليصبح بعد عامين وزيرًا للتجارة. استقال عام ١٩٥١ احتجاجًا على السياسة المالية لحزبه. ثم اصبح وزيرًا للمالية والشوون الخارجية في حكومة الظل. نافس غيتسكل على رئاسة الحزب (١٩٦٠)، وبعد ثلاثة اعوام (١٩٦٣)، خلفه في رئاسة الحزب. كسب انتخابات ١٩٦٤ وأصبح رئيسًا للوزراء. واجه الازمة الاقتصادية في الداخل ومشكلة دخول السوق الاوروبية المشتركة واستقلال روديسيا عن بريطانيا. وقد أدّت الازمة الاقتصادية المستمرة إلى خسارة حزب العمال لانتخابات ١٩٧٠. إلا ان ويلسون استطاع ان يعود بحزبه إلى الحكم بعد الازمة التي نشبت بين نقابات العمال وحكومة هيث المحافظة في ١٩٧٤، كما ادار معركة انضمام بريطانيا إلى المجموعة الاوروبية بكفاءة؛ إلا ان متاعب بريطانيا الاقتصادية اضطرته على التخلي عن رئاسة الحزب والحكومة في ١٩٧٦. عُرف بميوله الصهيونية.

* **وينغيت، تشارلز أورد .Wingate, C.O:** عسكري بريطاني صهيوني. ولد في الهند. انضم إلى الجيش في سن العشرين، وأرسل إلى السودان (١٩٢٨-١٩٣٣) وتعلم اللغة العربية. في ١٩٣٦، نقل إلى فلسطين كضابط مخابرات ونظم «السرايا الليلية» من أعضاء الهاغاناه لمحاربة الثوار العرب والدفاع عن المصالح البريطانية والمؤسسات الصهيونية عن طريق شن الهجمات الليلية والاغتيالات. أطلق عليه الصهيونيون إسم «لورنس يهودا» لفرط حماسه لهم، وكان موشي دايان من تلاميذه. في الحرب العالمية الثانية، عرض وينغيت تكوين جيش من ٦٠ ألف مقاتل يهودي في فلسطين لمحاربة ايطاليا في شمال افريقيا. لاقى حتفه في حادث طائرة في بورما. يطلق إسمه على عدة مؤسسات في اسرائيل إكرامًا لجهوده في خدمة الصهيونية.

* **وينغيت، ريجنالد .Wingate, R** (١٨٦١-١٩٥٣): جنرال بريطاني. سيردار مصر وحاكمًا عامًا للسودان (١٨٩٩-١٩١٦)، ورئيس أركان العمليات الحربية في الحجاز (١٩١٦-١٩١٩)، والمندوب السامي على مصر (١٩١٧-١٩١٩). أُحيل على التقاعد في ١٩٢٢. له عدة مؤلفات عن السودان والحركة المهدية .

بلاد الطوارق (أزواد) تغطي جميع المناطق المشار اليها بالخطوط العريضة المنحنية: منطقة صغيرة في أقصى جنوبي تونس، ومناطق في ليبيا، النيجر، بوركينا فاسو، مالي والجزائر. النجمة تشير الى مناطق النزاع المسلّح بين منظمات أزوادية والقوات الامنية.

بلاد الطوارق (أزواد)

(راجع «أزواد، بلاد الطوارق» في افريقيا، ج ٢، ص ١٧٣-١٨٠).

أهم أحداث ١٩٩٤-١٩٩٥

انهيار اتفاق السلام: في ١٩٩٢، كانت الجزائر قد رعت اتفاق سلام بين الثوار الازواديين (من طوارق وعرب) الذين كانوا يطالبون بالانفصال عن مالي وبين الحكومة المالية، تخلى الثوار بموجبه عن المطالبة بانفصال أزواد مقابل قدر من الادارة الذاتية، وتنفيذ مخطط انمائي في الاقليم المنسي منذ استقلال مالي عن فرنسا في ١٩٦٠ والذي يتألف سكانه من مليون و٨٠٠ ألف معظمهم من العرب والطوارق، وتغطي مساحة الأقليم ٨٥٠ ألف كلم م.. وقبلت الحكومة المالية دمج ٦٤٠ من المقاتلين الازواديين في الجيش النظامي، وذلك من اصل ستة آلاف نص

اتفاق السلام على دمجهم، لكن الرئيس المالي الفا عمر كوناري لم يكن قادرًا على دمج هذا العدد في جيش مجموع عديده لا يتعدى ٨ آلاف وفي بلد متعدد الاعراق. فأحزاب المعارضة المالية رأت في وجود العرب والطوارق بهذا الحجم إخلالاً بالتوازن العرقي داخل الجيش.

وبعد أشهر قليلة من توقيع الاتفاق، أي في ١٩٩٣، انتقل قادة الجبهات والحركات الأزوادية إلى مالي من منفاهم، وشغل بعضهم بعض المناصب،لكن الثقة لم تعد، ولم ينسجم لا السياسيون ولا العسكريون الأزواديون مع الحكومة والشعب، وحافظت الجبهات على تنظيماتها العسكرية وأسلحتها في المناطق المحاذية لموريتانيا والجزائر.

وفي حزيران ١٩٩٤، انفجر الوضع بين الماليين والأزواديين. واتهم الأزواديون الحكومة المالية والجيش المالي بانشاء حركة «غاندا كووي» المتطرفة التي قتلت عددًا من الأزواديين، فانسحب الأزواديون المندمجون والتحقوا بالمنظمات العسكرية التي استأنفت عملياتها العسكرية ضد الجيش المالي.

وتعني «غاندا كووي» بلهجة الصونغاي «أهل الارض». وتقول الحركة ان أزواد جزء من أرض الصونغاي، ولا للعرب وللطوارق، وتنادي بإبادتهم. ويشكل الصونغاي إحدى المجموعات العرقية الرئيسية في الأقليم (أزواد)، ولهم نفوذهم الواسع في الجيش والادارة. وكانت للصونغاي مملكتهم التي استمرت قوية حتى الغزو المغربي لأزواد في القرن السادس عشر.

وتناوىء العرب والطوارق مجموعة مالية أخرى تعرف باسم «بيلالات». وهؤلاء كانوا عبيدًا لدى الطوارق، ويتحدثون اللهجة الطوارقية إلا ان اصولهم زنجية. وتعادي هذه الحركة اسياد الامس في ردة فعل انتقامية (العرب والطوارق ليسوا من الزنوج، المجموعات المالية الأخرى زنجية).

المنظمات الأزوادية ومناطق عملياتها: تتوزع الساحة في شمال مالي المعروف ب«أزواد» خمس منظمات سياسية عسكرية مع عدد من الميليشيات والمجموعات المنشقة والعصابات. والمنظمات الرئيسية الخمس هي: «الجبهة العربية الاسلامية لتحرير أزواد» وتمثل المجموعة العربية في الشمال المالي التي تتألف من القبائل نفسها الموجودة في موريتانيا.

ويفخر الأزواديون العرب بانهم استطاعوا المحافظة على وحدتهم في جبهة واحدة على رغم وجود فصيل منشق صغير يطلق على نفسه «الحرس الثوري». أما المنظمات الاربع الأخريات فتمثل الطوارق، وهي «الجيش الثوري لتحرير أزواد»، و«الجبهة الشعبية لتحرير أزواد»، و«الجبهة المتحدة لتحرير أزواد»، و«الحركة الشعبية لتحرير أزواد».

ومع انفجار الوضع من جديد في حزيران ١٩٩٤ (بعد اتفاق الجزائر للسلام-١٩٩٢)، عادت الحرب أكثر ضراوة من قبل. ويقاتل الأزواديون في المناطق المالية المحاذية لموريتانيا والجزائر وبوركينا فاسو. ويخضع الثوار أجزاء كبيرة من الصحراء المالية والجبال لنفوذهم. ولا يجرؤ الجيش الحكومي على تتبعهم في بعض المناطق.

إمرأة أزوادية («الوسط»، العدد ١٣٢، تاريخ ١٨ آب ١٩٩٤، ص ١٣).

مقاتلون أزواد.

نزوح: يتدفق النازحون من أزواد، خاصة من مدينة تينبوكتو عاصمة هذا الاقليم، ومن مدينة غاوو والارياف التابعة لهما إلى موريتانيا. ويفرّ آخرون من مناطق أزوادية اخرى إلى الجزائر وبوركينا فاسو. وفي طليعة الأسباب التي تدفعهم للنزوح العمليات العنيفة التي ترتكبها بحقهم حركة «غاندا كووي» العنصرية المتطرفة. والنازحون هم من العرب والطوارق (أكثرية سكان أزواد). وبلغ عدد النازحين، خلال الشهرين الاولين لاستئناف القتال (حزيران وتموز ١٩٩٤) نحو ٢٠٠ ألف نازح. وعلى رأس المنظمات الانسانية التي تقدم الخدمات لهؤلاء النازحين المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، ومنظمة أطباء بلا حدود، ومنظمة أطباء العالم؛ ويوجه اللاجئون قدرًا من اللوم إلى هيئة الاغاثة الاسلامية التي يعتقدون بأنها تخلت عنهم وتركتهم لمنظمات غربية مسيحية.

حراجة موقف الجزائر وموريتانيا: على المستوى السياسي تضع المشكلة الأزوادية عمومًا الجزائر وموريتانيا في موقف حرج فلا هما تستطيعان اغلاق حدودهما في وجه الفارين من العنف، من عرب وطوارق ولا هما قادرتان على حسم الموضوع على نحو لا يؤثر في علاقاتهما مع دولة مالي المجاورة، أو على التركيبة السكانية الداخلية في كل منهما. ومارست الجزائر ضغوطًا كبيرة ارغمت الأزواديين على الجلوس إلى طاولة المفاوضات مع الحكومة المركزية في باماكو (عاصمة مالي) والتخلي عن المطالبة بالانفصال. لكن اتفاقين أشرفت على توقيعهما في اقل من ثلاث سنوات انهارا بعدما عجز طرفا النزاع عن احترامهما.

ومع ان للجزائر مصلحة خاصة في إخماد روح الانفصال لدى طوارق مالي لوجود طوارق جزائريين ينبغي عدم تشجيعهم على الاعتقاد بامكان وجود وطن للطوارق، فإن ثقل المشكلة الأزوادية على موريتانيا يبدو أقوى. فوقوع هذا البلد الضعيف بين أقليمين مشتعلين هما أزواد والصحراء الغربية يجعل امنه واستقراره وحتى وجوده في خطر. ويتشابه حال الاقليمين نوعًا ما، فعرب الشمال المالي وسكان الصحراء الغربية هم النسيج القبلي نفسه الذي يتألف منه السكان الموريتانيون. وهذا ما يجعل عزل الموريتانيين عما يدور في الاقليمين مسألة مستحيلة بحكم العلاقات الأسرية والقبلية، ويعرّض بالتالي العلاقات الموريتانية مع الحكومتين المالية والمغربية للتوتر الدائم.

وفي يد الحكومة المالية ورقة يمكن ان تستغلها في أي وقت هي ورقة الموريتانيين السود الذين يبدو أنهم بدأوا يحولون نشاطهم من السنغال إلى مالي في ضوء التحسن الذي شهدته العلاقات الموريتانية–السنغالية. وتتعامل الحكومة الموريتانية مع الأزواديين بقدر كبير من التحفظ والحذر. فقد فتحت حدودها للاجئين، لكنها تمنع ما استطاعت دخول المسلحين إلى اراضيها، وتعمل جاهدة، في الوقت نفسه، على المحافظة على علاقات جيدة مع قادة الجبهات والحركات الأزوادية، وكذلك مع الحكومة المالية (في آب ١٩٩٤، زيارة وزير الدفاع المالي إلى نواكشوط حاملاً رسالة من الرئيس عمر كوناري إلى الرئيس معاوية ولد سيد أحمد الطايع).

آخر التطورات: في أيلول ١٩٩٤، وفيما تتواصل أعمال العنف، أخذت حكومة مالي تبذل جهودًا لمحاصرة الثوار الأزواديين (العرب والطوارق) سياسيًّا، ووضع حركة «غاندا كووي» المتطرفة في الواجهة باعتبارها طرفًا ممثلاً للسكان الماليين السود في أزواد، والعمل على إلغاء «المعاهدة الوطنية» (أي اتفاق الجزائر للسلام) في شكل يوحي بأن أغلبية الشعب المالي هي التي ترفضها. وبدأ العام ١٩٩٥ على استمرار المشكلة الأزوادية (أعمال عنف، موجات جديدة من اللاجئين الأزواديين إلى موريتانيا والجزائر وبوركينا فاسو). وفي اول حزيران ١٩٩٥، زار الرئيس المالي ألفا عمر كوناري موريتانيا وبحث مع رئيسها معاوية ولد سيد أحمد الطايع الوضع في أزواد (شمال مالي) وقضايا الامن على حدود البلدين.

على جبهة النيجر: من جهة ثانية، وعلى جبهة أخرى من جبهات بلاد الطوارق، هي الجبهة من أزواد الواقعة شمال النيجر التي عرفت بدورها نزاعًا مسلحًا مفتوحًا بين حكومة النيجر ومسلحي الطوارق، تمّ في ٩ تشرين الاول ١٩٩٤ (في أوغادوغو عاصمة بوركينا فاسو) التوقيع على اتفاق مبدئي للسلام بين الجانبين يرتب شروط وظروف تنظيم المرحلة الانتقالية في ظل الهدنة المعلنة.

وقد أتى هذا الاتفاق ليصحح وضعًا كان طوارق النيجر يعانون منه، فاعترف بحقوقهم الأساسية ومراعاة خصوصياتهم الاجتماعية بحكم انهم يمثلون عشر السكان من اصل ٩ ملايين نسمة يعيشون فوق ارض دولة النيجر.

وقد نصّ الاتفاق الذي رعت إبرامه دولة بوركينا فاسو وفرنسا والجزائر على

مخيم للاجئين الازواد.

ضرورة ترقية سبل الادماج التدريجي لأفراد الطوارق في المجتمع النيجري والعمل على تنمية منطقة شمال البلاد (أي أزواد). وفي الاتفاق ايضًا بنود صريحة تتعلق باحترام مكونات الشخصية الطوارقية التاريخية لما تحمله من ارث حضاري وثقافي وتفادي عمليات إنكارها.

وإن أمكن لهذا الاتفاق الصمود والبقاء فإنه يضع حدًا لحالة الفوضى واللاستقرار التي عانتها مناطق شمال النيجر بسبب الحرب التي ظلت قائمة ومفتوحة على كل الجبهات، وأتت على المئات ودمرت المؤسسات والبنيات الحكومية التي كانت قائمة. ولم تفلح سياسات المطاردة ولا الحصارات المتكررة التي كانت تقوم بها القوات الحكومية في محاولة للقضاء على من ظلت تسميهم بالعناصر المتمردة، بل وعلى العكس من ذلك فإن حرب العصابات التي فرضتها المجموعة المسلحة للطوارق هي التي اربكت القوات الحكومية النيجرية وكبدتها الخسائر (مراجع هذه المادة: تحقيق ميداني كتبه الشيخ بكاي في «الوسط»، العدد ١٣٢، تاريخ ٨ آب ١٩٩٤، ص ١٢-١٩؛ ومقال فيليب باكي في «لوموند ديبلوماتيك»، عدد نيسان ١٩٩٥، ص ٣٠-٣١).

وفي أيلول ١٩٩٥، عادت الجزائر لتبذل جهودها لمنع تفجر الصراع مجددًا بين الطوارق والحكومة في النيجر بعد تعثر تنفيذ اتفاق جديد للسلام وقع عليه الطرفان في نيسان ١٩٩٥.

وكانت «منظمة المقاومة المسلحة» وهي الهيئة المركزية لحركة الطوارق المتمردين في شمال النيجر، هددت بالعودة إلى حمل السلاح إذا لم تسرع الحكومة بتنفيذ اتفاق السلام الذي لعبت الجزائر دورًا رئيسيًا في الوصول إليه.

خريطة بلجيكا والخط الافقي الذي يفصل بين فلاندرا في الشمال ووالونيا في الجنوب. وهذا تعريب كلام المستطيلات: المستطيل الاعلى، منطقة اللغة الهولندية (الفلامندية)، ثم منطقة اللغة الفرنسية، ثم منطقة الثنائية اللغوية (بروكسل)، ثم منطقة اللغة الالمانية، على الحدود مع المانيا
(«لوموند ديبلوماتيك»، عدد ايار ١٩٩٥، ص ٨).

بلجيكا

بطاقة تعريف

الموقع والمساحة: في شمال غربي اوروبا. تحيط بها هولندا، لوكسمبورغ، المانيا، فرنسا وبحر الشمال. تبلغ مساحتها ٣٠٥٢٨ كلم م.. طول حدودها الاجمالية ١٤٤٤،٥ كلم: مع فرنسا ٦٢٠ كلم، ومع هولندا ٤٤٩،٥ كلم، ومع لوكسمبورغ ١٤٨ كلم، ومع المانيا ١٦١،٥ كلم، وطول شاطئها ٦٥،٥ كلم.

العاصمة وأهم المدن: بروكسل (في اللغة الفرنسية)، بروسل (في لغة الفلامند سكان مقاطعة فلاندرا). وأهم المدن: أنفرس، غاند، ليبج... (راجع مدن ومعالم).

اللغات: الفرنسية، لغة سكان مقاطعة والونيا، وهي لغة رسمية منذ إنشاء الدولة في ١٨٣٠. والهولندية، لغة سكان مقاطعة فلاندرا، وهي اللغة الرسمية الثانية منذ ١٨٩٨؛ وفي ١٩٢٣، صدر امر ملكي يوجب ترجمة النصوص التشريعية إلى الهولندية؛ وفي ١٩٦٣، جرى طبع ونشر الترجمة الهولندية للدستور الصادر في ١٨٣١. وهناك مجموعات تتكلم الألمانية في

الجنوب وفي الشمال الشرقي من البلاد.
الاديان: الكاثوليكية، ٨٠٪ من مجموع السكان، وهناك اقليات يتوزع افرادها على البروتستانت الانجيليين والأنغليكان والارثوذكس واليهود والمسلمين. وليس هناك من نص قانوني يتكلم على دين الدولة.
السكان: كانوا يعدون ٤،٣٤ ملايين في العام ١٨٤٦، و٦،٦٩ ملايين في العام ١٩٠٠، و٨،٢٩ ملايين في ١٩٤٠، و٩،٦٥ ملايين في العام ١٩٧٠، و١٠،٠٢ ملايين في العام ١٩٩٢. ويقدر عددهم اليوم (في ١٩٩٥) بنحو ١٠،١٠٠ ملايين.
نحو ٥٧،٨٢٪ منهم يتكلمون الهولندية، ونحو ٣٢،٠١٪ يتكلمون الفرنسية، ونحو ٠،٠٧٪ الالمانية. أما ثنائيو اللغة (الهولندية والفرنسية) فيشكلون نحو ٩٥،٠٪، وأغلبيتهم الساحقة تسكن مناطق العاصمة بروكسل البالغة ١٩ دائرة.

الحكم والدولة والمشكلات الانفصالية: نظام ملكي دستوري برلماني. الدستور المعمول به هو دستور ٧ شباط ١٨٣١ الذي جرت عليه تعديلات في ١٨٨٨ و١٨٩٣ و١٩١٩-١٩٢١ و١٩٧٠ و١٩٨٠ و١٩٨٨ و١٩٩١. والتعديل الأخير جرى في ٦ شباط ١٩٩٣ الذي حوّل الدولة البلجيكية من دولة موحّدة إلى دولة فدرالية في محاولة لحل المشكلات الانفصالية بين الفلامند والوالون والآخذة بالتصاعد سنة بعد سنة.
تتميز بلجيكا بوضع جيوبوليتيكي داخلي متوتر منذ إنشاء الدولة البلجيكية في ١٨٣١: شعبان يتكلمان لغتين مختلفتين، لغة الفلامند (القريبة جدًا من اللغة الهولندية) واللغة الفرنسية، ويتقاسمان أراضي بلجيكا. الفلامند في الشمال، والوالون في الجنوب، وعلى جانبي خط يقسم البلاد غربًا-شرقًا؛ ونادرة هي المناطق المختلطة مثل بروكسل التي تقع في فلاندرا لكن غالبية سكانها تتكلم الفرنسية. كما ان هناك اقلية (نحو ١٦٥ ألف نسمة) تتكلم الالمانية، ولا تبدي أي نزعة انضمام إلى ألمانيا.
منذ الستينات والحكومات البلجيكية المتعاقبة تعمل على منح المزيد من صلاحيات الادارة الذاتية لمناطق الفلامند والوالون في كل مرة كانت تنشأ نزاعات بين الشعبين مترافقة والمطالب الانفصالية، حتى توّج هذا المسار في اعلان «الدولة الفدرالية» في شباط ١٩٩٣، وبموجب اتفاقات دعيت اتفاقات «سان ميشال». وأهم الخطوات التي سبقت هذا الاعلان تحديد الخط الفاصل بين الشعبين في ١٩٦٣. أما في ما يتعلق بتحديد منطقة بروكسل فقد بقي شائكًا ومعلقًا حتى تموز ١٩٩٠، وهو لا يزال يثير المتاعب بسبب ان منطقة بروكسل واقعة في فلاندرا في حين ان اغلبية سكانها تتكلم الفرنسية.
الجميع أعلنوا موافقتهم على هذا الحل الفدرالي، لكن اكثر المسؤولين البلجيكيين لا يزالون يطالبون، في الوقت نفسه، بالمزيد من السلطات العائدة إلى كل مجموعة حتى باتت التساؤلات تُثار بقوة حول إمكانية بقاء دولة بلجيكا على قيد الحياة خصوصًا وان نهوضًا قوميًا مستجدًا باتت اوروبا تعرفه بشكل عام منذ سنوات.
البرلمان من مجلسين: الشيوخ والنواب. مجلس الشيوخ من ١٨٥ عضوًا منتخبًا لمدة أربعة اعوام، ١٠٦ اعضاء بالانتخاب العام، و٥٢ من مجالس المقاطعات، و٢٦ يختارهم زملاؤهم الشيوخ. مجلس النواب من ٢١٢ عضوًا منتخبًا بالاقتراع العام لمدة اربعة اعوام.

الاقتصاد: دولة صناعية. أهم المناطق الصناعية في الشمال حيث اغلبية السكان فلامند. تستورد

موادها الخام من الخارج، ما عدا الفحم، الحديد، الكلس، التزابة والاحجار. فيها عدة مراكز لانتاج الطاقة الذرية. أهم صادراتها: الحديد، الفولاذ، الكيميائيات والآلات. تؤمن الزراعة اربعة اخماس حاجات البلاد الغذائية. في ١٩٧٠، توصلت بلدان بنيلوكس (هولندا، لوكسمبورغ، وبلجيكا) إلى الاتحاد الاقتصادي التام بينها. اكثر من ثلثي تجارة بلجيكا الخارجية تتم مع المجموعة الاوروبية (السوق الاوروبية المشتركة).

٢،٧٪ من مجموع اليد العاملة يعملون في الزراعة التي تؤمن ٢٪ من مجموع الدخل الوطني العام؛ و٢٨٪ في الصناعة (٢٨،٨٪ من الدخل)؛ و٠،٤٪ في المناجم (٠،٣٪ من الدخل)؛ و٦٩،٣٪ في قطاع الخدمات (٦٩،٢٪ من الدخل). والسياحة قطاع مهم في بلجيكا: ١٢ مليون و٩٠٠ ألف سائح أجنبي في العام ١٩٩٠.

مناطق

فلاندرا Flandre: تحتل فلاندرا الطرف الغربي من السهل الكبير في اوروبا الشمالية الواقع على ساحل بحر الشمال، بين مرتفعات أرتوا في الجنوب ومصب نهر الإسكو في الشمال. وفي حين ان التاريخ لم يعرف مرحلة وحد الفلامنديون فيها وحدتهم السياسية او القومية إلا ان شعبها (الفلامند) تمكن من خلال لغته (قريبة جدًا من الهولندية) من الاحتفاظ بنوع من وحدة ثقافية.

الاراضي، بسبب انخفاضها، مليئة بالمستنقعات التي تمكن الفلامند من تحويلها إلى اراض زراعية منذ القرون الوسطى، كما عملوا على حمايتها من الرياح والعواصف القادمة من جهة البحر بزراعة الاشجار على طول الخط الساحلي

ولأنها فقيرة بمرافئها البحرية الطبيعية فإن المرافىء القائمة على شاطئها انشأها الفلامند رغم الصعوبات الهائلة التي اعترضتهم (مرفأ كالي، دنكرك، أوستند، زيبروجي). مناطقها الداخلية سلاسل هضاب وجبال قليلة الارتفاع (أعلى قمة١٧٦م)، فيها الحقول والمراعي، وتزرع بالحنطة وقصب السكر. صناعة الاقمشة مزدهرة منذ القرون الوسطى، والصناعة الأهم اليوم هي الصناعة الحديدية والكيميائية.

ضمّ القيصر الروماني فلاندرا إلى مقاطعة بلجيكا وعرفت ازدهارًا حتى القرن الثالث. في القرن الخامس أصيبت بكوارث طبيعية نتيجة طوفان مياه البحر. تقاسمت الأديرة (والأساقفة) أراضيها، ثم جاء دور الاقطاع (كونتيات). في القرن التاسع، اصبحت إقطاعية فرنسية، لكن مصالحها الاقتصادية جعلتها تلتفت ناحية انكلترا التي كانت تؤمن لها الأصواف. في ١٣٨٤، انضمت إلى بورغونيا، ثم اصبحت، في ١٤٧٧،

تابعة لأسرة هابسبورغ تحت التاج الاسباني وبعده التاج النمساوي، لكن حروب لويس الرابع عشر جعلت اجزاءها الجنوبية تابعة لفرنسا بصورة نهائية. اما القسم النمساوي من فلاندرا فجرى ضمّه إلى الجمهورية الفرنسية في ١٧٩٤، ثم إلحاقه بالمملكة الهولندية في ١٨١٥، ثم بالمملكة البلجيكية الوليدة في ١٨٣١. وقد جرت معارك مهمة على ارضها اثناء الحربين العالميتين.

المقاطعة البلجيكية من فلاندرا الغربية تمتد على مساحة ٣١٣٤ كلم م. ما بين الحدود الفرنسية والحدود الهولندية. عدد سكانها يفوق المليون نسمة، واللغة الرسمية هي الفلامندية. زراعية بالدرجة الاولى، خصوصًا في تربية الماشية؛ والسهل الداخلي مليء بالغابات والمراعي. في جنوبي هذه المقاطعة، مراكز عديدة لصناعة الأقمشة التقليدية. وعلى الساحل صناعات حديثة وحركة تجارية ناشطة عبر المرافىء، اضافة إلى السياحة المزدهرة. قاعدتها مدينة بروج الشهيرة بآثارها.

المقاطعة البلجيكية من فلاندرا الشرقية تمتد على مساحة ٢٩٨١ كلم م.. ويبلغ عدد سكانها نحو ١،٥ مليون نسمة، واللغة الرسمية هي الفلامندية. سهلية وغنية بزراعتها، خصوصًا من الحنطة وقصب السكر وتربية الماشية. صناعات الأقمشة (تقليدية)، وصناعات حديثة (المعدنية، المنشآت الكهربائية، المواد البلاستيكية) في حالة نهوض وازدهار. قاعدتها مدينة غاند عاصمة كونتية فلاندرا سابقًا، مسقط رأس شارلكان (شارل الخامس)، ولا تزال العاصمة الثقافية لفلاندرا.

والونيا Wallonie: كيان سياسي وجغرافي يشكل الجزء من المملكة البلجيكية الذي يتكلم سكانه اللغة الفرنسية، ويتضمن المقاطعات الجنوبية الاربع: لييج، نامور، هينو ولوكسمبورغ، وتمتد والونيا على مساحة ١٥٧٥٢ كلم م.، وتعد نحو ٣،٢ مليون نسمة، إضافة إلى سكان بروكسل البالغ عددهم اكثر من مليون نسمة. قاعدتها مدينة لييج.

بروكسل: راجع مدن ومعالم.

نبذة تاريخية

أيام الرومان: خمس قبائل من شعوب السلط (Celtes) قدمت من ناحية الضفة اليمنى لنهر الرين وأقامت في البلاد نحو العام ٢٥٠ ق.م.، وهي متفرعة من قبائل «البلج» أو «البلك» أو «الفولك». في العام ٥٧ ق.م. غزا يوليوس قيصر بلاد الغول والبلجيك الواقعة بين نهري السين والرين، واضطر على مقاتلة قبائل البلجيك لمدة خمسة أعوام، وكان أشهر زعماء هذه القبائل بأسًا زعيم يدعى أمبيوريكس. وقد كتب القيصر الروماني يوليوس يقول في معرض كلامه عن حروبه ضد السلط: «البلجيكيون هم الأكثر شجاعة بين هذه القبائل». وقد بقيت هذه القبائل خاضعة للسلطات الرومانية نحو ٥٠٠ عام.

شارلمان والاقطاع: مع أفول نجم الامبراطورية الرومانية، سادت الفوضى أنحاء بلاد هذه القبائل قبل ان يضمها شارلمان إلى امبراطورية الغرب. وفي بداية القرن التاسع، اخذ شارلمان يشجع نمو المدن وحركة التجارة التي كانت قد بدأت تزدهر ايام الرومان.

لم يكن هناك سلطات مركزية محددة تمامًا طيلة العهود الاقطاعية. وكان يدير اقليم بلجيكا امراء بالوراثة، ومطارنة (في القرن الرابع ظهرت المسيحية في البلاد، ولم تنتشر إلا في القرن السادس والسابع)، بعضهم يتحالف مع فرنسا، والبعض الآخر مع الامبراطورية المقدسة. اما تاريخ بلجيكا الوسطى فقد هيمنت عليه تارة الخلافات وطورًا التحالفات بين أسقفية مدينة لييج ودوقيات برابان ولوكسمبورغ. وبين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر، سطع نجم المدن الحرة كمدينة غاند، وبروج، وإيبر، حيث نمت طبقة بورجوازية مثقفة.

إلى يد الدول: وفي القرن الخامس عشر اصبحت المناطق التي تشكل بلجيكا الحالية خاضعة لسلطة دوقات اسرة دو بورغون الذين بذلوا جهدهم في سبيل توحيد البلاد وإضعاف سلطات الكومونات المحلية. لكن الحروب من جهة، وتقاليد زواج الامراء والوراثة من جهة أخرى، أوقعت البلاد تحت السيطرة الاسبانية (١٥١٩-١٧١٥)، ثم النمساوية (١٧١٥-١٧٩٤)، ثم الفرنسية (في عهد الثورة بين ١٧٩٤ و١٨١٥). وعلى أثر هزيمة نابوليون الاول في واترلو (الواقعة جنوبي بروكسل) عام ١٨١٥، ضمت بلجيكا إلى هولندا بموجب معاهدة باريس.

استقلال تمنحه الدول: القوى السياسية الفاعلة في البلاد استمرت على نزاع في ما بينها ولم تعرف تماسكًا أو وفاقًا حول موقف يكفل قيام دولة بلجيكية حتى بداية القرن التاسع عشر. فالاراضي البلجيكية، والحال هذه، كانت مجزأة إلى مقاطعات وكونتيات ودوقيات تسيطر عليها، وفقًا للحقبات، سلطة اجنبية، إسبانية أو نمساوية أو فرنسية. والثورة الاولى ضد السسلطة الاجنبية - سلطة أسرة هابسبورغ النمساوية - كانت ثورة أنصار الديمقراطية الذين تأثروا بافكار الثورتين الاميركية والفرنسية، والذين سرعان ما تمّ سحقهم بسبب أنهم كانوا لا يزالون اقلية صغيرة. ثم قامت جيوش الثورة الفرنسية

(تحت لواء المبادىء الثورية) بغزو البلاد التي كانت تسمّى حينها «البلاد الواطئة الجنوبية»، وطردت أسرة هابسبورغ، وضمّت البلاد إلى الجمهورية، ثم إلى الامبراطورية الفرنسية، وكانت قد قسمتها إداريًا إلى تسع مقاطعات لا تزال آثار هذا التقسيم قائمة إلى حد كبير حتى اليوم في حدود المقاطعات البلجيكية التسع الحالية. ولأول مرة تقوم سلطة مركزية وتناهض خصوصيات المقاطعات المحلية.

بعد هزيمة نابوليون، عاد مؤتمر فيينا ووضع البلاد من جديد تحت سلطة اجنبية، هي سلطة «المقاطعات المتحدة» (البلاد الواطئة-هولندا- الحالية) مكوّنًا «مملكة البلاد الواطئة» (١٨١٥-١٨٣٠). والجدير ذكره ان سكان المقاطعات المتحدة كانوا قد خاضوا حربًا طويلة ضد ملك إسبانيا الكاثوليكي فيليب الثاني ونالوا على اثرها استقلالهم. وقد شكلت هذه المقاطعات دولة غنية. وعندما أقدم ملكها غيوم دورانج البروتستانتي، على فرض قراراته الآيلة إلى الحد من تأثير الكنيسة الكاثوليكية

عمل فني تاريخي بمناسبة مئوية الدستور البلجيكي الصادر في ٧ شباط ١٨٣١ («لوموند ديبلوماتيك»، عدد حزيران ١٩٩٣، ص ٦).

في المقاطعات البلجيكية، قامت في وجهه معارضة متعاظمة قادها الأساقفة، ولقيت تشجيعًا من ثورة تموز ١٨٣٠ في فرنسا، فاندلعت ثورة في بروكسل في ايلول ١٨٣٠، اضطرت الجيش الهولندي على الانسحاب من البلاد في ما عدا أنفرس.

لكن هذا الانتصار السريع وغير المنتظر لم يفسح في المجال امام نمو المشاعر القومية لدى السكان الوالون والفلامند بصورة كافية لتحرير بلادهم. فإذا كانت فيينا لم تعد هي عاصمة تقرير مصير بلجيكا، فإن هذا الدور لم ينتقل إلى بروكسل، بل إلى لندن حيث كان البريطانيون يعملون على خلق دولة حليفة لهم تقوم بدور الحاجز وتحدّ من المطامح الفرنسية. فعارضوا أي شكل من أشكال ضمّ البلاد الواطئة الجنوبية (بلجيكا) للمقاطعات المتحدة التي كانت بروسيا تدعمها.

«البلجيكيون» لم يكونوا، في هذا السياق الجيوبوليتيكي، في وضع يسمح لهم، لا ذاتيًا ولا موضوعيًا، في اختيار نظامهم السياسي أو مليكهم. ففرض عليهم مؤتمر لندن (١٨٣٠) ملكية دستورية وملكًا يكون مقبولاً من الدول المجاورة: ضابط روسي سابق وزوج وريثة عرش انكلترا، هو ليوبولد دو ساكس كوبورغ غوتا الذي تربّع على العرش باسم ليوبولد الاول. وفي العام التالي (١٨٣١) فرض الحياد على الدولة الوليدة. وفي ١٨٣٩، سوّيت العلاقة مع هولندا بموجب معاهدة ١٨٣٩ (راجع في هذا الجزء -الجزء الخامس- بريطانيا، باب مدن ومعالم، عن معاهدة ١٨٣٩، في «لندن، معاهدات واتفاقيات ومؤتمرات دولية»).

وقد عرفت بلجيكا في عهد ليوبولد الاول، كما في عهد خليفته ليوبولد الثاني، ازدهارًا اقتصاديًا رافقه توسع استعماري.

استعمار الكونغو: خلف ليوبولد الثاني ليوبولد الاول في ١٨٦٥. وأهم انجاز في عهده انه لجأ، في ١٨٨٥، إلى تمويل اكتشاف الكونغو واستعماره بنفسه وعلى مسؤوليته بعدما رفضت حكومته الخوض في هذا المضمار. فكان ان أصبح ليوبولد الثاني، ومعاونوه، اصحاب اراض من مليونين و٣٠٠ ألف كلم م.، غنية بالكاوتشوك والعاج والنحاس والذهب والماس. وادخلوا إلى هذه الاراضي زراعة القطن، واقاموا فيها مزارع لتربية الماشية. فأصبحت هذه المنطقة الافريقية مصدرًا مهمًا للمواد الاولية بالنسبة إلى بلجيكا. فقبل البرلمان البلجيكي، في ١٩٠٨، اقتراح ليوبولد الثاني اعتبار «دولة الكونغو الحرة» مستعمرة بلجيكية. وقد حصلت هذه الدولة على استقلالها في ١٩٦٠ وأصبحت «جمهورية كونغو كينشاسا الديمقراطية»، ثم بدّلت إسمها فأصبحت زائير. وزائير اليوم ترتبط بعلاقات تجارية ومالية وثيقة مع بلجيكا.

في الحربين العالميتين: على الرغم من ضمان حياد بلجيكا المعترف به دوليًا منذ ١٨٣٩، غزا الالمان البلاد في الايام الاولى من الحرب العالمية الاولى. وكان الجيش البلجيكي مستعدًا لمثل هذا الاحتمال، فقاتل ببطولة وواصل قتال الالمان داخل الاراضي الفرنسية بعد ان اضطر إلى التراجع عن بلاده. وبعد انتهاء الحرب، أعاد البلجيكيون

تعمير بلادهم، واستمر ألبير الأول ملكًا عليهم.

في ١٩٣٧، رفض الملك ليوبولد الثالث (ابن الملك ألبير) التحالف مع انكلترا وفرنسا، وأعلن حياد بلاده، هذا الحياد الذي أكسبه اعتراف هتلر نفسه به. ومع ذلك، اجتاح النازيون بلجيكا في ١٠ آب ١٩٤٠؛ ورفض ليوبولد الثالث نصيحة وزرائه بترك البلاد وتشكيل حكومة منفى، وفضّل البقاء واعتبار نفسه سجين الالمان المحتلين، في حين تابعت حكومته نشاطها من لندن. وقد تمكنت حركة المقاومة البلجيكية ان تقدم دعمًا مهمًا للجيوش الانكليزية والاميركية التي تسنى لها تحرير بلجيكا في ايلول ١٩٤٤. ولم يلق الملك ليوبولد الثالث التأييد الكافي من مواطنيه، فاضطر إلى التخلي عن العرش لمصلحة ابنه بودوان الاول في ١٩٥١ (راجع «ليوبولد الثالث» في زعماء ورجال دولة).

النصف الثاني من القرن العشرين حتى اليوم (١٩٩٥): أهم مشكلة داخلية تعانيها بلجيكا هي الخلاف السياسي المستمر بين الوالون المتحدثين بالفرنسية والقاطنين في الجنوب، وبين الفلامند المتحدثين بالفلامندية (قريبة جدًا من النيرلندية أو الهولندية) والقاطنين في الشمال. وتصل احيانًا حدة المشكلة إلى حد المطالبة بالانفصال. وقد عمل الملك بودوان الكثير في سبيل رأب الصدع بين المجموعتين.

وأهم خطوط سياسة بلجيكا الخارجية تتمثل بسياستها الاوروبية (عضو في مجموعة السوق الاوروبية منذ ١٩٥٧، راجع اوروبا في الجزء الثالث) والأطلسية النشطة والفعالة. وقد عملت حكوماتها على حث دول السوق الاوروبية المشتركة على ايجاد وسائل جديدة تصبح معها اوروبا الغربية اتحادًا سياسيًا حقيقيًا. وقد اعطت هذه المحاولات ثمارها في ١٩٧٦ عندما قررت المجموعة الاوروبية إجراء انتخابات شاملة لبرلمان اوروبي في ١٩٧٨. اما سياستها الاطلسية فقد تمثلت في انتقال مركز الحلف الاطلسي إلى بروكسل على اثر انسحاب فرنسا من برنامجه العسكري (في كانون الاول ١٩٨٤، كانت بلجيكا مسرحًا لست عمليات تخريب استهدفت شبكة انابيب المحروقات للحلف. وقد تعهدت منظمة سرية، الخلايا الشيوعية المقاتلة، مواصلة هجماتها على اجهزة الحلف في بلجيكا وخارجها). وكذلك، قامت بدور أساسي في انقاذ الرئيس الزائيري، موبوتو، عندما تدخلت عسكريًا في زائير عام ١٩٧٨.

داخليًا، بعد نجاح الاحزاب الفدرالية في انتخابات ١٩٦٨، ضمنت الحكومة (برئاسة إيسكنس) تأييد المعارضة له في مشروعه القاضي باعادة النظر في الدستور الذي بات (منذ نهاية ١٩٧٠) يعترف بوجود ثلاث مجموعات ثقافية: النيرلندية، الفرنسية والالمانية؛ وثلاث مناطق: الفلامندية، الوالونية والبروكسلية، مع اقامة مجالس (خاصة مجالس إقتصادية) لهذه المناطق. وجاءت الحكومة الثانية التي شكلها تندمنس في ايار ١٩٧٧ لتزيد من الاجراءات غير المركزية بين هذه المناطق حتى بات بمقدور كل منطقة التشريع في مسائل داخلية (حفظ البيئة والطبيعة، التوسع الاقتصادي، الوظيفة، الصحة

العامة...). لكن مسألة تحويل هذه الاجراءات إلى قوانين نافذة لاقت معارضة شديدة أدت إلى انفراط الحكومة، وتقديم رئيس الوزراء، تندمنس، استقالته في ١١ تشرين الاول ١٩٧٨. فعاشت البلاد أزمة حكومية طويلة قبل ان تتشكل حكومة جديدة في نيسان ١٩٧٩ برئاسة مارتنس، ثم التوصل إلى اتفاق يجعل من بلجيكا، تدريجيًا، دولة نصف فدرالية قبل الاول من كانون الثاني ١٩٨٣. لكن في اوائل ١٩٧٩، عادت الازمة بسبب أن الحزب الاجتماعي المسيحي الفلامندي رفض التسوية الاقليمية المذكورة، فعمد رئيس الحكومة، في كانون الثاني ١٩٨٠، إلى تسوية اخرى بتأجيل البحث في مسألة بروكسل. وبعد انعقاد مؤتمر موحد للاحزاب السياسية (٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠)، خرجت الازمة من مأزقها، وعيّن الملك بودوان ثلاثة وزراء جدد (اشتراكيان واجتماعي مسيحي واحد). وبعد اقل من اربعة أشهر، اضطرت الحكومة على تقديم استقالتها على أثر خلاف جديد نشب بين الفلامنديين والوالونيين.

وعاد مارتنس وشكل حكومته الثالثة (حكومة ائتلاف بين الاجتماعيين المسيحيين والاشتراكيين والليبراليين). وفي آب من السنة نفسها، اقترع البرلمان (١٥٦ صوتًا ضد ١٩) على القانون الذي يمنح نظام الحكم الذاتي لمنطقة الفلامندر ومنطقة والونيا وترك مشكلة بروكسل معلقة. وفي تشرين الاول (١٩٨٠)، شكل مارتنس حكومته الرابعة بعد ان اضطره الليبراليون على تقديم استقالته (وهذه الحكومة هي السادسة والعشرون منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية).

في نيسان ١٩٨١، قدم مارتنس استقالته إثر عودة الازمة الحكومية، وكلف الملك وزير المالية السابق، مارك إيسكنس، تشكيل الحكومة. فجاءت ائتلافًا بين الاجتماعيين المسيحيين والاشتراكيين، ولكن لنحو اربعة أشهر فقط، إذ عاد إيسكنس ليجد نفسه في الدوامة ذاتها عندما قدّم استقالته في ايلول. وبعد انتخابات تشرين الثاني ١٩٨١، كلف الملك زعيم الليبراليين الفلامنديين، ويلي دوكليرك، تشكيل الحكومة، فاضطر هذا للاعتذار بعد ستة ايام تحت ضغط الاجتماعيين المسيحيين الفرنكوفونيين. فكلف نوتومب (كانون الاول ١٩٨١) الذي اعتذر لمصلحة ويلفريد مارتنس (اجتماعي مسيحي فلامندي).

في شباط ١٩٨٢، تمكن مارتنس من نيل الصلاحيات الخاصة التي كان يطالب بها حول اتخاذ اجراءات إقتصادية ضرورية لمعالجة انهيار قيمة العملة (٨،٥٪، لأول مرة منذ ٣٣ عامًا).

في تموز ١٩٨٥، قدم مارتنس استقالته، ولكن الملك رفض قبولها. ثم عاد واستقال في تشرين الاول ١٩٨٧. وفي ١٣ كانون الاول ١٩٨٧، جرت انتخابات عامة اسفرت عن فوز الاشتراكيين، وتبعتها أزمة حكومية طويلة، إذ بعد نحو خمسة أشهر (في ٩ ايار ١٩٨٨) حتى تمكن مارتنس من تأليف حكومته. وفي ٣٠ تموز، مشروع قانون يجيز نقل سلسلة من الصلاحيات المركزية إلى السلطات الأقليمية والمناطقية (تعديلات في عدد من مواد الدستور). وشهد كانون الاول توترًا في العلاقات مع زائير.

في ٢٩ آذار ١٩٩٠، مجلس النواب

يقترع على حق الاجهاض للمرأة (١٢٦ صوتا مع و٦٩ ضد)، والملك بودوان يستقيل بعد ايام قليلة لرفضه تصديق هذا القانون. وفي ٤ نيسان البرلمان (مجلس النواب ومجلس الشيوخ) يعيد للملك صلاحياته كافة بأغلبية ٢٤٥ صوتا وغياب ٩٣. وفي كانون الاول، إعاددة تنظيم هيكلية الجيش.

في ايار ١٩٩١، اضطرابات المهاجرين المغاربة في بروكسل. وفي ١٨ تموز،إغتيال أندري كولز، نائب رئيس الوزراء السابق، في مدينة ليبج. وفي تشرين الاول، حل البرلمان، وانتخابات تشريعية في ٢٩ تشرين الثاني. وفي العام نفسه (١٩٩١) وافق البرلمان على قانون يسمح لامرأة بأن تتولى العرش.

في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٩٢، زيارة الملك والملكة لفرنسا. في ٢٥ نيسان ١٩٩٣، أكثر من عشرين ألف متظاهر في بروكسل ضد النزاعات الانفصالية.

في ٣١ آذار ١٩٩٣، توفي الملك بودوان الاول في موتريل، قرب غرناطة (جنوب إسبانيا) بعد إصابته بنوبة قلبية، وكان يمضي مع زوجته الملكة فابيولا إجازة في موتريل. وفي اليوم التالي، دعا رئيس الحكومة جان لوك دوهاين إلى اجتماع استثنائي لمجلس الوزراء. واعتلى العرش شقيق الملك بودوان الأمير ألبير دو ليبج.

في ربيع ١٩٩٥، عرفت بلجيكا فضيحة تلقي الرشاوي طاولت عددًا من السياسيين أكثريتهم من الحزب الاشتراكي الفلامندي، وعلى رأسهم نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية فرانك فاندنبورك (استقال في ٢٣ آذار ١٩٩٥)، والامين العام لحلف الاطلسي ويلي كلايس (كان وزيرًا للشؤون الاقتصادية في ١٩٨٩). وتتعلق الفضيحة بتلقي الحزب الاشتراكي الفلامندي (كان حاكمًا) رشاوى من شركة «أغوستا» الايطالية في مقابل شراء طائرات مروحية للجيش البلجيكي.

في ٢١ أيار ١٩٩٥، جرت انتخابات تشريعية لانتخاب برلمان جديد وثلاث جمعيات حكم ذاتي اقليمية. وقد كرسّت هذه الانتخابات الهيكلية الجديدة لبلجيكا الاتحادية: ٥١٤ ممثلاً من نواب واعضاء مجلس شيوخ ومستشارين إقليميين لمجلس النواب الفدرالي ومجلس الشيوخ والجمعيات الاقليمية للفلامند والوالون وأبناء بروكسل والناطقين بالالمانية. فتكون هذه اول انتخابات تشريعية منذ اصلاح ١٩٩٣ الذي جعل بلجيكا دولة فدرالية من ثلاث مناطق: فلاندرا، والونيا وبروكسل؛ وثلاث مجموعات لغوية: الفلامندية، الفرنسية والألمانية. وقد فاز في هذه الانتخابات الحزب الديمقراطي المسيحي بزعامة رئيس الوزراء جان لوك دوهاين (راجع الموضوع التالي: «أحزاب وانتخابات»).

أحزاب وانتخابات

آخر انتخابات تشريعية جرت في ايار ١٩٩٥ بعدما عمد رئيس الوزراء جان لوك دوهاين إلى حل البرلمان والدعوة إلى انتخابات مبكرة إثر الفضائح المالية ورشاوى المروحيات الايطالية التي هزت شريكه في الحكم، الحزب الاشتراكي الفلامندي.

وبما ان رئاسة الوزراء من نصيب

الفلامنديين فقد اتجهت الانظار للحسم الانتخابي بين حزب رئيس الوزراء دوهاين، الحزب الديمقراطي المسيحي، وبين معارضه في الشطر الفلامندي من البلاد، الحزب الليبرالي، الذي ركز حملته الانتخابية على تصحيح الاوضاع المالية لصناديق الائتمانات الاجتماعية، وكذلك على التشدد في إثارة قضايا المهاجرين بهدف استمالة ناخبي اليمين المتطرف (حزب فلامز بلوك)، الامر الذي أرهب الناخبين من الفئات الاجتماعية الدنيا فعزفوا عنه لمنح أصواتهم للحزبين الديمقرطي المسيحي (جان لوك دوهاين) والحزب الاشتراكي.

نال حزب دوهاين ٢٩ مقعدًا. ونال الحزب الاشتراكي ٢٠ مقعدًا رغم تبعات قضية الرشاوى المتهم بها (المذكورة آنفًا)، إذ فضّل الناخبون منح ثقتهم للاشتراكيين الفلامنديين الذين ركزوا حملتهم في اتجاه الفئات الشعبية وحماية المكاسب الاجتماعية وصيانة منح المتقاعدين.

اما اليمين الفلامندي المتطرف (فلامز بلوك) فقد ركّز في حملته على دعوات ترحيل المهاجرين والاستخفاف بثقافاتهم، وقد جاءت في برنامجه، على سبيل المثال، هذه العبارة: «إن الاسلام ثقافة من درجة ثانية». ورغم ان هذا الحزب لم يحقق مكاسب انتخابية جرى التكهن بها قبل الانتخابات إلا انه تبين ان الاتجاهات المتطرفة اصبحت تمثل حقيقة في الحياة السياسية للبلاد تتشابه مع مستويات تقدم اليمين المتطرف في كل من فرنسا والنمسا وإلى حد ما في ايطاليا.

اما في إقليم والونيا المقابل فلم تطرأ تغيرات كبيرة، حيث سجّل الحزبان، الاشتراكي والديمقراطي المسيحي، تراجعًا نسبيًا (٢١ مقعدًا للاول و١١ للثاني بخسارة إثنين لكل منهما) نتيجة مشاركتهما في الائتلافات الحكومية السابقة.

وأما في إقليم بروكسل فقد حدث التغير الأهم، إذ فاز تحالف الحزب الليبرالي مع مجموعة فرنكوفونية بثلث مقاعد مجلس الاقليم. وقد احتل اليمين المتطرف الفرنكوفوني مقعدًا واحدًا في البرلمان الفدرالي. والجدير ذكره ان اليمين المتطرف كان دائمًا ضعيفًا في صفوف الاقليم الفرنكوفوني (والونيا) لأسباب تعود إلى أعوام مقاومة الاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية.

النظام الفدرالي: بموجب نظام الدولة الفدرالية الذي بدأته بلجيكا في ١٩٩٣، تقسم بلجيكا إلى اربعة مجالس اقليمية هي الاقليم الفلامندي في شمال البلاد الذي يعد ٥٤٪ من السكان وتعود إليه دائمًا رئاسة الحكومة الفدرالية؛ والاقليم الوالوني المتحدث بالفرنسية، واقليم العاصمة بروكسل الواقع داخل فلاندرا لكن ٨٠٪ من سكانه يتحدثون الفرنسية، والاقليم الجرماني المتحدث بالالمانية والواقع على الحدود البلجيكية الالمانية والذي لا يتجاوز عدد سكانه ٢٪ من مجموع السكان.

الحركة القومية الفلامندية ضد السيطرة الفرنكوفونية

إن نمو فكرة القومية في اوروبا في القرن التاسع عشر ظلّ بعيدًا عن بلجيكا، ذلك ان التقسيم اللغوي فيها يضرب عميقًا في التاريخ، وتجربة بلدان اوروبية متعددة

اللغات، مثل سويسرا، لم تعرف طريقًا لها إلى بلجيكا. وإذا كان دستور ١٨٣٠ قد أسّس لشرعية اللغتين، إلا ان الحكومة اعلنت الفرنسية لغة رسمية، علمًا ان أكثرية السكان تتكلم الفلامندية. وهذه الميزة التي اكتسبتها الفرنسية كانت متأتية من التفوق الصناعي (الفحم والحديد) والثقافي لمقاطعة والونيا، ومن الدور البورجوازي الليبرالي الذي كان لأبناء والونيا في إدارة شؤون الدولة.

في ١٨٩٨، تمكن المدافعون عن الفلامندية من انتزاع الاعتراف بلغتهم كلغة رسمية ثانية في بلجيكا. في الحرب العالمية الاولى، كان الضباط، وهم من الوالون، يصدرون اوامرهم بالفرنسية التي لم يكن الجنود الفلامند يفهمونها. فجاءت النتائج كارثية على هؤلاء الجنود الذين اظهروا شجاعة فائقة ومنيوا، في الوقت نفسه، بخسائر جسيمة لا تقاس بها خسائر جنود الوالون، حتى ان إسم «إيبيريت» الذي أعطي للغاز الذي استعمله الالمان لأول مرة في الحرب هو من إسم المدينة الفلامندية «إيبر» (Ypres). فكان من شأن هذا الأمر أن يدفع باتجاه نوع من الوعي القومي الفلامندي. وقد حفر أحد الجنود الفلامند، قبل ان يموت، على حجر بالقرب من ديكسمود في سهل إيسر، الاحرف الاولى لعبارة في اللغة الفلامندية (AVV-AKV) تعني: «كل شيء لفلاندرا وفلاندرا للمسيح». ومنذ ١٩٢٠، والفلامنديون (المحاربون القدماء وسواهم) يتقاطرون إلى هذا المكان إحياء لذكرى الذين «ماتوا لتحيا فلاندرا حرة». واكثر الذين عملوا لمصلحة حركة فلامندية حرة ومستقلة هم الطلاب وبعض المثقفين، وخاصة الكهنة «الصغار» الذين اندفعوا في هذا الاتجاه رغم «الهرمية الكنسية».

الحرب العالمية الثانية جاءت لتضيف مزيدًا من أسباب القسمة بين الفلامند والوالون. فالذين تعاونوا مع النازيين كانوا اكثر عددًا في صفوف الفلامند منهم في صفوف الوالون. أضف إلى ذلك موقف الملك ليوبولد الثالث الذي رفض الخروج من بلجيكا والالتحاق بوزرائه في الخارج أثناء الاحتلال النازي. فكان مدعومًا من الفلامند الذين تمسكوا بنظام الملكية في استفتاء ١٩٥٠ حول «قضية بقاء الملكية أو زوالها»، في حين ان أقلية دعمته في والونيا وبروكسل (المعروف ان الصناعة تتركز في والونيا وان الاشتراكيين أقوياء فيها وان نسبة كبيرة من الاصوات ذهبت لمصلحة استبدال الملكية بالجمهورية).

في الستينات، استمر الفلامند باندفاعهم نحو الحل الفدرالي، وقد ترافق ذلك مع الضعف الذي بدأ يطرأ على العامل الديني، وهو عامل موحّد في الأساس (أكثر الوالون والفلامند كاثوليك). في ١٩٥٨، تأسّس في الفلامند حزب (Volksunie) يدعو إلى الفدرالية، وبدت تباشير دينامية إقتصادية لدى الفلامند مترافقة مع ازدياد وزنهم في إدارة شؤون الدولة. كل ذلك أقلق الوالون وجعلهم هم ايضًا يفضلون الفدرالية على الارتباط الوحدوي، فنشأت، في ١٩٦١، حركة شعبية والونية تدعو إلى الفدرالية.

هكذا أخذت الاحزاب الرئيسية (المسيحي، الليبرالي، الإشتراكي)، التي كانت مشتركة، تتأقلم شيئًا فشيئًا، خاصة

بين ١٩٦٨ و١٩٧٨، فأصبح هناك في كل من هذه الاحزاب حزب فرنكوفوني (والوني) وآخر نيرلندوفوني (فلامندي). فكان من شأن هذه الاحزاب توسيع الهوة بين المجموعتين بالمطالب التي تتقدم بها وبحصر هذه المطالب بالمجموعة التي تنتمي إليها. ثم إن الثنائية اللغوية بدأت في التراجع: الشباب الفلامند يقبلون على تعلم الانكليزية، والشباب الوالون يستنكفون عن تعلم الهولندية، واكثرية السكان لم يعودوا يعرفون معنى كلمات النشيد الوطني.

وتأتي مشكلة المهاجرين لتزيد من التباعد بين المجموعتين. فقد تصاعدت موجات كره الاجنبي في السنوات الأخيرة، خصوصًا في بروكسل وبعض المدن الفلامندية وعلى رأسها مدينة أنفرس حيث يتواجد الاتراك والمغاربة باعداد كبيرة. وقد حصل حزب فلامز بلوك، اليميني المتطرف ضد الأجانب، على ١٧٪ من الاصوات في الانتخابات البلدية في ١٩٨٨، وعلى ٢٥٪ من الاصوات في الانتخابات التشريعية في ١٩٩١، واصبح الحزب الاول والأقوى في أنفرس. وهو في الاساس حزب قومي متطرف انفصالي ومعاد للفرنكوفونية؛ وقد بدأ، منذ ١٩٨٣، في وضع مطالبيه المعادية للمهاجرين على رأس لائحة اهتماماته وسياساته (جريدته تطبع أكثر من ٢٠٠ ألف نسخة يوميًا).

أما الاقتصاد (الرأسمال البلجيكي) فيبدو انه لا يزال أقل تأثرًا من السياسة والاجتماع في كل ما يتعلق بالتوترات القائمة بين المجموعتين. وهذا ما تدل عليه ضخامة الدور الذي يلعبه «الاتحاد الفدرالي لأصحاب الاعمال» ونفوذه في شؤون السلطة والادارة. لكن تململاً ومخاوف يبديها الفلامند في أكثر الاحيان من تركز الرأسمال في والونيا.

بلجيكا وأوروبا

(راجع «أوروبا» في الجزء الثالث).

عانى البلجيكيون الأمرّين أثناء الحربين العالميتين، إذ إن أرضهم كانت إحدى أهم ساحات القتال في اوروبا والعالم. وبعد دخولهم الحرب العالمية الاولى إلى جانب الحلفاء أقرّ هؤلاء بحق بلجيكا في الخروج من الحياد الذي فرضته الدول عليها منذ نشوء الدولة البلجيكية. لكن مخافة ان تعود إلى الحرب من جديد اعلنت بلجيكا الحياد (في ١٩٣٩) الذي لم ينفعها بشيء امام الغزو النازي لها في ايار ١٩٤٠. وبعد الحرب، نشطت الحكومة البلجيكية في إقامة شبكة تحالفات تضمن لها نظامًا دفاعيًا. فانضمت إلى هيئة الامم المتحدة وإلى الحلف الأطلسي في ١٩٤٩.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ورجال سياسة ودولة بلجيكيون ينشطون في اتجاه إقامة مؤسسات اوروبية بهدف تجنيب القارة نزاعات عسكرية جديدة، وبهدف الوصول إلى تحقيق وحدة اوروبا. وعلى رأس هؤلاء السياسيين البلجيكيين كان بول هنري سباك (راجع «اوروبا»، ج٣، ص٤١٠). وقد حاولت بلجيكا، في ١٩٥٢، انجاح مشروع «المجموعة الاوروبية للدفاع» (CED)؛ وكانت انضمت، في ١٩٥١، إلى «المجموعة الاوروبية للفحم والفولاذ» (CECA)؛ كما انها استبقت، ومنذ ١٩٤٧، السوق الاوروبية المشتركة، باقامتها لبروتوكول الاتحاد الجمركي مع

هولندا ولوكسمبورغ (بنيلوكس).

والعمل الاوروبي الوحدوي الذي تتحمّس له بلجيكا يضعه القوميون الفلامند والوالون، كل من ناحيته، في خدمة مشاريعهم، وينظرون إلى اوروبا الموحدة سياسيًا ككيان يمكن ان يحل محل الدولة البلجيكية المركزية. ففي حين يعمل أنصار اوروبا الموحدة على إلغاء الحواجز بين دولها وبلدانها، لا ينفك هؤلاء القوميون على تثبيت مثل هذه الحواجز في ما بينهم، ويتطلعون إلى الدخول في وحدة أوروبية كبرى على اساس فلامندي ووالوني وليس من باب الدولة البلجيكية، علمًا ان ثمة أقلية فلامندية تتطلع إلى الوحدة مع هولندا، وأقلية والونية إلى الوحدة مع فرنسا.

هذا الوضع القومي (أساسه لغوي) في البلاد جعل البعض يرون إلى بلجيكا وكأنها كانت مجرد بناء جيوبوليتيكي نافع في فترة معينة من التاريخ.

مدن ومعالم

* **أرلون Arlon** في اللغة الفلامندية Arlen: مدينة بلجيكية. قاعدة مقاطعة لوكسمبورغ، على نهر سيموا وتبعد ١٢٦ كلم عن لييج. نحو ٢٠ ألف نسمة. صناعتها وتجارتها مرتبطتان إلى حد كبير بالسياحة.

* **أنفرس Anvers**: «أنفرس» بالفرنسية و«أنتويرب» (Antwerpen) بالفلامندية.
مدينة في شمال بلجيكا. على بعد كيلومترات قليلة من الحدود الهولندية، و٨٨ كلم من بحر الشمال، على قناة ألبير ونهر إسكو. ميناؤها في اساس نموها (منذ قرون) وازدهارها، ويعتبر حاليًا رابع مرفأ في العالم بعد روتردام ونيويورك ولندن، ويؤمن وحده أربعة أخماس تجارة بلجيكا. ولا تزال المدينة تحتفظ بالصناعات التي كانت في اساس شهرتها: الأقمشة، الألماس، التبغ، صناعات السيارات، الكيميائيات والعقاقير. أنفرس القديمة لا تزال تحتفظ بعماراتها وبيوتها القديمة، وفيها كاتدرائية نوتردام ذات الطراز القوطي وهي أكبر وأشهر كاتدرائية في بلجيكا، وعدد من المتاحف (متحف روبنز، ومتحف ماير فان دربرغ، والمتحف الملكي...). وأنفرس مسقط رأس مشاهير، مثل جوردنز، منسيز، برميكي، بوربوز، تنيرز، فان دايك.

يعود إنشاء أنفرس إلى القرن السابع عندما توصل رهبان إيرلنديون إلى تجفيف اراضيها وجعلها صالحة للزراعة. في ٨٣٧ غزاها النورمانديون. شعارها الذي يمثل «اليد المقطوعة» (Handwerpen) ظهر في القرن الثاني عشر. بعد سيطرة دوقيات برابان في القرن الثالث عشر، قامت انتفاضة أدت إلى شرعة مكتوبة (كورتنبرغ، ١٣١٢). الانحطاط الذي اصاب مدينة بروج في القرن الخامس عشر أدّى إلى انطلاقة أنفرس على طريق الازدهار. فتأسست فيها أول بورصة تجارية في اوروبا (١٤٦٠)، واصبحت مركز التجارة والمواصلات في شمال اوروبا، واكبر مدينة في العالم في القرن السادس عشر. وجاء القرن السابع عشر، الذي عرف سلامًا نسبيًا، ليزيد من ازدهار المدينة، خاصة في مجال الفنون: انه عصر الفنان روبنز. لكن معاهدة وستفاليا (١٦٤٨)، التي قضت باقفال منافذ نهر إسكو، أدّت إلى تراجع كبير في الحركة التجارية عبر مرفأ المدينة. وبسبب أهميتها الاستراتيجية، أنشأ نابوليون فيها مصانع للسفن الحربية، وقد دافع عنها القائد الفرنسي كارنو في ١٨١٤. طالبت بها هولندا التي اضطرت إلى تركها مع وصول الجيش الفرنسي بقيادة جيرار في ١٨٣٢. أبدت أنفرس مقاومة في ١٩١٤ اتاحت المجال امام الجيش البلجيكي ليحقق تراجعًا إلى سهل إيسر. تعرضت لقصف شديد في ١٩٤٤.

عن شعارها «اليد المقطوعة» يردّد السكان هناك اسطورة مفادها انه كانت توجد على النهر قلعة منيعة يحكمها عملاق ضخم وكان يفرض الاتاوات الكبيرة على كل السفن التي تمر أمامه، وأي واحدة منها كانت ترفض الدفع كان يحطمها تمامًا، حتى جاء الجندي الروماني سفيلس باربو الذي واتته الشجاعة ليقاتل العملاق واستطاع ان يقطع اليد والقى بها في النهر. ومن عروق اليد المقطوعة برزت مدينة «أنتويرب» التي تعني في لغة الفلاندر اليد المقطوعة. فقد اتخذت المدينة من هذه الحكاية رمزًا لها واقامت تمثالاً للجندي، وهو ما زال يطوّح باليد في الساحة الرئيسية في المدينة.

وعن الألماس الذي تشتهر أنفرس بصناعته وتجارته فقد وصل إليها في مطلع القرن الخامس عشر عن طريق البندقية ومدينة بروج الفلامندية كذلك. ومنذ ذلك الوقت ازدهرت المدينة واصبحت اهم مركز في اوروبا لهذه الصناعة. وقد فقدت هذا

ساحة ألفرس وتمثال الجندي الروماني يحمل اليد المقطوعة ويستعد لالقائها في النهر.

المركز في أول القرن الحالي عندما انتزعته منها مدينة أمستردام، ولكن ما لبثت ان استعادته بعد الحرب العالمية الثانية. وفي وسط المدينة مربع صغير لا تتعدى مساحته ٢٥٠ مترًا مربعًا تتركز فيه اكثر من ألفي شركة، واكثر من ٣٠ ألفًا يقومون بشطف الألماس. وقد درت هذه الصناعة على المدينة حوالي ١٣،٤ بليون دولار في ١٩٩٢، أي ٧٪ من مجموع صادرات بلجيكا.

في ١٩٩٣، اختارتها أوروبا لتكون عاصمتها الثقافية إحياءً للتقاليد التي اتبعتها اوروبا منذ ١٩٨٥، باختيار عاصمة ثقافية لها كل عام. وفكرة اختيار عاصمة ثقافية للمجموعة الاوروبية كل عام تعود إلى النائب اليونانية ووزيرة الثقافة في اليونان، ميلينا ميركوري (كانت ممثلة سينمائية). وقبل أنفرس اختيرت كل من فلورنسا، امستردام، برلين، باريس، غلاسكو، ودبلن.

أهم ما ميّز العروض والاحتفالات الثقافية التي أقيمت في أنفرس في ١٩٩٣، الاهتمام الخاص الذي أعطي لأعمال الفنان روبنز (١٥٧٧-١٦٤٠) في بيته الذي تحول إلى أهم متحف من

متاحف أنفرس العديدة بعدما أصبح ملكًا للدولة منذ ١٩٣٧.

* برابان Brabant: منطقة تاريخية واقعة بين نهري إسكو وموز، ومقسمة بين بلجيكا (مقاطعة أنفرس وبرابان) وهولندا (برابان الشمالية). أحتلها الرومان ثم الفرنكيون. وبعدهم، أصبحت جزءًا من مملكة أوستزازيا ولوتارنجيا. في القرن التاسع، قسمت إلى أربع كونتيات، واصبحت دوقية في بداية القرن الثاني عشر. اصبحت من ممتلكات فيليب الثالث «الطيّب»، دوق بورغونيا (١٤٣٠). في ١٤٧٧، انتقلت إلى الأسرة النمساوية بفعل المصاهرة، وبعدها إلى الاسرة النمساوية-الاسبانية (١٥٥٣). الجزء الشمالي من برابان أعطي للمقاطعات المتحدة (هولندا) في ١٦٠٩. واعترفت معاهدة أوترخت (١٧١٣) بملكية الفرع النمساوي من اسرة هابسبورغ لقسمها الجنوبي. ضُمت برابان إلى فرنسا في عهد الثورة والامبراطورية، ثم ألحقت بهولندا في ١٨١٥، ثم أعيد تقسيمها مع إعلان استقلال بلجيكا في ١٨٣٠.
القسم البلجيكي يشكل مقاطعة بلجيكية، وفيه يمر الخط اللغوي الفاصل بين الفلامند (في الشمال) والوالون (في الجنوب). مساحتها ٣٣٧٢ كلم م.. نحو ٢،٥ مليون نسمة. من الإسم «برابان» إسم النشيد الوطني البلجيكي «برابنسون» (Brabanconne). قاعدتها العاصمة الاتحادية الحالية ذاتها: بروكسل. شهيرة بصناعاتها الغذائية.

* بارلي-هرتوغ Baarle-Hertog: مدينة صغيرة بلجيكية واقعة في الاراضي الهولندية (جيب بلجيكي داخل هولندا). وهذا الوضع الجغرافي الفريد عائد إلى حادث تاريخي: في ١٤٧٩، جرى ترسيم للحدود في المنطقة، فقسمت بارلي-هرتوغ إلى قسمين، قسم استمر تابعًا لفلاندرا.

* بروج Bruges: في الفلامندية Brugge، وتعني «الجسر». مدينة بلجيكية. قاعدة مقاطعة فلاندرا الغربية، على بعد ١٣ كلم من بحر الشمال، على نهر راي، عند ملتقى القنوات الموصلة إلى عدة مدن مثل أوستند وغاند. تعدّ نحو ٢٠٠ ألف نسمة. كرسي أسقفي. الأحياء القديمة منها تعود عماراتها إلى القرون الوسطى، منها كنائس واكثر من كاتدرائية وعدد من المتاحف. ومن بروج يتم تصدير مزروعات المنطقة، ولا تزال تحتفظ بصناعاتها التقليدية: المفروشات والأقمشة (شهيرة بالحرائر). وصناعاتها الحديثة: الآلات الزراعية والكهربائيات والالكترونيات؛ وصناعتها السياحية نشطة للغاية.

في العام ٨٣٧، شيّد كونت فلاندرا بودوان الملقب «ذراع الحديد» قصرًا قرب جسر (Brugge) استخدمه لإقامتهم كونتات فلاندرا واثرياؤها من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر. وكانت بروج مركز تبادل تجاري مهم للغاية (الأغطية والأقمشة الفلامندية، الأصواف الانكليزية، الأخشاب الاسكندينافية، الكهرمان الروسي، الخمور الاسبانية، وحرائر البندقية). كما عرفت المدينة، في القرن الثالث عشر، نهضة ثقافية وفنية ملائمة وملازمة لازدهارها التجاري. بدأت تنحسر تدريجيًا منذ اواخر القرن الثالث عشر (١٢٩٧)؛ وفي ١٣٠٣، اندلعت فيها حروب وفتن أهلية أدّت إلى تدخل الملك فيليب الجميل، ثم أتت الحروب الدينية، في عهد فيليب الثاني، لتقضي على ازدهار المدينة بصورة تامة. في القرن الخامس عشر، عاد الوهج إليها (تحت سلطة دوقيات بورغونيا)؛ لكن في القرن السادس عشر تراجعت بسبب الضمور الذي أصاب صناعة الاجواخ. ومع ذلك، استطاعت المدينة أن تهيء للملك شارلكان (شارل الخامس) استقبالاً تحف به الأبهة والعظمة. إلا أن الغزو الفرنسي (١٧٩٤) دمّرها، فحلّت

تحلها، في تجارة الشمال، غاند، إيبر وأنفرس. ومع مطلع القرن العشرين عادت المدينة تخطو خطوات متسارعة على طريق الازدهار.

* **بروكسل Bruxelles**: في الفلامندية Brussel، عاصمة بلجيكا. نحو مليون نسمة ونصف. على بعد ٣٠٢ كلم من باريس.

بروكسل «قلب اوروبا»، فإذا رسم المرء خطًا عرضيًا يمتد من اسكوتلندا إلى اليونان، وآخر رأسيًا يمتد من الدانمارك إلى اسبانيا لكانت بروكسل في تقاطع هذا الخط تمامًا. وبروكسل «عصب اوروبا»، فهي تضم مقر المجموعة الاوروبية، ومجلس وزراء هذه المجموعة، وقيادة الحلف الأطلسي، وعشرات المؤسسات المالية والسياسية المختلفة التي تهيء من اجل وحدة اوروبا المستقبلية. ولقد حصلت على كل هذه المزايا بالرغم من صغر بلجيكا و«قلة شأنها» في معترك السياسة الدولية. وقدتمّ اختيارها من اجل هذا السبب. ففي كل مرة يثور الخلاف بين جارتيها فرنسا وألمانيا يقع الاختيار على بلجيكا كحل مناسب.

الطفل الذي يتبوّل.

لبروكسل طابع مدن الشمال الباردة، وما زالت تحافظ على الطابع الاوروبي القديم الذي يمتد بجذوره إلى عصر النهضة، تنتصب في ميادينها الرئيسية الكاتدرائيات الفخمة والتماثيل، ويغلب الطراز القوطي على عماراتها القديمة.

شعارها تمثال «مانكن بي» (الطفل الذي يبول)، تمثال صغير من البرونز يمثل طفلاً عاريًا لا يكف عن التبول، نفّذه النحات الشهير ألدر في ١٦٤١. وتقول الروايات حول هذا الشعار إنه أثناء معركة رانسبوك، وكان ابن قائد المعركة طفلاً صغيرًا نائمًا في مهده المعلق إلى إحدى الاشجار، وعندما احتدمت المعركة نهض الطفل وأخذ يحث الجنود على الهجوم وتوجه ناحية الاعداء وأخذ يبوّل عليهم، وشجعت هذه الفعلة الجنود فهجموا وحاربوا وانتصروا. ورواية أخرى تقول إن هذا الطفل الذي كان في الخامسة، كان شقيًا لا يكف عن المشاغبة حتى انه ذهب إلى منزل الساحرة وتبول على جداره وغضبت الساحرة وحولته إلى تمثال حجري لا يكف عن التبول. نجا التمثال من الدمار الذي تعرضت له المدينة في ١٦٩٥ (حروب لويس الرابع عشر). لكنه تعرّض للسرقة أكثر من مرة، وكانت تتم استعادته حتى كان العام ١٨١٧ عندما سرق ولم يعثر عليه إلا محطمًا إلى قطع صغيرة استخدمت في ما بعد لصياغة التمثال البرونزي الحالي. هناك متحف خاص للملابس

التمثال فيه أكثر من ٣٤٥ زيًا (إحدى أهم هذه الملابس ثيابًا ذهبية قدمها الملك لويس الرابع عشر)، ولكنه لا يرتديها.

في العام ٩٧٧، اختار أوتون الثاني، وريث دوقية لوتارنجيا، الانكفاء إلى جزر متناثرة في منطقة تكثر فيها المستنقعات ليبني له فيها معاقل وحصونًا، فدعيت المنطقة نتيجة هذا الخيار وفي الوقت نفسه نتيجة هذا الوضع الجغرافي «بروكسل» («برووك» أي المستنقع، و«سيلا» أي السكن). وأولى المعاقل لم يتم إنشاؤها إلا في القرن الثاني عشر. وباعتبارها محطة بين كولونيا وفلاندرا فقد نمت بروكسل صناعتها من الاجواخ. وفي القرن الخامس عشر عرفت نهضة ثقافية وفنية. وفي ١٥١٦، جرى تتويج شارلكان في بروكسل (في ١٥٥٥، نقل هذا الملك سلطاته إلى فيليب الثاني). وأدّت السيطرة الاسبانية على المنطقة إلى سلسلة من الثروات والانتفاضات (اعدام عدد من النبلاء في ١٥٦٨). وأثناء الحروب التي خاضها لويس الرابع عشر (١٦٩٥)، قصف المارشال دو فيللوروا المدينة حتى كاد يدمّرها بالكامل، ولم تستعد سلامها إلا في عهد شارل دو لورّين (١٧٤٤-١٧٨٠). قاعدة المقاطعة الفرنسية «لا ديل»، ومركز إقامة ملك البلاد الواطئة. في ١٨٣٠ (آب وايلول)، نشبت ثورة أدّت إلى استقلال بلجيكا (راجع النبذة التاريخية). الملك ليوبولد الاول دخل بروكسل باحتفال ملكي في ١٨٣١.

في ١٩٤٨، شهدت بروكسل اجتماعات دولية أدت إلى توقيع معاهدة بروكسل القاضية بانشاء تحالف دفاعي لمدة خمسين عامًا، ووقعتها فرنسا وبريطانيا ودول البنيلوكس. وقد سبقت هذه المعاهدة معاهدة حلف شمال الأطلسي (الحلف الأطلسي)، ومعاهدة اتحاد اوروبا الغربية (١٩٥٤).

بروكسل ومنطقتها منطقة فدرالية في الدولة البلجيكية الفدرالية. وهي حيث والوني في فلاندرا، مساحته ١٦٢ كلم م.، و٨٠٪ من سكانه يتكلمون الفرنسية. وثمة نزاع بين الفلامند والوالون حول بروكسل: الفلامند يستندون إلى الجغرافيا، والوالون إلى السكان واللغة.

التعديل الدستوري، في كانون الاول ١٩٧٠، جعل من بلجيكا «دولة المجموعات والأقاليم»، أي انه قسّم بلجيكا إلى ثلاث مجموعات (الفرنسية، الفلامندية والألمانية)، وإلى ثلاث مناطق (والونيا، فلاندرا وبروكسل). وهذا التعديل، استتبع بتعديلات اساسية في ١٩٨٠، ١٩٨٨ و١٩٩٠ (تعديل ١٩٩٠ حدّد حدود منطقة بروكسل)، وبالتعديل الأخير في شباط ١٩٩٣ الذي جعل من بلجيكا دولة فدرالية تتمتع بروكسل ومنطقتها بكامل مواصفات المنطقة الفدرالية (مثل والونيا وفلاندرا) إضافة إلى كون المدينة عاصمة للدولة الفدرالية وتميزها صلاحيات خاصة وبمجلس إقليمي ينتخب أعضاؤه بالاقتراع الشامل والمباشر.

* **غاند Gand**: في الفلامندية Gent. مدينة ومرفأ بلجيكي. قاعدة فلاندرا الشرقية. تقع عند ملتقى نهري ليس (Lys) وإسكو. نحو ٣٢٥ ألف نسمة (مع الضواحي). في جزيرة واقعة في ملتقى النهرين المذكورين يقوم القسم القديم من المدينة حيث المباني والآثار التي تعود إلى عصر النهضة مثل فندق المدينة (١٦٠٠-١٦٢٢)، وعمارات سكنية لا تزال تحافظ على طرازها القديم، كاتدرائية سان بافون القوطية (١٢٢٨)، عدد من المتاحف، كنيسة بناها القائد الانكليزي ولينغتون بعد معركة واترلو. صناعاتها التقليدية ما تزال ناشطة مثل الصناعة القطنية. وقد اتاح ميناؤها نمو الصناعة الورقية والكيميائية، والميكانيكية والبتروكيميائية. مسقط رأس شارلكان (شارل الخامس).

إرسالية سان أماند الأنجيلية قصدت ارض غاندا (وتعني «الملتقى»، وهنا ملتقى النهرين) وأسست

عليها، في القرن السابع، كنيسة سان بافون. وأصبحت غاند، منذ القرن العاشر، قاعدة فلاندرا عندما شيّد الكونت فيليب دالزاس قصر الكونتات لينال من كبرياء البورجوازيين الذين أثروا بفضل تجارة الاجواخ. في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، تمكن الكونتات من الاحتفاظ بسلطاتهم بفضل مساعدة ملك فرنسا ضد أعدائهم صناعيي الاجواخ وتجاره وعلى رأسهم الثري جاك فان أرتفيلد الذي كان يفاوض إنكلترا. وقد شكلت فترة حكم أسرة بورغونيا (في القرن الخامس عشر) العصر الذهبي لمدينة غاند من حيث الفنون والآداب (من الأسماء الشهيرة فان آيك). أرهق شارلكان أبناء غاند بالضرائب، فثاروا في ١٥٤٠. وبعدما عرفت المدينة نهضتها الاولى في القرن السابع عشر (الدور الاساسي فيها للاسقف تريست)، عادت لتعرف ازدهارًا واسعًا بدءًا من ١٧٥٠؛ وبدأت الصناعة القطنية تحل محل صناعة الاجواخ. في ١٨١٦، أنشأ غيوم الاول (ملك هولندا) فيها جامعة جعلت من المدينة المركز العلمي الاهم في فلاندرا.

* **لوكسمبورغ Luxembourg**: مقاطعة بلجيكية تحدها من الشمال مقاطعة ليبج البلجيكية، ومن الغرب مقاطعة نامور، ومن الجنوب فرنسا، ومن الشرق دوقية لوكسمبورغ (الدولة الاوروبية). مساحتها ٤٤١٨ كلم م. (أكبر مقاطعات بلجيكا)، وتعد نحو ٣٠٠ ألف نسمة. يتكلم أهلها الفرنسية. قاعدتها أرلون. وهي منطقة سياحية.

* **ليبج Liege**: في الفلامندية Luik. مقاطعة ومدينة بلجيكيتان.

المقاطعة، مساحتها ٣٩٥١ كلم م.، وتعد نحو مليون و٤٠٠ ألف نسمة. اللغات: الفرنسية والألمانية. قاعدتها مدينة ليبج. تاريخيًا، كانت هذه المقاطعة إمارة كنسية، تابعة للامبراطورية الرومانية المقدسة، وكان الامراء الاساقفة يمسكون بسلطات قوية. بعد سيطرة اسرة هابسبورغ في القرن السادس عشر جاء دور الفرنسيين الذين توصلوا إلى ضم هذه المقاطعة في ١٧٩٥. ضُمت إلى هولندا في ١٨١٥، واصبحت بلجيكية في ١٨٣١.

المدينة (ليبج) تقع عند ملتقى نهري أورت وموز، وعلى مفترق خمسة محاور طرق دولية وفي قلب حوض غني بالفحم الحجري. تعد نحو ٥٥٠ ألف نسمة مع الضواحي. مدينة الفنون منذ القرون الوسطى. أهم منشآتها التاريخية: ساحة سان لامبير، قصر الامراء-الاساقفة (١٥٣٨، أعيد بناؤه في ١٧٣٧)، كنيسة الصليب المقدس (تأسست في ٩٧٦، وأعيد بناؤها في ١٢٢٠ وفي ١٣١٤)، وكنائس أخرى. وهناك متحف كورتيوس القائم في قصر مشيّد في القرن السابع عشر، ومتحف في كاتدرائية القديس بولس. فيها جامعة وأكاديمية الفنون الجميلة. صناعاتها ميكانيكية حديثة تعتمد على القصدير والنحاس والزنك، وهناك صناعات كيميائية. وفي ليبج مصنع وطني للأسلحة الحربية. مرفأ ليبج بدأ بالنمو والتوسع منذ شق قناة ألبير.

تأسست مدينة ليبج في القرن السابع على يد القديس لامبير، وفي ٧١٠ قامت فيها كرسي أسقفي. سبعة مجامع كنسية وديران بُنيا في القرن العاشر والقرن الحادي عشر، وكان الاساقفة على خلاف دائم مع الاباطرة الألمان. وعرفت ليبج، كما فلاندرا عمومًا، نزاعًا طبقيًا مبكرًا بين الاثرياء التجار (البورجوازية) وبين أصحاب الحرف والمهن. واصطدمت سيطرة أسرة بورغونيا على الامارة (القرنان الرابع عشر والخامس عشر) بمقاومة شديدة: ثورة ضد جان دو بافيير، سحقت في ١٤٠٨، ثم ثورة ضد لويس دو بوربون. الملك الفرنسي لويس الحادي عشر كان يدعم احيانًا ثوار ليبج، لكنه كان يتخلى عنهم في النهاية. دمّر الملك شارل المتهور إحدى مدن ليبج (دينان)

وانتزع من ليبج كل امتيازاتها (١٤٦٧)؛ واضحى سكان ليبج ضحية كل خلاف يعصف بين بورغونيا وفرنسا، حتى تم تدمير المدينة بصورة تامة تقريبًا (على يد الملك الفرنسي شارل). بعد ثورة غيوم دو لا مارك (١٤٨٢--١٤٨٥) الذي زرع الرعب وهُزم في الأخير على يد مكسيميليان النمساوي (صهر شارل المنهور) تمّ الاعتراف باستقلال الامارة. وأصبحت الامارة-الاسقفية من نصيب أسرة بافيار التي كانت تلاقي معارضة شديدة من أهل المدينة (ليبج). في القرن الخامس عشر، عرفت المنطقة نهضة صناعية عمادها المعادن. التنور والافكار التحررية في القرن الثامن عشر عرفت طريقها إلى ليبج التي استقبلت بحماس افكار ثورة ١٧٨٩ (الفرنسية)، فانتهت سيطرة الامراء-الاساقفة في ١٧٩٢. في الحرب العالمية الثانية، دُمّر اكثر من ٢٣ ألف بناية في ليبج (١٩٤٤)، وقد احتلها الالمان بين ١٩٤٠ و١٩٤٤.

* **مونس Mons**: في الفلامندية Bergen. قاعدة مقاطعة هينو. نحو ٣٥ ألف نسمة. مجمع كنسي بين ١٤٥٠ و١٦٢١. ساحة كبرى (القرن السادس عشر والقرن السابع عشر). متاحف. كلية بولينكنيك ومركز أبحاث نووية. صناعات بتروكيميائية، وسيراميك وزجاج وإسمنت. أقدم قصر فيها بني قبل ٦٤٢، وأقدم دير في ٦٥٠. قاعدة كونتية هينو في ١٢٩٥. وجاءت سيطرة أسرة بورغونيا (في القرنين الخامس عشر والسادس عشر) لتشكل عصرًا من الازدهار بالنسبة إلى مونس، في ما عدا فترات الحروب الدينية. أعيد ضمّها إلى فرنسا في ١٧٩٤ واصبحت قاعدة مقاطعة جيمابس. احتل الالمان مونس في ١٩١٤ و١٩٤٠.

***نامور Namur**: في الفلامندية Namen. مقاطعة ومدينة بلجيكيتان. مساحة المقاطعة ٣٦٦٠ كلم م.، وتعد نحو نصف مليون نسمة، لغتهم الفرنسية. قاعدتها مدينة نامور.

المدينة تقع عند ملتقى نهري سامبر وموز. تعد نحو ٥٠ ألف نسمة. كرسي اسقفي. برج يعود إلى القرن الرابع عشر. كاتدرائية (القرن الثالث عشر). متاحف. قلعة من القرن الثامن عشر وتتضمن على قصر كان مركز إقامة كونتات نامور. صناعات كيميائية وأقمشة.

في نامور آثار حصن تمكن منه القيصر الروماني في العام ٥٧ ق.م.. عرفت المدينة نموًا وتوسعًا في عهد شارلمان، ومن بعده في القرن التاسع وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر. الملك فيليب الطيّب (لو بون) اشترى نامور وكونتيتها في ١٤٢١. ازدهارها بسبب موقعها الاستراتيجي جعلها مركزًا مميزًا في المنطقة للعديد من النشاطات (ذكرها بوالو وراسين). أصبحت من نصيب كونت كليرمون في ١٧٤٦. أعادت النمسا سيطرتها عليها في ١٧٤٨، ثم دخلت في ممتلكات فرنسا في ١٧٩٢، حيث كانت قاعدة مقاطعة سامبر وموز حتى ١٨١٤. بعد واترلو (١٨١٥) أقام فيها القائد غروشي. قسّمت في ١٨٦٢، ثم عادت إلى وضعينها كمدينة موحدة في ١٨٨٧. في ١٩١٤، انسحب إليها الجيش البلجيكي قبل انكفائه إلى فرنسا.

* **هينو Hainaut** منطقة تاريخية تشكل المنطقة الحدودية بين بلجيكا وفرنسا. يرويها نهر إسكو ونهر سامبر. منطقة زراعية وصناعية: حوض الفحم الحجري. في القرن التاسع اصبحت كونتية. في القرن الحادي عشر ضُمت إلى فلاندرا، وعاشت منازعات حتى كان الحل على يد الملك الفرنسي لويس التاسع (بالتحكيم والتراضي) في ١٢٤٦: اعطاء هينو لأسرة أفين، وفلاندرا لأسرة

دامبير. آلت لأسرة بورغونيا، ومن بعدها لأسرة هابسبورغ (١٤٨٢). معاهدة بيرينه (١٦٥٩) ومعاهدة نيميغ (١٦٧٨) منحتا فرنسا حقًا في الجزء الجنوبي من هينو (هينو الفرنسية)؛ والقسم المتبقي (الشمالي) كان من نصيب النمسا، لكن جيوش الثورة الفرنسية ضمته إلى فرنسا حتى ١٨١٤ حيث اصبح مقاطعة هولندية، ثم مقاطعة بلجيكية بدءًا من ١٨٣٠.

هينو، في الفلامندية Henegouwen. مقاطعة بلجيكية. مساحتها ٣٧٩٠ كلم م.، وتعد نحو مليون نسمة ونصف، لغتهم الفرنسية. فيها أكثر من مائة قصر مصنّفة آثارًا تاريخية.

* **واترلو Waterloo**: مدينة بلجيكية صغيرة في مقاطعة برابان، جنوبي بروكسل، وتعد نحو ١٥ ألف نسمة. أعطت إسمها للمعركة التاريخية الشهيرة التي انهزم فيها نابوليون الاول امام الجيشين الحليفين الانكليزي والبروسي عند تل القديس جان في ١٨ حزيران ١٨١٥.
على قمة هذا التل ينتصب تمثال لأسد كاسر يمثل ارادة الذين انتصروا، واسفل التل يوجد تمثال لواحد فقط من القادة الخمسة الذين اشتركوا في المعركة: تمثال نابوليون بونابرت القائد الذي هزم. ولعلّها من المعارك القليلة في التاريخ التي اكتسب فيها المغلوب شهرة أكبر من الغالب.

زعماء ورجال دولة

* **ألبير دو لييج** (١٩٣٤-): شقيق الملك بودوان الاول وخليفته على عرش بلجيكا منذ آب ١٩٩٣. هو الأمير ألبير دو لييج قبل ان يصبح ملكًا. والمعروف ان دور الملك في بلجيكا دور دستوري محض إذ يكون فوق الاحزاب والصراعات السياسية، ويعتبر رمزًا لوحدة البلاد التي تتهددها الاختلافات اللغوية والاجتماعية (راجع النبذة التاريخية، «النصف الثاني من القرن العشرين»).

* **إيسكنس، غاستون Eyskens, G.** (- ١٩٨٨): سياسي بلجيكي ورئيس وزراء بلجيكا لعدة مرات (راجع النبذة التاريخية «النصف الثاني من القرن العشرين»).
«العقد الفدرالي» (ومن ثم النظام الفدرالي الذي اعتمدته بلجيكا منذ شباط ١٩٩٣) الذي تعاقدت عليه احزاب الائتلاف الحاكم إثر الانتخابات التشريعية في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩١ (الاشتراكيون والاجتماعيون المسيحيون الفلامند والوالون بدعم من الخضر الوالون والفلامند ومن الحزب القومي الفلامندي)، هذا العقد تنبأ به ورسم ملامحه إيسكنس في خطابه التاريخي الشهير في ١٨ شباط ١٩٧٠ (وكان حينها رئيسًا للوزراء) حيث قال: «الدولة الموحدة جعلتها الوقائع من الماضي. المجموعات والمناطق يجب ان تأخذ مكانها في بنى الدولة الحديثة». وجاء التعديل الدستوري، الذي اقترع عليه في كانون الاول ١٩٧٠ والذي أنشأ «دولة المجموعات والمناطق»، من جملة تعديلات لاحقة أوصلت

الملك البير وزوجته الملكة باولا.

البلاد في النهاية لاعتماد الفدرالية.

* **بـــــودوان الاول Baudouin I** (١٩٣٠-١٩٩٣): ملك بلجيكا. إسمه بودوان ألبير ليوبولـد أكسيل ماري غوستاف، الابن الثـاني للملـك ليوبولد الثالث، وخلفه العام ١٩٥١. ولد في قصر ستيفنبرغ قرب بروكسل. اضطـر (١٩٤٠)، على أثر الاحتلال الألماني لبلجيكا، للهـرب إلى فرنسا، ومنها إلى اسبانيا. ثم ما لبـث ان عـاد إلى بلجيكا ليعيش في عزلة تامـة مع افـراد العائلة المالكـة. في ١٩٤٤، قرر هتلر نفي العائلة إلى المانيا، حيث بقي بـودوان رهـن الاقامـة الجبرية حتـى ايـار ١٩٤٥ حيث حررته فرقة مـن الجيش الامـيركي. عـارض اكثر السياسيين البلجيكيين عـودة ليوبولـد الثـالث واتهمـوه بالتخاذل والخيانـة بسبب هربه. كمـا شكلت محكمة برلمانية قضت بحرمان الامير شارل، شقيق بودوان، وحصر ولاية العهد في الأخير. وفي ١٩٥٠، جـرى استفتاء شـعبي حـول موضـوع استمرار الحكـم الملكـي، ففـاز الملكيـون بنسـبة ٥٧،٦٨٪، وعارضـه اليسـاريون بشـدة. اسـتقال ليوبولد الثالث (تموز ١٩٥١) ليخلفـه بـودوان. في ١٩٥٩، أعلـن بـودوان في خطـاب تـاريخي قـرار

الملك بودوان وزوجته الملكة فابيولا.

كومة منح الكونغو استقلالها. عُرف عنه تألمه
لاده، وقد ارغمه ذلك على التوازن بينهما
لامند والوالون) في كل شيء، حتى انه كان
ي خطاب العرش باللغتين معًا، يقرأ الفقرة
رنسية ثم يعيد قراءتها بالفلامندية. ديمقراطي
تأنس، ونادرًا ما استخدم سلطاته (راجع النبذة
ريخية «النصف الثاني من القرن العشرين»).

ندمنس، ليو Tindemans, Leo (١٩٢٢-):
اسي ورجل دولة بلجيكي. عضو في مجلس
اب (منذ ١٩٦١). وزير الشؤون الاجتماعية
١٩٦-٧٧)، والزراعة والطبقة الوسطى
١٩٧-٧٤). رئيس الوزراء (١٩٧٤). نائب
س الاتحاد المسيحي الديمقراطي الاوروبي.

استقال ١٩٧٨ (راجع النبذة التاريخية «النصف
الثاني من القرن العشرين»).

* **دوغرل، ليون:** سياسي بلجيكي ارتبط إسمه
بزعامته للحركة «الركسية»، وهي حركة محافظة
نمت في بلجيكا بقيادته ابتداء من ١٩٣٥. وصلت
إلى أوج قوتها في الانتخابات التشريعية (٢٤ ايار
١٩٣٦). كانت كاثوليكية النزعة، قبل ان تتسيّس
تدريجيًا وتصبح «جبهة ركس الشعبية»، وتأخذ
جانب نصرة الفاشية مطالبة بالتعاون مع المانيا
النازية طيلة الحرب العالمية الثانية. انهارت مع نهاية
الحرب، وأعدم العديد من قادتها. وتعود تسميتها
إلى التعبير اللاتيني «كريستوس ركس» أي
«يسوع الملك».

*** دوهان، جاك لوك .Dehaene, J.L**: راجع النبذة التاريخية «النصف الثاني من القرن العشرين»، وراجع «سانتر، جاك في أوروبا، ج٣، ص٤١٢).

*** ديمان، هنري .Deman, H** (١٨٨٥-١٩٥٣): سياسي اشتراكي بلجيكي. اشتغل في الصحافة في المانيا. تطوع في الحرب (١٩١٤)، ثم ذهب إلى اميركا. وما لبث أن طرد منها. استاذ اكاديمي، ثم رئيس الحزب العمالي البلجيكي. دعا إلى كسب الطبقات المتوسطة إلى صف الاشتراكية. وزير عمل (١٩٣٥)، وزير مالية (١٩٣٧). بقي مع الملك ليوبولد الثالث ولعب دورًا في مفاوضات استسلام الجيش البلجيكي (الحرب العالمية الثانية). تعاون مع قوات الاحتلال، ثم اختلف معها، فانسحب إلى سافوا، ثم إلى سويسرا. حكمت عليه المحاكم البلجيكية بعقوبات جسيمة. مات في حادث سيارة (٢٠ حزيران ١٩٥٣).

*** سباك، بول هنري .Spaak, P.H** راجع «اوروبا، ج٣ ص٤١٠.

*** فان زيلاند، بول .Van Zeeland, P** (١٨٩٣-١٩٧٣): سياسي بلجيكي، شغل مراكز سياسية وادارية متعددة، منها رئاسة الوزراء ما بين ١٩٣٥ و١٩٣٧، إضافة إلى رئاسة مجلس عصبة الامم في الفترة نفسها. كان رجل اختصاص في الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية، وكان وراء إنشاء الرابطة (المجموعة) الاوروبية للتعاون الاقتصادي (١٩٤٦)، ودافع عن الحلف الاطلسي، وفي الوقت نفسه، عن تحسين العلاقات وتخفيف التوتر مع اوروبا الشرقية.

كان عضوًا فعالاً في الحزب الكاثوليكي البلجيكي، واصبح وزيرًا في ١٩٣٤، ورئيس وزراء في ١٩٣٥، وقد سمّي حكومته حكومة الاصلاح الوطني، وكان همها معالجة الازمة الاقتصادية فاتخذت الحكومة إجراءات اقتصادية لمعالجة الازمة النقدية في بلجيكا، وخفضت سعر الفرنك البلجيكي ٢٨٪. ورغم نجاحه في الانتخابات التي جرت في بروكسل في ١٩٣٦ لعضوية مجلس النواب فقد اضطر إلى تقديم استقالته بعد فضيحة مالية.

التجأ إلى لندن في ١٩٤٠، وشارك هناك في المجلس التشريعي البلجيكي الذي اتخذ من لندن مقرًا له. وفي ١٩٤٤ عمل مفوضًا لشؤون عودة البلجيكيين إلى بلادهم. في ١٩٤٥ (نهاية الحرب)، شغل منصب سفير فوق العادة، ثم عضو في لجنة الوفاق المكلفة بالمسألة الاندونيسية. وزير دولة في ١٩٤٨، ووزير خارجية بين ١٩٤٩ و١٩٥٤، وترأس بهذه الصفة مجلس وزراء المجموعة الاوروبية ومجلس الاطلسي. في ١٩٦٣، انسحب من الحياة العملية ليعيش شيخوخة هادئة حتى وفاته في ١٩٧٣، بعد نيله لقب فيكونت من الملك بودوان.

*** كلايس، ويلي**: راجع النبذة التاريخية، «النصف الثاني من القرن العشرين»، وراجع «أوروبا، حلف الاطلسي، ج٣، ص٣٣٤-٣٤٢».

*** لوفيفر، تيو Lefevre, Theo** (١٩١٤-١٩٧٣): سياسي بلجيكي. رئيس الوزراء (١٩٦١). ولد في مدينة غاند الفلامندية. دكتور في الحقوق ونائب (١٩٤٦). نائب في البرلمان الاوروبي (١٩٥٩). رئيس الحزب الاجتماعي من ١٩٥٠ إلى ١٩٦١، ورئيس الاتحاد الدولي للديمقراطيين المسيحيين (١٩٥٩). وزير دولة (١٩٥٨). رئيس الوزراء (١٩٦١) خلفًا لغاستون إيسكنس. وزير بلا حقيبة من ١٩٦٨ إلى ١٩٧١ ومكلف بالاشراف على البرمجة العلمية. انتخب في ١٩٧٣ رئيسًا للجامعة الكاثوليكية الفلامندية في لوفان.

* **ليوبولــد الثــالث Leopold III** (١٩٠١-١٩٨٣): ملـك بلجيكـا (١٩٣٤-١٩٥١). هـو ابـن ألبير الاول، اعتلى العرش بعد وفاة والـده المفاجئة وهـو يمارس رياضة تسلق الجبال. درس فترة في إحدى مدارس انكلترا وقام بعدة رحلات إلى أميركا وافريقيا وآسيا. تزوج في ١٩٢٦ فانجب ثلاثة اطفال، أحدهم بودوان الـذي اعتلى العرش (١٩٥١-١٩٩٣)، وآخر ألبير دو لييــج الـذي اعتلى العرش بعد وفاة شقيقه بودوان (١٩٩٣).

كان هـم ليوبولد الثالث الاساسي الابقاء على حياد بلجيكا، فعارض إيصال خط ماجينو (العسكري) حتى دنكرك. حاول مقاومة الغزو الألماني (١٩٤٠) ولم يفلح، فوقّع وثيقة الاستسلام بلا قيد ولا شرط بصفته القائد الاعلى للجيش البلجيكي دون إشعار الحلفاء بذلك ورغم معارضة رئيس الـوزراء ومعظم الـوزراء الذين انتقلوا إلى لندن وطالبوه، عبثًا، الالتحاق بهم في المنفى. اجتمع بهتلر في تشرين الثاني ١٩٤٠ بهدف تحرير المساجين. تزوج من جديد في ١٩٤١، وأدّى هـذا الزواج إلى مشاكل دستورية وضعت «المسألة الملكية» على بساط البحث، ذلك ان زوجته الاولى (وكانت تتمتع بشعبية اسطورية) كانت توفيت بحادث سيارة كان يقودها شخصيًا في سويسرا في ١٩٣٥. نفي وعائلته إلى ألمانيا في ٧ حزيران ١٩٤٤. ورفضت الحكومة السماح له بالرجوع بعد انتهاء الحرب، فالرأي العام البلجيكي كان ما يزال غاضبًا من استسلامه وما اعتقده (الرأي العام) تعاونًا من الملك مع النازيين. فبدأ الصراع بين الاحزاب حول ما سمّي «المسألة الملكية» (عودة الملك، تنصيب سواه، او استبدال الملكية بالجمهورية). فالحزب الكاثوليكي أيّد رجوعه. وفي انتخابات حزيران ١٩٥٠، نجح الحزب الاجتماعي المسيحي في الحصول على الاغلبية المطلقة، وأيّد رئيس الوزراء عودة الملك.

وقد أدّى هذا القرار الحكومي إلى ردود فعل عنيفة من اليسار الذي هدّد بتنظيم مسيرة إلى بروكسل؛ وإزاء خطر نشوب حرب أهلية نجح الملك في اول آب ١٩٥٠ في الحصول على قرار يسمح بموجبه التخلي عن صلاحياته الملكية لابنه بودوان الذي اعتلى العرش في ١٦ تموز ١٩٥١، والذي بقي بعيدًا عن الاحداث السياسية حتى ١٩٥٩.

* **ليوبولد الثاني Leopold II** (١٨٣٥-١٩٠٩): ملك بلجيكا من ١٨٦٥ حتى وفاته في ١٩٠٩. ابن ليوبولد الاول (١٧٩٠-١٨٦٥) الذي هو أمير من أصل ألماني واصبح ملك بلجيكا في ١٨٣١ ومؤسس السلالة الملكية التي لا تزال تحكم حتى اليوم (راجع النبذة التاريخية).
وجّه ليوبولد الثاني اهتمامه لتعزيز استقلال بلجيكا، فتصدى، بمساعدة إنكلترا، لمناورات نابوليون الثالث وتحرشاته ضد بلجيكا. وعمل، منذ ١٨٩٠، على تقوية بلاده عسكريًا لاعتقاده ان سياسة الحياد لا تعني عدم الاهتمام بالجيش وتسليحه، ووقع بنفسه قانون الخدمة العسكرية. وساهم بقسط وافر بتعزيز القدرة الاقتصادية من خلال تجديد المرافىء وتوسيع شبكة المواصلات (الحديدية والنهرية والبرية)، فاصبحت بلجيكا في عهده قوة اقتصادية كبيرة، واستطاع بصفة شخصية استعمار الكونغو من خلال شركات أسّسها وأشرف عليها بنفسه. وفي مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤ (راجع ألمانيا، «برلين، معاهدات ومؤتمرات»، ج٣، ص١٠٤)، نجح في اعلان الكونغو «دولة مستقلة»، وانتزع إقرار المؤتمرين بسيادته على هذه الدولة بصفة شخصية. فحاول تنظيمها سياسيًا وإداريًا، ورسم حدودها، ومنع الرق، وسمح بحرية التجارة. عارضه الاشتراكيون والليبراليون، لكن هذا لم يمنعه من ان يورث الكونغو إلى بلجيكا بوصية كتبها في ١٨٨٩. ولم يقبل البرلمان والهيئات الدستورية البلجيكية بهذه

الوصية إلا قبل سنة واحدة من وفاته.

* **مارتنس، ويلفريد:** راجع النبذة التاريخية، «النصف الثاني من القرن العشرين».

* **ماندل، إرنست** Mandel, E. (١٩٢٣- ١٩٩٥): سياسي ومفكر وعالم إقتصادي وشيوعي تروتسكي بلجيكي، وقيادي بارز في الامانة الموحدة للاممية الرابعة، وعضو العصبة الشيوعية الثورية في فرنسا. عرف عنه تلازم موقعه الفكري مع الممارسة الحية في جميع مراحل حياته.
شارك في بداية شبابه بمقاومة الاحتلال النازي لبلجيكا إلى جانب الكاتب المعروف ابراهام ليون صاحب الكتاب المرجعي في «المسألة اليهودية». وقد نُقل ماندل إلى معسكر عمل نازي واستطاع الهرب ليقود تيارًا نقابيًا في بلجيكا.
بعد هذه المرحلة بدأت مسيرته الشخصية ترتبط بمسيرة الحركة التروتسكية المعادية لستالين. ذهب إلى يوغوسلافيا ليبيّن ان تيتو ليس هو الفاشي كما تدعّي موسكو، وإلى كوبا ليحاور غيفارا الذي كان وزيرًا للصناعة. كان في فرنسا في ١٩٦٨ وشارك في انتفاضتها الطلابية وفي مؤتمرات عدة داخل باريس رغم قرار منعه البقاء في فرنسا.
زار بلدانًا في اوروبا الشرقية والتقى شخصيات عدة فيها تناضل ضد البيروقراطية الستالينية.
استاذ في جامعة بروكسل. أثرت افكاره تأثيرًا بالغًا على اليسار الطلابي في الستينات. صاحب مجموعة كبيرة من المؤلفات، أشهرها «النظرية الاقتصادية الماركسية» المترجم إلى عشرين لغة، والذي يدرس كمرجع اساسي في بعض كليات الاقتصاد في العالم. و«الرأسمالية المتأخرة» الذي تدور فكرته الاساسية على ان الثورة التكنولوجية في الغرب، التي تقدم من قبل البعض على انها مخرج لتناقضات الرأسمالية، ليست سوى جرعة مؤقتة وعابرة، لأن الاحلال الواسع للأتمتة يفخّخ أسس الرأسمالية

إرنست ماندل.

نفسها بحيث يقضي على مبدأ اشتغالها الرئيسي أي قانون القيمة وضمان الربح من خلال العمل المأجور... وكتابات أشهرها «الاتحاد السوفياتي في ظل غورباتشوف» و«السلطة والمال» (١٩٩١).
كانت السنوات الخمس عشرة الاخيرة من حياته، بالرغم من مرضه، سنوات نشاط كبير. فقام بأول زيارة للاتحاد السوفياتي في ١٩٩١، واجرى مقابلات عديدة باللغة الروسية في وسائل الاعلام. وحاول في الاسابيع الاخيرة قبل وفاته حضور مؤتمر الاممية الرابعة (حزيران ١٩٩٥)، وبالرغم من اشتداد مرضه قدّم مداخلة صغيرة في بداية المؤتمر عبّر فيها عن قلقه إزاء مصير الانسانية المهدّد بالدمار. وشكّلت مداخلته دعوة صريحة ومباشرة لمناضلي الجيل الجديد نحو الاستمرار في النضال. توفي في ٢١ تموز ١٩٩٥ إثر نوبة قلبية في بروكسل (من حسن يتيم، «الحياة»، ١٧ ايلول ١٩٩٥، صفحة تيارات).

البلطيق

(راجع إسنونيا ولاتفيا وليتونيا، كلاً في موقعها من الموسوعة).

بحر البلطيق: يحتل هذا البحر وسط الحوض الاسكنديناني، وقد اصبح بحرًا إثر ذوبان الكتلة الجليدية منذ ما قبل ١٠-١٥ ألف سنة (أي انه حلّ محل هذه الكتلة، فيكون البحر الأحدث عمرًا بين بحار الكرة الارضية). قليل العمق نسبيًا (ما متوسطه ٦٥م.)، ويلعب دورًا في ترطيب مناخ الدول المجاورة، وهو بالغ الاهمية كطريق للتجارة والملاحة في ما بينها.

تابع للمحيط الاطلسي. مساحته نحو ٤٠٠ ألف كلم م.، ويقع بين السويد شمالاً (خليج بوتنيا)، وفنلندا (خلجان بوتنيا، وفنلندا، وريغا) وروسيا وليتونيا ولاتفيا وإستونيا شرقًا، وبولونيا والمانيا جنوبًا، والدانمارك غربًا. يتصل ببحر الشمال بعدة مضائق وبقناة كييل، ويتصل بالبحر الابيض بقناة البلطيق-البحر الابيض، ويتصل بالفولغا بقناة الفولغا-البلطيق. ملوحته قليلة نسبيًا بسبب مياه الانهار التي تصب فيه. أهم الموانىء الواقعة عليه: كوبنهاغن، أودنس (الدانمارك)؛ كييل، لوبيك، فيسمار، روستوك (ألمانيا)؛ سزكزسن، غدنيا، غدانسك (بولونيا)؛ ريغا (استونيا)؛ لينينغراد (روسيا)؛ هلسنكي (فنلندا)؛ لوليا، غاول، ستوكهولم، مالمو (السويد).

غني بأسماكه (خاصة سمك الهارنغ والموروس). يحتضن جزرًا عديدة تابعة للدول المجاورة، أهمها: ألاند، بورنهولم، فالستر، فيوني، غوتلاند، كيوما، لولاند، مون، أولاند، روغن، ساريما، سجايلاند، أوزنام، وولن). وهذه الجزر، وكذلك منطقة البلطيق غنية بمادة «الكهرمان»، وهي أساسًا صمغ شجري متحجر منذ ملايين السنين، تكوّن في غابات الصنوبر التي كانت تغطي قبل ٤٠-٥٠ مليون سنة مناطق شاسعة في أنحاء البلطيق. هذه الغابات اختفت قبل ازمان سحيقة مخلفة وراءها الكهرمان سواء تحت الارض أو في أعماق بحر البلطيق. وغالبًا ما تلقي العواصف الخريفية كتلاً من الكهرمان على شواطيء البلطيق التي اعتاد سكان السواحل البلطيقية منذ القدم ارتيادها بحثًا عن تلك الكتل. ويعتقد ان كهرمان البلطيق وصل إلى مناطق بحر إيجه بين ٢٦٠٠ و٢٠٠٠ق.م. واسمه باليونانية كان «الكترون» ويعني مادة شمسية، وإسمه العربي «كهرمان» مرتبط بكلمة كهربا مما يعكس قدرته على خلق شحنة كهربائية. وعلى الرغم من ان كميات قليلة من الكهرمان ما تزال تجمع من البحر، إلا ان القسم الاكبر من كهرمان البلطيق يتم استخراجه حاليًا من المناجم. وهناك بعض،الكهرمان الموجود في انحاء أخرى من العالم لكن ٩٥٪ من الانتاج العالمي يأتي من البلطيق، خاصة من مقاطعة كالينينغراد (جيب روسي على بحر البلطيق) حيث بلدة «بانتارني» أي الكهرمانية، وهي مركز انتاج هذه المادة ومعالجتها. وتطلق على كهرمان البلطيق تسميات مثل «دمع البحر» و«الحجر الدافيء» و«الماس الأصفر».

يعطي بحر البلطيق إسمه لإستونيا وليتونيا ولاتفيا، فيقال لها «دول البلطيق».

شعوب البلطيق: تاريخ هذه البلدان (إستونيا، لينونيا ولاتفيا) لم يبدأ، بصورة خاصة بكل منها، إلا في القرن الثاني عشر؛ والآثار التي تعود إلى ما قبل القرن الرابع والتي تدل على وجود بشري في المنطقة ما تزال نادرة. والأمر الذي توصل إليه المؤرخون عن شعوب هذه البلدان ان الاختلاف الأساسي في ما بينها هو إختلاف لغوي اساسًا، وانها تقسم إلى مجموعتين لغويتين:

- مجموعة فينو-أوغريان التي وصلت

شعوبها إلى منطقة البلطيق قبل قليل من بدء العصر المسيحي.

– المجموعة البلطيقية المنتسبة إلى ثلاثة فروع هندو–اوروبية والتي تتكلم لغات قديمة جدًا فيها تشابه باللغات السلافية وتتضمن بعض الاستعارات من اللغات الجرمانية. سكنت هذه الشعوب المناطق المعروفة اليوم باسم «لاتفيا» منذ الألف الثاني ق.م.، ما يدعو إلى الاعتقاد ان البلطيق كان من المناطق الاوروبية الاكثر قدمًا من حيث الوجود البشري إضافة إلى كونه منطقة توزعت منها الشعوب الهندو–اوروبية إلى سواها من المناطق.

التأثيرات الرومانية شبه غائبة عن المنطقة، وقد توقفت عند مناطق جرمانيا الشرقية، في حين ان التأثيرات الاسكندينافية والسلافية كانت قوية وقد رسّختها التبادلات التجارية خصوصًا في لاتفيا وبدءًا من القرن السابع. وفي هذا القرن، بدأت المسيحية تتسرب إلى البلاد بفضل نفوذ طبقة التجار السويديين. وفي القرن التاسع، توسعت العلاقات التجارية حتى وصلت إلى بيزنطية وبغداد (البحر البلطيق–البحر الاسود).

سبعة قرون من التقلبات: وفي حين ان اوروبا كانت قد أصبحت مسيحية ومنهمكة بالحملات الصليبية باتجاه الشرق، كانت المسيحية (الكاثوليكية في بداية الأمر) تدخل بلدان البلطيق ببطء، وبتعثر احيانًا، وفي إطار من المبادرات السياسية او العسكرية. وقد ترافق ذلك مع نمو وعي شعوب البلطيق لهويتها ومصيرها. ففي ١٢٠١، قام الأسقف الألماني ألبير دو بوكسوفدن، يدعمه البابا إينوسّن الثالث والامبراطور الجرماني، بتأسيس مرفأ ريغا، وبجعله مكانًا لاقامة بورجوازيين أتى بهم من المدينتين الألمانيتين، برليم وهامبورغ. وبعد أقل من ثلاث سنوات، نشأ تنظيم يضم فرسانًا على غرار التنظيم الذي كان معروفًا سابقًا في اوروبا وفي إطار أجواء الحروب الصليبية «جنود – أو حرّاس – الهيكل» (Templiers). هكذا، كان المعتقد المسيحي يفرض في البلطيق عن طريق الاحتلال. وكانت مقاومة الفلاحين في البلطيق تصل احيانًا إلى حد الثورة، مثل ثورة جزيرة أوزل التي لم يتم سحقها إلا بعد تدخل ملك الدانمارك. وقد تسنّى لحراس الهيكل ان يصبحوا أسياد القسم الأكبر من ليتونيا وإستونيا، و لم يتوقف توسعهم نحو الشرق إلا في العام ١٢٤٢ بفعل المقاومة التي قادها ضدهم ألكسندر نفسكي على ضفاف بحيرة بيبوس. ومع النمو التجاري كانت تنمو ايضًا طبقة مدنية ذات اصول ألمانية؛ كما تمّ اندماج «فرسان الهيكل» في البلطيق في «فرسان الهيكل» الألمان العائدين من حروبهم الصليبية في الشرق.

قاوم سكان ليتونيا غزو التيتون (الألمان)، وكانت القبائل الليتونية ما تزال وثنية حتى القرن الثالث عشر، وكان يقودهم رجل عسكري ودبلوماسي في آن، ويدعى ميندوغاس، الذي استفاد من حالة عدم الاستقرار التي كانت عليها الامارات الروسية ليعمل على التوسع باتجاه الشرق.

خلفاؤه، في القرن الرابع عشر، اعتنقوا الكاثوليكية، وتوصلوا إلى ان يحكموا اتحادًا كبيرًا من شعوب اكثريتها كانت على المذهب المسيحي الأرثوذكسي، وقد ترامت ارضها ما بين البلطيق والبحر الاسود: إنها ليتونيا الكبرى. وجاء زواج أحد هؤلاء الامراء، ويدعى جو غايلا، من وريثة عرش بولونيا (١٣٨٦) ليكرّس أول إتحاد شخصي بين الدولتين. وهذا التحالف وصل إلى أوج قوته عندما تمكن أمير ليتونيا، في ١٤٠٩، وفي إحدى المعارك الاعنف التي عرفتها القرون الوسطى من تحقيق نصر على الألمان وردّهم عن البلاد.

في القرن السادس عشر، ونتيجة لازدياد

الهيمنة البولونية الكاثوليكية (أكثرية سكان ليتونيا أرثوذكس)، أخذ الكثيرون من النبلاء الليتونيين يتجهون بأنظارهم ناحية القيصر الروسي. ومخافة الوقوع في أنياب القيصر، وقعت معاهدة اتحاد واندماج بين البلدين، ليتونيا وبولونيا، في مدينة لوبلن عام ١٥٦٩.

دخل اليسوعيون. بنوا المدارس واستعملوا اللغة اللاتفية والليتونية في هذه المدارس وفي جامعة فيلنيوس التي أسسها ملك بولونيا إتيان باتوري في ١٥٧٩.

وكانت الحروب الدينية، مترافقة مع الوهن الذي كان يصيب الوجود الألماني. فخلت الساحة للبولونيين والسويديين. واستطاع ملوك السويد، منذ غوستاف أدولف، الابقاء على سيطرتهم على إستونيا وليفونيا. وفي ١٦٦٢، بدأ الملك السويدي شارل الحادي عشر حكمه بابرام معاهدة أوليفا للسلام التي ثبتت مكتسباته، وبتأسيس جامعة تارتو الاصلاحية المنافسة لجامعة فيلنيوس.

إلا ان السيطرة السويدية ما لبثت أن أثارت ضغينة «بارونات البلطيق»، أصحاب الامتيازات التي تعود إلى ما قبل نحو ثلاثة قرون. فبعد هزيمة ملك السويد شارل الثاني عشر أمام القيصر الروسي بطرس الأكبر في بولتافا (١٧٠٩)، غزا القيصر ليفونيا حيث استقبله النبلاء كمحرّر لبلادهم.

جاءت معاهدة نيستاد (١٧٢١) ومسلسل تقسيم بولونيا ليحدّدا مصير بلاد البلطيق لمدة قرنين من الزمن. تمكن البارونات من تثبيت امتيازاتهم، وفي المقابل ظهر سخط الفلاحين بصورة جلية في أغانيهم الشعبية إلى درجة أن الفيلسوفين الألمانيين، هيرد وميركل، أكتشفا (في اواخر القرن الثامن عشر) نواة للقومية في إطار المشكلة الاجتماعية البلطيقية. وإلغاء العبودية في بداية القرن التاسع عشر لم يؤد إلى أي تحسين في ظروف حياة الفلاحين في البلطيق.

وكان لمجيء القيصر نقولا الثاني، وللقمع الذي نزل في ثورة ١٨٣٠ الليبرالية، ان عجّلا في اليقظة القومية. ثورة ليتونيا كانت من صنع الارستقراطية والبورجوازية والكنيسة التي كانت، جميعها ذات ثقافة كاثوليكية بولونية. إلا ان سحقها نزع كل أثر بولوني، لكنه في المقابل كان في اساس مدّ قومي ليتوني رغم إقفال جامعة فيلنيوس.

في إستونيا ولاتفيا، اصطدمت النزعة السلافية للقيصر الكسندر الثالث والقيصر نقولا الثاني بنزعة البارونات الجرمانية (الألمانية). وسرعان ما عمل الروس على روسنة جامعة تارتو التي كانت مركزًا نشطًا ومهمًا في نشر الثقافة الألمانية. ومع بداية القرن العشرين، أخذت عمليات روسنة البلدين (إستونيا ولاتفيا) شكل مكافحة كل ما هو غير أرثوذكسي، إضافة إلى هيمنة الرأسمالية الروسية. وجاء النمو الصناعي والتجاري (٢٥٪ من التجارة الروسية الخارجية كانت تعبر من مرافىء لاتفيا) ليؤدي إلى نزوح ريفي إلى المدن، ومن ثمّ إلى نمو الوعي القومي.

ساحة صراع لنفوذ الدول يمتد إلى ما قبل قرون طويلة، والثورة الروسية في ١٩٠٥، أدّيا ببلدان البلطيق لأن تعرف نهضة أدبية حقيقية.

الاستقلال: غزا الألمان بلدان البلطيق في ١٩١٥، وجاءت معاهدة بريست ليتوفسك (١٩١٧) لتثبت هذا الاحتلال الذي جوبه بعمليات مقاومة. بعد الهدنة (الحرب العالمية الاولى) اتفقت الحكومة الألمانية وجمهوريات البلطيق الثلاث الفتية على الدفاع المشترك ضد العدو البلشفيكي المشترك. وفي ١٩٢٠ و١٩٢١ اعترف الاتحاد السوفياتي وألمانيا والحلفاء باستقلال هذه الجمهوريات التي انضمت إلى عصبة الامم. كانت البدايات صعبة جدًا على هذه الجمهوريات

بسبب المناوشات العسكرية بين الالمان والسوفيات وهروب الرأسمال الروسي. والحرب الروسية- البولونية التي اندلعت في تلك الاثناء جعلت الليتونيين يقفون إلى جانب الروس، إذ كانوا غير راضين عما اقتطع من مناطقهم الحدودية الجنوبية لمصلحة بولونيا. وفي ١٩٢٣، عقد مؤتمر دولي أقرّ حدود ١٩٢٠ بصورة نهائية.

تبنت لاتفيا النظام الدستوري الفرنسي. لكن عدم الاستقرار الوزاري والصراع ضد البلشفية دفعا باتجاه اتخاذ إجراءات استثنائية تقضي بتقوية السلطة التنفيذية. وفي ١٩٢٦، قام انقلاب عسكري في ليتونيا فرض نظامًا دكتاتوريًا. في الجانب الاقتصادي والاجتماعي، استمرت الامور صعبة والمبادرة بطيئة في البلدان الثلاثة.

منذ نهاية ١٩٣٨، بدأ الوضع يتفاقم عندما طرح الرايخ الثالث (ألمانيا النازية) مشكلة ضم ميميل (كلايبيدا) التي كانت عصبة الامم عهدت بادارتها لليتونيا. وقد رضخت هذه الأخيرة للضغط النازي. وعمدت الدول البلطيقية الثلاث، على أثر ذلك إلى توقيع ميثاق عدم اعتداء مع ألمانيا (١٩٣٩). لكن توقيع الميثاق الألماني-السوفياتي، في آب ١٩٣٩، جعل هذه الدول فريسة النفوذ السوفياتي، فدخلتها الجيوش السوفياتية في ١٩٤٠. وفي ٢١ تموز (١٩٤٠) قررت برلمانات هذه الدول (انتخب أعضاؤها على عجل وجاءت الأكثرية شيوعية) جعلها جمهوريات سوفياتية. لكن في حزيران ١٩٤١، غزا الالمان هذه الدول، وقامت حكومات موقتة معادية للشيوعيين وتابعة للنازيين. وجاء اشتداد ساعد المقاومة، وصلاتها بالحلفاء، ليدفع برلين إلى ضم هذه البلدان إلى بيلوروسيا (روسيا البيضاء) المحتلة ايضًا وخلق دولة جديدة باسم «أوستلاند» وبادارة نازية.

ومع تقدم الجيوش السوفياتية، بدءًا من ١٩٤٤، عاد الوضع السياسي في البلدان الثلاثة إلى ما كان عليه في ١٩٤٠. فشكلت كل من ليتونيا ولاتفيا وإستونيا الجمهورية الاشتراكية السوفياتية السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة في إطار الاتحاد السوفياتي. وجاء التحول الاقتصادي ضاغطًا جدًا على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في هذه البلدان. ومع «السوفياتية» عادت ايضًا «الروسنة» التي كانت بدأت في بداية هذا القرن.

ومع انهيار الاتحاد السوفياتي في بداية العقد الاخير من هذا القرن عادت دول البلطيق لتعلن استقلالها وتتخذ إجراءات وخطوات متسارعة لدعم هذا الاستقلال. والاجراء الأخير كان إعلان كنائسها الارثوذكسية الثلاث في القمة الارثوذكسية المنعقدة في باتموس في اليونان، ٢٥ ايلول ١٩٩٥، استقلالها عن الكنيسة الروسية، لتعود وتتبع مجددًا سلطة بطريركية القسطنطينية المسكونية ومقرها مدينة اسطنبول. وهذه البطريركية تمارس سلطة روحية فقط على الكنائس الارثوذكسية في العالم التي تضم نحو ٢٠٠ مليون شخص (أرثوذكس البلطيق وأوكرانيا نحو ١٧ مليون شخص).

مناقشة: نهضة منطقة البلطيق: من مقال كتبه رولف غوفن (صحافي سويدي) في «لوموند ديبلوماتيك» (عدد ايار ١٩٩٤، ص١٢):

استمر بحر البلطيق لمدة نصف قرن يشكل هوة سحيقة بين عالمين متناقضين (الشرقي الاشتراكي والغربي الرأسمالي). وجاء تفكك الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة ليعيدا إليه دوره التاريخي كطريق ربط واتصال بين بلدانه المتشاطئة، والسعي لتعايشها بانفتاح وسلام. إلا ان هذا الامر يبقى هدفًا دونه صعاب عبّر عنها دبلوماسي سويدي بقوله: «انكفأ التوتر الذي كان ثابتًا وحلّ محله انفراج غير ثابت».

طرأ على المشهد الجيوبوليتيكي العام لمنطقة البلطيق تغيّر عميق مع انهيار الاتحاد السوفياتي:

ميثاق فرصوفيا لم يعد موجودًا، بولونيا لم تعد تدور في الفلك السوفياتي، جمهورية ألمانيا الديمقراطية اندمجت بألمانيا الفدرالية، بلدان البلطيق أعادت استقلالها، وفنلندا ألغت ميثاق الصداقة والتعاون الذي كان يربطها بجارتها الشرقية التي كانت دولة عظمى. أما بالنسبة إلى روسيا فإنها لم تعد تحتفظ إلا بمنفذ ضيق على البحر، سان بطرسبورغ وجوارها الواقعة في عمق خليج فنلندا، إضافة إلى ارض ضيقة (كالينينغراد) محصورة بين بولونيا وليتونيا. وبمواجهة هذا الانكفاء الروسي برزت ألمانيا الموحدة التي باتت تحتل القسم الاكبر من شواطىء البلطيق الجنوبية. وبين روسيا والمانيا، السويد وهي محايدة تقليديًا، وفنلندا، وبولونيا والدول البلطيقية الثلاث التي تحاول تقوية استقلالها.

«التوازن الشمالي» السابق لم يعد، إذًا، موجودًا. وقام مكانه «فراغ أمني» أقلق الدول المتشاطئة وجعلها تتحرك لاقامة نظام عماده استقرار ثابت تشارك فيه موسكو. ومثل هذا النظام يستدعي بالضرورة إتفاقًا يتخطى الاطار الاقليمي بحيث تشارك فيه الدول العظمى، ومنظمة معاهدة شمال الاطلسي (الحلف الاطلسي)، والاتحاد الاوروبي واتحاد اوروبا الغربية.

السؤال الكبير يدور حول روسيا. هل ستعود لتشكل تهديدًا لجيرانها؟ فالوريثة الاولى، الأكبر والأهم، للامبراطورية السوفياتية السابقة ما تزال الدولة العسكرية الاولى في اوروبا وتمتلك ثاني أكبر ترسانة نووية في العالم. وإذا كان جيشها قد سرّح اكثر من ثلاثة ارباع عديده منذ ١٩٨٥، إلا انه ما يزال يحتفظ بنحو ١،٢ مليون رجل نصفهم من الضباط.

لقد جرى هناك نوع من نقل كثيف للقوات الروسية، خصوصًا الوحدات الجوية، باتجاه الشمال، حيث جرت عمليات التجميع في كالينينغراد وفي المناطق الواقعة شرقي الحدود الاستونية. إضافة إلى ذلك، هناك أكثر من نصف الصواريخ النووية المتبقية على استعداد لدعم الغواصات في شبه جزيرة كولا شمال شرقي فنلندا

مركز مراقبة على البلطيق: الاخطار الجديدة ليست عسكرية («لوموند ديبلوماتيك»، العدد ايار ١٩٩٤، ص ١٢)

والـنروج. فاوروبـا الشـمالية اصبحـت رهانًـا استراتيجيًا، وهـي المنطقـة الوحيـدة الـتي تتضمـن حدودًا مشتركة بين روسيا والغرب.

على الرغم من ذلك فإن أي هجوم روسي واسع النطـاق يبـدو بعيـد الاحتمـال. إن أكـثر مـا تخشـاه الـدول الغربيـة، حاليًـا، هـو الفوضـى والانفلات أو حـرب أهلية في روسـيا التي تعيش ازمة إقتصادية عميقة. لذلك، تـابع الغربيـون بقلـق أنبـاء الانقلابـيين الروسـيين الفاشـلين في ١٩٩١ و١٩٩٣، إضافة إلى الانباء التي تتحدث عن تقـدم انتخابي يحرزه القوميون الروس.

الجيش الاحمر السابق يتدخـل فـأكثر في القوقاز وآسـيا الوسـطى، والمتـاعب الاقتصاديـة تدفـع بيلوروسـيا وأوكرانيـا ومولدافيـا للإرتمـاء في أحضان موسكو. وسبق لوزير الخارجيـة الروسـي، أندري كوزيريف ان صرّح بقولـه (ايـار ١٩٩٤): «بلدان البلطيق منطقة مصلحة حيوية بالنسبة إلى روسيا (...). وقد يكون على الجيـش الروسـي ألا يـترك منـاطق شـكلت لمـدة طويلـة منطقـة نفـوذ روسي». ووزير الدفـاع الجنرال بـافل غراتشـيف اكّد أن مسالة انسحاب الجيش الروسـي مـن هـذه البلدان «مسألة داخلية».

هكذا تشعر بلـدان البلطيـق بأنهـا مهـددة. فنصف قرن من الاحتلال السوفياتي جعلها حذرة. وصحيح ان الجيش الروسي انسحب بالكـامل مـن ليتونيا، لكن هـذه الأخـيرة اضطـرت علـى ضمـان المرور الحر للقوافل العسكرية والمدنية باتجـاه جيـب كـالينينغراد. وبالنسـبة إلى إسـونيا ولاتفيـا فـان عليهما حل مشكلات خطيرة عالقـة في علاقاتهمـا مع الكرملين: وضع الاقليـات الروسـية الكـبرى في البلدين اللذين اضطرا على تأخير انسحاب الجيـش الروسي منهما. والروس، في هـذا الصـدد، يلحّـون علـى الاحتفـاظ ببعـض «النقـاط الاسـتراتيجية المهمة».

فانسـحاب الـروس مـن بلـدان البلطيـق، وتخفيف تواجـد قواتهـم البحريـة في بحـر البلطيـق، وزوال الاسـطول الألمـاني الشـرقي، كلهـا عوامـل زادت من الأهمية الاستراتيجية لجيب كـالينينغراد. فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وهذا الجيب كنايـة عـن منطقـة عسـكرية فيهـا قواعـد مهمـة للجيـش السوفياتي. ودورها اليوم لم يتغير علـى الرغـم مـن مشـاريع متنوعـة يجـري الكـلام عليهـا، مـن بينهـا مشروع جعلهـا منطقـة إقتصاديـة حـرة، وتشـجيع الـروس مـن أصـل ألمـاني للاقامـة فيهـا، الخ. لكـن كاليننغراد تبقى بنظر موسكو القاعدة المهمـة الـتي تعوّضهـا الخسـائر في المنطقـة، وهـذا مـا يخشـاه البولونيون على وجه الخصوص.

آخـر دفعـة مـن الجيـش الروسـي أتمـت انسـحابها مـن بولونيـا في ايلـول ١٩٩٣. والبولونيـون ينشـطون للانضمـام إلى الحلـف الاطلسي، لكن دون جدوى، ذلك ان الغربيـين لا يريـدون إحـداث صدمـة قويـة ضـد روسـيا الـتي تعارض بقوة أي توسع للحلف الاطلسي يصل إلى جيرانها الاقربين. لذلك طـرح الرئيـس الاميركي، ويليام (بيل) كلينتون، على الروس كما على بلدان اوروبا الشرقية سابقًا مشروع «المشاركة من أجـل السـلام» الـذي يتيـح التعـاون الوثيـق مـع الحلـف الاطلسـي دون ان يضمـن تقديـم الدعـم في حـال العدوان.

النروجيون والدانمـاركيون مرتبطـون بقـوة بالحلف الاطلسي. لكن الامر يسـتدعي مراجعـات عميقة لـدى السـويديين والفنلنديـين. فـإذا كـانت الحكومة السـويدية (وهـي حكومـة غـير اشـتراكية حاليًـا-١٩٩٤) لا تجـرؤ حتـى الآن علـى التنكـر صراحـة لسياسـة الحيـاد الـتي جنّبتهـا الحربـين العـالميتين، فـإن رئيـس الـوزراء المحـافظ، كـارل بيلدت، لم يتردد في القول إنه مع نهاية المجابهة بـين الكتلتين وتقديم السويد طلب الانضمام إلى الاتحاد

الاوروبي فإن سياسة بلاده «لم يعد بالامكان تعريفها بسياسة الحياد». لكنه يضيف في الوقت نفسه: «أخذًا بعين الاعتبار للحقائق الاستراتيجية الراهنة في اوروبا الشمالية فإن النواة الصلبة لسياسة السويد هي في عدم المشاركة في أي حلف عسكري». ومثل هذه السياسة تتطلب دفاعًا قويًا قال بصدده زعيم المعارضة، الاشتراكي الديمقراطي إنغفر كارلسون: «لا أحد يدافع عن السويد. والدفاع عن السويد أمر متروك لها وحدها».

إن المشكلات الامنية المستجدة ومسألة التخلي عن سياسة الحياد هي من القضايا التي يناقشها الخبراء ورجال السياسة بسرية في السويد. وثمة انتقادات تظهر احيانًا تتحدث عن «مؤامرة الصمت» للسياسيين الذين يحاولون تجنيب الرأي العام الخضات والصدمات قبل حلول موعد الاستفتاء على انضمام السويد إلى الاتحاد الاوروبي. ومع ذلك فإن الرأي العام أبدى اضطرابًا قويًا مما وصله من تصريحات على لسان موظفين كبار وقادة عسكريين متقاعدين يتحدثون انه، ومنذ بداية الحرب الباردة، أبرمت الحكومة السويدية اتفاقات سرية مع الحلف الأطلسي: في حال التهديد، يقوم الحلف الغربي بارسال قواته إلى السويد... وخدمات استخباراتية وجاسوسية متعلقة بمراقبة الاراضي السوفياتية ينقلها السويديون للحلف الأطلسي (...)

أما بالنسبة إلى فنلندا فإن المسار أكثر لحظًا وأهمية. إن مفهوم «على الطريقة الفنلندية» (في دلالة إلى العلاقة الخاصة، الضرورية والاضطرارية، مع الاتحاد السوفياتي السابق) أصبح من الماضي. فالحكومة الفنلندية اصبحت تعتبر الحياد بمثابة عبء على البلاد في اوروبا الجديدة. وهذا الأمر يفسّر حماس فنلندا للانضمام إلى الاتحاد الاوروبي، وحتى الحلف الاطلسي. وعلى الرغم من الازمة الاقتصادية القاسية التي تعيشها البلاد يحاول الفنلنديون، حاليًا، تقوية دفاعهم بأنفسهم، مع احتفاظهم بعلاقات حسن الجوار مع روسيا. والفنلنديون، في الوقت نفسه، شديدو الحماس من أجل تعاون إقليمي بلطيقي باعتبار ان بلادهم واقعة على أطراف الاطلسي لكن في قلب البلطيق.

دور ألمانيا الموحدة هو الدور الأقدر في «القرار البلطيقي»، وسبق لها وقامت بهذا الدور (سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا) في فترات سابقة من تاريخ المنطقة. حاليًا، نحو ثلث إجمالي صادرات البلطيق تذهب إلى ألمانيا، إضافة إلى وجودها السياسي-العسكري الحاسم، ولن يكون بمقدرو أحد تجاهل قوة ألمانيا الحاسمة في اليوم الذي ستبدأ فيه مفاوضات حول أمن اوروبا الشمالية.

ان مفهوم الامن لا يمكن ان يكون وقفًا على الجيوبوليتيك فحسب. وهذا الامر يدركه جيدًا قادة البلطيق. فهناك اخطار جديدة: تلوث البيئة، مفاعلات نووية عديدة قديمة وبالية، هجرة غير شرعية، تجارة المخدرات، تجارة السلاح، تهريب المعادن، جرائم مختلفة ومتنوعة. فالتعاون الاقليمي يكرّس حيّزًا مهمًا من نشاطاته لمحاربة هذه الآفات.

في آذار ١٩٩٢، اجتمعت دول المنطقة

لإنشاء «المجلس البلطيقي» الذي أعطي مهمات على رأسها إقامة موسسات ديمقراطية في البلدان الشيوعية سابقًا.

ومن الاولويات، محاربة التلوث في بحر البلطيق، الذي اصبح مشبعًا بالمواد السامة والملوثة التي تهدّد أهليته ووظائفه بالكامل. وفي ١٩٩٢، وضعت خطة مشتركة لاعادة التوازن لهذا البحر، ويجري حاليًا تنفيذها بصورة مرضية.

أما مشكلة المفاعلات النووية الموروثة من العهد السوفياتي فتتعدى إلى حد كبير إطار البلطيق لتطال اراضي روسيا وباقي اوروبا الشرقية. وهذه المفاعلات تشكل خطرًا بيئيًا كبيرًا، وجميعها غير آمن برأي الوكالة الدولية للطاقة النووية، وقد جرى حتى الآن اقفال واحد منها، هو مفاعل غريسوالد في ألمانيا الاشتراكية السابقة.

إن تعاونًا استراتيجيًا بين دول البلطيق مكملاً للتعاون الظرفي الحالي كفيل بعدم إرجاع بحر البلطيق منطقة ريبة وتوتر .

بلغاريا

بطاقة تعريف

الموقع: دولة أوروبية، في شبه الجزيرة البلقانية، تقع بين الدانوب لجهة الشمال والبحر الأسود لجهة الشرق، وصربيا غربًا واليونان وتركيا جنوبًا. وموقعها هذا في البلقان جعل منها بلدًا متميزًا بكثرة التوترات الجيوبوليتيكية.

المساحة: ١١١ ألف كلم م.. طول حدودها مع رومانيا ٦٠٩ كلم (منها ٤٧٠ كلم لنهر الدانوب)، ومع البحر الأسود ٣٧٨كلم، ومع اليونان ٤٩٣كلم. ومع تركيا ٢٥٩كلم، ومع صربيا ومقدونيا ٥٠٦كلم.

العاصمة: صوفيا. وأهم المدن: بلوفديف، فارنا، بورغاس، روسّي، ستارا زاغورا، بليفن، شومن، سليفن، دوبريتش، برنيك.

اللغات: البلغارية (رسمية) ويتكلمها نحو ٨٨٪ من السكان، وهي لغة سلافية تحتوي على عناصر لغوية روسية ولاتينية وإغريقية وتركية (الأبجدية البلغارية معروفة ب«سيريلية» نسبة إلى قسطنطين الفيلسوف الذي كان معروفًا باسم سيريل، عاش بين ٨٢٦ و٨٦٩)، وأصبحت لغة أدبية في القرن الثامن عشر. وهناك التركية ويتكلمها نحو ٨،٦٪ من السكان، وقد جرى اعتبارها في ١٩٥٩ لغة أجنبية، وفي ١٩٧٤، سُمح بتعليمها في ساعات قليلة في المدارس، وفي ١٩٩٢ جرى اعتبارها لغة اساسية.

الاديان: نحو ٨٠٪ من السكان أرثوذكس، ونحو ٩٪ مسلمون: ٩٠٠ ألف أتراك، و٢٠٠ ألف بوماك (الرأي الغالب يقول إن هؤلاء كانوا مسيحيين واعتنقوا الاسلام في القرون الوسطى)، و٦٠٠ ألف غجر، و٦آلاف تتار. وهناك نحو ٥٠ ألف كاثوليكي، ونحو ٧ آلاف يهودي.

السكان: في ١٩٠٠، كانوا يعدون ٣،٧٥ مليون نسمة (كانت مساحة البلاد ٩٦٣٤٦

كلم م.)؛ وفي ١٩٣٠، كانوا ٥،٧٧ مليون نسمة (مساحة البلاد ١٠٣١٤٦ كلم م.)؛ وفي ١٩٥٠، كانوا ٧،٢٧ مليون نسمة (ومساحة البلاد ١١١ ألف كلم م.، المساحة الحالية)؛ وفي ١٩٨٠، أصبحوا ٨،٨٨ مليون نسمة؛ وأصبح تعدادهم الحالي نحو ٩ ملايين نسمة؛ والتقديرات تشير إلى أنهم سيبلغون نحو ١٠ ملايين في العام ٢٠٠٠. وبالنسبة إلى الاقليات راجع «الاديان» قبل قليل، و«المسلمون البلغار» في النبذة التاريخية.

الاقتصاد: القطاع الزراعي هو الأهم. يعمل فيه نحو ٧٠٪ من مجموع اليد العاملة، ويشكل نحو ٦٥٪ من الدخل الوطني العام. أهم المنتوجات الزراعية: القمح، الذرة، الشمندر السكري، الشعير، الكرمة، التبغ، الارز، دوّار الشمس، الخضار والفاكهة. اهتمام بتربية الماشية. وصيد الاسماك بلغت كميته في ١٩٩٠ نحو ٦٧ ألف طن.

الطاقة تعتمد على الفحم، والطاقة الذرية (عدة مفاعلات) والكهرمائية، والنفط (٩٠ ألف طن في ١٩٩٠) والغاز الطبيعي. أهم الصناعات: الاسمنت الفولاذ، الميكانيكيات والكهربائيات والكيميائيات والمنتوجات الغذائية. صناعة السياحة مزدهرة: نحو ١٠،٣ مليون سائح في ١٩٩٠ بلغت عائداتهم ٣٠٢ مليون دولار. وتأتي بلغاريا في المرتبة العالمية الثالثة في انتاج التبغ، والخامسة في القمح، والسادسة عشرة في النبيذ.

كانت بلغاريا من أفقر دول اوروبا واكثرها تخلفًا حين استولى الشيوعيون على الحكم فيها في ١٩٤٤. ومع بدء تحول بلغاريا من النظام الشيوعي إلى النظام الديمقراطي الآخذ باقتصاد السوق، لم تعد الحكومة ولا أي حزب سياسي (بما فيها الحزب الاشتراكي-الشيوعي سابقًا-) يدعو إلى إقامة الاقتصاد في البلاد على أسس اشتراكية، وسرعان ما شغف البلغار بالرأسمالية؛ وقصد بلغاريا رجال أعمال سوريون وفلسطينيون ولبنانيون، وبدا ان معظم البضائع المباعة في بلغاريا يأتي من الشرق الاوسط وتركيا، لكن اليونان تحظى بالقسم الاكبر من الاسواق البلغارية.

لكن رغم هذا المشهد التجاري العام، فقد بقي (حتى اوائل ١٩٩٣) حوالي ٩٥٪ من القطاع الصناعي ملكًا للدولة ولم تبدأ عملية «الخصخصة الكبرى» إلا خلال ١٩٩٣. ولا تزال غالبية الملكية في الحقل الزراعي بيد الدولة والتعاونيات العامة لأن الخصخصة في هذا الميدان لم تتجاوز نسبة الثلث.

في ١٩٩٢، ارتفع معدل التضخم ٨٠٪ (١١٪ في تشيكوسلوفاكيا سابقًا، و٤٣٪ في بولندا، و٢٣٪ في هنغاريا)، وارتفعت نسبة البطالة إلى ١٥٪، وبات حوالي ٦٦٪ من الشعب البلغاري يعيش دون مستوى خط الفقر.

نبذة تاريخية

قبل المرحلة البيزنطية وإبّانها: الرأي الغالب حول أصل البلغار أنهم يعودون إلى عائلة شعوب تركية وقيرغيزية وتركمانية وأذربيجانية (شعوب آسيا الوسطى) أتت من المنطقة الممتدة بين جبال الاورال ونهر الفولغا لتستقر في ما يعرف حاليًا ببلغاريا الدانوبية (نسبة إلى نهر الدانوب).

عقدت الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطية) معاهدة مع هذه الجماعات في ٦٧٩، فولدت أول دولة بلغارية واستمرت حتى ١٠١٨، وبقيت وثنية طيلة القرنين الأولين، إلى ان كان القرن التاسع حيث دخل إلى بلغاريا تلامذة المبشرين المسيحيين الشقيقين، سيريل وميتود، وأدخلوا مع المسيحية أبجدية جديدة ولغة مكتوبة؛ وهي ابجدية مشتركة بين اللغات الروسية والصربية والبلغارية.

ووقعت حروب طويلة بين بلغاريا (الدولة البلغارية الاولى) وبيزنطية، هزمت بنتيجتها بلغاريا وألحقت بالامبراطورية البيزنطية في ١٠١٨. لكن قبل هذه الهزيمة، عرفت بلغاريا ازدهارًا كبيرًا، وتميز زعماؤها بطموح يبحث عن التوسع والنفوذ، فبدأوا يعدون العدة لاسقاط الامبراطورية البيزنطية. اخفقت المحاولة الاولى التي قام بها خان سيميون (٨٩٢-٩٧٢)، لكن حلم اقامة امبراطورية مسيحية سلافية كبيرة تكون القسطنطينية مركزًا لها الحّ على البلغار رغم خضوعهم للحكم البيزنطي.

الاستقلال وعهد امبراطوري: في ١١٨٦، تمكن البلغار من انتزاع استقلالهم عن بيزنطية، وقامت الامبراطورية البلغارية الثانية التي هيمنت، حتى ١٣٩٥، على الجزء الأكبر من شبه جزيرة البلقان.

ففي ذاك العام، قاد الأخوان، بيتر وآسين، ثورة الاستقلال عن بيزنطية. وهناك خلاف على أصلهما؛ ففيما تصر الرواية البلغارية للتاريخ على انهما كانا من ابناء البلاد الاصليين، تقول مصادر أخرى إن هذين الرائدين من أبناء مجموعة إتنية تدعى «فلاتش» وكانت تتمتع بنفوذ واسع في حوض البلقان ولا يزال بعض أسلافها ينطق بلهجة رومانية، ويعيش في جيوب مبعثرة في بلغاريا ورومانيا.

اتخذت الامبراطورية البلغارية من تارنافو (مدينة الاشواك) الحصينة الرابضة على هضبة صخرية كبيرة، عاصمة لها. وانكب حكامها على تطبيق خطة توسيعية طوال نصف قرن تمكنوا خلاله من بناء دولة تمتد اراضيها بين البحرين الأسود والأدرياتيكي. غير ان الضعف اخذ يدب في اوصال الامبراطورية خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر حين اندلعت حروب داخلية متواصلة. وتعرض البلغار إلى هزيمة ساحقة في فيلبوزد على يد الجيش الصربي بقيادة القيصر دوزان الذي بنى امبراطورية لم تعمر طويلاً.

وفي ما كان الهنغار والصرب يتنافسون على مركز السيادة في المنطقة، عاشت بلغاريا فترة هدوء نسبي في ظل القيصر إيفان ألكسندر بين ١٣٣١ و١٣٧١، وازدهرت ثقافتها من جديد بخلاف أهميتها السياسية التي كانت آخذة في التضاؤل. فظهر آنذاك أدباء ورسامون عظماء، قد تكون لوحات كهف كنيسة

أيقونة تمثل إيفان ريلسكي الذي أسّس دير ريلا، وقد حُوّل هذا الدير اليوم الى متحف.

إيفانوف من إبداع العيّنات الفنية التي خلّفوها. وكان البلغار السبّاقين في اوروبا إلى كتابة الادب باللغة العامية، وكانت اللغة البلغارية القديمة النموذج الادبي لعدد من اللهجات السلافية.

المرحلة العثمانية: مع بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر، بدأت الامبراطورية البلغارية بالتفكك، والتهمت السلطنة العثمانية في ستينات القرن المذكور جزءًا منها، ووجدت بلغاريا المؤلفة من دويلات عدة نفسها بين نارين: الصرب من جهة والاتراك من الجهة الاخرى. كانت تتحالف مع الطرف الاقوى حتى إذا ما ضعف مالت إلى الطرف الآخر. ولما أفل نجم الصرب نهائيًا إثر هزيمتهم في معركة كوسوفو (١٣٨٩)، إستسلمت المدن البلغارية للعثمانيين باستثناء تارنافو التي حاصرها الجيش الظاهر وخرّبها بعد سقوطها. ومع حلول ١٣٩٥، كان الاتراك قد توصلوا إلى طرد الصرب من اراضي الامبراطورية القديمة كلها، واعلنوها ولاية عثمانية بقيت خاضعة لاسطنبول حتى ١٨٧٨ (معاهدة ستيفانو).

والسلطان الذي هزم الصرب وبسط نفوذ اسطنبول على تلك المنطقة هو بيازيد الذي كان بلغاريًا-تركيًا، أمه الاميرة مارا ابنة آخر قياصرة البلغار سيسمان.

استعمل الاتراك مختلف الطرق في قمع البلغار طيلة نحو خمسماية سنة، وحاولوا طمس هويتهم القومية والثقافية بعنف بلغ ذروته في الشطرين الاول والأخير من الاحتلال. ومع ذلك، واصل البلغار المسيحيون انتاج اعمالهم الفنية واحتفظت اللغة البلغارية بمكانتها؛ والمذابح والحروب والجماعات التي تفشت في اوروبا لم تجد طريقها إلى معظم أجزاء بلغاريا ايام الحكم العثماني. والبعض من المؤرخين يرى ان في هذا الامر بالذات (أي محافظة المسيحيين البلغار على ثقافتهم) ما يدل على جانب مهم من تركيبة الحكم العثماني الهجين الذي استمد بعض قوته، في ايامه الاولى خصوصًا، من اشخاص اجانب من أبناء المستعمرات وهذا كان من اسباب ضعف السلطنة في مراحلها الأخيرة.

التاريخ الحديث: يبدأ التاريخ الحديث لبلغاريا مع معاهدة سان ستيفانو في ١٨٧٨، ومع مؤتمر برلين الذي وضع حدًّا للحرب الروسية-التركية. وأثناء هذا المؤتمر، بذلت روسيا جهدها لأن تعيد لبلغاريا جميع المناطق التي كانت تتكون منها بلغاريا القرون الوسطى (أي الامبراطورية) إلا ان معظم الدول الأوروبية في المؤتمر لم تأخذ بهذا الرأي، واكتفي بأن تعود السيادة البلغارية على المناطق الشمالية فقط. وفي ١٨٨٥، انفصلت المنطقة الجنوبية عن تركيا، وعادت بلغاريا إلى وحدتها.

انتصرت بلغاريا، بادىء الامر، في حروب البلقان التي نشبت في ١٩١٢ و١٩١٣. إلا انها عادت وانهزمت وخسرت مناطق مهمة. وفي الحرب العالمية الاولى، وقفت إلى جانب المانيا والنمسا-المجر ضد الحلفاء. وكانت النتيجة هزيمة أخرى. فعانى البلغار من الفقر مدة طويلة نتيجة هزائمهم في ثلاث حروب وقعت خلال ستة اعوام فقط. وكان على بلغاريا، بموجب معاهدة نويلي (٢٧ تشرين الثاني ١٩١٩) ان تتخلى عن جميع اراضيها الواقعة على ساحل بحر إيجه لليونان، في

حين ضمت صربيا إليها المناطق الواقعة غربي صوفيا (أصبحت الحدود الصربية على بعد نحو ٣٠ كلم من العاصمة البلغارية)، وهناك نحو ٥٠ ألف بلغاري ما يزالون يعيشون في صربيا اليوم. لذلك نرى بلغاريا عشية الحرب العالمية الثانية تطالب باعادة النظر في معاهدات ١٩١٩، ولهذا السبب بالذات وقفت إلى جانب ألمانيا النازية.

وقفت بلغاريا، في ١٩٤١، في معسكر ألمانيا وإيطاليا، وأعلنت الحرب على بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية، وتحاشت فتح باب النزاعات مع الاتحاد السوفياتي. فكانت النتيجة، باديء ذي بدء، ان هذا الموقف أكسبها استرجاع اراض حتى الساحل الايجي (أي من ستروما إلى حدودها التركية) وجزء من صربيا وجزء كبير من مقدونيا. وكانت بلغاريا، في هذه الفترة من الحرب، الدولة الوحيدة بين دول المحور التي لم تضطهد اليهود (راجع «سيميون، الملك» في زعماء ورجال دولة).

بعد الحرب العالمية الثانية: إثر هزيمة دول المحور في هذه الحرب، أجبر البلغار على التخلي عن معظم الاراضي التي كانوا قد اكتسبوها في الأشهر الاولى من دخولهم الحرب. ففي ٥ ايلول ١٩٤٤، أي بعد ايام من فتح باب محادثات السلام بين بلغاريا وبريطانيا والولايات المتحدة، أعلن الاتحاد السوفياتي الحرب على بلغاريا وغزا اراضيها. ووقعت الهدنة بين البلدين في موسكو، واستلمت السلطة في بلغاريا حكومة موالية للاتحاد السوفياتي، وأجبر ملك بلغاريا، سيميون الثاني، على ترك البلاد، واستلم جيورجي ديميتروف، اول شيوعي بلغاري، مقدرات الدولة.

دعم السوفيات بعض مطالب بلغاريا، خصوصًا إزاء رومانيا واليونان أثناء انعقاد مؤتمر السلام في باريس. فكانت موسكو الوسيط الوحيد في النزاع الاقليمي بين بلغاريا وكل من رومانيا واليونان. رأت ان تدعم ديميتروف الذي كان الأمين العام السابق للكومنترن وأحد أشهر الشيوعيين منذ الدعوى التي أقيمت بخصوص حريق الرايخستاغ في المانيا (١٩٣٣) حيث وقف ديميتروف بقوة ضد النازيين. فاصبح ديميتروف (في ١٩٤٥) رئيس مجلس «جمهورية بلغاريا الشعبية» التي اعلن عن قيامها رسميًا في ١٥ أيلول ١٩٤٦، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في ١٩٤٩. ووراء هذا الدعم ايضًا نزعة روسية (قديمة)، ثم سوفياتية، وهي الوصول، عبر بلغاريا، إلى منفذ بحري على المتوسط.

رفض الغربيون الرضوخ للمطالب البلغارية والدعم السوفياتي لها، وبقيت تراقيا الغربية تابعة لليونان. ورضيت كل من بلغاريا ويوغوسلافيا (وكلاهما ينتمي إلى المعسكر الاشتراكي) بالامر الواقع الحدودي بعودتهما إلى حدود ١٩٤١. وقام تعاون بين تيتو وديميتروف هدفه إقامة كونفدرالية بلقانية تجمع الدولتين. وربما كان جرى تحقيق هذا المشروع فعلاً لولا القطيعة بين تيتو وستالين في ١٩٤٨. وبلغاريا عضو مؤسس لحلف فرصوفيا منذ ١٩٥٥، وهي بهذه الصفة القاعدة المتقدمة للحلف باتجاه المضائق التركية. وبلغاريا كانت، بصفة عامة، في قلب ما أطلق عليه تسمية «الديمقراطيات الشعبية» (الدول الشيوعية الاوروبية تحت الحماية السوفياتية)، وذلك بسبب المشاعر المتعاطفة تاريخيًا لأبنائها مع

روسيا ثم مع الاتحاد السوفياتي.

بعد وفاة ديميتروف (١٩٤٩)، خلفه فاسيل كولاروف الذي جمع في شخصه منصب الامين العام للحزب الشيوعي ورئيس الوزراء. توفي في ١٩٥٠، فخلفه فولكوتشر فينكوف. وفي ١٩٥٤، تولى تيودور جيفكوف الامانة العامة للحزب الشيوعي البلغاري، ثم اصبح رئيسًا للوزراء في ١٩٦٤ خلفا لأنطوان جوغوف بعد حدوث خلافات ايديولوجية داخل الحزب. وبعد نحو عام، جرت محاولة انقلابية ضد الحكومة لم يكتب لها النجاح. وفي ايار ١٩٧١، صدر دستور جديد، ثم تخلى جيفكوف عن منصبه كرئيس للوزراء ليصبح رئيسًا لمجلس الدولة الجديد، إلا انه أعيد انتخابه لرئاسة الوزراء في ١٩٧٦. وينص الدستور الجديد على ان «الحزب الشيوعي البلغاري هو القوة القائدة في المجتمع والدولة... والدولة تخدم الشعب بتنمية وتعميق الصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة مع الاتحاد السوفياتي وباقي البلدان الاشتراكية.

تميزت السياسة الخارجية في عهد جيفكوف بحركية كثيفة. فانتقل عدد البلدان التي تقيم علاقات دبلوماسية مع بلغاريا من ٧٥ بلدًا في ١٩٦٧ إلى ١٠٩ في ١٩٧٧. والسياسة الخارجية لبلغاريا كانت متطابقة والسياسة السوفياتية. فمنذ بدء ولايته قابل جيفكوف القادة السوفيات، وعلى مدى نحو عقد واحد من الزمن اكثر من خمسين مرة. ومن النقاط البارزة في علاقات بلغاريا العربية في عهد جيفكوف زيارة الرئيس الليبي معمّر القذافي لبلغاريا (٢١ كانون الثاني ١٩٨٣) وقع البلدان، أثناءها، معاهدة صداقة وتعاون، كما وقّع الرئيسان (القذافي وجيفكوف) في الوقت نفسه على برنامج لتنمية التعاون الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي بين السنتين ١٩٨٥ و١٩٩٠.

أهم أحداث السنوات السابقة على انهيار النظام الشيوعي: في ٨ ايار ١٩٨٤، اجراءات تؤول إلى منع الأسماء التركية واستبدالها بأسماء بلغارية، ما أدّى إلى انقسامات وأعمال عنف أودت بحياة أكثر من مئة شخص. في ٣ حزيران ١٩٨٧، انشاء ٨ مصارف تجارية والمصرف الوطني المركزي يفقد حصريته، وبعد نحو ستة اسابيع، إنشاء مناطق حرة. في تموز ١٩٨٨، إبعاد شودومير ألكسندروف، الرجل الثاني في النظام، وهو إصلاحي معتدل.

في ٩ كانون الثاني ١٩٨٩، مرسوم حول تحرير الاقتصاد: شركات تحل محل الاتحادات الصناعية؛ وتساهل مع القطاع الخاص حتى ١٠ موظفين في كل مشروع. في ١٩/١٨ كانون الثاني، زيارة الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران لبلغاريا. بدء هجرة كثيفة للمسلمين في بلغاريا (خصوصًا الأتراك) إلى تركيا. في ١٠ تشرين الثاني، سقوط الرئيس تودور جيفكوف، وخلفه بصفة أمين عام الحزب الشيوعي بيتر ملادينوف (وزير الخارجية منذ ١٩٧١). بعد اسبوع، نحو ٥٠ ألف متظاهر ضد النظام الشيوعي القائم؛ وبعد ايام، تأميم ١٣ بيتا كان جيفكوف يمتلكها، وحل المصلحة السياسية لميليشيا الحزب الشيوعي. في ٨ كانون الاول، طرد جيفكوف من اللجنة المركزية، وثم من الحزب الشيوعي. وبعد يومين، اكثر من ١٠٠ ألف متظاهر

مؤيد للاصلاحات. وفي ١٥ كانون الاول، البرلمان يقترع على قانون للعفو على جميع السجناء السياسيين، ومظاهرات في انحاء البلاد تندّد بالحزب الشيوعي. في ٢٩ كانون الاول، قانون يجيز للمسلمين استعمال لغتهم وممارسة شعائر دينهم.

استمرار المظاهرات المعادية للنظام في الايام الاولى من ١٩٩٠. في ١٥ كانون الثاني، البرلمان يلغي صفة الحزب القائد عن الحزب الشيوعي، وملادينوف يتخلى عن مهامه كأمين عام للحزب الشيوعي، واتهام جيفكوف باساءة استعمال السلطة وبالفساد وإلقاء القبض عليه. في ٨ شباط، تأليف حكومة جميع اعضائها من الحزب االشيوعي (للمرة الاولى منذ ١٩٤٧)، ومظاهرات مندددة بالحزب الشيوعي في جميع أرجاء البلاد. في ٣ نيسان، إلغاء مجلس الدولة، وانتخاب ملادينوف رئيسًا للجمهورية لمدة ١٨ شهرًا. في ١٠ و١٧ حزيران، انتخابات جمعية تأسيسية. وفي تموز، نبش جثمان ديميتروف (محنّط منذ ١٩٤٩) من ضريحه وحرقه. في ٦ تموز، استقالة ملادينوف تحت ضغط الشارع. في ١٧ تموز، انتخاب نيكولاي تودوروف رئيسًا للبرلمان. في ١٨ تموز، اضرابات معادية للاتراك في مدن عدة. وفي ٢٣ تموز، اكثر من ٢٠٠ ألف متظاهر، في صوفيا، في ذكرى ديميتروف.

النظام الجديد، الجمهورية الديمقراطية: شكلت أحداث ١٩٨٩ الثورية المحطة الأخيرة في مسار مرحلة انتقالية سلمية داخل الحزب الشيوعي. الرئيس جيفكوف وكبار مساعديه أقصاهم الاصلاحيون عن السلطة في ٣ نيسان ١٩٩٠، والحزب الشيوعي البلغاري اتخذ إسم «الحزب الاشتراكي البلغاري» الذي فاز في اول انتخابات تشريعية حرة في حزيران ١٩٩٠ بنيله ٤٧٪ من الاصوات. وفي هذه الانتخابات ظهر اختلاف واضح بين الأرياف التي أعطت الجهات المحافظة وصبّت اصواتها للحزب الاشتراكي البلغاري، وبين المدن التي صوتت للاتجاهات الليبرالية: الليبراليون، الاجتماعيون الديمقراطيون والبيئيون، الذين شكلوا (في كانون الاول ١٩٨٩) جبهة واحدة تحت إسم «اتحاد القوى الديمقراطية» التي نالت في الانتخابات المذكورة ٣٦٪ من الاصوات. وظهر حزبان جديدان: «حركة الحقوق والحريات» للأقليات التركية (٦٪ من الاصوات)، والحزب الزراعي القريب من الشيوعيين (٨٪).

اما النصر الانتخابي الذي حققه الحزب الاشتراكي البلغاري فلم يدم إلا شهورًا قليلة بسبب خلافاته الداخلية وتماسك معارضيه. ففي كانون الاول ١٩٩٠، تألفت حكومة اتحاد وطني، وانتخب البرلمان جيليو جيليف (منشق عن الحزب الشيوعي) رئيسًا للجمهورية في اول آب ١٩٩٠. وجاءت انتخابات تشرين الاول ١٩٩١ لتحمل نصرًا كبيرًا لاتحاد القوى الديمقراطية الذي تحالف مع «حركة الحقوق والحريات» لتأمين الأغلبية البرلمانية. ولعب هذا التحالف دورًا كبيرًا في إفشال التوتر الاتني.

تميز العامان الاولان (١٩٩٠-١٩٩١) من عمر النظام الجديد، خارجيًا، بعودة طرح مشكلات بلغاريا مع جاراتها، خصوصًا مقدونيا. فالبلغار، مثلهم مثل الصرب واليونان، يعترضون على وجود

دولة مقدونيا. فهم يعتبرون ان المقدونيين بلغار ايضًا. ومع ذلك لم تقف حكومة بلغاريا موقفًا حادًا من مسألة الاعتراف باستقلال مقدونيا المعلن في كانون الثاني ١٩٩١، في محاولة منها لتحضير وفاق اقليمي بلقاني. والمؤتمرات البلقانية المنعقدة في تيرانا (١٩٩٠) وفي صوفيا (١٩٩١) تظهر ان بلغاريا تفضّل الحوار على أية سياسة لجوء للقوة في حل المشكلات البلقانية. ودوليًا، اعلنت عن رغبتها الانضمام إلى الحلف الاطلسي.

في كانون الثاني ١٩٩٢، أعيد انتخاب جيليف (راجع باب «زعماء ورجال دولة») رئيسًا للجمهورية. وفي ٢٣ نيسان صدر قانون حول الخصخصة (في سياق اعتماد اقتصاد السوق). وامتاز هذا العام بمحاكمات مسؤولين شيوعيين سابقين، على رأسهم تودور جيفكوف (حكم بالسجن لمدة ٧ اعوام بتهمة الفساد وسؤ استعمال السلطة).

في كانون الثاني ١٩٩٣، تلقت بلغاريا مساعدة من البنك الدولي مخصصة للطاقة بقيمة ٣،٧ مليون دولار. وفي ٨ آذار، أبرمت اتفاق شراكة مع المجموعة الاوروبية. وهذا الاتفاق توصلت إليه حكومة جديدة برئاسة لوبين بيروف بعدما خسر اتحاد القوى الديمقراطية غالبيته البرلمانية.

في ١٨ كانون الاول ١٩٩٤، جرت ثالث انتخابات تشريعية منذ قيام الجمهورية على انقاض النظام الشيوعي، واسفرت عن هزيمة اتحاد القوى الديمقراطية وانتصار الحزب الاشتراكي (الشيوعي سابقًا). وعلق رئيس الاتحاد المناهض للشيوعية، فيليب ديميتروف، على هذه النتيجة بكلام ذي دلالات مهمة: «الاتجاهات التي تتجلى في كل اوروبا الشرقية تتكرر في بلغاريا. لقد خاب أملنا في تحطيم مسلسل تجدد الاحزاب الشيوعية الحاكمة»؛ في حين قال زعيم الحزب الاشتراكي المنتصر، جان فيدينوف إن فوز حزبه يعد «انتصارًا للديمقراطية ونجاحًا للبلاد». وحصلت حركة «الحقوق والحريات» التي تمثل البلغار من اصل تركي على ٦،٥٪ من الاصوات.

المسلمون البلغار

أربع فئات: ١- الغجر وهم المسلمون البدو الرحل وينتشرون في الأرياف والقرى في شمال بلغاريا ووسطها؛ ٢- البوماك (البعض يدعوهم البوماتسي) وهم المسلمون الذين يتكلمون السلافية والصربية ويسكنون مرتفعات رودوب وجنوب بلغاريا وغربها على امتداد الحدود المتاخمة ليوغوسلافيا واليونان، ومن مدنهم بلاغوفقراد وبلوفديف وسليفن؛ ٣- الاتراك وهم أتراك الروملي الذين يتكلمون التركية وينتشرون في كثير من أنحاء بلغاريا ولكنهم يتمركزون على ساحل البحر الاسود وتراقيا البلغارية على حدودها الجنوبية مع تركيا، ومن مدن الأكثرية الاسلامية شومن وروس وفارنا وأردينو وموجيل غراد وإيفايلو غراد؛ ٤- التتار وهم الاتراك المسلمون المهاجرون من شبه جزيرة القرم بعد الاستيلاء الروسي عليها في القرن الثامن عشر ويتواجدون في القرى الواقعة على الحدود الرومانية وساحل البحر الأحمر مثل مدينة بورغاز.

الغالبية العظمى من البوماك ترى إلى نفسها كجزء من الاتنية البلغارية، وتفتخر

باللسان والتقليد البلغاريين، وتعد نحو ٢٠٠ ألف نسمة. كذلك فإن قرابة ثلثي الغجر الذين يعدون حوالي ٣٠٠ ألف نسمة تقول بالارتباط بالمجموعة الاتنية الغجرية، فيما الثلث الآخر يسمّي نفسه إما تركيًا أو بلغاريًا، وغالبية الغجر في بلغاريا لا تتكلم البلغارية. أما بالنسبة إلى المسلمين الاتراك في بلغاريا فلا يتحدث البلغارية سوى ثلثهم. وتتبع الاغلبية العظمى من مسلمي بلغاريا، أتراكًا وبلغارًا وغجرًا وتتارًا، المذهب السني، فيما تقتصر الشيعة على أقلية صغيرة.

وفي بحث سوسيولوجي (نشر في ايار ١٩٩٤، وموّلته رئاسة الجمهورية البلغارية وموضوعه «الواقع الإتنو-ثقافي في بلغاريا») ظهر أن البلغار المسلمين (بمختلف فئاتهم ولو على درجات) غير متعصبين دينيًا، وان نحو ٢٥٪ منهم يشاركون المسيحيين احتفالاتهم ومناسباتهم الدينية. وتبعًا لما يورده البحث ايضًا ان احتمالات التوتر الاتني ما تزال قائمة في بلغاريا على رغم التغيرات الديمقراطية التي حصلت مؤخرًا. وهناك ٥١٪ من البلغار، و٢١٪ من البلغار المسلمين، و٣٦٪ من الغجر، يعتبرون الاقلية التركية خطرًا فعليًا على الامن الوطني لبلغاريا. من ناحية أخرى فإن أغلبية كبرى من مجمل البلغار المسلمين (بمختلف فئاتهم) يتشاركون في الاعتقاد بأن البلغار المسيحيين اصحاب امتيازات في الدولة، وانهم لا يمارسون الاعمال اليدوية ولا يشعرون بالحاجة إلى التنافس من اجل احتلال مواقع

جامع صوفيا، يعود الى القرن السادس عشر.

أعلى في المجتمع.

خلط في التأريخ: يخلط الكتّاب والمؤرخون بين تاريخ المسلمين البلغار في حوض نهر الفولغا (في الاتحاد السوفياتي السابق) الذي ارسل إليهم الخليفة العباسي المقتدر با لله في ٨٧٤ بعثة اسلامية برئاسة سوسن الرسي وكان فيها أحمد فضلان الذي كتب وصفا شاملاً لأحوال البلاد والمسلمين هناك وبين مسلمي بلغاريا في شبه جزيرة البلقان في اوروبا الشرقية، ويعود ذلك حسب رأيه إلى ان هؤلاء لا يرتبطون بمسلمي بلغاريا. ومع ان بعض الدراسات التاريخية يتحدث عن وجود مسلمين بلغار قبل الفتح العثماني لبلغاريا في ١٣٦٣ الذي بدأ بمدينة بلوفديف ووصل صوفيا في ١٣٨٥ وشمل كل بلغاريا في ١٣٩٣، فإن الانتشار الحقيقي للاسلام تمّ بعد الفتح العثماني عندما أصبح المسلمون في شرق بلغاريا أغلبية السكان وانتشرت المدارس الاسلامية والمساجد في كل انحاء البلاد وبلغ عددها ١٥٠٠ مسجد منها ٣٠ في العاصمة صوفيا.

تاريخ البلغار المسلمين، من حيث الخلط الذي يكتنفه، يستند إلى ثلاثة مصادر: ١- المصادر التركية، وابرزها ما كتبه الصدر الاعظم مدحت باشا في ١٨٧٨، تشير إلى ان هؤلاء لم يأتوا من آسيا الصغرى، حسب الاعتقاد السائد، بل هم من احفاد أولئك المسلمين البلغار الذين تحولوا إلى الاسلام ايام الفتح العثماني والحروب التي تلته. ٢- المصادر الرسمية البلغارية، سواء في العهد الملكي أم في العهد الشيوعي، تصرّ على ان مسلمي بلغاريا، من غير الاتراك، هم بلغار أسلموا بحد السيف. ٣- المصادر التي تعارض الاتجاهين السابقين وترى إلى المسلمين البلغار على انهم يرجعون إلى مكان وزمان مختلفين بعيدين عن بلغاريا الحالية وعن آسيا الصغرى معًا، فتقول انهم يعودون إلى احداث شهدتها ضفاف نهر الفولغا (جنوب روسيا) ما بين القرنين التاسع والعاشر، في وقت كانت الخلافة العباسية في أوج ازدهارها، وكانت تتقاسم النفوذ الدولي ثلاث قوى رئيسية في هذا الجزء من العالم هي: الخلافة العباسية وبيزنطية ودولة الخزر. ففي هذا الوقت، وتحديدًا في اوائل القرن العاشر، كانت مناطق آسيا الوسطى وجنوب روسيا واوروبا وحوض البحر المتوسط تشهد ما يطلق عليه المؤرخون عصر الغزوات والهجرات، بما في ذلك هجرة بلغار الفولغا. وكانت هجرة شخص يعرف باسم «باروخ» البلغاري بمجموعة من القبائل البلغارية واستقراره في بلغاريا الحالية.

هجرات جماعية: في ١٨٧٧، نشبت الحرب الروسية-العثمانية واصبحت بلغاريا مسرحًا لها وانتهت بخروج السكان المسلمين نحو الجنوب، وحاولت روسيا بحكم معاهدة سان ستيفانو ان تقيم تحت حمايتها بلغاريا الكبرى الممتدة من الدانوب حتى بحر إيجه، ولكن الدول العظمى استبدلت بذلك معاهدة برلين التي اقامت إمارة «بلغارستان امارتي» في بلغاريا تحت سيادة السلطان وولاية الروملي الشرقية المستقلة استقلالاً ذاتيًا، ثم اتحدت الولاية مع الامارة نتيجة لثورة ١٨٨٥، اعلن بعدها الامير فرديناند استقلال بلغاريا في ١٩٠٨.

أدت تلك الحرب والاحداث والضغوطات الكثيرة التي تعرض لها

المسلمون البلغار قبلها وبعدها إلى تقلص اعداد المسلمين وانخفاض نسبتهم وحتى تلاشي وجودهم في كثير من المدن والقرى البلغارية، وتغيير خارطة توزيعهم وكثافتهم في البلاد (لم يبق سوى نحو ٦٠٠ ألف مسلم فقير بعدما كان تعدادهم قبل ١٨٧٧، حسبما تدل بعض الاحصائيات، يفوق تعداد المسيحيين).

في عشرينات القرن الجاري (العشرين) بلغ عدد البلغار المسلمين قرابة المليون. لكن الضغوط التي مورست عليهم كي يتخلوا عن هويتهم اشتدت، فرحل ما لا يقل عن ١٠٠ ألف مسلم إلى تركيا بين ١٩٣٥ و١٩٤٠. ومع وصول الشيوعيين إلى الحكم في ١٩٤٦، استمرت الحملة بطبيعة الحال، وكان عدد المسلمين ارتفع إثر استرجاع منطقة شمال دوبروجا من رومانيا في ١٩٤٠، وكان عدد المساجد يزيد على ٢٣٠٠ مسجد. لكن مع حلول ١٩٥١ لم يبق في بلغاريا سوى ١٤٦٠ مسجدًا. ومع تصعيد الحملة المضادة للاسلام والثقافة التركية بين ١٩٥٦ و١٩٦١، انخفض عدد الأئمة الاتراك من ٢٣٩٣ إلى٤٦٢، وعدد الأئمة البوماك (البلغار المسلمون) من ٣٢٢ إلى ٩٥. وكان هذا الوضع مصاحبًا دائمًا بتوجه جموع من المسلمين إلى تركيا.

في نهاية الستينات فتح باب الهجرة على مصراعيه امام المسلمين بوصفهم غرباء «بورجوازيين» من عناصر الثورة المضادة. ومنع تدريس اللغة التركية في المعاهد التعليمية على انواعها التي انصرفت إلى تلقين طلابها المبادىء الشيوعية.

وفي ١٩٨٤-١٩٨٥، وقعت احداث عنيفة لم تعرف تفاصيلها للآن بسبب تعدد الآراء وتناقضها. وتقدر إحصاءات أعدت بعد سقوط جيفكوف ان عدد الضحايا المسلمين وصل إلى ١٥٠ ألف قتيل. ومنذئذ حظرت ممارسة شعائر الدفن الاسلامية والختان وارتداء الثياب التركية المميزة. وشدّدت السلطات من الحملة الساعية لإعطاء أسماء سلافية للمسلمين بدلاً من أسمائهم الاسلامية. ولقد ولّد ذلك القمع الثقافي موجة احتجاجية في اوساط المسلمين الذين قاموا بسلسلة من أعمال العنف قمعتها السلطات البلغارية بقوة. ثم وصل القمع إلى ذروته في ربيع ١٩٨٩ بفتح الحدود البلغارية مع تركيا واشتعال ازمة لم يهدىء من حدتها سوى انشغال العالم كله بالتغيرات الجذرية في ذلك الحين. إذ كان العام ١٩٨٩ يشهد أحداثًا انتهت بالقضاء على الانظمة الشيوعية كافة داخل بلدان ما كان يعرف ب«المنظومة الاشتراكية» في اوروبا الشرقية.

في الوقت الراهن: في ٣٠ حزيران ١٩٨٩، اخذت تقارير رسمية تتحدث عن ١٠٠ ألف بلغاري من أصل مسلم اضطروا للفرار من بلغاريا،او طردوا منها ليلجأ القسم الاعظم منهم إلى تركيا التي سارعت بإقامة مخيمات لاستقبالهم. وقبل يوم واحد، كانت تركيا قد وجهت لبلغاريا اتهامات رسمية بانها تمارس اعمال القمع والتمييز ضد البلغار المسلمين (ومعظمهم من اصول تركية). فردّت بلغاريا بأن طلبت من تركيا ان تفتح حدودها لاستقبال «المسلمين الراغبين في العودة إلى الوطن الأم»، وراحت السلطات البلغارية في الوقت نفسه تحرّض المسلمين البلغار على الفرار. وامام الحدود المفتوحة راح عشرات ألوف البلغار

المسلمين يتدفقون على تركيا التي استقبلتهم مرحبة اول الامر. ومع هذا الحدث، بدأ العالم يكتشف حقيقة وضع نحو مليون بلغاري مسلم كانت السلطات الشيوعية قد سعت عبثا، لادماجهم في مجتمعها طوال العقود السابقة (كان البلغار المسلمون يمثلون نحو ١١٪ من مجموع سكان بلغاريا).

لكن المسلمين البلغار سارعوا، في الوقت نفسه، إلى تنظيم مجموعات اسلامية للدفاع الذاتي ما لبثت ان انضمت إلى صفوف المعارضة المتسعة وأدت إلى اسقاط نظام الرئيس جيفكوف الشيوعي في ١٩٨٩. وعاد الكثيرون إلى بلغاريا بعد سقوط النظام، وبدأ عدد كبير منهم يقدمون دعاوى امام المحاكم لاعادة أسمائهم الاصلية إليهم، سواء من هاجر منهم بسبب قيام الحكم الشيوعي، او من هاجر بعد ذلك خلال هذا الحكم. ولكن الانفصال بين البلغار المسلمين (البوماك) وبين جماعة الاتراك ما زال قائمًا، ولكل جماعة مفتي خاص بها.

الظروف الحالية للبلغار المسلمين افضل منها في الماضي من نواح عدة: عادت اللغة التركية إلى البرامج التعليمية، واعيد فتح المساجد، واسترجع المسلمون أسماءهم القديمة، وانصرف أحمد دوغان، أبرز الزعماء المسلمين الذي كان في الثمانينات رمزًا لحركة المعارضة واعتقل واضطهد بسبب مواقفه، لعقد المساومات السياسية كرئيس لحزب مستقل (حركة نيل الحقوق والحريات) استطاع عدد لا بأس به من مرشحيه الفوز بمقاعد في البرلمان (انتخابات ١٩٩٣). وموقف المسلمين في بلغاريا من أحمد دوغان بات عاملاً رئيسيًا من عوامل الخلافات في ما بينهم. وكذلك الامر بالنسبة إلى عدد من زعمائهم ومسؤوليهم الرسميين. ففي آخر الأنباء عن أوضاع المسلمين في بلغاريا ان المئات منهم خرجوا (في ١٥ ايلول ١٩٩٥) إلى شوارع صوفيا للاحتجاج على ما وصفوه بتدخل حكومة «ملحدة» في شؤونهم الدينية. وحول هذا الحدث قال رئيس مجلس الافتاء فكري صالح ان مجلس الوزراء البلغاري «يريد ان يسيطر على مصير المسلمين في بلغاريا بالمراسيم الادارية»، وطالب باستقالة هريستو ماتانوف الذي يرأس مديرية الاديان في مجلس الوزراء؛ ورأى أن «قرار الحكومة الاشتراكية دعم الزعيم الاسلامي تديم جندجيف غير مشروع، وقد زاد الانقسامات بين مسلمي بلغاريا البالغ عددهم مليون نسمة». وكان قسم من مسلمي بلغاريا انتخب جندجيف، رئيس مجلس الافتاء قبل انهيار الشيوعية في ١٩٨٩، زعيمًا روحيًا للمسلمين.

مهاجرون وعنصرية: تعتبر هجرة مواطنين من بلاد المشرق والمغرب العربيين مسألة حديثة العهد. فحتى السنوات الأخيرة (١٩٩٢-١٩٩٥) كان هؤلاء يزورون بلغاريا كمحطة في طريقهم إلى الدول الغربية. لكن في اواخر ١٩٩٣، بدأت السلطات الامنية البلغارية تحذر حكومتها من ان دول المجموعة الاوروبية قد تعيد إلى بلغاريا عددًا كبيرًا من هؤلاء الزوار ممن تعتقد انهم يمكن ان يتحولوا إلى مهاجرين لديها. ذلك ان اتفاقًا بين دول المجموعة الاوروبية يعود إلى حزيران ١٩٩١ ينص على ان المهاجرين الذين لا يسمح لهم بالبقاء في هذه الدول يجب ان يعودوا إلى

«اول بلد ملاذ» من خارج المجموعة جاؤا منه على ان يكون من البلدان الديمقراطية. وتعتبر بلغاريا ابرز هذه البلدان بحكم موقعها الجغرافي. ومن شأن تطبيق بنود هذا الاتفاق ان يزيد موجة العرب وغيرهم من دول العالم الثالث القادمين إلى بلغاريا. وافادت إحصاءات، في ١٩٩٣، ان عدد هؤلاء يصل إلى ١٠٠ ألف مهاجر قد يطلبون في نهاية الامر ان يبقوا في بلغاريا اذا لم تسمح لهم دول اوروبا الغربية بأن يتمتعوا بحق اللجوء إلى أي منها.

من بين هؤلاء المهاجرين رجال أعمال غالبيتهم جاءت من سورية ولبنان والعراق والاردن ومن الفلسطينيين. ومع وصول عددد العاطلين عن العمل البلغاريين إلى نحو مليون شخص (من أصل نحو ٩ ملايين هم مجموع سكان البلاد)، أخذ البلغار يشعرون بالقلق إزاء احتمال وفود موجة جديدة من المهاجرين العرب والافارقة إلى بلدهم. وعلى رغم ان «العنصريين» البلغار لم ينشطوا بعد (كما هي الحال في عدد من الدول الاوروبية الغربية) إلا ان المرء أخذ يشاهد الصلبان المعقوفة (شعار النازية) على جدران صوفيا ومعالمها الرئيسية. وينصبّ معظم المشاعر المعادية على العرب الذين يوجّه إليهم الاتهام تكرارًا في وسائل الاعلام البلغارية بتنظيم «مافيا» من المنظمات السرية القوية المتاجرة بالمخدرات والاسلحة. وتسهم هذه الصورة في تأزيم العلاقات بين بلغاريا والعالم العربي.

مدن ومعالم

* **أوديسوس:** راجع «فارنا» في هذا السياق.

* **برنيك Pernick:** مدينة في غربي بلغاريا. كانت تدعى سابقًا «ديميتروفو». تقع جنوب غربي العاصمة صوفيا على نهر ستروما. تعد نحو ١٣٠ ألف نسمة. غنية بمادة اللينيت (خشب متفحّم). صناعات حديدية وكيميائية.

* **بلوفديد Plovdid:** كانت تدعى سابقًا «فيليبوفي». مدينة في جنوبي بلغاريا. نحو ٣٤٠ ألف نسمة. مبنية على سبع تلال وسط منطقة غنية بالمزروعات. كانت قديمًا عاصمة روميليا والمدينة البلغارية الثانية من حيث الاهمية. جامعة. مركز صناعي وتجاري (معرض دولي). نما التصنيع فيها بعد الحرب العالمية الثانية (قطنيات، صناعات ميكانيكية، تبغ، تعليب الفاكهة والخضار).
بناها التراقيون (سكان تراقيا) وأعطوها إسم «أومولبياس». عمل فيليب المقدوني على نهضتها وازدهارها واعطاها إسم «فيليبوليس» (مدينة فيليب). في القرون الوسطى تنازع عليها البلغار والبيزنطيون والاتراك، وآلت في الأخير إلى الاتراك في العام ١٣٦٣. بين ١٨٧٨ و١٨٨٥ أصبحت عاصمة مملكة روميليا الشرقية، ثم انضمت إلى بلغاريا.
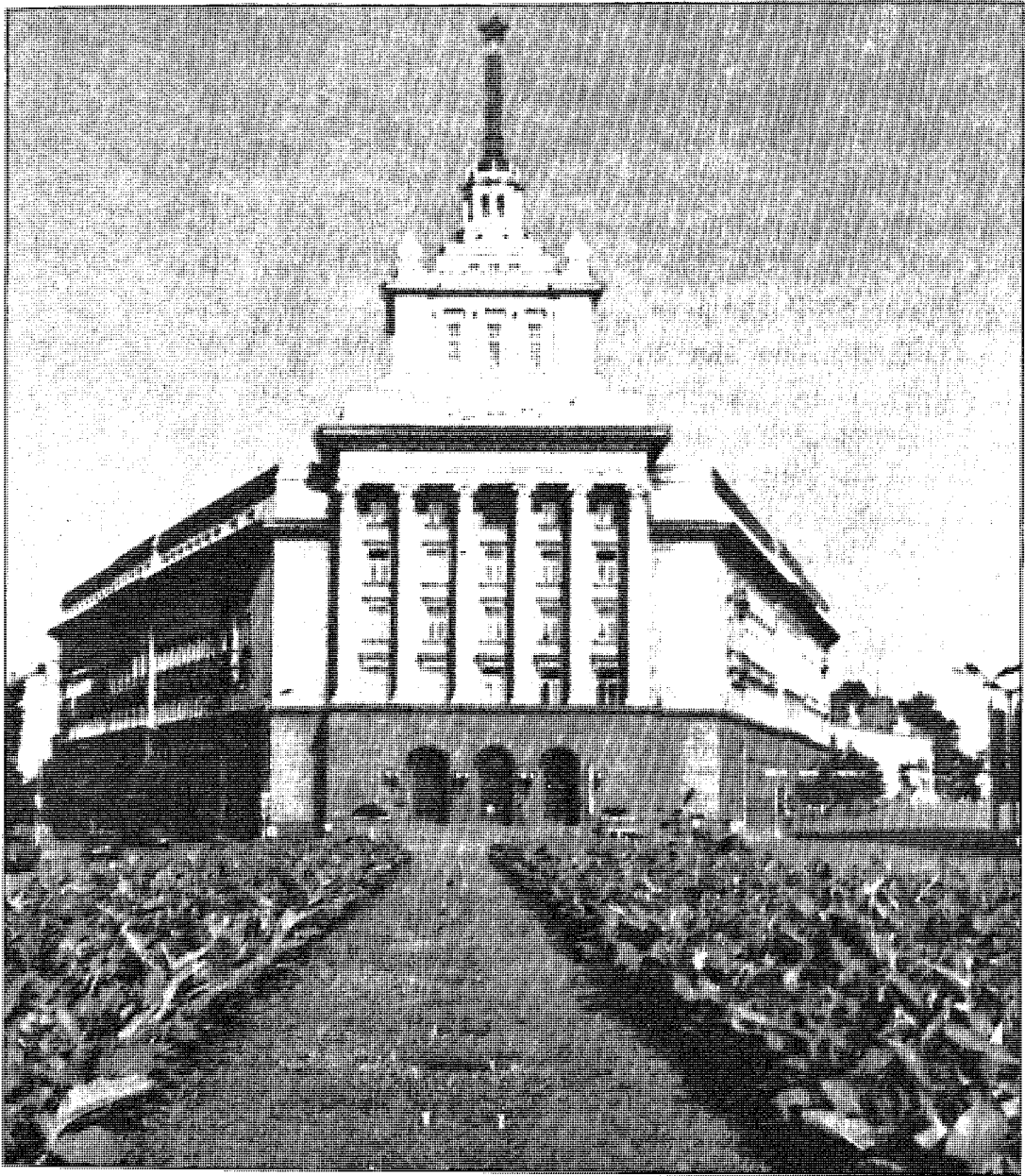
المكتبة الوطنية في صوفيا.

* **بليفن Pleven**: كانت تدعى سابقًا «بليفنا». مدينة بلغارية في شمالي البلاد. قاعدة المحافظة الشمالية. نحو ١٥٠ ألف نسمة. منذ القديم والمدينة سوق زراعي مهم عند منفذ منطقة زراعية خصبة. والصناعة فيها حديثة: الغاز الطبيعي، صناعات ميكانيكية، أقمشة، منتوجات زراعية. عقدة مواصلات نهرية مهمة على خط صوفيا- فارنا.
في ١٨٧٧، تمكن الجيش العثماني، بقيادة عثمان باشا، من التحصّن فيها لمدة ستة أشهر ضد الروس.

* **بورغاس Burgas**: مدينة ومرفأ في بلغاريا (الجنوب الشرق). قاعدة محافظة ساحل البحر الأسود. نحو ٢٠٠ ألف نسمة. مرفأ للصيد وللتجارة (أكثر من مليون طن سنويًا). صناعة السياحة فيها مزدهرة.

* **دوبرودجا Dobroudja**: منطقة في اوروبا الوسطى، يحدها نهر الدانوب من الغرب، والبحر الأسود من الشرق، ودلتا الدانوب من الشمال. مقسّمة حاليًا بين رومانيا من جهة الشمال (رأس كوستنتا) وبلغاريا من الجنوب. وإجمالي مساحتها ٥٩٦٩ كلم م. ونحو ٨٠٠ ألف نسمة (رومان، بلغار، تتار، واتراك). والمنطقة غنية بزراعة وإنتاج الحنطة، وتحتوي ارضها على كميات كبيرة من الحديد والنحاس. صيد الأسماك ناشط على الساحل (نحو ٧٠٪ من إجمالي الاستهلاك الوطني)، والكافيار يستخرج من دلتا الدانوب، والسياحة مزدهرة عند شواطىء البحر الأسود.
تنازع عليها البلغار والأتراك لمدة طويلة حتى آلت في ١٣٩٦ إلى الاتراك. معاهدات سان ستيفانو (١٨٧٨) وبوخارست (١٩١٣) ونويلي (١٩١٩) أعطت القسم الاكبر من دوبرودجا لرومانيا. معاهدة كراكوفيا (١٩٤٠) أعادت جنوب هذه المقاطعة لبلغاريا.

* **صوفيا Sofia**: عاصمة بلغاريا. تقع غربي البلاد. ترتفع ٥٥٥م عن سطح البحر. تعدّ نحو ١،٥ مليون نسمة.
تتكون صوفيا من جزأين، الأول يمثل صوفيا القديمة بمظهرها الشرقي المتجسّد في المنازل ذات الطراز المعماري الاسلامي والشوارع المتعرجة، ويقطنه عدد كبير من الاتراك، وفيه متاحف تاريخية وعصرية وكنائس قديمة. وتعد كنيسة القديس جاورجيوس من اقدم المباني في صوفيا، وقد كانت في الاصل مبنى رومانيًا، ثم تحولت في القرن الخامس عشر إلى كنيسة. كذلك هناك مسجد بناه الاتراك إلى جانب اطلال القلاع والمباني القديمة الي هي اليوم مناحف أثرية. أما الجزء الثاني فيمثل صوفيا الحديثة العصرية.
غيّرت صوفيا إسمها ثلاث مرات: «سرديكا» في القرن الاول، ثم «تريادنزا» في عهد الامبراطورية البيزنطية، وأخيرًا «صوفيا» حين بدأت تعرف بعاصمة بلغاريا في القرن الرابع عشر.
أهم معالمها المكتبة الوطنية التي تضم كنزًا حقيقيًا لحضارات الشعوب وثقافاتها. من جملة ما تضمه مخطوطات عربية وتركية وفارسية. وفي المكبة مختبر يقوم بحفظ وترميم المخطوطات والكتب.
وصوفيا منطقة سياحية يزيد عدد زوارها من السياح عن ٧ ملايين سائح كل عام. ومن جملة ما يقصده السياح جبال فيتوشيا التي ترتفع حوالي ٢٢٧٠م فوق سطح البحر، فتصبح أشبه ببرج ضخم يحيط بالعاصمة من كل جانب.

* **فارنا Varna**: مدينة بلغارية على البحر الأسود. تعد نحو ٢٢٠ ألف نسمة. نشاطها الاقتصادي سياحي قبل أي نشاط آخر، وذلك منذ بداية الستينات حين بدأت الحكومة البلغارية تهتم بهذا القطاع وتعمل على تطويره.

في منطقة فارنا غابة شهيرة تعرف ب«غابة الاحجار»، وهي غابة ضخمة جدًا تضم عددًا هائلاً من الاحجار التي تتتابع في وضع متدرج كالسلّم. وهذه الغابة كانت مليئة بالاشجار الضخمة المثمرة والحيوانات الأليفة، ولكن الثوار البلغار قطعوا هذه الاشجار حتى لا يغدر بهم الاتراك من خلفها، واصبحوا يختبئون وراء الاحجار على شكل مجموعات فدائية لمواجهة الاتراك، فكانت هذه المنطقة بالنسبة إليهم منطقة هجوم ودفاع.

ومن المعالم التاريخية (والسياحية) في المنطقة متحف الحمامات الرومانية الذي بناه اليونانيون في القرن الثاني الميلادي. ومتحف معماري تاريخي يعرض كل ما قدمه المعماريون البلغار من تصاميم هندسية دقيقة في العصور القديمة. ثم متحف الفن والأدب الذي يضم لوحات متنوعة بعضها قديم والبعض الآخر حديث، وجميعها لفنانين عالميين.

عندما بدأت، في ١٩٥٢، عمليات الحفر والتنقيب عن الآثار في المنطقة تم العثور على ٣٠٠ قبر مليئة بالذهب والمجوهرات الثمينة. وقد أكد بعض علماء التاريخ في مؤتمر هلسنكي الذي عقد في ١٩٧٢ وجود أقدم حضارة في التاريخ في بلغاريا. وفي المنطقة حديقة تضم ضريحًا للملك بولندي يدعى «فلتزلاف» استشهد في معركة لتحرير بلغاريا في ١٤٤٤، وخلف الضريح متحف للأسلحة، ويحتوي على الكثير من الاسلحة التي استعملت في الحروب ضد الاتراك. وأظهرت عمليات التنقيب ايضًا عن تشابه واضح وجلي بين مدينتي فارنا وأوديسوس (فارنا القديمة) التي بنيت ايام الحكم اليوناني، وتقع فيها الحمامات الرومانية. وأوديسوس هي المدينة الكبيرة التي كانت تضم قبل مئات السنين فارنا تحت جناحها. وبمرور الوقت اقتطع هذا الجزء من الارض واطلق عليه إسم فارنا. أما الجيل الحالي في بلغاريا فيطلق على فارنا لقب المدينة التوأم لأوديسوس.

* **كازانلوك:** مدينة بلغارية شهيرة بزراعة الورود وباستخراج الزيوت منها التي تعد من أندر الزيوت وأثمنها في العالم، ولا يوجد هذا النوع من الزيوت إلا في ورد الثلاثين الذي سمي بهذا الاسم لأن الوردة الواحدة تضم ثلاثين ورقة. وقد تمّ نقل الورد إلى بلغاريا عن طريق الدولة الفارسية قبل ٣٠٠ عام. ومن هذه الورود يصنع ايضًا شاي الورد وشراب الورد، كما جرى مؤخرًا صناعة دواء من الورد لاعادة بناء الخلايا في الجسم.
في المدينة متحف الورد الذي يحكي قصة صناعة الورد في بلغاريا منذ القدم، ويعرض مجموعة القدور النحاسية التي كان يجمع فيها الورد لاستخراج الزيت منه. ولإنتاج كيلو غرام واحد من زيت الورد يحتاج إلى ثلاثة اطنان من الورد او إلى هكتار واحد من الارض المزروعة بالورد. وتعد بلغاريا من الدول الاولى في تصدير زيوت الورد إلى العالم. وثمن الكيلو الواحد من زيت الورد بلغ ٥٠٠ دولار (١٩٨٩). وفي كازانلوك معهد خاص يهتم بهذه الورود والزيوت المستخرجة منها وفق برامج علمية.

* **كوبريف شتيتسا:** مدينة بلغارية على بعد ١٢٠ كلم من العاصمة. مدينة ما زال أهلها يعيشون حياتهم القديمة بعاداتهم وتقاليدهم ومساكنهم. البيوت جميعها خشبية تكثر فيها النوافذ والشرفات، سقوفها مغطاة بالقرميد، اما طلاء البيوت فباللونين الابيض والازرق اللذين يعبران عن الحرية والاستقلال حسب ما يعتقد البلغار، وقد روعي في البناء ملاءمته للصقيع. اما البوابات الخارجية فتصنع من الخشب الثقيل، كما نحتت اسماء اصحاب البيوت والمحلات التجارية على لوحات خشبية... والبيوت من الداخل عصرية تمامًا، سواء في طراز الأثاث او الثياب او ادوات

المنزل او وسائل الحياة الحديثة فيها.
ولاعتبارها منطقة ذات أهمية تاريخية فقد آثرت الحكومة البلغارية المحافظة عليها وعلى طرازها القديم، ليبقى ذكرى للاجيال القادمة حتى لا يغفلوا ماضيهم ففرضت على المواطنين بناء بيوت حديثة بشرط التقيد بالقالب القديم لشكل البيت من الخارج.
يذكر الاهالي ان لهذه المدينة تاريخًا حافلاً، فمنها انطلقت اول ثورة شعبية بلغارية في ١٨٧٦ وطالبت بالاستقلال عن الحكم العثماني، وقد عمّت اخبار هذه الثورة كل قرى جبال البلقان، ولكن الثورة قمعت بالقوة ومع ذلك فقد حصلت بلغاريا على الاستقلال في ١٨٧٨.
أسست كوبريف شنيتسا في القرن السادس عشر، وهي تعني «مرج النساء»، ومن هذا المرج خرجت امرأة فائقة الجمال، نجحت في إقناع السلطان العثماني باعطاء امتيازات وتسهيلات خاصة لهذه المدينة وسكانها لتيسير أمور تجارتهم وتنقلهم من مدينة إلى مدينة، وتقع في منطقة جبلية رعوية لا تصلح للزراعة لذا ارتبط اهلها ارتباطًا شديدًا بحرفة الرعي وبالصناعات القائمة عليها كصناعة العربات والعباءات والاحذية والجوارب والبسط والسجاد. وقد كان اهاليها، كذلك، تجارًا يجوبون بصناعاتهم آسيا الصغرى ومصر والحبشة. وتعد كوبريف شتيتسا محمية معمارية تاريخية يقصدها السياح من كل ارجاء العالم للتمتع بمنظر البيوت القديمة- الحديثة التي تحولت معظمها إلى متاحف شديدة الثراء.

* **كينرجي Kainardji**: مدينة بلغارية. وقعت فيها معاهدة الصلح بين عبد الحميد الاول السلطان العثماني وكاترينا الثانية قيصرة روسيا. وقد نصّ احد بنودها على حق روسيا في حماية الحجاج المسيحيين إلى الاراضي المقدسة (١٧٧٤).

* **لسيبار Nasipar**: مدينة بلغارية، تقع على مسافة ١٢٠ كلم من فارنا. مدينة تاريخية تعود إلى ايام الحكم الروماني في القرن السادس. توجد فيها كنائس كبيرة من ثلاث مجموعات: تعود المجموعة الاولى إلى ايام البيزنطيين، والثانية إلى عهد الدولة البلغارية الاولى (من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر)، والثالثة إلى الدولة البلغارية الثانية. وفي هذه الكنائس الكثير من الرسوم المعمارية التي ابدعها اشهر النحاتين والرسامين البلغار.

* **نيكوبول Nikopol**: مدينة بلغارية على الدانوب. نحو ١٢ ألف نسمة. هي نيكوبوليس القديمة. أسسها هرقل (٥٧٥-٦٤٢). عندها انتصر بايزيد على جيش المجر وفرنسا (١٣٩٦). احتلها الروس وهدموا قلعتها في ١٨١٠ و١٨٧٧.

زعماء ورجال دولة

* **تسولوف، تالو Tsolov** (١٩١٨-): سياسي ورجل دولة بلغاري. انتسب إلى الحزب الشيوعي منذ شبابه. عمل في المقاومة والحزب في الحرب العالمية الثانية، وانتخب عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (١٩٥٠). وزير الصناعة الثقيلة (١٩٥٢-١٩٥٩). سكرتير اللجنة المركزية (١٩٥٩-١٩٦٢). نائب رئيس الوزراء (١٩٦٢-١٩٧١). رئيس لجنة التخطيط (١٩٦٨-١٩٧١). رئيس اللجنة التنفيذية لمجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة -كوميكون- (١٩٧٣-١٩٧٤).

* **جيفكوف، تيودور Djivkov,T.** (١٩١١-): زعيم شيوعي ورجل دولة بلغاري. عضو اللجنة المركزية للحزب (منذ ١٩٤٨). عضو المكتب السياسي (١٩٥١). سكرتير أول للحزب (١٩٥٤). رئيس الوزراء، ثم رئيس مجلس الدولة (١٩٧١). عرف بقربه من خط موسكو، وبمواقفه الايجابية من القضايا العربية (راجع «النبذة التاريخية»).

* **جيليف، جيليو Jelev,Jelio** (١٩٣٥-): سياسي ورجل دولة وفيلسوف بلغاري. رئيس «اتحاد القوى الديمقراطية» ومؤسس النادي المستقل من أجل الغلاسنوست والبيريسترويكا. انتخبه البرلمان كأول رئيس للجمهورية بعد سقوط النظام الشيوعي (صيف ١٩٩٠). اعيد انتخابه في كانون الثاني ١٩٩٢. منشق سابق عن صفوف الحزب الشيوعي.
ابتعد جيليف (منذ الأيام الاولى لولايته الرئاسية) عن الاتجاهات اليمينية داخل «الاتحاد» واختار سبيل الوفاق الوطني على غرار التجربتين الاسبانية واليونانية. وجلب بذلك على نفسه مشاعر استياء من قبل «الرفاق» القدامى، لكنه زاد شعبيته في اوساط الجماهير البلغارية. رئيس الوزراء لوبين بيروف كان أحد مساعديه.

* **ديميتروف، جيورجي Dimitrov,G.** (١٨٨٢-١٩٤٩): سياسي وزعيم شيوعي بلغاري. من مؤسسي الحزب الشيوعي البلغاري (١٩١٨-١٩١٩). عارض دخول بلغاريا الحرب العالمية الاولى. اشترك في المؤتمر الثالث للكومنترن في روسيا (١٩٢١). ثم انتخب امينًا تنفيذيًا له من ١٩٣٤ وحتى حله في ١٩٤٣. من قادة الانتفاضة المسلحة في بلغاريا بعد الاطاحة بحكومة الكسندرا احرارين (١٩٢٣)، فهرب إلى يوغوسلافيا وحكم عليه بالاعدام غيابيًا. اكتسب شهرة عالمية واسعة لدفاعه الرصين عن نفسه إبان محاكمته إثر اتهامه بتسبب حريق الرايخستاغ في المانيا (وكان ديميتروف انتقل إلى فيينا ورأس قسم البلقان للكومنترن حتى ١٩٢٩، إلى ان نقل إلى برلين كقائد للقسم الاوروبي في الكومنترن). وبعد تبرئته في ٢٣ كانون الاول ١٩٣٣، رحل إلى روسيا حيث منح الجنسية السوفياتية واستقر في موسكو واصبح (١٩٣٥-١٩٤٣) السكرتير العام للجنة التنفيذية للكومنترن ونائبًا لمجلس السوفيات الاعلى. وبعد الغزو الألماني للاتحاد السوفياتي وجه ديميتروف كل جهوده لتوجيه حركات الصمود في بلغاريا والتي لعب فيها الحزب الشيوعي الدور القيادي. عاد إلى بلغاريا (١٩٤٥)، واستعاد الجنسية البلغارية. رئيس الوزراء (١٩٤٥)، ومشرف على وضع مشروع دستور للجمهورية البلغارية الشعبية. كان صديقًا لتيتو حيث اتفقا مبدئيًا (١٩٤٧) على إقامة اتحاد البلقان الذي كان من المقرر ان يشمل دول البلقان إضافة إلى بولونيا وتشيكوسلوفاكيا. إلا ان ستالين عارض المشروع بشدة واحبطه. احجم عن المشاركة في الحملة

الملك سيميون

الستالينية على تيتو (راجع «النبذة التاريخية»).

* **ستامبوليسكي، ألكسندر Stamboliski,A.** (١٨٧٩-١٩٢٣): زعيم فلاحي ورجل دولة بلغاري. من عائلة فلاحية ميسورة تمكنت من ارساله إلى المانيا لدراسة الزراعة. أظهر قدرة خطابية وتحريضية فائقة لدى عودته من ألمانيا. أودع السجن إبان الحرب العالمية الاولى، وعين بعدها رئيسًا لجمهورية بلغاريا لفترة وجيزة (١٩١٨). ثم عينه الملك بوريس رئيسًا للوزراء (١٩١٩-١٩٢٣)، حيث مارس دكتاتورية فلاحية تميزت بعدائها للاحزاب الليبرالية التقليدية وللشيوعية في آن، وحيث فرض الضرائب العالية على البورجوازية وعمال المدن في الوقت الذي اعفى فيه سكان الريف من معظم الضرائب. اغتيل احتجاجًا على تعاونه مع اليوغوسلاف لاخماد حركة التحرير المقدونية.

* **سيميون، الملك** (١٩٣٧-): تسلم العرش البلغاري بعد وفاة والده بوريس الثالث في حزيران ١٩٤٣ في ظروف غامضة، وكان عمره ٦ سنوات فقط وكان عمه الامير سيريل أحد الاوصياء الثلاثة عليه وقد أعدمتهم السلطات الروسية في ١٩٤٥ بتهمة التعاون مع النازية. ألغيت الملكية بموجب استفتاء في ١٩٤٦. عن هذا الاستفتاء يقول سيميون: «كان أشبه بمهزلة، واكثر ما يضحك فيه نتيجته إذ صوّت ٩٤٪ من البلغار ضد الملكية في دولة لم تعرف نظامًا سوى النظام الملكي. فهل يعقل ان تكون النسبة عالية إلى هذه الدرجة. لقد كانت فئات الناس خائفة جدًا من البطش

الشيوعي وكانت البلاد تحت الاحتلال السوفياتي الستاليني، ومن الناحية القانونية الدولية ليس بالامكان إجراء استفتاء والبلاد تحت الاحتلال».
سمحت له السلطات الشيوعية (١٩٤٦) بالسفر إلى مصر مع والدته إبنة الملك الايطالي فكتور عمانوئيل الذي كان في الاسكندرية مع عائلته.
وبالنسبة إلى أصل العائلة المالكة البلغارية: «أصلنا ألماني وهو من اصل العائلة المالكة البلجيكية والبريطانية نفسها، ونحن ننتمي إلى الطائفة الارثوذكسية. ومع ان انتماء والدي كان أصلاً إلى الكاثوليكية فقد تحول إلى الارثوذكسية لأن الدستور نص على أرثوذكسية الملك ولأن القيصر الروسي أصرّ على ذلك عندما كان والدي في الثانية من عمره. وقد سمّيت سيميون نسبة إلى رجل الدين السوري سمعان الذي تحمل إحدى قلاع سورية اسمه. وزرت هذه القلعة في ١٩٦٤».
في سنوات دراسته في كلية فكتوريا في الاسكندرية بنى «صداقة وثيقة مع الملك حسين والملك العراقي الراحل ومع رئيس الوزراء الاردني السابق زيد الرفاعي».

أقر مجلس النواب البلغاري، في اواسط تموز ١٩٩١، الدستور الجديد ومنع بموجبه أي شخص من تسلم السلطة في البلاد إذا لم يسكن لمدة خمس سنوات متتالية في بلغاريا (والمعروف ان الملك سيميون منفي إلى الخارج ويعيش في اسبانيا):
«إقرار المجلس البند المتعلق بالسنوات الخمس كان اشبه بخياطة بدلة على مقاسي؛ فبعد زيارة شقيقتي البلاد وشعور بعض الجمهوريين المتحمسين والشيوعيين السابقين بأن العائلة المالكة مهتمة بالمشاركة في عودة الديمقراطية إلى بلغاريا أقر هذا الدستور متضمنًا هذا البند. وكانت التحركات الطلابية في اواخر ١٩٩٠ وأوائل ١٩٩١ دعت إلى عودة الملكية ووقع أكثر من ٢٠٠ ألف شخص وثيقة طالبت بعودتي إلى عرشي».

بالنسبة إلى الاقليات الاثنية فانه يؤيد التعاون الوثيق معها: «زارني في فترة رمضان من العام الماضي (١٩٩٢) أحمد دوغان قائد حزب الحقوق والحريات الذي يمثل الاقلية المسلمة ومجموعات أخرى في البرلمان، ويشكل حوالي ١٠٪ من نواب البرلمان البلغاري والنسبة نفسها من السكان. وتباحثت معه في شؤون الاقلية المسلمة التي يمثلها. وكانت في وضع جيد نسبيًا حتى ١٩٨٤ عندما حوّلها النظام الشيوعي إلى كبش محرقة وحمّلها مسؤولية سياساته الفاشلة وحاول صهرها بالقوة في ما سمّي «عملية البلغرة»، فاعتدى على هويتها الحضارية وحاول تبديل أسماء أبنائها (...) إنني تفهمت وما زلت أتفهم الموقف الرسمي التركي... إنني أؤيد التعاون الوثيق مع قادة المسلمين البلغار مثل دوغان. وانا معجب ايضًا بالسياسة الحكيمة لتركيا ويجب ان نتعاون سويًا مع هذه الدولة التي يبلغ حجمها سبعة اضعاف حجمنا لكي ندخل سويًا إلى المجموعة الاوروبية عن طريق التفاهم المشترك. إنني اعتبر ان لتركيا دورها المهم في دخول سائر بلدان اوروبا الشرقية إلى المجموعة الاوروبية».
في حزيران ١٩٩٣، وأثناء زيارة الملك الاسباني خوان كارلوس لبلغاريا، احتشدت جماهير من البلغار لترفع صور الملك سيميون وتطالب مضيفه الملك خوان كارلوس الطلب منه العودة إلى صوفيا. وفور عودته من الزيارة الرسمية اتصل العاهل الاسباني بصديقه سيميون المقيم منذ ٤٠ سنة في مدريد ليضعه في صورة الاحتفالات ويشجعه على العودة. لكن الملك سيميون أكد انه لن يذهب إلى بلغاريا قبل ان يتأكد من «وضوح هدف زيارته وقبل التحضير المسبق لها بالشكل الأفضل» (من «الحياة»، العدد ١١٠٨٤، تاريخ ١٩ حزيران ١٩٩٣، ص١٤).

*** فيليبوف، غريشا Filipov,G.** (١٩١٩-):

سياسي ورجل دولة بلغاري. ولد ونشأ في الاتحاد السوفياتي. عاد مع أسرته إلى بلغاريا في ١٩٣٦، ودرس العلوم الطبيعية في جامعة صوفيا. في ١٩٤٨، قصد موسكو لاتمام تحصيله في المعهد العالي للاقتصاد والتجارة. في ١٩٦٦، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري، وفي ١٩٧١ امين عام اللجنة المركزية، وفي ١٩٧٤ عضو المكتب السياسي للحزب، وفي حزيران ١٩٨١ رئيس الوزراء خلفاً لستانو تودوروف.
يعتبر غريشا فيليبوف من صانعي النظام الاقتصادي الذي حدّدت خطوطه العريضة في منتصف الستينات: زيادة الانتاجية ومردودية الاقتصاد. من انصار المزيد من توثيق العلاقة مع الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية.

*** كوستوف، ترايشو .Kostov,T** (١٨٩٧-١٩٤٩): شيوعي اممي ورجل دولة بلغاري. انضم إلى الحزب الشيوعي البلغاري في ١٩٢٠. شارك، في ١٩٢٣، في الانتفاضة المعادية للحكم الفاشي، واصبح، منذ ١٩٣١، عضوًا في اللجنة المركزية للحزب ورئيس تحرير جريدة «قضية العمال» الناطقة باسم الحزب الشيوعي البلغاري. نظّم أثناء الحرب العالمية الثانية المقاومة البلغارية ضد النظام الملكي. انتخب بعد انتهاء الحرب نائبًا لرئيس الوزراء حيث اثبت كفاءة كبيرة في مجال التنظيم واعادة إعمار بلغاريا. وقع ضحية مؤامرة نظمها ضده شوفنكوف، زعيم الجناح الستاليني في الحزب، واتهمه بالخيانة فأعدم في ١٩٤٩ بعد محاكمة صورية.

البلقان

كـلام الخريطــة: الخريطــة مــأخوذة مــن «لوموند ديبلوماتيك» (عـدد حزيـران ١٩٩٣، ص٩) وتظهر بلدان شبه الجزيرة البلقانيـة. وفي مـا يلي تعريب جميع كلماتها:

المراجع: «السنة الاستراتيجية»، منشورات دونو، باريس ١٩٩٣؛ الاحصاء اليوغوسلافي لسنة ١٩٩١.

أهـم مناطق التوتـر (تـورد الخريطـة بعـض مناطق التوتـر القريبـة مـن البلقـان): ١-احتـلال الجيش التركي شمال جمهورية قبرص؛ ٢-تعيين الحدود البحرية والجوية للهضبة الايجية وتوسع المياه الاقليمية (راجع «إيجه، بحر» في الجزء الرابع)؛ ٣-تمركز قوات عسكرية في الجزر اليونانية في بحر إيجه؛ ٤-مصير الأقلية اليونانية في اسطنبول؛ ٥-مصير الأقلية التركيـة في تراقيـا الغربيـة؛ ٦-مصير الأقلية التركية في بلغاريا (راجع «بلغاريا» في هـذا الجزء)؛ ٧-خلاف حول إيبيريا الشمالية؛ ٨-توتـر عقب اعلان استقلال مقدونيـا؛ ٩-مطـالب ألبـان كوسوفو؛ ١٠-حرب في البوسنة والهرسك؛ ١١-اعـلان اسـتقلال الأقليـات الصربيـة في كرواتيـا؛ ١٢-أقلية هنغارية في رومانيا.

تعريفات سريعة بالبلدان (داخـل المربعـات المحيطة بالخريطة):

تركيا: مساحة ٧٧٩٤٥٢ كلم م.. سكان ٥٨ مليـون و٣٧٦ ألفًا، منهـم أتـراك ٨٥،٧٪، أكراد ١٠،٦٪، عرب ١،٦٪. الجيش ٥٦٠ ألفًا و٣٠٠ رجل، منهم ٤٨١ ألف مجنّد.

قبرص: مسـاحة ٩٢٥١ كلـم م.. سكان ٧٤٧ ألفًا (القطاع اليوناني ٥٧٤ ألفًا، القطاع التركي ١٧٣ ألفًا) منهم ٧٩،٢٪ يونـان، و١٨،٧٪ أتـراك. الجيـش ٨ آلاف رجـل (في الشمال وحدة عسكرية تركية من نحو ٤ آلاف رجل).

اليونـان: مسـاحة ١٣١٩٤٤ كلـم م.. سكان ١٠ ملايين و٢٧٢ ألفًا، منهم ٩٥٪ يونان، و١،١٪ أتراك. الجيش ١٥٩ ألفًا و٣٠٠ رجل، منهم ١٢٥ ألفًا و٨٠٠ مجنّد.

مقدونيـا: مسـاحة ٢٥٧١٣ كلـم م.. سـكان مليونـان و٣٤ ألفًـا، منهـم ٤٦،٦٪ مقدونيـين، ٢١٪ ألبـان، ٤،٨٪ اتـراك، ٢،٧٪ غجـر، ٢،٢٪ صرب. الجيـش ٢٠ ألـف رجـل تقريبًا.

جمهورية يوغوسلافيا الفدرالية (صربيا والجبل الاسود): مساحة ١٠٢١٧٣ كلـم م.. سكان ١٠ ملايين و٤٠٧ آلاف، منهم ٦٢،٣٪ صرب، ١٦،٥٪ ألبان، ٤،١٪ من سكان الجبل الأسـود (مونتينيغـرو)، ٣،٣٪ هنغـار، ٣،١٪ مسلمين، ٠،٧٪ كرواتيين، وهناك غجر وسلوفاك ورومان. الجيش ١٣٥ ألف رجـل منهـم ٤٤ ألفًا و٥٠٠ مجنّد.

ألبانيا: مساحة ٢٨٧٤٨ كلم م.. سكان ٣ ملايين و٣٠٣ آلاف، منهم ٩٨٪ ألبان، ١،٨٪ يونان. الجيش ٤٠ ألف رجل منهـم ٢٢ ألفًا و٤٠٠ مجنّد.

كرواتيـا: مسـاحة ٥٦٥٣٨ كلـم م.. سـكان ٤ ملايين و٧٦٠ ألفًا، منهـم ٧٧،٩٪ كروات، ١٢،٢٪ صـرب. الجيـش ١٠٥ آلاف رجل تقريبًا.

سـلوفينيا: مسـاحة ٢٠٢٥١ كلـم م.. سكان مليون و٩٦٣ ألفًا، منهم ٨٧،٦٪ سلوفان،

SLOVÉNIE
Superficie : 20 251 km²
Population (1) : 1 963 000
dont : Slovènes : 87,6%,
Croates : 2,7%, Serbes : 2,4%.
Armée : 15 000 hommes environ
BOSNIE-HERZÉGOVINE
Superficie : 51 129 km²
Population (1) : 4 365 000
dont : Musulmans : 43,7%,
Serbes : 31,4%, Croates : 17,3%.
Armée : entre 30 et 50 000 hommes;
milices serbes : 67 000 hommes,
milices croates : 50 000 hommes.
ROUMANIE
Superficie : 237 500 km²
Population (1) : 23 247 000
dont : Roumains : 88,1%,
Hongrois : 7,9%,
Allemands : 1,6%,
Tsiganes : 1,1%.
Armée : 200 000 hommes
dont 126 700 conscrits.
BULGARIE
Superficie : 110 994 km²
Population (1) : 8 470 000
dont (estimations) :
Bulgares 84%,
Turcs : 10%, Tsiganes : 6%
Armée : 107 000 hommes
dont 70 000 conscrits.
UKRAINE
MOLDAVIE
Iasi
Chisinau
AUTRICHE
ITALIE
SLOVÉNIE
Ljubljana
Trieste
Istrie
HONGRIE
Cluj
13
ROUMANIE
RUSSIE
Crimée
Zagreb
11
Vojvodine
12
BOSNIE-HERZÉGOVINE
Belgrade
CROATIE
Sarajevo
10
SERBIE
RÉP. FÉD. DE YOUGOSLAVIE
Bucarest
Danube
MONTÉNÉGRO
Kosovo
BULGARIE
Sofia
6
Podgorica
9
Skopje
8
Tirana
MACÉDOINE
5
Istanbul
4
Détroit du Bosphore
ALBANIE
Thessalonique
Détroit des Dardanelles
Ankara
7
3
GRÈCE
TURQUIE
Izmir
Athènes
2
Adana
Cyclades (Gr.)
Rhodes (Gr.)
Crète (Gr.)
MALTE
0
500 km
SYRIE
1
CHYPRE
Nicosie
LIBAN
TURQUIE
Superficie : 779 452 km²
Population (1) : 58 376 000
dont : Turcs : 85,7%,
Kurdes : 10,6%,
Arabes : 1,6%.
Armée : 560 300 hommes
dont 481 000 conscrits.
CROATIE
Superficie : 56 538 km²
Population (1) : 4 760 000
dont : Croates : 77,9%,
Serbes : 12,2%.
Armée : 105 000 hommes
environ.
ALBANIE
Superficie : 28 748 km²
Population (1) : 3 303 000
dont : Albanais : 98%,
Grecs : 1,8%.
Armée : 40 000 hommes
dont 22 400 conscrits.
RÉP. FÉD. DE YOUGOSLAVIE
(Serbie et Monténégro)
Superficie : 102 173 km²
Population (1) : 10 407 000
dont : Serbes : 62,3%, Albanais (2) : 16,5%
Monténégrins : 4,1%, Hongrois : 3,3%,
Musulmans : 3,1%, Croates : 0,7%,
Tsiganes, Slovaques, Roumains.
Armée : 135 000 hommes
dont 44 500 conscrits.
MACÉDOINE
Superficie : 25 713 km²
Population (1) : 2 034 000
dont : Macédoniens : 64,6%,
Albanais (2) : 21%,
Turcs : 4,8%,
Tsiganes : 2,7%,
Serbes : 2,2%.
Armée : 20 000 hommes
environ.
GRÈCE
Superficie : 131 944 km²
Population (1) : 10 272 000
dont : Grecs : 95%,
Turcs : 1,1%.
Armée : 159 300 hommes
dont 125 800 conscrits.
CHYPRE
Superficie : 9 251 km²
Population (1) : 747 000 (secteur grec : 574 000
et secteur turc : 173 000) dont : Grecs : 79,2%,
Turcs : 18,7%.
Armée : 8 000 hommes (au Nord s'est constitué
un contingent turc d'environ 4 000 hommes)

٢،٧٪ كروات، ٢،٤٪ صرب. الجيش حوالي ١٥ ألف رجل.

البوسنة والهرسك: مساحة ٥١١٢٩ كلم م.. سكان ٤ ملايين و٣٦٥ ألفًا، منهم ٤٣،٧٪ مسلمين، ٣١،٤٪ صرب، ١٧،٣٪ كروات. الجيش بين ٣٠ و٥٠ ألف رجل؛ ميليشيات صربية ٦٧ ألف رجل، ميليشيات كرواتية ٥٠ ألف رجل.

رومانيا: مساحة ٢٣٧٥٠٠ كلم م.. سكان ٢٣ مليونًا و٢٤٧ ألفًا، منهم ٨٨،١٪ رومان، ٧،٩٪ هنغار، ١،٦٪ ألمان، ١،١٪ غجر. الجيش ٢٠٠ ألف رجل، منهم ١٢٦ ألفًا و٧٠٠ مجنّد.

بلغاريا: مساحة ١١٠٩٩٤ كلم م.. سكان ٨ ملايين و٤٧٠ ألفًا، منهم (تقديرات) ٨٤٪ بلغار، ١٠٪ اتراك، ٦٪ غجر. الجيش ١٠٧ آلاف رجل، منهم ٧٠ ألف مجنّد.

(إلى هنا ينتهي كلام الخريطة).

(تُراجع كل دولة أو بلد في البلقان في موقعها من الموسوعة).

شبه جزيرة البلقان: الاطار البشري

البلقان: كلمة تركية تعني «الجبل». وشبه جزيرة البلقان تمتد من سهل الدانوب شمالاً، ويحدها بحر الادرياتيكي والبحر الإيوني من الغرب، والبحر الأسود وبحر مرمره وبحر إيجه من الشرق. تغطي مساحة ٥٥١ ألف كلم م. (تعادل مساحة فرنسا تقريبًا)، وتعد نحو ٤٢ مليون نسمة، موزعين على عدد من الدول (خمس دول قبل تفكك يوغوسلافيا: ألبانيا، بلغاريا، اليونان، تركيا -وتحديدًا تراقيا التركية- ويوغوسلافيا).

تضاريسها تكاد تكون بمجملها جبلية، وأعلى قمة فيها لا تتعدى ٣ آلاف متر. وهي سلسلتان جبليتان: السلسلة التي تمتد بموازاة بحر الأدرياتيك وتهبط وصولاً إلى مليوبونيز. والسلسلة التي هي على شكل قوس (السلسلة البلقانية) وتجتاز بلغاريا من الغرب إلى الشرق. أما محاور الدخول البشري إليها (هجرات) فقد اتبعت المجاري المائية: نهر موراما الذي يسير باتجاه الدانوب، نهر ماريتزا ونهر فاردار باتجاه بحر إيجه. وقد تركزت الحياة الزراعية في السهول (القمح، الذرة، التبغ والفاكهة). اما الصناعة فقليلة التطور قياسًا على اوروبا عامة.

«البلقنة»: تعبير سياسي-أمني- عسكري يشير إلى التوترات والنزاعات التي تكون اسبابها الاختلافات الاتنية والدينية واللغوية. فاختلاف شعوب شبه جزيرة البلقان. بنعراتهم وأديانهم، جعل من المنطقة حاضنة لفسيفساء حقيقي من المجموعات البشرية. وقد جرى، عادة، تقسيم هذه المجموعات إلى عائلتين إتنيتين كبريين: سلاف الجنوب واليونان (الاغريق). والسلاف هم الأكثر عددًا (حوالي ٢٦ مليون نسمة)، ويسكنون شمالي شبه الجزيرة حيث أقاموا فيها بدءًا من القرن السادس الميلادي. واليونان (حوالي ٨،٥ مليون نسمة) الذين يتحدرون من أرومة أقدم بكثير من السلاف. فالغزوات الهلّينية الاولى تعود إلى الألف الثاني قبل العصر الحالي. وهناك ايضًا الألبان المتحدرون من الإيلّيريين الذين كانوا أول من سكن المنطقة، إضافة إلى عدد كبير من أقليات إتنية أخرى جاءت من اوروبا الوسطى ومن آسيا (المجر، الاتراك، الغجر، الخ).

تميزت المنطقة بتاريخ طويل من الاضطراب، وتنازعت عليها الدول الكبرى. وإذا كان الاحتلال الروماني لها لم يترك أثره الكبير عليها، فإن بيزنطية أعطت السلاف قوانينها ومعتقدها الديني وأبجديتها. وابتداء من القرن الرابع عشر سيطر الاتراك على المنطقة واستمر احتلالهم لها خمسة قرون وترك أثره العميق في اللغة

والعادات. وعلى أثر الوهن الذي بدأ يصيب أوصال السلطنة في القرن التاسع عشر، استيقظت القوميات في شبه الجزيرة البلقانية، وتمكنت من توحيد جهودها (في ١٩١٢) ومن طرد المحتل التركي. وفي ١٩٢٠، جرت سلسلة من المعاهدات التي رسمت حدود الدول البلقانية الجديدة. والاحتلال الألماني والايطالي، في الحرب العالمية الثانية، جوبه بحركات مقاومة شديدة. وبعد الحرب اصبحت ألبانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا (التي ضمت بلدانًا كانت مستقلة قبل الحرب) دولاً شيوعية. وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي والنظم الشيوعية في اوروبا الشرقية وتفكك الاتحاد اليوغوسلافي (١٩٨٩) نشبت صراعات إتنية في البلقان وقامت كيانات جديدة، فكانت «بلقنة» حقيقية مداها حدود كيانات ووجود أقليات. وكانت الانظمة الشيوعية عملت على إخماد الولاءات العرقية والدينية باعتبارها عوامل تفكيك للمجتمع، فيما أعلنت، بدلاً من ذلك الايديولوجيا القائمة على الصراع الطبقي الذي تبيّن انه أجّل المسألة القومية وكبتها في صورة موقتة.

الخريطة الاتنية-الدينية: البلقان من أعقد مناطق العالم من حيث التواجد والتوزيع القومي-الإتني-الديني لشعوبه، وخاصة في يوغوسلافيا السابقة وبلغاريا ورومانيا.

ففي يوغوسلافيا ست قوميات رئيسية (إضافة إلى عدد كبير من الاقليات): الصرب، الكروات، السلوفين، الألبان، المقدونيون والمسلمون.

الصرب اكبر مجموعة قومية ويمثلون لوحدهم ٣٦،٣٪ من إجمالي سكان يوغوسلافيا السابقة، ويتركزون اساسًا في صربيا (٨٥،٤٪ من سكانها)، وفي البوسنة الهرسك (٣٢٪)، وفي كرواتيا (١١٪).

الكروات، ثاني اكبر مجموعة قومية في يوغوسلافيا السابقة (٢٠٪)، ويتركزون في كرواتيا (٧٠٪)، وفي البوسنة الهرسك (١٨٪).

الصرب أغلبيتهم أرثوذكس، الكروات كاثوليك. وتستخدم القوميتان لغة واحدة هي «الصربو-كرواتية»، ولكن بأبجديتين مختلفتين: للصرب أبجدية سرّيلية، وللكروات أبجدية لاتينية.

المسلمون، قومية ثالثة في يوغوسلافيا السابقة (٩٪ من مجموع سكان يوغوسلافيا السابقة). يتركزون في البوسنة والهرسك (٣٩٪)، وفي الجبل الاسود (١٣،٤٪). تتحدث أغلبيتهم اللغة الصربو-كرواتية بينما تتكلم نسبة قليلة اللغة المقدونية، ويطلق عليهم لقب «البوماك» (والتسمية تدل على مجموعات اوروبية اعتنقت الاسلام وتنشكل منها معظم الاقليات المسلمة في البلقان. خصوصًا في بلغاريا ورومانيا). وتنتمي الاغلبية الساحقة من المسلمين إلى المذهب السني؛ ويعتبر الاسلام بالنسبة إليهم رمزًا لهوية متميزة، ما دفع النظام الشيوعي إلى الاعتراف بهم، في ١٩٧١، كأمة متميزة داخل الاتحاد اليوغوسلافي السابق.

السلوفينيون، قومية رابعة، ٨٪ من مجموع سكان يوغوسلافيا السابقة، و٩٠٪ من سكان جمهورية سلوفينيا الواقعة في شمال غرب يوغوسلافيا السابقة، وهم كاثوليك. وتعتبر جمهورية سلوفينيا من اكثر الجمهوريات تجانسًا واكثرها تطورًا على المستوى الاقتصادي.

المقدونيون، قومية خامسة، حوالي ٦،٨٪ من مجموع سكان يوغوسلافبا السابقة، ويتركزون اساسًا في جمهورية مقدونيا.

الألبان في يوغوسلافيا السابقة، قومية سادسة، ٦،٥٪ من مجموع سكان يوغوسلافيا السابقة، و٨٥٪ من مجموع سكان كوسوفو. لكنهم لم يحصلوا على مكانة القومية المتميزة لأن الدستور اليوغوسلافي الموضوع في ١٩٧٤ ينص على ان الوطن القومي للألبان هو دولة ألبانيا

المجاورة، ولذا لم يمنحوا وضعية الجمهورية وإنما «الاستقلال الذاتي» داخل جمهورية الصرب. وإلى ذلك تعيش جماعات من الألبان في مقدونيا الغربية على حدود ألبانيا، فيما أغلبية الألبان من المسلمين باستثناء اقلية من الكاثوليك.

أما رومانيا فتتميز ايضًا بتعددية عرقية واضحة حيث يعيش ما يتراوح بين ١٧-١٨٪ من غير الرومانيين ولا سيما من الغجر، كما تتميز اقلياتها بمعدلات إنجاب عالية، إلا ان الاقليات المذكورة لا تتركز في مناطق بعينها.

وبالنسبة إلى الوضع الاتني-الديني في بلغاريا فقد ورد الكلام عليه في «بلغاريا» من هذا الجزء (الجزء الخامس).

وهكذا، تضم شبه جزيرة البلقان، في اغلب أرجائها، شعوبًا وقوميات وأقليات وأديانًا ومذاهب متعددة متباينة ومتصارعة. وقد أدت المذابح وعمليات التمشيط العرقي المتوالية التي تعرضت لها المنطقة إلى حدوث تغيرات متلاحقة في الخريطة الاجتماعية. وتبدو الموجة الراهنة (حرب البوسنة والهرسك) الأبشع والأكثر دموية بالمقارنة مع أية موجة شهدها التاريخ الحديث لتلك المنطقة، وقد تؤدي إلى اختلافات جذرية في التركيب الديمغرافي لها.

الأسباب القريبة للصراعات الحالية:

خلال ١٩٤١ و١٩٤٥، وإبان الاحتلال الألماني النازي لبلدان يوغوسلافيا السابقة أباد الكروات الكاثوليك نحو ٤٠٠ ألف صربي أرثوذكسي و٣٥ ألف يهودي و٢٥ ألف غجري. فشكل هذا الحادث أبرز صور الذاكرة الشعبية بين الارثوذكس المنتشرين ما بين صربيا وكرواتيا وكوسوفو والجبل الاسود (مونتينيغرو) ومقدونيا.

فبعدما انتصرت جيوش هتلر على جيش المملكة اليوغوسلافية في نيسان ١٩٤١، انشأت السلطات الألمانية دولة كرواتيا المستقلة على كامل الاراضي السلافونية والكرواتية والبوسنية وقسم من اقليم فويفودين. واسندت قيادة هذه الدولة إلى الفاشي الكرواتي أنتي بافيليتش الذي كان قد لجأ قبل سبع سنوات إلى ايطاليا برفقة ٢٥٠ عنصرًا من ميليشيا الأوستاشي المبنية على نسق ميليشيات الفاشيست التي كان يتزعمها موسوليني. وكان قد تمّ الاتفاق بين هتلر وموسوليني على نقل الأوستاشي إلى بلادها وتسليمها زمام الامور فيها، وكانت تضم ٣ ملايين كرواتي وأقل من مليوني صربي و٧٠٠ ألف مسلم و٤٠٠ ألف من الاقليات المتفرقة.

وتحولت ميليشيا الاوستاشي إلى «الجيش الوطني الكرواتي» ذي الايديولوجية الفاشية مع خصوصيات عائدة إلى وضع البلاد: «الصرب دخلاء على الامة الكرواتية»، ولا يشكلون سوى «عرق من الكلاب». ووضعت الحكومة الأوستاشية الكرواتية الصرب امام خيارات ثلاثة: إما اعتناق المذهب الكاثوليكي (وقد أنشئت لهذا الغرض محاكم خاصة)، وإما الهجرة الطوعية او التهجير، وإما الابادة الجسدية. هكذا طرح «الحل النهائي للمسألة الصربية» وهكذا بدأت المجازر بعد إنشاء مخيمات عسكرية للابادة الجماعية.

وأما السكان المسلمون في البلاد فكانت النظرية الأوستاشية (والتي وضع أسسها أنتي ستارسيفيتش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر) تعتبرهم أنقى اجزاء العرق الكرواتي على اساس انهم أقدم نبالة كرواتية أسلم اصحابها خلال القرن السادس عشر، وحافظوا بذلك على نقائهم العرقي. وعلى هذا الاساس دخل إلى الحكومة الكرواتية الاوستاشية وزيران مسلمان، كما انضمت إلى الجيش الاوستاشي وشاركت في المجازر فرقة عسكرية تم تشكيلها من مسلمي البوسنة واطلقت عليها تسمية «القوات الخاصة-خنجر» (S S Handjar). لكن اعيان المسلمين في

البوسنة لم يوافقوا سياسيًا على أعمال هذا الفصيل العسكري المحسوب عليهم، تسمية، والمرهون فعليًا، للقرار السياسي الكرواتي.

والمجازر هذه (١٩٤١-١٩٤٥) ترافقت مع عمليات فرض اعتناق المذهب الكاثوليكي على الصرب بالقوة، وكان بطلها رهبان الفرنسيسكان الكروات الذين لبسوا زي الميليشيا الاوسناشية وساندوا اعمالها مباركين عمليات تغيير المذهب إلى الكاثوليكية للصرب الذين اختاروا هذا المخرج حفاظًا على حياتهم.

فما حدث في هذه الفترة عزّز نزعة عدم التسامح التي طغت على منطقة البلقان. فعاد الانفجار الإتني-الديني (في ١٩٨٩-١٩٩٠-١٩٩١-١٩٩٢ وتصاعد حتى اليوم صيف ١٩٩٥) إلى أهواله مع تعديل في الادوار. «فالطرف الذي مارس على الصرب، ومن منطلق سياسة منهجية، نظرية التطهير الاتني هو الطرف الكرواتي لا الطرف المسلم... مشكلة الصرب الاساسية، إن كان هناك من مشكلة، هي مع الكروات. لكن الصرب، وضمن منطق معكوس يحاسبون المسلمين البوسنيين على ما قام به النازيون الكروات، تمامًا كما قام الاسرائيليون بمحاسبة الفلسطينيين على جرم قام به النازيون الالمان إبان الحرب العالمية الثانية... ويبدو ان هناك منطقًا يسيّر الامور يقع محرّكه الاساسي في غير الذاكرة الشعبية، ويبدو انه يستمد حركته من العنصر الخارجي، لا من العنصر الداخلي. فاستراتيجيات الغرب الجيوسياسية هي التي حوّلت سخط اليهود إلى فلسطين، والعنصر السياسي الاقليمي في البلقان هو الذي حوّل سخط الصرب باتجاه المسلمين. وهذا ما تسمح به عادة النزاعات الاهلية الموجهة دومًا من الخارج، حيث انها تخلط الاوراق السياسية، المنطقية والموضوعية والقائمة على المصلحة الحقيقية للجماعة، فتوجهها باتجاه منطق الطرف الاقليمي أو الدولي، مع المحافظة على أسلوب التمويه وتصوير الامر كأنه أهلي ومحلي، وإدارة النزاعات الاهلية تتم غالبًا بآلية التحكم عن بعد، من واشنطن ومن موسكو، وبقدر أقل من العواصم الاوروبية الغربية» (مجمل هذه الفقرات المدرجة تحت عنوان «الاسباب القريبة للصراعات الحالية» من دراسة لفريدريك معتوق، «الحياة-تيارات»، عدد ١١١٣٣، تاريخ ٧ آب ١٩٩٣).

الأسباب المباشرة للصراعات الحالية: هذه الأسباب بدأت مع وفاة الزعيم التاريخي ليوغوسلافيا جوزف بروز تيتو الذي استطاع ان يبتدع نظامًا متكاملاً لدمج المجموعات القومية والدينية المختلفة. فأقام نظامه على مزيج عقائدي يجمع بين المبادىء والافكار الاشتراكية والفدرالية ولا مركزية الادارة الذاتية.

ومع وفاة تيتو دخلت البلاد في «فراغ القيادة»، فأصيب النظام بحال من الشلل اتاح للجماعات العرقية ان تعاود التأكيد على انتماءاتها الاولية في انتظار ما سيؤول إليه مستقبل البلاد. وجاءت التحولات الدولية (نظام دولي جديد) تغذي مسار التأكيد القومي، في مرحلة أولى، وتسّهل حالات وعمليات اشتعاله صراعات في مرحلة ثانية.

كل ذلك على أرضية مهمة جدًا، ارضية الاخفاق التاريخي للايديولوجية الماركسية التي أدت إلى انتعاش الايديولوجيات القومية والدينية. وعلى رأس القيادات البلقانية التي سارعت على انتهاج المنحى القومي كان القادة الصربيون أنفسهم (وجلّهم كانوا قادة شيوعيين سابقًا).

فقامت القيادة الصربية، في ١٩٨٩، باجراء تغييرات دستورية ألغت بموجبها الاستقلال الذاتي لاقليمي فويفودينا وكوسوفو والذي كانتا قد حصلتا عليه بموجب دستور ١٩٧٤ في عهد تيتو، ووصل الامر إلى حد الادعاء بأن جمهوريات

البوسنة-الهرسك والجبل الاسود ومقدونيا عبارة عن كيانات مصطنعة، علاوة على تصاعد الدعوة إلى بناء صربيا الكبرى لدى قطاعات واسعة من الصرب. وفي ظل هذا الوضع، كان من الطبيعي ان تتصاعد المشاعر القومية المماثلة بين القوميات الاخرى دفاعًا عن النفس، ما دفع الكروات والسلوفينيين والمسلمين إلى اختيار طريق الاستقلال، في ما بدا بمثابة إجراء وقائي في مواجهة نزعات الهيمنة الصربية المتنامية.

إندلاع الصراعات الحالية: (من أحمد ابراهيم محمود -«الحياة، تيارات» العدد ١١٠٢٣، تاريخ ١٨ نيسان ١٩٩٣- هذا الثبت التأريخي لاندلاع الصراعات الاتنية والدينية في يوغوسلافيا السابقة):

لقد اندلع الصراع المسلح في يوغوسلافيا السابقة من جراء التدخل العسكري الصربي في الجمهوريات الأخرى لمنعها من الانفصال عن الاتحاد اليوغوسلافي الفدرالي. فبدأ هذا التدخل في حزيران ١٩٩١ من سلوفينيا، وذلك قبل شروع الجانبين في التفاوض بشأن استقلال سلوفينيا وانسحاب الجيش الاتحادي من الجمهورية السلوفينية المطالبة بالانفصال والاستقلال. كما حصل تدخل آخر عقب ذلك في كرواتيا بهدف إدماجها في «دولة الصرب الكبرى» (أي لاعادتها وإبقائها في الاتحاد). وقد مارس الصرب هناك كل اشكال العنف والدمار على مدى ستة شهور، قبل ان يتفق الجانبان، في كانون الثاني ١٩٩٢، على إنهاء الحرب التي اسفرت عن مقتل ١٠ آلاف شخص وتدمير عشرات القرى وفقدان كنوز ثقافية وأثرية في مدينة دوبروفنيك الكرواتية.

امتدت الحرب، في نيسان ١٩٩٢، إلى البوسنة-الهرسك عقب تصويت المسلمين والكروات فيها من اجل الاستقلال، بينما قاطع صرب البوسنة عملية التصويت، وكانت ميليشيات صرب البوسنة تهدف، في هذه الحرب، إلى فرض سيطرتها على أكبر رقعة ممكنة من مساحة الجمهورية (البوسنة-الهرسك) مستعينة في ذلك بمخزونات السلاح الهائلة التي تركها لها الجيش الاتحادي اليوغوسلافي قبل انسحابه، ومدعومة ايضًا بالجماعات المسلحة الصربية وجماعات المرتزقة التي قدمت للمساعدة في الحرب (...).

أما في اليونان ورومانيا وبلغاريا فإن الوضع اتخذ (وما يزال) صفة النزاع من غير ان يصل إلى درجة الصراع. وليس هناك في حال من الاحوال وجه للمقارنة بين الوضع في تلك الدول وبين الوضع في يوغوسلافيا السابقة. فبالنسبة إلى اليونان، يتمحور النزاع حول جمهورية مقدونيا التي ترى الحكومة اليونانية ان اختيارها هذا الاسم يعكس ضمنًا طموحات وتطلعات اقليمية لتلك الجمهورية في اقليم مقدونيا الذي يقع داخل الجزء الشمالي من اراضي اليونان، الامر الذي عطّل الاعتراف رسميًا باستقلال هذه الجمهورية، وخلق احساسًا عميقًا بعدم الثقة بين الجانبين اليوناني والمقدوني.

أما رومانيا، فان القلق ينبع من وجود مصادر متنامية فيها لعدم الاستقرار العرقي الداخلي، حيث تخشى القيادة الرومانية الدلالات المقلقة لنشو منظمات معادية للمجر ومناهضة للسامية، علاوة على وجود خلاف حول السيطرة على إقليم ترانسلفانيا بين رومانيا والمجر.

وفي بلغاريا، تبدو مصادر النزاع اعمق وأعنف مما هي الحال في الحالتين السابقتين. فالقيادة البلغارية تنظر بقلق بالغ إلى الوجود الاسلامي داخل بلغاريا (راجع «بلغاريا» في هذا الجزء). بل ان بعض الاوساط البلغارية ينظر إلى الوجود الاسلامي بوصفه مصدرًا مستقبليًا للنزاع السياسي والقومي والديني في البلاد، وذلك بحكم ما يفترض، حسب تصورهم، من تأثر المسلمين

البلغار بالموجة الاسلامية المتشدّدة القادمة من إيران والشرق الاوسط.

الخطوط العريضة لتطور الصراع (١٩٩٥): البؤرة الحارة في الصراعات البلقانية الأخيرة (منذ انهيار الاتحاد اليوغوسلافي) كانت، وما زالت، البوسنة والهرسك، وأطرافها الداخلية الرئيسية الصرب والمسلمون والكروات.

في السياق الموصل إلى التطور الأخير (صيف ١٩٩٥، والمبادرة الاميركية) لا بد من تكرار الاشارة إلى انه في ١٩٩١، وبعد قرار سلوفينيا وكرواتيا الانفصال عن الاتحاد واعلان الاستقلال نشبت حرب بين الصرب والكروات على أرض كرواتيا ووضعت البوسنة-الهرسك بين فكي كماشة وجعلت منها قاعدة خلفية للجيش الاتحادي اليوغوسلافي الذي كان يدعم صرب كارايينا في كرواتيا.

حاول النواب المسلمون والكروات، وهم الاغلبية في برلمان سارايفو (عاصمة البوسنة-الهرسك)، تجنيب البلاد امتداد الحرب إليها، فأعلنوا، في تشرين الاول ١٩٩١، استقلال البوسنة-الهرسك. وهذا الأمر أغاظ الصرب وسارعوا إلى رفض الاستقلال. فقام نزاع (سياسي أول الأمر) بين الاطراف الثلاثة في البوسنة-الهرسك، الصرب والمسلمون والكروات، حول ما اقترحته المجموعة الاوروبية من تقسيم البلاد إلى ثلاثة كانتونات متجانسة إتنيًا. وأصر صرب البوسنة على المزيد من الارض والصلاحيات: ثلثا البلاد ضمن دولة كونفدرالية في البوسنة-الهرسك علمًا انهم يشكلون نحو ٤٥٪ من مجموع سكان البلاد.

في نيسان ١٩٩٢، جرى استفتاء في البوسنة-الهرسك أكّد على رغبة المسلمين والكروات في الاستقلال، ونالت حكومة سارايفو اعتراف المجموعة الاوروبية والولايات المتحدة. فقام صرب البوسنة-الهرسك واعلنوا استقلال جمهورية صربية وحقّ هذه الجمهورية بالانضمام إلى صربيا-الجبل الاسود (الاتحاد اليوغوسلافي). وبدأت الميليشيات الصربية محاولاتها السيطرة على مزيد من الاراضي وإجبار سكانها المسلمين الفرار منها باعتماد أساليب عنف أثارت الرأي العام العالمي. وغاصت البوسنة-الهرسك، ابتداء من ربيع ١٩٩٢، في حرب من أعنف الحروب التي شهدتها المنطقة.

في بداية هذه الحرب، سيطر الصرب على المناطق الشرقية من البوسنة وأمّنوا ممرًا يصل المناطق التي يسيطرون عليها داخل البوسنة بصربيا، وكذلك مناطق محاذية لكارايينا وكنن وسلافونيا الغربية (في كرواتيا). وقد لجأ الصرب، في كل هذه المناطق، إلى اساليب «التطهير العرقي».

المسلمون والكروات، حلفاء في وجه الصرب ولكنهم ايضًا على نزاع في ما بينهم، أمسكوا بالمناطق الوسطى في البوسنة والمناطق الغربية من الهرسك، أي نحو ثلث إجمالي مساحة البوسنة-الهرسك ولكن اكثر بقليل من نصف إجمالي السكان.

المجموعة الدولية (هيئة الامم المتحدة) فرضت حظرًا تجاريًا على صربيا-الجبل الاسود منذ ١٩٩٢. وقامت الامم المتحدة برعاية نظام معقد للمساعدات الانسانية ولنظام المراقبة لقوات الامم المتحدة (القبعات الزرق). وهذان النظامان اتاحا الفرصة امام المسلمين لاطالة قدرتهم على المقاومة من دون اعطائهم الوسائل الكفيلة بتحقيق انتصارات عسكرية، ذلك انهم كانوا على رأس المتضررين من فرض حظر السلاح على كامل بلدان يوغوسلافيا السابقة الذي تقرر في ١٩٩١..

ابتداء من كانون الثاني ١٩٩٣، بدأت مناقشة خطة السلام التي تقدم بها مفاوضا الامم المتحدة، البريطاني اللورد أوين والاميركي

سايروس فانس. وتقضي الخطة بتقسيم البوسنة- الهرسك إلى مناطق حكم ذاتي بموجب الاغلبية الإتنية (ثلاث مناطق لكل شعب) في كل واحدة. قبل الكروات المحليون بها، ولحقهم المسلمون بعد اعتراضات أبدوها، ورفضها صرب البوسنة رغم الضغوطات التي مارستها صربيا عليهم في ايار ١٩٩٣. في حزيران (١٩٩٣) اقترح صرب وكروات البوسنة تحويل البلاد (البوسنة-الهرسك) إلى اتحاد من ثلاث جمهوريات، والفكرة ذاتها اعيد طرحها بعد شهر في مؤتمر جنيف من قبل اللورد أوين والمفاوض الدولي (الامم المتحدة) الجديد النروجي تورفالد ستولتنبرغ. وهذه المرة، المسلمون هم الذين وقفوا في وجه هذه المفاوضات، إذ اعتبرت حكومة البوسنة (أغلبية مسلمة) ان من حق مثل هذا الحل، فيما لو أخذ به، توزيع المسلمين في جيوب صغيرة متباعدة داخل البلاد.

في شباط ١٩٩٤، وجه الحلف الأطلسي إنذارًا للقوات الصربية البوسنية لفك الحصار عن سارايفو، وتوصلت الدبلوماسية الاميركية، في الوقت نفسه، إلى إيقاف المعارك التي كانت دائرة، منذ قبل نحو سنة، بين المسلمين والكروات، كما توصلت إلى أكثر من ذلك عندما رعت اتفاقًا بينهم يقضي باقامة اتحاد بينهم. لكن الحرب مع الصرب استمرت، وتكثفت الاتصالات بشأن قضية البوسنة بين الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وبريطانيا لاعادة إطلاق خطة للسلام.

ومع اقتراب نهاية العام ١٩٩٤، بدأ سلوك منحى جديد، ركّز التوجه نحو ضرورة مسايرة الصرب. فضعفت التهديدات ضدهم ليحل محلها منهج البحث عن سبل توفر الاستجابة لمطالبهم، وانصب الامل بما اسفرت عنه مهمة الرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر من مجالات جديدة في خصوص وقف النار والتوصل إلى خطة سلام مقبولة من الطرفين، الصربي والمسلم. وتمت الموافقة (بضغط اميركي) على هدنة لمدة اربعة أشهر وإجراء مفاوضات حول التسوية السلمية تكون قاعدتها خطة «مجموعة الاتصال الدولية». وانتهى العام ١٩٩٤ على واقع سيطرة صرب البوسنة على ٧٠٪ من اراضي البوسنة-الهرسك.

ما كادت تنتهي الهدنة في ربيع ١٩٩٥ حتى عادت الحرب على أشد ما كانت عليه وأشمل. ففي ايار، بدأت زغرب (عاصمة كرواتيا) تتعرض لقصف مدفعي صربي في ظل تصعيد جديد في البوسنة. وشكل ذلك تطورًا مخيفًا في الحرب بين السلطات الكرواتية والانفصاليين الصرب في منطقة كارايينا، كما زادت مخاوف البوسنيين من ان تأتي نتائج هذا التطور على حسابهم.

في اواخر تموز (١٩٩٥) تكثفت الاتصالات بين العواصم الغربية والعواصم المعنية مباشرة بالحرب في محاولة لاحتواء التوتر بين الصرب والكروات الناشىء على الحدود الكرواتية-البوسنية. واتفق الرئيس الفرنسي جاك شيراك ورئيس الوزراء البريطاني جون ميجور (في اجتماع بينهما في باريس في ٢٩ تموز ١٩٩٥) على تنسيق الجهود لاحياء مفاوضات السلام بين الاطراف المتحاربة في البوسنة. وقبل إجتماعهما بساعات جرت مكالمة هاتفية بين الرئيسين، الاميركي بيل كلينتون والروسي بوريس يلتسن، اتفقا فيها على ضرورة احتواء التوتر في مناطق غرب البوسنة، إضافة إلى طلب مصر عقد اجتماع استثنائي مشترك لمجموعتي الاتصال الدولية والاسلامية بشأن البوسنة. وجرت محادثات في جنيف رفض فيها صرب كارايينا اعادة دمج الاراضي التي يسيطرون عليها مع كرواتيا سلمًا، وبدت الحرب وشيكة الوقوع.

ونشبت الحرب بالفعل، في ٤آب ١٩٩٥، وبدأت بمعركة استعادة كارايينا التي تواجه فيها ٢٠٠ ألف جندي، وحقق الكروات تقدمًا على

٣٠ محورًا واعلنت الامم المتحدة أن كينن (عاصمة كاراييينا) تحترق. وفرّ الصرب امام تقدم الكروات. وبعد انهيار مقاومة الصرب في كاراييينا لم يبق في ايدي صرب كرواتيا سوى سلافونيا في شرق كرواتيا على الحدود مع صربيا ومونتينيغرو. وتدفق نحو ٦٠ ألف صربي من صرب كرواتيا على البوسنة.

واستمر الزحف الكرواتي على مناطق السيطرة الصربية في كرواتيا، وبدأت مبادرة اميركية للسلام (اواسط آب ١٩٩٥) تسابق هذا الزحف في محاولة لضبط الامور عند سقف معين. كما بدأ الجيش البوسني هجومًا على مناطق السيطرة الصربية في وسط البلاد، وساد حال من الذعر وسط الصرب في البوسنة الذين بدأوا الهجرة باعداد كبيرة في ظل تقدم الجيشين، الكرواتي والبوسني، إلى مناطق لم تكن في متناولهما من قبل. وقد ترافق ذلك مع أمرين: الاول، أحاديث وتعليقات سياسية دولية مفادها ان مشكلة الصراع في منطقة البلقان لا يمكن انهاؤها إلا بالحل غير الانساني الذي يقوم على بؤس وتشريد قطاع واسع من السكان («التطهير العرقي») والذي يجتث بؤر النزاع، إذ إن الكلام على ان النصر الكرواتي في كاراييينا فتح ابوابًا لامكانية السلام يحمل في طياته مباركة التهجير القومي وإرغام مئات الآلاف من الناس على التخلي عن ديارهم. الأمر الثاني، مهمة سلمية بدأت مع معارك آب ١٩٩٥ حملها وفد اميركي برئاسة مساعد وزير الخارجية رينشارد هولبروك.

المبادرة الاميركية: في سياق المبادرة الاميركية المشار إليها أعلاه، أشرف حامل هذه المبادرة المبعوث الاميركي ريتشارد هولبروك على إجتماع عقده وزراء خارجية البوسنة وكرواتيا وصربيا في جنيف في ٨ ايلول ١٩٩٥ في محاولة لتحقيق تقدم في الاتفاق على قضايا مهمة في مقدمها المستقبل الدستوري لجمهورية البوسنة والكيانات الانفصالية داخلها.

وأعلن هولبروك، في جنيف، ان جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية (صربيا ومونتينيغرو) اعترفت فعليًا بدولة البوسنة-الهرسك التي ستتألف من كيانين هما الاتحاد الكرواتي-المسلم وجمهورية صربية ضمن حدود معترف بها على نطاق دولي يشمل ايضًا جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية (صربيا ومونتينيغرو). وقال إن الاعتراف تمّ بأن تتألف البوسنة من «كيانين ديمقراطيين تحتل حكومة البوسنة ٥١٪ من الاراضي، بينما يحتل الصرب ٤٩٪ الباقية». وشدّد هولبروك على ان هذين الكيانين لا يمكن فصلهما إلى دولتين «وبهذه الطريقة تبقى البوسنة ضمن حدودها الدولية ولا يجوز لصربها الانضمام إلى (جمهورية) صربيا». وجاء في وثيقة المبادىء هذه التي اعلنها هولبروك ان تعديل هذه الاجراءات يمكن ان يتم عبر اتفاق متبادل، وان كلاً من الطرفين «يحق له إقامة علاقات خاصة متوازنة مع الدول المجاورة في إطار المحافظة على وحدة البوسنة-الهرسك وسيادتها».

لم يؤد اعلان المبادىء المذكور إلى إيقاف العمليات العسكرية، لكن امرًا مهمًا لوحظ ولفت إليه الانتباه، وهو ان القوات الصربية اخذت تنسحب من مدن ومناطق عدة فساد اعتقاد ان الامور تجري في البوسنة بسرعة لترتيب يناسب المخطط الاميركي الذي يحظى بدعم اوروبي وروسي ويقسم البوسنة إلى كتلتين متساويتين تقريبًا ترتبط احداهما، المسلمة، بكرواتيا، والأخرى بجمهورية صربيا-مونتينيغرو (يوغوسلافيا). ويدل على ذلك موقف رئيسي الدولتين الأخيرتين، ميلوشيفيتش (صربيا) وتوجمان (كرواتيا).

فرئيس صربيا، سلوبودان ميلوشيفيتش ظل صامتًا بدءًا بأحداث سلافونيا الغربية ومرورًا بحرب

كاراپينا ووصولاً إلى الاحداث الحالية. كما ان الرئيس الكرواتي، توجمان، واصل التأكيد على ان الرئيس ميلوشيفيتش لا يعارض ما يحدث (يجدر التذكير هنا ومنعًا للالتباس أن الحرب الأخيرة التي بدأها الكروات بكاراپينا كانت ضد صرب كرواتيا والبوسنة و لم تدخل فيها صربيا). ومما صرّح به توجمان، بعد ايام من اجتماع جنيف واعلان هولبروك لمبادىء الاتفاق، «ان تقسيم البوسنة لا يقتصر على تقسيم بين الاتحاد الفدرالي المسلم-الكرواتي والصرب بل ان في الامر تقسيمًا إلى مناطق نفوذ بين الغرب والشرق (...) وان العالم سمح حتى الآن بالعدوان الصربي وتساهل معه لأنه لم يرد ان تصبح البوسنة دولة اسلامية خوفًا من الاصولية المحتملة، غير ان الاتحاد الفدرالي الكرواتي-المسلم هو لمصلحة المسلمين لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنهم بواسطتها الاستناد إلى كرواتيا، وهي لمصلحة كرواتيا ايضًا لأن القسم الأكبر من البوسنة كان تاريخيًا من الناحيتين الجغرافية والسياسية ينتمي إلى كرواتيا وهذا الارتباط سيمنع تأزم الصراع في هذه المنطقة بين الاسلام والحضارة الغربية والدليل على انه لن يحصل صراع بين الكروات والمسلمين كون المسلمين تاريخيًا ولغويًا وجغرافيًا وسياسيًا يتحدرون في معظمهم من الاصل الكرواتي».

اجتماع جنيف المذكور (٨ ايلول ١٩٩٥) وما نتج عنه من اعلان مبادىء أديّا إلى اتفاق نيويورك (في ٢٦ ايلول ١٩٩٥) بين الاطراف المتصارعة وبرعاية اميركية. وأبرز الجديد في البيان المشترك عن الاتفاق «ان تتم الانتخابات في أسرع وقت ممكن عندما تتوافر الشروط اللازمة وتحت إشراف دولي»، وهذا يعني ان تنفيذ الاتفاق مؤجل حتى تصبح الانتخابات المقبولة ممكنة. كما اتفقت الاطراف الثلاثة على ما سمّوه بالمستقبل الدستوري وبأن «يكون للبوسنة-الهرسك رئيس جمهورية منتخب من عموم البلاد وممثلون منتخبون ايضًا بنسبة الثلثين للاتحاد الفدرالي (المسلم-الكرواتي) والثلث للجمهورية الصربية (صرب البوسنة) في مجلس الرئاسة والبرلمان، إضافة إلى إنشاء محكمة دستورية». وصرّح الوسيط الاوروبي كارل بيلت الذي شارك في اجتماع نيويورك «ان البوسنة بالرغم من وجود السلطة المركزية والبرلمان فإنها ستكون مكونة من كيانين مستقلين تمامًا وذلك وفق ما هو متفق عليه في جنيف».

بعد الاعلان عن هذا الاتفاق بدأ الوسيط الاميركي هولبروك جهودًا «أسفرت عن اتفاق اولي لحل مشكلة منطقة سلافونيا الشرقية وهي المنطقة الكرواتية الوحيدة المتبقية التي ما زال الصرب يسيطرون عليها، وذلك باقامة سلطة انتقالية تمثل مصالح الكروات والصرب وتقوم القوات الدولية خلالها بتجريد المنطقة من السلاح».

في الساعة الواحدة من يوم ١٢ تشرين الاول ١٩٩٥ بدأ سريان وقف النار في البوسنة. وكان آخر ما استردته القوات البوسنية-الكرواتية من الصرب بلدة سانسكي موست شمال غربي البوسنة، فباتت مدينة بانيالوكا، وهي معقل الصرب في المنطقة مهددة. وكان زعماء صرب البوسنة رفضوا مرارًا مطالب الحكومة البوسنية تحويل بانيالوكا إلى «منطقة منزوعة السلاح» في إطار تسوية سلمية نهائية.

مناقشة: ميلوفان جيلاس، بلقاني، رائد رؤية سقوط النظم الشيوعية: من الدكتور خالد محمود الكومي في «السياسة الدولية» المصرية (عدد ١٢١، يوليو ١٩٩٥، ص٦٦-٦٩) هذه المقتطفات:

في ٢٠ نيسان ١٩٩٥، مات في بلغراد السياسي والمفكر اليوغوسلافي ميلوفان جيلاس صاحب أشهر الكتب في نقد النظام الشيوعي بعد

ان كان شيوعيًا مخلصًا في اول حياته لدرجة دخوله السجن بسبب عضويته في الحزب الشيوعي عندما كان محظورًا في بلاده، ثم اصبح من اوائل المنشقين على النظام الشيوعي، ولذلك دخل السجن ايضًا مرات بسبب انتقاداته للنظام الشيوعي.

هو من مواليد الجبل الأسود (مونتينيغرو) لأسرة ريفية في ٤ حزيران ١٩١١. ولعل أشهر مؤلفاته كتاب «الطبقة الجديدة» الذي نشر لاول مرة في نيويورك عام ١٩٥٧ والذي ترجم إلى ٦٠ لغة حية من بينها العربية، وبلغ مجموع مبيعات الكتاب ثلاثة ملايين نسخة. في هذا الكتاب، كشف عورات تطبيقات النظام الشيوعي، وخاصة ممارسات كبار رجال الحزب الشيوعي الذين جعلوا من أنفسهم أمراء وأباطرة ومنحوا أنفسهم امتيازات تفوق تلك التي كان يتمتع بها امراء وسلاطين الاقطاع الذين كانوا قد ثاروا عليهم أصلاً، وتوّجوا انفسهم حكامًا باسم الطبقة العاملة الكادحة «البروليتاريا». لكنهم انفصلوا تمامًا عن هذه الطبقة التي جاءوا باسمها إلى السلطة، وعاشوا في قصور وضياع تفوق خيال الامراء القدامى، بينما الكادحون الحقيقيون كانوا يقفون بالساعات الطوال في طوابير الجمعيات للحصول على أبسط احتياجات حياتهم اليومية وحاجات عيالهم، كل ذلك في ظل نظام كان يزعم انه جاء خصيصًا لتحرير الطبقة العاملة واسترداد حقوقها الضائعة، وتحقيق جنة البروليتاريا الموعودة.

وجيلاس، في شبابه السياسي، كان يعد في رأي المراقبين وقتذاك وريث الزعيم اليوغوسلافي جوزف بروز تيتو. كان قد درس الآداب والحقوق في جامعة بلغراد والتحق في ١٩٣٣ بالحزب الشيوعي الذي كان محظورًا وقتها ودخل السجن لتنفيذ عقوبة الاشغال الشاقة ثلاثة اعوام بسبب نشاطاته الحزبية المحظورة آنذاك. ثم التقى بتيتو لاول مرة في ١٩٣٧ واصبح عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في ١٩٣٨ وقاد قوات الحزب في الجبل الأسود (مونتينيغرو) ضد القوات النازية ولقيت عائلته حتفها على أيدي قوات الاحتلال النازي.

في اعقاب الحرب العالمية الثانية بدأ التحول عند جيلاس بعد لقاءاته العديدة بستالين، واخذ يعيد صياغة أفكاره. وفي ١٩٦٢، كتب عن هذه اللقاءات تحت عنوان «محادثات مع ستالين» ودخل السجن مرة أخرى بسبب هذه الكتابات. وأيّد بقوة ثورة المجر على الشيوعية عام ١٩٥٦ ولما فشلت هذه الثورة اعيد اعتقاله لمدة ثلاثة اعوام. ولما نشر كتابه «الطبقة الجديدة» اعتقل وظل بالسجن حتى افرج عنه تيتو في ١٩٦٦ بموجب مرسوم عفو صدر في ٣١ كانون الاول ١٩٦٦.

يقول جيلاس في «الطبقة الجديدة» إن الحكومة في النظام الشيوعي معناها حق استخدام كل السلع القومية والتمتع بها والتصرف فيها، والاستيلاء بطريقة غير مباشرة على الاملاك، وهذا معناه ان السلطة أو السياسة كمهنة هي في الشيوعية الهدف الاسمى الذي يتطلع إليه أولئك الراغبون في العيش عالة على الآخرين. وكانت عضوية الحزب الشيوعي قبل الثورة الشيوعية معناها القيام بتضحيات مهمة، وكان احتراف الثورية شرفًا عظيمًا. اما الآن، وقد عزّز الحزب سلطاته أصبحت عضويته تعني الانتساب إلى الطبقة الممتازة، فنجد الآن ان قلب الحزب يتكون من الأسياد والمستغلين ذوي النفوذ الطائل (...).

ولطالما فاخر الماركسيون بأنهم قد حلّوا «المسألة القومية» حلاً علميًا نهائيًا ناجحًا على اساس قاعدة «الاممية البروليتارية»، وصدقوا انفسهم فاعتبروا اي محاولة في مجتمعاتهم-بعد ذلك- للتعبير عن المشاعر القومية ليست سوى نوع من الردة على الفكر الثوري و«رجعية

بورجوازية» وارتداد عن طريق التقدم النضالي الذي تبنته الاشتراكية العلمية و«شيفونية» لا بد من التصدي لها. وكان من الطبيعي ان ينكمش او يتقلص أي شكل ولو ضئيل من اشكال محاولات التعبير عن المشاعر القومية، تحت قهر النظم الماركسية الشمولية في دولها البوليسية. لكن كون الظاهرة شيء، واختفاءها شيء آخر بالطبع. لقد كانت الظاهرة القومية والمشكلات العرقية كامنة تغلي تحت السطح قبل الانفجار.

وهكذا تمضي الايام، وتتطور الاوضاع السوفياتية بعد البيريسترويكا فإذا بأول وأبرز هذه التطورات هي تفاقمات المسألة القومية في الاتحاد السوفياتي وكل شرق اوروبا ووسطها، ليكشف الجميع ان حل المسألة القومية على الطريقة الماركسية، لم يكن سوى اكذوبة كبرى، وتنفجر قنابل القوميات والاقليات الاثنية. فعندما زالت النظم البوليسية الشمولية، أسفرت المسألة القومية عن وجهها الحقيقي بكل القوة والعنف. ولم يقتصر الامر على الاتحاد السوفياتي نفسه في مشكلات القوميات في جمهورياته الآسيوية وجمهوريات البلطيق وغيرها، بل تعداه إلى البلقان ووسط اوروبا وشرقها. بل إن المدقق في تطور الاوضاع في رومانيا مثلاً يجد ان بداية الثورة على نظام شاوشيسكو والاطاحة به وبأسرته قد اشعل فتيلها الاول شرر المسألة القومية والاقليات فيها حيث بدأت الثورة من تيمشوارا في إقليم ترانسلفانيا حيث تتركز الاقلية المجرية التي تشكل نسبة ٧،١٪ من تعداد سكان رومانيا. وما زالت تتوالى أنباء تطورات المسألة القومية في يوغوسلافيا السابقة، ثم انقسام تشيكوسلوفاكيا في اول كانون الثاني ١٩٩٣ رسميًا إلى جمهوريتين، وغيرهما من الدول التي كانت تزعم النظم الماركسية السابقة فيها انها قد حلّت المسألة القومية في مجتمعاتها (...).

وكانت ثمة عوامل خارجية عديدة قد أسهمت هي الأخرى بنصيب وافر في تسريع خطى الاخفاق الذي حاق بالنظم الشيوعية وأصابها في مقتل فعجّل بانهيارها وأفول حقبة نظام ثنائية الاقطاب. على رأس هذه العوامل: دخول الاتحاد السوفياتي السابق ومنظومة البلدان الدائرة في فلكه في اوروبا الشرقية (والبلقان) في حلبة سباق التسلح المحموم في مواجهة الغرب بقيادة الولايات المتحدة، الامر الذي تسبّب في النهاية في إنهاك الاقتصاديات السوفياتية والدول الحليفة له. -التورط السوفياتي بالتدخل في أفغانستان والنفقات المادية والسياسية والادبية الباهظة التي تكبّدها الاتحاد السوفياتي السابق من جراء ذلك. -الحصار الغربي في مواجهة الاتحاد السوفياتي السابق والكتلة الشيوعية المتمثل في حظر تصدير التكنولوجيا المتقدمة إلى البلدان. - استغلال الولايات المتحدة والعرب لقضايا المنشقين السياسيين في الاتحاد السوفياتي السابق والكتلة الشرقية بمهارة فائقة لتحقيق المصالح الغربية خاصة في اعقاب صدور الاعلان الختامي لمؤتمر هلسنكي في ١٩٧٥، وما قد تضمنه بالذات من نصوص ومبادىء تتعلق باحترام حقوق الانسان وحريات التعبير عن الرأي بكافة اشكالها. -دور الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية المناهض بشدة للشيوعية. - حرب المخابرات التي استطاع الغرب كسبها في النهاية ضد الاتحاد السوفياتي السابق ونظم بلدان اوروبا الشرقية الشيوعية، رغم الاموال والجهود الضخمة التي انفقتها الكتلة الشرقية بزعامة موسكو في مجالات المخابرات والخدمة السرية.

بنغلادش

بطاقة تعريف

الاســـم: «جمهوريـــة بنغـــلادش الشـــعبية الديمقراطيـــة». كـــانت تدعـــى قبـــل ١٩٧١ «باكستان الشرقية»، إذ كـــانت تشـكل إحـدى المقاطعات الخمس التي كـانت تؤلـف باكستان بعـد انفصالها عـن الهنـد في ١٩٤٧. وكـــانت تفصـــل باكســتان الشـرقية عـــن المقاطعـــات الباكستانية الاربع في الغرب مسافة نحـو ١٦٦٠ كلـم مـــن الاراضـــي الهنديـــة. «دش» مـــن السنسكريتية وتعني «البلاد»، و«بنغلا» تعـني في السنسكريتية والهندية شعب قديم غير آري.

الموقع: في آسيا، على خليج البنغـال. تحيـط بهـا الهند من جميع الجهات في ما عدا جهة الخليج وقسمًا صغيرًا في الجنوب الشرقي الـذي يشـكل حدودها مـع بورمـا. طـول حدودهـا مـع الهنـد ٢٨٤٨ كلـم، ومـع بورمـا ٢١٦ كلـم، وطـول شاطئها ٢٧٠٠ كلم.

المساحة: ١٤٣٩٩٩ كلم م..

العاصمة: داكا. أهم المدن: تشيتاغونغ، خولنـا، راجشاهي.

السكان: يعدون نحو ١٢٠ مليون نسمة، وتشير التقديرات انهم سـيبلغون ١٥٥ مليونًـا في العـام ٢٠٠٠. من أكثر البلدان كثافة سكانية في العالم (٨١٥ نفسًا في الكلم م. الواحد وهي الأعلى في العـالم). نحـو ٨٧٪ يدينـون بالاسـلام، و١٢٪ بالهنـدوسـية، و٠،٦٪ بالـبـوذيـة، و٠،٣٪

بالمسيحية. والاسلام دين الدولة دستوريًا منذ ٧ حزيران ١٩٨٨.

اللغات: البنغالية التي يتكلمها ثلاثة ارباع السكان، وهي لغة الدولة الرسمية. ولهذه اللغة شكلان: شكل كلاسيكي الذي تعود اكثر مفرداته إلى الاصول السنسكريتية؛ والشكل الحديث المحكي الذي تداخله مفردات فارسية وعربية وانكليزية، ولكنه قريب، في الوقت نفسه، من السنسكريتية الأصلية. وأبجدية هذه اللغة مستعملة منذ القرن الثاني عشر. وهناك ايضًا الانكليزية التي تتكلمها قطاعات واسعة من البنغلاديشيين.

نظام الحكم: الدستور المعمول به وضع في ١٦ كانون الاول ١٩٧٢، وعُدّل في ١٩٧٣، ١٩٧٤، ١٩٧٥ (التعديل الأخير أخذ بالنظام الرئاسي)، ١٩٧٧، ١٩٧٩، ١٩٨٨ (الاسلام دين الدولة)، و١٩٩١ (نظام برلماني). البرلمان من ٣٠٠ عضو منتخب بالاقتراع الشامل والمباشر لمدة خمسة اعوام، ويضاف إليهم ٣٠ نائبًا امرأة يمثلن النساء. وتقسم البلاد إلى ٦٤ محافظة.

الاقتصاد: تشكل المزروعات اكثر من نصف الانتاج المحلي (نحو ٨ ملايين هكتار من الاراضي المزروعة). وزراعة الارز هي الأهم، ولكنه لا يصل إلى حد الكفاية المحلية. ويعمل في الزراعة نحو ٨٠٪ من مجموع اليد العاملة. تتعرض المحاصيل، في أحيان كثيرة، للتلف بسبب الفيضانات والقحط. وتشتهر بنغلادش بزراعة الشاي والقنب الذي يعادل ٩٠٪ من الانتاج العالمي. وتزرع ايضًا البطاطا وقصب السكر، والدخان والتوابل والفواكه الاستوائية.

وتشكل المصنوعات أقل من ١٠٪ من مجموع الانتاج المحلي. كما ان ٢٠٪ من القطاع الصناعي يستوعبه تصنيع القنب. اما الصناعات الأخرى فهي صناعة الاقمشة القطنية والمواد الكيماوية والسكر. وقد أممت الدولة معظم الشركات والصناعات في السنوات الاولى من قيام الدولة، ولكنها عادت، في السنوات الأخيرة، لتشجّع الاتجاه إلى الاستثمار الفردي والمبادرة الحرة. وأهم صادرات بنغلادش: منتوجات القنب والقنب الخام، الاسماك، الجلود، الأسمدة والشاي. وأهم وارداتها: مختلف التجهيزات، الأقمشة، المواد النفطية، والقمح. بنغلادش أفقر بلدان العالم: ١٧٠ دولارًا معدل الدخل الفردي السنوي .

نبذة تاريخية

جـزء مـن الهنـد: تتضـارب آراء المؤرخين حول تاريخ بنغلادش القديم. ويعتقد أكثرهم ان قبيلة بانغ قدمت إلى البلاد نحو العام ١٠٠٠ق.م. بعد ان طردها الغزاة الهندو-آريين من جوار نهر الغانج. وفي القرن الثالث ق.م.، اصبحت بلاد البنغال جزءًا من الامبراطورية الهندية التي كانت تتزعمها أسرة موريا، ثم انتشرت البوذية خلال عهد الامبراطور آسوكا، وفي وقت لاحق، خضعت البنغال لأسرة غوتبا التي كانت تعتنق الهندوسية.

وخلال القرن التاسع الميلادي، انتقلت السلطة إلى أسرة بالا التي احتفظت بها طيلة ثلاثة قرون. ويتفق المؤرخون على اعتبار هذه الفترة بداية تاريخ بنغلادش الكلاسيكي، حيث ازدهرت الثقافة والفنون الخاصة بأهالي البلاد. وبعد ذلك عاشت البلاد، حتى القرن الثامن عشر، تحت سيطرة الاسلام الذي كان له الأثر الاول على حياة السكان.

وفي القرن الثامن عشر، بدأ الاستعمار البريطاني يدير شؤون بنغلادش كجزء من الامبراطورية البريطانية في الهند.

جـزء مـن باكستان: مع نهاية الاستعمار على الهند في ١٩٤٧، وتحت ضغط «الرابطة الاسلامية»، أنشأت بريطانيا دولة باكستان حيث تعيش اغلبية مسلمة (راجع «باكستان» في هذا الجزء)، واصبحت بلاد البنغال تدعى باكستان الشرقية التي كانت تشكل إحدى المقاطعات الخمس التي كانت تؤلف باكستان بعد انفصالها عن الامبراطورية الهندية (١٩٤٧).

حاولت الحكومة الباكستانية إلغاء أثر الهندوس من اللغة البنغالية وثقافة البنغال بهدف فرض الأوردو كلغة رسمية على كامل باكستان. وبدأ تململ البنغال من معاملة الباكستانيين لهم. وتشكل حزب سياسي بنغالي باسم «رابطة عوامي» يتزعمه مجيب الرحمن ويدعو إلى استقلال بنغلادش. وفي غضون سنوات، تنامى هذا الحزب حتى تمكن من الفوز بأكثرية المقاعد في البرلمان الباكستاني في انتخابات ١٩٧٠. إلا ان الحكومة الباكستانية سارعت إلى حل البرلمان، ما أثار نقمة شعبية ساخطة في باكستان الشرقية عالجها الجيش الباكستاني بقمع دموي واعتقال مجيب الرحمن وسجنه.

انفصال واستقلال: حيال هذا الوضع، أرسلت الهند جيشها إلى الحدود مع باكستان، ودعمت مطالب البنغال، حتى انتهى الامر بها إلى الدخول في حرب مفتوحة مع باكستان (ورئيسها يحي أيوب خان) في مناطق باكستان الشرقية. واستمرت الحرب من ٤ إلى ١٦ كانون الاول ١٩٧١، حيث دخل الجيش الهندي داكا. وفي اليوم نفسه، أعلن عن ولادة دولة بنغلادش المستقلة، واصبح مجيب الرحمن أول رئيس للجمهورية.

في آب ١٩٧٥، قتل مجيب الرحمن وافراد عائلته في انقلاب عسكري، فتسلّم رئاسة الدولة أحمد خندقار مشتاق الذي أعلن الاحكام العرفية وحلّ الاحزاب السياسية. ثم عاشت البلاد، نحو سنتين ونيف، مسلسل الانقلابات العسكرية (بعد مشتاق، العميد خالد مشرّف، ثم ابو ساديت محمد صايم، ثم ضياء الرحمن) قبل

ان يتسنى لها اجراء انتخابات حرة في ١٩٧٨. وكانت قد بدأت بتحسين علاقاتها بباكستان منذ ١٩٧٦.

عهد ضياء الرحمن: أعلن الجنرال ضياء الرحمن، منذ بداية حكمه، رهانه حول تحويل البلاد من نظام الدكتاتورية العسكرية إلى النظام الديمقراطي الرئاسي. بدأ باعلان نفسه «حاكم القانون العرفي». وفي نيسان ١٩٧٧، أعلن نفسه «رئيس الجمهورية»، وثبّت هذا المنصب باجراء استفتاء نال بموجبه ٩٩٪ من الاصوات. وفي حزيران ١٩٧٨، أجرى انتخابات رئاسية، فاز فيها ب٧٨٪ من الاصوات هذه المرة، ونال خصمه، عثمان (أيدته رابطة عوامي والحزب الشيوعي البنغلادشي) ٢٠٪. وخطا ضياء الرحمن خطوة أخرى باتجاه ما وعد به من اصلاح. فأجرى انتخابات تشريعية في شباط ١٩٧٩، حيث فاز الحزب الرسمي (الحزب القومي البنغلادشي) بثلثي مقاعد البرلمان (٢٠٣ مقاعد من اصل ٣٠٠)، في حين نالت رابطة عوامي، التي كان يتزعمها أحد أركان نظام مجيب الرحمن، ٤٠ مقعدًا، والرابطة الاسلامية (يمين ديني متطرف) ١٩ مقعدًا. أما القوى السياسية الأخرى فتمثلت بالحزب الوطني الاشتراكي، واكثر مناصريه من الطلاب وبعض العسكريين، وبالتنظيمات الشيوعية التي يعلن بعضها ولاءه للاتحاد السوفياتي، والبعض الآخر للصين.

في آب ١٩٨٠، زار ضياء الرحمن باريس وأجرى محادثات مع الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان حول مساعدة بنغلادش في امتلاك معامل للطاقة وتقديم مساعدة غذائية.

السنوات الأخيرة (حتى صيف ١٩٩٥): في ٣٠ ايار ١٩٨١، اغتيل ضياء الرحمن، فجرت انتخابات رئاسية (١٥ تشرين الثاني ١٩٨١) فاز بها عبد الستار، مرشّح الحزب الوطني البنغالي، في وجه كمال حسين، مرشّح رابطة عوامي. لكن الجنرال حسين محمد أرشاد استولى على السلطة بانقلاب أبيض وفرض الاحكام العرفية. وقامت، في شباط ١٩٨٣، مظاهرات واضرابات تطالب بعودة الديمقراطية. وخلال اجتماع حضره زعماء المعارضة في منزل كمال حسين (كانوا يمثلون ١٨ حزبًا)، دهم الجيش المنزل واعتقل ٣٠ من الزعماء السياسيين بينهم حسين والشيخة حسينة وازد رئيسة حزب رابطة عوامي، بالاضافة إلى اعتقال نحو ٥٠٠ شخص اكثريتهم من الطلاب.

في اواخر ١٩٨٣، اعلن حسين محمد أرشاد نفسه رئيسًا للدولة، وكان حتى هذا التاريخ الحاكم العرفي الأعلى منذ آذار ١٩٨٢. وفي آذار ١٩٨٤، بدأت المعارضة تصعيد حملتها لاجراء انتخابات مبكرة واطلاق جميع المعتقلين السياسيين بعد نجاح الاضراب العام الذي دعت إليه في شباط ١٩٨٤. وتشكلت هذه المعارضة من ٢٢ حزبًا بزعامة الشيخة حسينة وازد والسيدة خالدة ضياء. وفي ايلول ١٩٨٤، وقعت اشتباكات دموية بين المعارضة وأنصار أرشاد قتل في أثنائها محمد معز الدين، أحد الزعماء المحليين لرابطة عوامي.

في آذار ١٩٨٥، أعيد العمل بالقانون العرفي بعد ان كان قد رُفع جزئيًا وموقتًا في كانون الاول ١٩٨٤. وفي ٢١ آذار

الشيخة حسينة.

الشيخ مجيب الرحمن

١٩٨٥ جرى استفتاء شارك فيه ٧٢٪ من المقتعين، وأسفر عن اقتراع ١٤،٩٤٪ لمصلحة بقاء الحكام حتى إجراء انتخابات عامة. وفي ايار، ضرب إعصار المناطق الجنوبية الشرقية وأدّى إلى مقتل نحو ١٥ ألف شخص.

في ١٥ تشرين الاول ١٩٨٦، أعيد انتخاب الرئيس أرشاد؛ وبعد نحو شهر، عُلق العمل بالقانون العرفي، وأعيد النظر بالدستور، وانتخابات طغى عليها التزوير ما أدّى إلى أعمال عنف. في نيسان ١٩٨٧، فيضانات قتلت نحو ١٦٠٠ شخص. في تشرين الثاني ١٩٨٧، اضراب عام ومظاهرات ضد الرئيس أرشاد، واعلان حالة الطوارىء، وحل مجلس النواب.

في ١٠ شباط ١٩٨٨، أجريت انتخابات بلدية صاحبتها أعمال عنف واضطرابات (١٢٠ قتيلاً). وفي ٧ حزيران، جرى تعديل دستوري أعلن الاسلام، بموجبه، الدين الرسمي للدولة. وفي ايلول، فيضانات من جديد (ألف قتيل ونحو ٤٣ مليون منكوب، وخسائر قدرت بنحو ٣ مليارات دولار، وإتلاف مزروعات على مساحة ٣٥ مليون هكتار، ونحو ٣،٣ مليون عامل زراعي اصبحوا بدون عمل)، وبعد نحو شهرين إعصار آخر ضرب الساحل الجنوبي (٩٠٠ قتيل).

في ٢٢-٢٤ آذار ١٩٨٩، أرشاد في زيارة لفرنسا. وفي شباط ١٩٩٠، الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران في زيارة لبنغلادش. وفي اواخر ١٩٩٠: حركة مطلبية ضد «أوتوقراطية» الرئيس أرشاد، حالة طوارىء، واعتقال زعماء المعارضة، واستقالة الرئيس أرشاد (٥ كانون الاول)، تعيين شهاب الدين أحمد، رئيس المحكمة العليا، نائبًا للرئيس موقتا، ورفع حالة الطوارىء وحل مجلس النواب.

في ٢٧ شباط ١٩٩١، انتخابات تشريعية هي الأولى التي جرت بدون أعمال عنف وبدون عمليات تزوير واسعة النطاق منذ ١٩٧١، وأسفرت عن فوز الحزب القومي. في ٣٠ آذار ١٩٩١، إعصار قتل ١٣٩ ألف شخص، وخسائر بأكثر من مليارَي دولار. في آذار ١٩٩٢، لاجئون من بورما تدفقوا على البلاد؛ وفي حزيران ١٩٩٢، اضطرابات في العاصمة داكا وفي شيتاغونغ.

وتميز العام ١٩٩٣ بأزمة سياسية حادة بين الحكومة (رئيسة الوزراء خالدة ضياء) والمعارضة بزعامة الشيخة حسينة وازد رئيسة رابطة عوامي التي هددت بالاستقالة من البرلمان (٢٨ تشرين الثاني) «لفضح الطابع الاوتوقراطي للحكومة»، ولضرورة إجراء الانتخابات المقبلة باشراف حكومة انتقالية «لمنع الغش المحتمل واستخدام المال والسلاح لشراء الاصوات». لكن، بعد وصول الأزمة إلى أوجها مع هذا التهديد، عادت الشيخة حسينة وقبلت بوساطة رئيس البرلمان الشيخ رزاق علي وسحبت تهديدها بالاستقالة. وكان من شأن انسحاب المعارضة من البرلمان ان يفرض إجراء انتخابات مبكرة لأن الحزب القومي الحاكم يفقد، بذلك، أغلبية الثلثين من البرلمان الذي يضم ٣٣٠ عضوًا.

في كانون الثاني ١٩٩٤، جرت انتخابات بلدية (مع أعمال عنف) حقق فيها حزب رابطة عوامي المعارض تقدمًا في

العاصمة داكا ومدينة شيتاغونغ الساحلية، بينما فاز الحزب القومي الحاكم في مدينتي خولنا وراجشاهي. وحقق حزب «جاتيا» الذي يتزعمه الرئيس السابق حسين محمد أرشاد (يقضي عقوبة في السجن) وحزب «الجمعية الاسلامية» الاصولي نتائج ضعيفة. واعتبرت هذه الانتخابات اختبارًا مهمًا ومؤشرًا لاتجاهات الرأي العام قبل الانتخابات العامة في ١٩٩٦.

في اواسط ايلول ١٩٩٤، شلّ إضراب عام، دعت إليه المعارضة، العاصمة داكا لأيام متوالية، تخلّله اعمال عنف، للضغط على الحكومة كي تقدم استقالتها وتأليف حكومة انتقالية تجري انتخابات عامة جديدة.

ومن معالم الازمة والظروف القاسية التي تعيشها بنغلادش تزايد هجرة ابنائها وتزايد طالبي الهجرة الذين بلغوا الملايين. ففي ٢٠ حزيران ١٩٩٤، قال مسؤولون في مكاتب البريد أن أكثر من ٦ ملايين تقدموا بطلبات من اجل الحصول على تأشيرات للهجرة إلى الولايات المتحدة وفقًا لقرعة تجريها الحكومة الاميركية.

وعرف العام ١٩٩٤ ايضًا قضية ذات مغزى مهم مرتبط بالموجة الاصولية التي تعصف، منذ سنوات، بكثير من الدول والبلدان وخاصة الاسلامية؛ وهي قضية الكاتبة والروائية البنغالية تسليمة نسرين (٣٣ عامًا) التي اضطرت على الاختفاء مدة شهرين قبل ان تسلّم نفسها للقضاء البنغلادشي الذي اطلق سراحها بموجب كفالة في ٣ آب ١٩٩٤. وكان تحالف يضم ١٣ حزبًا اصوليًا ويمينيًا متطرفًا نظم تظاهرة كبيرة (في أول آب) طالبت بانزال عقوبة الموت بالروائية الشابة، واتهمت الحكومة بحماية الروائية وخداع الرأي العام في بنغلادش.

وفي سياق استمرار حركة المعارضة، المصحوبة بأعمال عنف، في العام ١٩٩٥، ما تناقلته الأنباء عن إلقاء قنبلة على موكب رئيسة الوزراء خالدة ضياء (٢٤ كانون الثاني ١٩٩٥) في الوقت نفسه الذي دعت فيه المعارضة إلى نصف يوم من الاضراب العام المتزامن مع افتتاح مؤتمر دولي للمستثمرين لدرس امكانات الاستثمار الاقتصادي في البلاد. وفي تموز، اغلقت الحكومة جامعة راجشاهي في شمال البلاد بعد سلسلة من أعمالٍ عنف بين الطلاب. وتعتبر الجامعة معقلاً للاصوليين منذ قبل سنوات ولم تفلح محاولات الاحزاب والجامعات الأخرى في اختراقها او السيطرة عليها.

أقليات على الحدود: في الجنوب الشرقي من بنغلادش منطقة جبلية واقعة على الحدود مع بورما ومع الولايتين الهنديتين، تريبورا وميزورام. لجهة بورما، المنطقة ما تزال مكسوة بالغابات، ولا يسكنها سوى ٦٠٠ ألف من السكان الذين ليسوا بنغاليين ولا مسلمين، بل هم من أصل تيبيتي-بورمي، والبوذية ديانتهم. والإتنية الرئيسية تسمى «شاكما».

في هذه المنطقة تستعر، منذ نحو ١٦ عامًا، حرب عصابات لا تأتي المجموعة الدولية على ذكرها حتى الآن. المجموعات المسلحة هناك تطلق على نفسها إسم «شانتي باهيني» (أي «المقاتلون من أجل السلام»)، وهي تنتمي، باكثريتها، للشاكما، وتقاتل ضد المستوطنين المسلمين

الذين يأتون إلى المنطقة، بدعم الحكومة والجيش، لاستثمار المنطقة ورفع أسعار الارض. وقد أدّت عمليات الجيش البنغلادشي إلى تهجير نحو ٧٠ ألفًا يقيمون في مخيمات على الجهة الأخرى من الحدود في ولاية تريبورا الهندية. ولقد تمّ وضع المنطقة تحت الادارة العسكرية، واستيطان المسلمين فيها في تزايد مطّرد.

وفي أقصى الطرف الجنوبي، أقلية بنغالية مسلمة تعيش في بورما وتتعرض احيانًا لهجمات من الجيش البورمي، كما في ١٩٧٨ و١٩٩١، ما أدّى إلى تهجير نحو ١٠٠ ألف إلى بنغلادش. وقد دخلت الدولتان في مفاوضات لحل هذه المسألة.

وقضية السيطرة على هذه المنطقة الحدودية التي تسكنها إتنيات متعددة، قضية حيوية جدًا بالنسبة إلى بنغلادش، ذلك ان مدينة شيتاغونغ (ثاني اكبر مدينة في بنغلادش والمرفأ الرئيسي للبلاد) واقعة فيها. فالمنطقة رهان جيوسياسي ترى بنغلادش نفسها، بين حين وآخر، مضطرة لإجراء محادثات بصدده مع جارتيها الهند وبورما.

بنغلادش جغراسيًا (جيوسياسيًا)

حرمان وانقلابات: التقسيم الاول (١٩٤٧) حرم بنغلادش من جزء مهم من كوادرها، وكذلك من أهم مدنها وهي كالكوتا، وجعلها لأكثر من عشرين عامًا (١٩٤٧-١٩٧١) تحت سيطرة باكستان الغربية. وإذا كانت باكستان الغربية أكبر مساحة بنحو ست مرات من باكستان الشرقية (بنغلادش) فإن هذه الأخيرة متساوية بها تقريبًا من حيث عدد السكان. والثروة التجارية لباكستان الشرقية المتمثلة بالقنب كانت تشكل لوحدها نحو نصف إجمالي صادرات باكستان، لكن مردودها كان يذهب لباكستان الغربية. وإضافة إلى ذلك فإن الحكومة الباكستانية في كراتشي فرضت لغة الأوردو (لغة البنجاب) لغة رسمية على باكستان الشرقية علمًا ان اللغة البنغالية أغنى ثقافيًا. وارتكزت سيطرة باكستان الغربية على باكستان الشرقية على جيش لا يشكل البنغاليون فيه أكثر من ١٠٪.

مع الانفصال واعلان الاستقلال (التقسيم الثاني-١٩٧١)، خطت بنغلادش خطوات إصلاحية مهمة بقيادة «أب الأمة» مجيب الرحمن،خصوصًا على طريق الحكم المدني والديمقراطي وفي مجال الاصلاح الزراعي. لكن بعد اغتياله، بدأ مسلسل الانقلابات الذي كان يضع السلطة اما في يد كبار المتمولين (صناعيين وتجار) مباشرة، او من ينوب عنهم في السلطة؛ فجعل هؤلاء بنغلادش أفقر دول العالم وأكثرها حاجة للمساعدات والهبات.

كوارث طبيعية: بلاد منبسطة في ما عدا المنطقة الجنوبية-الشرقية على الحدود مع بورما (حيث مدينة شيتاغونغ)، ولا يزيد معدل ارتفاع ارضها عن سطح البحر ولو على بعد أكثر من ٤٠٠ كلم في الداخل عن خمسين مترًا. نهر الغانج ونهر براهمابوتر ينحدران من أعلى قمم جبال هيمالايا ويسيران في مجريين عريضين للغاية بمنسوب يبلغ ٧٠ ألف متر مكعب في الثانية، ويحملان معهما كميات هائلة من الرُسابة (رمال وصلصال). نحو ٦٠٠ مليون متر مكعب من الرُسابة تصل إلى البحر حيث تعمل على توسيع مساحة الدلتا.

والأمر نفسه تقريبًا، بنسب أقـل، مع النهـر الثالث وهو نهر ميغنا الذي ينبع مـن منطقـة مجاورة لجبال هيمالايا.

إن تركّـز المتسـاقطات النهريـة في فترات الرياح الموسمية (من ايار-حزيـران إلى تشرين الاول-تشرين الثـاني) يـؤدي إلى حـدوث فيضانـات سـنويًا تقريبًـا. وهـذه الفيضانـات تغمـر بـين ٢٠ إلى ٣٠٪ مـن ارض بنغـلادش، وقـد وصلـت إلى ٦٠٪ في العـام ١٩٨٨ مـا أدّى إلى كـوارث فظيعـة. وإضافة إلى هذه الفيضانات تأتي اعاصير من ناحية خليج البنغال وتسبّب هطول أمطـار غزيـرة بمنسـوب بـين ألـف وألفـي ملـم في اليـوم، وتصـل سـرعة الريـاح إلى ٢٥٠كلـم/سـاعة فتقـذف ميـاه البحـر إلى داخـل الدلتـا. مـدن وقـرى مهـدّدة دائمًـا. بعض السدود أنشأها السكان على ضفـاف الأنهـر لكنهـا كـانت عـاجزة عـن الصمـود (...) في هذا الوضع بالذات تكمـن إحـدى مـيزات بنغـلادش الطبيعيـة، وإلى حـدٍ السياسية. ذلك انه في حين ان فيتنـام بنـت منـذ قـرون عـدة شـبكة مـن السـدود تقـي شعبها فيضانات النهر الأحمر، وهي ما تـزال تجري الترميم والاصلاح على هـذه السـدود وتبـني المزيـد منهـا، فـإن مثـل هـذا النظـام الدفاعي لا وجود له في ينغلادش. وصحيـح ان الغانج وبراهمابوتر اكبر بكثير مـن النهـر الاحمـر، لكـن مـن الواضـح ان بنغـلادش تعوزها الارادة السياسية في بناء سـدود أقلـه في جزء من الدلتا. وعلى قدر ما يزداد عـدد السـكان يجـد هـؤلاء انفسـهم مجبرين علـى السكن في مناطق معّرضة اكـثر مـن سـواها للفيضانـات. فبـين ١٩٧٣ و١٩٩٣ انتقـل عدد السكان من ٧٠ إلى ١٢٠ مليونًا.

اقترحت فرنسا والمجموعـة الاوروبية مشـروعًا لبنـاء سـدود (مـن ٣ آلاف إلى ٤ آلاف كلم) على الأنهر، والجزر والسواحل في بنغـلادش لحمايـة الاراضـي الزراعيـة والسكان من الفيضانـات والأعاصير. وقـد وافق البنك العالمي والبرلمان الاوروبـي علـى هـذه الاقتراحـات الـتي يعمـل الخبراء حاليًـا على دراستها بهـدف تحويلهـا إلى مشـروع محـدّد. إنـه مـن الأعمـال الطويلـة الاجـل، ويسـتوجب تمويـلاً متعـددًا؛ ويبـدو ان المجموعـة الدوليـة، وخصوصًـا البلـدان الصناعيـة السـبعة الأكـثر ثـراء، مهتمـة بالموضوع. يبقى على حكومة داكا ان تـولي هذا الهدف الافضلية التي يستحق.

فقـر متـأصل في بلـد تحت رحمة المسـاعدات الدوليـة: منـذ اسـتقلالها وبنغـلادش تعيـش في عجـز غذائـي دائـم (معدلـه مليـون طـن مـن الحنطـة سـنويًا). السكان، بأغلبيتهم الساحقة، ريفيون (١٥٪ فقـط يعيشـون في المـدن). ونسـبة الزيـادة السكانية ٢،٦٪ سـنويًا رغـم ارتفـاع نسبة الوفيات. ومستوى المعيشة هـو الأدنى بـين بلـدان العـالم. مقـابل ذلـك، ثمـة أقليـة مـن الملاّكـين الريفيـين والوسـطاء التجـاريين والصنـاعيين أثريـاء بفضـل الحظـوة الـتي اكتسـبوها مـن الانظمـة العسـكرية المتعاقبـة علـى السـلطة منـذ ١٩٧٥. وقـد ضربـت المجاعـة البـلاد في ١٩٧٤-١٩٧٥، وسـوء التغذية لا يزال متفشيًا.

ثـروات بنغـلادش قليلـة باسـتثناء الزراعة. اسعار القنـب (جـوت) تـتراجع في الاسواق العالمية، ومزاحمة القنب الصناعي له تضعـف الطلـب عليـه. مصـدر للعمـلات الصعبة بدأ، منذ سنوات، وهو العمالة ـــ

الرخيصة التي تتوجه للعمل في الخليج العربي على وجه الخصوص.

مساعدات دولية يرأسها وينسّق بينها البنك الدولي وضعت بنغلادش، منذ ١٩٧٥، تحت الرحمة السياسية لهيئات المساعدات الدولية بدعم داخلي من المستفيدين. وهناك ممثلون لصندوق النقد الدولي وللبنك العالمي في جميع الوزارات. اما ممثلو البنك الآسيوي للتنمية فيمارسون تأثيرًا تقريريًا في كل عملية ضبط وتنسيق للمساعدات التي يقدمها. وهذه السياسة تستبعد تنمية الصناعات الموجّهة للسوق الداخلية وتبقي الموازنة على تقشفها في القطاعات الاجتماعية.

فالمجاعة المتفشية في جزء كبير من البلاد ليست محصلة الكوارث الطبيعية لوحدها، بل ايضًا نتيجة لسياسة تفرضها هيئات المساعدات، ولسياسة تحرير الأسعار التي أدّت إلى زيادة اسعار مبيع الارز في السنة التي تلت فيضانات ايار ١٩٩١ («بنغلادش جغراسيًا»، من «معجم الدول الجيوبوليتيكي»، إيف لاكوست، فلاماريون، باريس، ١٩٩٤، ص٧٤-٧٧)

مدن ومعالم

* **البنغال (خليج)**: خليج في جنوبي آسيا. يمتد بين بورما وبنغلادش في الشمال، والهند في الغرب. فيه عدة جزر، أهمها جزر أندامان ونيكوبار. يتصل في الجنوب بالمحيط الهندي.

* **داكا Dacca**: عاصمة بنغلادش وقاعدة محافظة داكا (البنغال الشرقية). نحو ٤،٥ ملايين نسمة. فتحها علاء الدين في ١٤٩٦. نقل إليها مقر الحكومة الشيخ اسلام خان على ايام جهانكير في ١٦٠٨ وسمّاها جهانكير نكر. حوّل مرشد قلي خان مقر الحكومة منها إلى مرشد آباد. سوق زراعي مهم في وسط منطقة زراعة القنب. ازدهرت فيها صناعة الحرير الشفاف إلى ان حلّ محلها النسيج (قطن، وقنب). شهيرة بأقمشتها المطرّزة. لا تزال المدينة تحتفظ بآثار تعود إلى المغوليين. فيها اكثر من ٧٥٠ مسجدًا. جامعتها تأسست في ١٩٢١.

* **شيتاغونغ Chittagong**: ثاني اكبر مدينة (بعد العاصمة) في بنغلادش ومرفأ على خليج البنغال. تقع على الحدود مع بورما. تعد نحو ٢،٥ مليون نسمة. استعمل البرتغاليون مرفأ شيتاغونغ منذ القرن السادس عشر. جامعة. صناعات نسيجية وكيميائية ومصفاة للنفط.

زعماء ورجال دولة

* **أحمد خندقار، مشتاق** (١٩١٨-): محام وسياسي ورجل دولة بنغالي. أنضم إلى حركة الانفصال عن الهند (١٩٤٢) وسجن (١٩٤٦). تعاون مع الشيخ مجيب الرحمن في اطار الحركة اللغوية البنغالية، ثم في عصبة عوامي، الامر الذي عرضه للسجن عدة مرات على يد السلطات الباكستانية. وزير الخارجية والعدلية والشؤون البرلمانية في حكومة بنغلادش في المنفى (في الهند- ١٩٧١)، ووزير لحقائب أخرى بما فيها الدفاع والداخلية في الحكومات اللاحقة. انتخب رئيسًا لبنغلادش (١٩٧٥). سجن على أثر الانقلاب على الشيخ مجيب الرحمن، وحكم عليه بالسجن بتهمة الفساد وإساءة استخدام السلطة.

* **باشاني، مولانا عبد الحميد خان** (١٨٨٥- ١٩٧٦): سياسي ورجل دين بنغالي. أحد أهم الوجوه السياسية في بنغلادش. مؤسس رابطة (أو عصبة) عوامي (١٩٤٩)، والزعيم التاريخي للعمل من اجل استقلال بلاده. عرف بمعارضته المستمرة للبريطانيين وللباكستانيين وللهند ولحكومة مجيب الرحمن. وعرف بنزعته المثالية، خاصة في طروحاته حول «الاشتراكية الاسلامية»، وفي اعلانه، في مناسبات عديدة، عن ان «النضال المسلح وحده» يتيح للجماهير التحرر من البؤس الاقتصادي والاجتماعي، لكن دون ان يقرن هذا الطرح بأي خطوة عملية. التف حوله العديد من الماويين (نسبة إلى الزعيم الصيني ماوتسي تونغ)، فساعد ذلك على إبرازه كزعيم سياسي، كما اعتمد الاضراب عن الطعام والمسيرات الشعبية أسلوبًا في عمله السياسي. اختلف في اواسط الخمسينات مع قيادة رابطة عوامي التي اتهمها بانتهاج سياسة خارجية تابعة للغرب، فتركها وأسس مع الجناح اليساري فيها حزبًا جديدًا دعاه «حزب عوامي الوطني». لم يشترك في انتخابات ١٩٧٠ لأنه لم يرَ اية فائدة من «برلمان بورجوازي». كرس سنوات حياته الاربع الأخيرة للقيام بحملات نقد عنيفة ضد ما أسماه «التوسعية الهندية» متهمًا الهند بأنها وراء كل الامراض التي تشكو منها بنغلادش.

* **الرحمن، مجيب**: راجع النبذة التاريخية.

* **ضياء الرحمن، ماجين** (١٩٣٥-١٩٨١): عسكري ورجل دولة بنغالي. ولد في باكستان الشرقية (بنغلادش في ما بعد). تطوع في الجيش الباكستاني (١٩٥٣). شارك (١٩٦٥) في الحرب الهندية-الباكستانية، ثم في الحرب الهندية- الباكسنانية الثانية (١٩٧١) التي اسفرت عن انفصال باكستان الشرقية (فغيرت اسمها إلى بنغلادش) عن باكستان، وتشكيل جمهورية بنغلادش بزعامة مجيب الرحمن. وكان ضياء الرحمن الرجل الأول في هذه الحركة الاستقلالية اثناء اعتقال مجيب الرحمن في السجون الباكستانية. في ١٥ آب ١٩٧٥، اغتيل مجيب الرحمن، وحل مشتاق احمد محله على رأس الدولة. وبعد نحو شهرين، وقع انقلاب عسكري مضاد اطاح حكم مشتاق أحمد وأتى بنظام جديد موال لخط مجيب الرحمن السياسي. إذ إن هذا النظام لم يعمر طويلاً ايضًا، ذلك ان حرب شوارع نشبت بينه وبين قيادة الجيش وعلى رأسها ضياء الرحمن، انتهت بانتصار العسكريين واستقالة مشتاق احمد لمصلحة ابو السادات محمد صاليم، رئيس المحكمة العليا، الذي عين رئيسًا للجمهورية. اما واقع الامر ان السلطة انحصرت في قيادة ثلاثية مشكلة من قادة الاسلحة الثلاثة في الجيش، ومن ضمنهم ضياء الرحمن الذي قام بدور حاسم في القضاء على

الانقلاب الموالي لمجيب الرحمن. رئيس اركان الجيش (١٩٧٥) إضافة إلى منصبي وزير التجارة الداخلية والمالية.

عمل على إضعاف نفوذ حزب عوامي واعتقال معظم معارضيه. وفي ١٩٧٦، أعلن نفسه حاكمًا عرفيًا على البلاد، ثم رئيسًا للجمهورية (نيسان ١٩٧٧). عمل دائمًا على إظهار حكمه بمظهر الديمقراطية على الطريقة الغربية، فأجرى انتخابات، واستفتاء، وكانت النتيجة ٩٩٪ لمصلحته. في حين ان السلطة ظلت في ايدي المؤسسة العسكرية. اما سياسته الخارجية فكانت تميل إلى الغرب والصين. وجرت عدة محاولات فاشلة لاغتياله او إطاحته، إلى ان تمكنت مجموعة من العسكريين من اغتياله في ١٩٨١.

بهاما، جزر

الإسم: في الاسبانية «باجا مار»، أي «البحر المنخفض». في القديم، كانت هذه الجزر تسمّى «جزر لوكايس». الاسم الرسمي للدولة: «كومنولث جزر البهاما».

الموقع: أرخبيل واسع يتألف من نحو ٩٠٠ جزيرة (٣٠ جزيرة مأهولة)، يمتد بطول نحو ٨٨٥كلم. يقع هذا الأرخبيل شمالي جزر الكاريبي، جنوب شرقي ولاية فلوريدا الاميركية، وشمالي كوبا وهايتي.

أهم الجزر: نيو بروفيدنس: ٢٠٧كلم م.، نحو ١٥٠ ألف نسمة. بهاما الكبرى: ١٣٧٣كلم م.، نحو ٤٠ ألف نسمة. أندروس (تبعد ٥٦كلم عن ناسو): ٥٩٥٧كلم م.، نحو ١٠ آلاف نسمة.

أباكو (١٠٤كلم من ناسو): ١٦٨١كلم م.، نحـو ٨ آلاف نسـمة. إليوتـيرا (٩٦كلـم مـن ناسـو): ٥١٨كلـم م.، نحـو ١٢ ألـف نسـمة. إكزومـا (٥٦كلم عن ناسو): ٢٩٠كلم م.، ونحو ٥ آلاف نسمة. هاربور: ٨،٠كلم م. ونحو ٤ آلاف نسمة. جزيرة شات: ٣٨٨كلم م.، نحـو ٣ آلاف نسـمة. بيميني (٢٠٨كلـم مـن ناسـو): ٢٣كلـم م.، نحـو ألفي نسمة. إينـاغوا: نحـو ١٥٠٠ نسـمة. جزيـرة لونغ (٢٥٦كلم من ناسو): ٤٤٨كلـم م.، نحـو ٥ آلاف نسمة.

المسـاحة: تبلـغ المساحة الاجمالية لأرخبيـل بهامـا ١٣٩٠٠كلم م..

العاصمـة: ناسـو، تقـع في جزيـرة نيوبروفيدنـس، وعدد سكانها نحو ١٩٠ ألف نسمة.

اللغة: الانكليزية (رسمية).

السكان: تعدادهم نحو ٢٦٥ ألف نسمة. أغلبيتهـم السـاحقة مـن أصـل زنجـي، ويدينـون بالمسـيحية (بروتستانت، أنكليكان، وكاثوليك). وهنـاك بـين ٤٠ إلى ٥٠ ألف مهاجر غير شرعي من هاييتي.

الحكـم: دولـة عضـو في الكومنولـث. ملكيـة دستورية. الرئيـس الاعلى الملكـة البريطانيـة ممثلـة بحاكم عام. الدستور المعمول بـه موضـوع في عـام ١٩٦٩. مجلـس شـيوخ مـن ١٦ عضـوًا، ومجلـس نواب من ٤٩ عضوًا منتخبًـا بالاقـتراع العـام لمـدة خمسة اعوام. الحاكم العام: السير كليفورد دارلينغ، يحكم منذ ٢ كانون الثاني ١٩٩٢. رئيس الوزراء: هوبـرت إنغراهـام (مولـود ١٩٤٧)، منـذ ١٩ آب ١٩٩٢، وقبله كان ليندن أوسكار بيندلنغ (مولـود ١٩٣٠) منذ ١٩٦٧. آخر الانتخابـات التشـريعية جـرت في ١٩ آب ١٩٩٢، فنـال حـزب الحركـة القومية الحرة، بزعامة إنغراهام، ٣٢ مقعـدًا؛ ونـال الحـزب الليـبرالي التقدمي، واكثريـة أنصـاره مـن السود، ١٧ مقعدًا.

الاقتصاد: ٤٠ ألف هكتار مزروعة (قصب سكر، طماطم). تغطي الغابات ٢٨٪ من إجمالي المساحة. والقطاع السياحي هو الاهم: نحو ٣ ملايين و٧٠٠ ألف سائح في العام ١٩٩٠: نحو ٤٠٪ من إجمـالي الدخل العام.
بـدأت الحكومـة، منـذ ١٩٧٣، وبمسـاعدة مـن الولايات المتحدة، بتنفيـذ برنـامج لتطويـر الزراعـة وصيـد السـمك في جزيـرة أنـدروز. وأهـم الصناعـات: الزيـوت، الاسمنـت، العقاقـير والمشروبات الروحية.

نبـذة تاريخيـة: عندمـا وصـل كريسـتوف كولومبوس إلى شـواطىء العـالم الجديـد في رحلتـه الاولى في ١٤ تشـرين الاول ١٤٩٢، نـزل (كمـا يُعتقد) في الجزيـرة الصغـيرة، سـان سـلفادور، مـن أرخبيـل البهامـا. وقـد اسـتقبل هنـود البهامـا كولومبوس بحفـاوة، واصطحبـه بعضهـم ليسـاعده للوصول إلى كوبا. وبعد ١٥ عامًا، اصبحت جـزر البهامـا شبه خاليـة مـن سـكانها الأصليـين، إذ إن الاسبان نقلوهـم إلى هيسـبانيولا (حيـث هـاييتي وجمهوريـة الدومينيكـان حاليًـا) وكوبـا لتشـغيلهم كعبيـد. ثـم اضحـت الجـزر، طيلـة قـرن ونصـف، ملجأ للقراصنة واللصوص.
في بدايـة القـرن السـادس عشـر، تعـاظمت حركة الملاحة البحرية بين العالم الجديـد واوروبـا. وكان القراصنة يراقبون السفن التي تعبر المحيط وهم قـابعون في قواعدهـم في جـزر البهامـا. وكـانوا ينقضون خاصة علـى المراكـب الـتي تمـر في مضيـق فلوريدا. وفي بداية القرن السابع عشـر، كـان نحـو ألف قرصان يعيشون بالقرب من العاصمة الحاليـة، مدينة ناسو.

في ١٦٤٨، تجرأ عدد من المستوطنين الذين قدموا من برمودا وانكلترا، وأقاموا في جزيرة إليوتيرا (من جزر البهاما). وعادت الجزر لتكون مأهولة، وبوتائر سريعة، بعد الثورة الاميركية، إذ جاء الآلاف من الانكليز وسكنوا الجزر مع عبيدهم. وبعد ذلك، لم يأتِ مستوطنون جدد بسبب ان الارض غير خصبة كفاية، وليس فيها ثروات باطنية مهمة.

ومنذ بداية خمسينات هذا القرن (القرن العشرون)، أخذت الجزر تعرف حركة سياحية نشطة للغاية (بسبب جمالها الطبيعي واعتدال مناخها). وبين ١٩٦٠ و١٩٧٠، نقلت الطائرات والسفن اكثر من مليون سائح سنويًا (أغلبيتهم الساحقة من الاميركيين)، وارتفعت في أغلبية الجزر الفنادق الفخمة، وأنشئت المشاريع السياحية الحديثة، إلا ان من سلبيات هذا الغزو المدني ان أفقد الجزر الكثير من مقومات سحرها الطبيعي.

نال سكان البهاما استقلالهم (في إطار الكومنولث) في ١٠ تموز ١٩٧٣، واستوحوا نظامهم السياسي من نظام بريطانيا. وكانت الاقلية البيضاء تمسك بالسلطة السياسية، ولها اليد الطولى في الحياة الاقتصادية.

ولكن، منذ ١٩٦٧، أصبح للحزب الليبرالي التقدمي، وجميع محازبيه وانصاره من السود، مقاعد في المجالس التمثيلية أتاحت لرجل أسود ان يترأس الحكومة من ١٩٦٧ إلى اواخر ١٩٩١، وهو ليندن أوسكار بيندلنغ. وحلّ محله في كانون الثاني ١٩٩٢، هوبرت إنغراهام.

بوتان

بطاقة تعريف

الإسم: «بوتان» تعني «طرف التيبت الأقصى». الاسم الرسمي: «دروك يول» أي «بلاد التنين».

الموقع: في جنوب وسط آسيا، بين الهند والتيبت (الصين). طول حدودها ألف كلم، ٦٣٠ كلم مع الهند، و٣٧٠ مع التيبت. بلاد جبلية (جبال هيمالايا).

المساحة: ٤٧ ألف كلم م..

العاصمة: تيمبو (خلال الصيف)، وبنجا (خلال الشتاء). وهناك مدينة رئيسية أخرى هي بارو. تيمبو، تعد نحو ٥٠ ألف نسمة. تتجمع بيوتها حول قلعة قديمة تدعى «تاشي شو دزونغ» (أعيد حاليًا ترميمها بمساعدة الهند). وبارو فيهـا المطار الوحيد للبلاد.

اللغات: دزونغها (لغة تيبتية)، رسمية؛ بومتنغها (لغة سكان وسط بوتان)؛ شاركوبها (مناطق شرقي البلاد)؛ نيبالي (في الجنوب)؛ ولهجات عديدة أخرى. الانكليزية رسمية في التعليم.

الحكم: النظام ملكي وجمهوري في الوقت نفسه: الملك يُلقب «دراك جيالبو» (الملك-التنين)، وتتمثل فيه السلطة التنفيذية؛ المجلس الاستشاري الملكي (٩ أعضاء، أنشىء في ١٩٦٥)؛ مجلس الوزراء (٥ أعضاء، أنشىء في

١٩٦٨)؛ البرلمان (١٥٠ عضوًا)، أنشىء في ١٩٥٣، يقال له «تسوغدو»). لا أحزاب سياسية في البلاد. الهند تهتم بالعلاقات الخارجية، وتموّل ٥٥٪ من الموازنة، و٤٠٪ من المدرسين و٣٠٪ من الموظفين هم هنود. وهناك تأثير كبير ومهم للزعيم الديني «جي كمبو».

الدين: البوذية (دين الدولة الرسمي). أكثر من ألف دير ومعبد. بوتان من اكثر بلدان العالم تمسكًا بالبوذية. ورجال الدين (اللاما) أحد اركان السلطة والاستقرار في المملكة. الاسرة المالكة تشكل الطبقة الاولى في المجتمع وتليها مباشرة طبقة رجال الدين، وما عدا ذلك فكل أفراد المجتمع سواسية. كبير اللاما يقال له «جيكهينو»، مقره الرئيسي في المقر المركزي للحكومة (راجع «بوذة والبوذية» في النبذة التاريخية).

السكان: يبلغ تعدادهم نحو ١،٧ مليون نسمة. والتقديرات تشير إلى ان تعدادهم سيصبح نحو ١،٩ مليون في العام ٢٠٠٠. يقسمون إلى ثلاث اتنيات رئيسية: الشاركوبس (في الشرق) وهم أحفاد المغوليين الذين سكنوا المنطقة من قديم؛ النغالوبس (في الغرب)، احفاد المهاجرين من التيبت الذين سكنوا الاودية الخمس؛ النيباليون (في الجنوب) الذين قدموا إلى البلاد منذ اوائل القرن العشرين ويعدون نحو ٣٥٪ من مجموع السكان.

الاقتصاد: تشكل الغابات ٦٣٪ من اراضيها؛ والارض الزراعية ٥٪، والاودية الخصبة تبلغ مساحتها نحو ٢٥٠كلم م.. أهم المزروعات: الارز، القمح، البطاطا، الذرة، الشعير، التفاح، القنب، والتبغ. المناجم: الفحم الحجري، النحاس، الجيبس، الغرافيت، القصدير، الزنك والاسمنت. الكهرباء: سد على نهر شوخا، وتبيع بوتان إلى الهند بنحو ٢٠ مليون دولار سنويًا من الطاقة الكهربائية؛ وهناك نحو ١٠٪ من السكان تصل الكهرباء إلى بيوتهم. أشغال يدوية: خشب، ذهب، فضة، معلبات وتطريز. السياحة: نحو ٢٥٠٠ سائح سنويًا ما يؤمن مداخيل بنحو مليوني دولار. و٨٥٪ من تجارتها مع الهند.

بدأت الحكومة، منذ ١٩٦١، باعتماد الخطط الخمسية، ووصلت إلى توفير التطبيب المجاني والتعليم المجاني. والمعروف عن المجتمع البوتاني انه خال من الجرائم في ما عدا القليلة منها التي يرتكبها عمّال وافدون من الخارج.

الاشغال اليدوية أعمال فنية بديعة يقوم بها فنانون بوتانيون يُمنحون شرفًا ومكانة خاصة ورواتب شهرية، فيتفرغون تمامًا للانتاج والابداع، ما جعل كل مبنى (فقير أو ثري) في بوتان قطعة فنية. واول من نقل الفن والزخرفة إلى بوتان هم القديسون البوديون الاوائل الذين توافدوا عليها في القرن السابع. فقد كان كل رجل دين يحل في بوتان يقيم معبدًا ومدرسة، ويمضي الساعات الطوال في زخرفة المعبد والمدرسة، ومن هنا اكتسبت المهنة شرفها وقيمنها.

نبذة تاريخية

بداية التاريخ المكتوب: يبدأ التاريخ المكتوب لبوتان مع دخول البوذية إليها. فقبل هذا التاريخ لم يكن معروفًا عن هذه المنطقة من جبال الهيمالايا سوى انها منطقة جبلية تسكنها مجموعات من الناس تسكن اراض خصبة من ذلك الجبل، وتحيا على الزراعة ورعي بعض انواع الماشية. وقد ظلت هذه المساحة من الاراضي التي تعرف

فنّان بوتالي.

حاليًا باسم بوتان مساحة «ضائعة»، فلا هي من التيبت ولا هي من الهند، رغم ان سكان المنطقة ينتمون -حسب لون بشرتهم وملامحهم- إلى ما يعرف بالجنس الاصفر.

بوذا والبوذية: كان الاسم القديم للمملكة «لون مون كاشي» ومعناه «بلاد جنوب المُن»، والمن مصطلح عامي للدلالة على الجماعات التي تسكن الهيمالايا، لكنه لا يدل على انهم من التيبت او من الهند. اما اسمها الحالي (بوتان) فأصله مجهول، لكن أقرب التفسيرات تذهب إلى انه مشتق من الكلمة الهندية «بوتانتا» ومعناها نهاية، أو أقصى طرف التيبت.

وقد شهدت ارض بوتان، على مدى التاريخ، وصول عدد من القديسين والدعاة البوذيين، وكان كل قديس يصل إليها يؤسس معبدًا ومدرسة، حتى اصبحت بوتان ارضًا للمعابد، ومجالاً خصبًا لحركات التبشير البوذية بفرقها المختلفة، وبدأ نسيج من الروايات الدينية والقداسة ينسج كجزء من تاريخ المملكة. وبداية الدعوة البوذية في بوتان كانت في القرن السابع الميلادي.

وكانت ظهرت البوذية كدعوة إصلاحية في القرن السادس ق.م. على يد «غاوتاما»، الامير الهندي الذي اصبح يطلق عليه بعد ذلك لقب «بوذا»، أي الانسان المستنير.

وضع بوذا تعاليمه في كتاب يتكون من ١٠٨ أجزاء يسمى «كاجور»، ووضع أتباعه التعليقات عليه في ٢٢٥ جزءًا تسمى «تينجور». وحول هذين الكتابين يتفق كل البوذيين، لكن الخلاف الذي نشب بينهم كان في الطريقة والمنهج، فانقسما إلى فريقين: أحدهما «ماهينا»، ومنهم أهل

بوتان وبعض مناطق التيبت وهم يرتدون الزي الاحمر وغطاء الرأس الأحمر؛ والآخر «هينايينا» وهم الذين يرتدون غطاء رأس اصفر. وبوتان هي قبلة البوذيين الماهينا.

يعتبر محور البوذية الاعتقاد بأن الاستنارة والهداية تتمان عن طريق معرفة ان الحياة شيء أليم، وان هذا الألم ناجم عن شغف الانسان باشباع عواطفه وشهواته؛ ولهذا فإنه لا يمكن وقف الآلام إلا عن طريق وقف هذه الشهوات، وانتهاج الاستقامة الخلقية، وعندئذ يصل الانسان إلى مرحلة «النيرفانا» التي هي السعادة التامة، والتحرر الكامل من عبودية الحياة.

بوتان الدولة: الدولة (بمعنى الكيان التنظيمي السياسي والاجتماعي) لم تعرفها بوتان إلا في العام ١٦١٦، عندما وصل إليها «شابتون»، وهو رجل دين تيبيتي، وابن لاحدى الاسر الحاكمة، اختلف مع اهله فهرب إلى بوتان، وكان يتمتع بقدر من «الكاريسما» الفطرية؛ وهو في كل التاريخ البوتاني لا يذكر إسمه إلا مقرونا بهذا الوصف: «الرجل الذي يُخضع له». وقد قام شابتون بتوحيد بوتان، وخاض حربًا في ١٦١٩ ضد أهل التيبت الذين لاحقوه وانتصر عليهم؛ ثم بدأ بعد ذلك مرحلة تثبيت دعائم حكمه في الداخل، فوحّد رجال الدين، وابتدع نظام الحكم الذي ركّز السلطة في يده ومعه رئيس الرهبانية، وجعل الحكومة تتكون من عدد محدود من الرهبان. وظل الحال مستقرًا على هذا المنوال حتى ذهب شابتون إلى كهف في الجبل يتعبد، ومات داخل الكهف، فكتم رئيس الرهبانية والرهبان خبر موته مدة خمسين عامًا حتى يستطيعوا ان يجدوا خليفة له، واستمروا في حكم البلاد. وخلال هذه الفترة توصل رئيس الرهبانية والرهبان إلى نظرية «التناسخ الثلاثي» التي تقول بامكانية حدوث التناسخ على مستويات ثلاثة، عضوي ولفظي وعقلي. وبموجب هذه النظرية قدّم الكهنة تبريرًا دينيًا مقدسًا يبيح لهم حكمهم البلاد باسم شابتون بعد موته. فالتناسخ قد حدث على المستويات كافة، بدءًا بالحركة العضوية، فالنطق، فالحديث وانتهاء بالتفكير. وعلى هذا يكون هؤلاء الرهبان مجرد أداة للاعلان عن ارادة شابتون العظيم، ونفاذها.

الاحتلال البريطاني: واجهت بوتان فترة قلاقل واضطرابات بدأ خلالها ظهور حكام إقليميين، واشتعلت الحروب الاهلية في ما بينهم. وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بدأت قوة جديدة في الجنوب تمثل تهديدًا لبوتان. فالبريطانيون في الهند بدأوا يتطلعون إلى التيبت، وعندما ثار نزاع حول الحدود في منطقة «دويار» (DUAR)، وهي عبارة عن ممر حيوي ضيق في اسفل جبال الهيمالايا يتحكم في تلك الجبال، ثار ذلك النزاع بين البريطانيين وأهل بوتان، وذلك في ١٨٦٤، واشتعلت الحرب، لكنها لم تدم طويلاً، وانتهت بمعاهدة بين بريطانيا وبوتان تقضي بسيطرة بريطانيا على الممر الحيوي، مقابل جزية سنوية تدفعها بريطانيا. واستمر هذا الوضع في المنطقة حتى يومنا هذا، إلا ان الهند قد حلّت محل بريطانيا بعد استقلالها في ١٩٤٧.

وعقب المعاهدة مع بريطانيا عادت النزاعات بين حكام الاقاليم في بوتان؛ وعندما بدأت بريطانيا تتحرك نحو التيبت كان لا بد لها من حليف قوي في بوتان،

فهي الفناء الخلفي للتيبت، وفي وسط النزاعات الاهلية الدائرة كان سهلاً على بريطانيا ان تجد صديقًا في بوتان، وهو أحد حكام الأقاليم. وبعد مشاورات مع رئيس الرهبانية قام يوجين وانجشوك (مؤسس العائلة المالكة الحالية) بتقديم المساعدة لبريطانيا، وقام بالتوسط بينها وبين التيبت، وساندته بريطانيا، فتوّج (بمؤازرة من رئيس الرهبانية) ملكًا على بوتان في ١٩٠٧ على ان يكون الحكم وراثيًا في عائلته.

بعد ثلاث سنوات، وقّعت بوتان مع بريطانيا معاهدة جديدة تعطي بريطانيا حق الاشراف على علاقات بوتان الخارجية.

وبعد عامين على استقلال الهند (١٩٤٧)، وقعت معاهدة بين بوتان والهند تعطي الاولى حق الاشراف على علاقات بوتان بالدول الاجنبية.

أعوام الاستقلال: في ١٩٧١، أعلن استقلال بوتان، فانضمت إلى الامم المتحدة، وفي ١٩٧٣ إلى دول عدم الانحياز.

بعد استعادة الصين للتيبت (١٩٥٩)، لجأ إلى بوتان ما يقرب من ٤ آلاف تيبيتي. وعلى أثر بعض المعضلات التي أثارها هؤلاء اللاجئون، عمدت حكومة بوتان (في ١٩٧٦) إلى توزيعهم في

الملك جيغمي سينغي وانشوك.

مجموعـــات صغـــيرة، وإســـكانهم في مستوطنات ومزارع تسكنها أغلبيـة مــن البوتانيين.

في ١٩٧٤، بـدأت الحكومـة تشـجع القطاع السياحي (وكانت بلادًا مغلقة علـى العالم الخارجي). وفي آذار ١٩٧٨، وقعت اتفاقـا مـع الهنـد يتيـح لهـا تنميـة مبادلاتهـا التجارية مع بلـدان العـالم الثـالث. وتحـرص حكومة بوتـان علـى إقامـة علاقـات حسـنة ومتوازنة مع الصين الشعبية من جهة، والهند مـن جهـة اخـرى، وعلـى تنويـع مصـادر مسـاعداتها خاصـة مـن الـدول المحـايدة والمنظمات الدولية.

في ١٩٨٧، عاد البرلمان ومنع السياحة رسميًا («المعـابد مكـان تـأمل وعبـادة وليـس سياحة»).

في حزيـران ١٩٨٨، صـدر قـرار بارتداء الزي الوطـني إجباريًـا وتحـت طائلـة السجن واستعمال لغة دزونغها.

في ١٩٩٠، أسس طلاب، من أصـل نيبالي، «الحزب الشـعبي البوتـاني» وتقدمـوا بمطـالب مـن اجـل تعديـل الدسـتور ليصبـح اكثر ديمقراطية. وفي ايلـول (١٩٩٠)، قـدم أناس من الهند وساروا في مظاهرات تخللتهـا اعمال عنف أوقعت عددًا من القتلى.

في ١٩٩٢، هاجر نحو ١٠٠ ألف من أصل نيبالي إلى خارج البلاد.

الملـك الحـالي: في ٢٤ تمـوز ١٩٧٢، أعلن ملكًا المهاراجا جيغمي سينغي وانشوك (من الاسرة المالكة)، مولـود في ١١ تشـرين الثـاني ١٩٥٥، وتـوّج في ٢ حزيـران ١٩٧٤، وثبّت مجلس الزعماء هـذا التتويـج في اليوم نفسه. وفي تشـرين الثـاني ١٩٨٨، احتفل الملك بزواجه، رسميًا، من أربع نسـاء كـان قـد تزوجهـن سـرّيًا منـذ ١٩٧٩.

بوتسوانا

الموقع: في افريقيا الجنوبية. تحيط بها انغولا، ناميبيا،
جنوب افريقيا، زيمبابوي وزامبيا. لا منفذ لها على البحر.

المساحة: ٥٨٢ ألف كلم م.. ثلثا هذه المساحة واقعة في صحراء كالاهاري.

العاصمة: غابورون (نحو ١٥٠ ألف نسمة). أهم المدن: سيرويه، كايني، وفرنسيستاون (نحو ٦٥ ألف نسمة).

اللغات: الانكليزية (رسمية)، ولغة ستسوانا (قبلية محلية).

السكان: يبلغ تعدادهم نحو ١،٥ مليون نسمة (ما يزال هناك نحو ٦ آلاف اوروبي، وهم في تناقص سنة بعد سنة). وتشير التقديرات ان سكان بوتسوانا سيبلغون نحو ١،٦٥٠ مليون نسمة في العام ٢٠٠٠. السكان الاصليون «بوشيمان» هم الآن أقلية، ويعيشون في مناطق صحراوية في صحراء كالاهاري. وهناك سكان «تساوانا» (بيشوانا) الذين جاؤوا إلى البلاد في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهم الآن الأكثرية، والذين يقسمون إلى نحو عشرين قبيلة، أهمها قبيلة نغواتو (Ngwato). يتركّز هؤلاء في المناطق الشرقية من البلاد.

الاديان: المسيحية (٦٠٪)، و--بعض الاديان الاحيائية المحلية. وهناك نحو ١٥٠٠ مسلم.

الحكم: نظام جمهوري. الدستور المعمول به وُضع في ٣٠ ايلول ١٩٦٦. الرئيس الحالي هو كت كتيمولي مازيري. البرلمان من ٣٠ عضوًا منتخبًا لمدة خمسة اعوام بالاقتراع العام يضاف إليهم أربعة أعضاء معينين. مجلس الزعماء من ١٥ عضوًا. الانتخابات الاخيرة جرت في ١٩٨٩، وشارك فيها ٦٨٪ من المقترعين: ٣١ مقعدًا للحزب الديمقراطي البوتسواني الذي تأسس في ١٩٦٢، و٣ مقاعد للجبهة القومية البوتسوانية التي تأسست في ١٩٦٧.

الاقتصاد: أهم ثروة في بوتسوانا تربية الماشية التي يعيش منها نحو ٩٠٪ من مجموع السكان. ثم تأتي الزراعة، واهم المزروعات: الحنطة، الذرة، والقطن (دخل البلاد منذ عقود قليلة) والفستق (الذي يصدر بالكامل إلى الخارج). أكتشف، في ١٩٦٧، منجم كبير للألماس في منطقة أورابا شمالي البلاد. وفيها النيكل، والقصدير والفحم. اما القطاع الصناعي فيقتصر على تعليب اللحوم والجعة.

نبذة تاريخية: يعتقد المؤرخون ان اول من سكن بوتسوانا رعاة من قبائل تسوانا جاؤوا من جهة الشمال منذ نحو ألف سنة. وقد اندمج هؤلاء الرعاة مع قبائل البوشيمان التي كانت تقطن جهة الغرب، وقبائل نغوني التي اقامت في الشرق. وبين ١٧٠٢ و١٧٧٨، تغلغل البوير (الذين جاؤوا من منطقة الرأس) إلى داخل افريقيا، وساهموا في المعارك التي كانت تحتدم هناك بين مختلف قبائل البانتو. وحاولت «جمعية لندن التبشيرية»، برئاسة روبرت موفات (وقد أقامت اول مركز لها في ١٨٢٠) ان تضع حدًا للنزاعات بين قبائل تسوانا من جهة، وقبائل نغوين من جهة أخرى. وفي ١٨٣٧، طرد البوير قبائل نغوين، ثم بدأوا يهددون قبائل تسوانا. فسارعت هذه القبائل، بناء على نصيحة المبشرين الانكليز، إلى طلب حماية بريطانيا. فأعلنت بريطانيا (١٨٨٥) ان البلاد المدعوة بتشوانالند (Bechuanaland)، كما كانت تسمّى بوتسوانا، هي محمية بريطانية. وبقيت البلاد خاضعة لسيطرة التاج البريطاني حتى استقلالها في ٣٠ ايلول ١٩٦٦. وأول رئيس منتخب لها كان السير سيريتسي خاما، رئيس حزب بوتسوانا الديمقراطي.

تميزت سياسة بوتسوانا الخارجية، في العقدين الاخيرين، بتبعيتها لسياسة جنوب افريقيا. إلا أن هذه التبعية لم تمنعها من إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي (السابق) والصين ومن معارضة سياسة التمييز العنصري، كما انها انضمت (في ١٩٧٦) إلى جبهة الدول الافريقية المجابهة لنظام روديسيا، وهي انغولا، موزامبيق، تنزانيا وزامبيا.

في ١٣ تموز ١٩٨٠، توفي سيرتسي خاما (رئيس بوتسوانا منذ الاستقلال، ١٩٦٦) فخلفه نائبه كت كيتمولي مازيري بعد اقتراع لمصلحته في البرلمان.

في تشرين الثاني ١٩٨٢، زار مازيري فرنسا في إطار محاولاته تنويع علاقات بوتسوانا بالخارج تخفيفًا لسيطرة جارها المقتدر، جنوب افريقيا الذي يحتكر اربعة أخماس علاقات بوتسوانا التجارية الخارجية. وقررت العاصمتان، باريس وغابورون، توقيع اتفاق تعاون ثقافي، علمي وتقني. وعن «معاهدة عدم اعتداء وحسن جوار» التي وقعتها جنوب افريقيا وموزمبيق (آذار ١٩٨٤)، حذّر مازيري من انها ستكون فاشلة إذا ساهمت في قمع الذين يقاتلون من اجل حق المشاركة في السلطة. واخذت العلاقات مع جنوب افريقيا تعرف فترات من التوتر بسبب سياسة بوتسوانا المتفهمة لثورات التحرير التي عرفتها المنطقة والموجهة بشكل خاص ضد سياسة التمييز العنصري. وكان الطيران الجنوب افريقي يغير

احيانًا على الاراضي البوتسوانية (كما في ٢٨ آذار ١٩٨٨).

تحرص سياسة بوتسوانا الخارجية على انتهاج سياسة الوفاق الاقليمي في المنطقة وتجنب النزاعات. تشارك في «مجموعة التنمية لجنوب افريقيا» التي تضم أنغولا وليسوتو ومالاوي وموزمبيق وناميبيا وتنزانيا وسوازيلاند وجنوب افريقيا وزامبيا وزيمبابوي. وآخر اجتماع عقدته هذه المجموعة كان في ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤ بهدف وضع حد لصراعات هذه الدول الاقليمية و«مناقشة اوضاع مثل أوضاع روانـدا (صراعات ومذابح إتنية فيها) وكيفية منع حدوث شيء مماثل في منطقتنا في المستقبل».

بوتسوانا جغراسيًا: كانت بوتسوانا تحتل حيّزًا مهمًا في الخلافات الاستراتيجية بين الانكليز والبوير طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر في افريقيا الجنوبية. فلمنع كل اتصال لجمهوريات البوير بالمستعمرة الألمانية الواقعة جنوب غربي افريقيا عمد البريطانيون إلى توقيع اتفاقات مع ثلاثة من أكبر زعماء بوتسوانا في ١٨٥٥. فأصبحت بوتسوانا الحالية بموجب هذه الاتفاقات محمية بريطانية، في ١٨٩٥، واتخذت إسم «بتشوانالند».

في حرب البوير، غزا هؤلاء مناطق تسوانا. وبعد الحرب، لم تعد تسوانا لبتشوانالند. واستمرت جزءًا من ترانسفال او من مقاطعة الكاب (الرأس الافريقي). من هنا هذا الانفصال القائم حاليًا بين بوتسوانا (المستقلة منذ ١٩٦٦) وبانتوستان، والذي يؤدي، من حين لآخر، إلى نزاعات بين حكومات المنطقة، والذي يفسّر، في الوقت نفسه، كم هي مستبعدة كل عملية توحيد أو دمج إقليمي حتى لأرض تعيش عليها إتنيات واحدة.

هذا الموقع الجغرافي لبوتسوانا (ووضع شعبها الضعيف بصورة عامة) يفسّر إلى حد كبير الموقف الثنائي لزعمائها في كل سياسة تتعلق بشؤون منطقة افريقيا الجنوبية. فهي، من جهة، مضطرة لأن تكون تابعة إقتصاديًا لجنوب افريقيا، وقادرة، من جهة ثانية، لأن تقف سياسيًا ضد سياسة التمييز العنصري التي كانت تنتهجها جنوب افريقيا (تمكنت جنوب افريقيا من إلغاء سياسة التمييز العنصري في ١٩٩٣)، والانخراط في تجمعات إقليمية تدين التمييز العنصري وتتعاون إنمائيًا.

على الصعيد الداخلي، تبدو بوتسوانا إحدى اكثر دول المنطقة استقرارًا وحياة سياسية ديمقراطية، ذلك ان الجهة (أو الحزب) الحاكمة نجحت في نسج أنظمة تحالفات معقدة جدًا مع القبائل، وتحديدًا مع نخبها التقليدية والعصرية على حد سواء.

والمشهد العام للموقف الاميركي من بوتسوانا يشير إلى ان الولايات المتحدة ترى إليها كجيب على درجة من الثبات والاستقرار كافية لأن تكون قاعدة مراقبة للمنطقة، وخصوصًا جنوب افريقيا وأنغولا.

مناقشة: نجاح مزدوج: تحت عنوان «نجاح مزدوج في بوتسوانا»، وعنوان فرعي «استقرار سياسي، ديمقراطية، نمو اقتصادي، لكن قادة بوتسوانا بدأوا ينحضرون لمرحلة إنتقالية حسّاسة»، كتب شارل هارفي، أستاذ العلم الاقتصادي في جامعة سوسكس، معهد دراسات التنمية («لو موند ديبلوماتيك»، العدد ايار ١٩٩٣، ص١٩)، ومنه هذه المقاطع:

منذ تحررها من السيطرة البريطانية (مع اعلان الاستقلال في ١٩٦٦) وبوتسوانا نعرف حياة ديمقراطية حقيقية، حيث الانتخابات تجري دوريًا وبصورة منتظمة، وتشارك بها تشكيلات سياسية عديدة. وهذا الأمر يميزها عن سواها من بلدان المنطقة. وصحيح ان حزب بوتسوانا الديمقراطي ما يزال في السلطة نتيجة فوزه المتكرر

في الانتخابات وبأغلبية ساحقة، إلا ان الحكومة دائمة الاصغاء لانتقادات المعارضة وعاملة على اطلاع نواب المعارضة واشراكهم في القضايا المهمة. فقبل كل تغيير او تعديل كبير في السياسة تُكلف اللجان الرئاسية سبر غور السكان في طول البلاد وعرضها. إن أغلب أعضاء الطبقة الحاكمة يمتلكون الماشية ويصدرونها، وفي هذا الأمر بالذات يكمن عنصر مهم للغاية وهو ان من مصلحة هؤلاء القادة المحافظة على مردودية هذا الانتاج المعدّ للتصدير والريفي المصدر (الغالبية الساحقة من السكان تقيم في الارياف).

بوتسوانا هي البلد الذي عرف أسرع وتيرة نمو في العالم منذ ١٩٦٦. إذ كان من حق اكتشاف مناجم (الألماس، ومركبات طبيعية للنحاس والنيكل) أن يؤدي إلى مثل هذا النمو، خصوصًا إذا ما جرى استثماره بمهارة اقتصادية (...). وصحيح ان الاحصاءات اشارت إلى توزيع غير عادل، بشكل عام، لهذه المداخيل الجديدة، إلا ان الصحيح ايضًا ان جهودًا كبرى بذلت على صعيد الصحة والتربية والقطاعات الخدماتية الأخرى، وكذلك على صعيد البنى التحتية التي لم تكن متوافرة قبلاً (...).

ورغم هذه النجاحات الاقتصادية ما تزال بوتسوانا بلدًا تابعًا من وجوه عدة: تصدير الألماس (٨٠٪ من إجمالي الصادرات في العام ١٩٩١) لم يحرّرها من هذه التبعية، ذلك ان اقتصادها شديد الحساسية والارتباط بالاسعار العالمية (...) و٨٠٪ من إجمالي استيرادها يأتي من جنوب افريقيا، إضافة إلى انها (بوتسوانا) عضو في الاتحاد الجمركي لافريقيا الجنوبية الذي وضع تعرفة خارجية مشتركة جاءت لمصلحة دولة جنوب افريقيا في الدرجة الاولى (...).

تبدو الحكومة، من خلال تصريحاتها، انها تعي دقة وحساسية المرحلة الانتقالية التي ستلي بدء تراجع صادرات المنتوجات المنجمية، وهذا ما يميّزها عن حكومات إفريقية عدة طبّقت سياسات اقتصادية كلّفت مجمعاتها ثمنًا غاليًا (...).

زعيما بوتسوانا منذ الاستقلال

*** خاما، سيرتسي Khama,S.** (١٩٢١-١٩٨٠): رئيس جمهورية بوتسوانا (١٩٦٦-١٩٨٠). تلقى تعليمه في جنوب افريقيا ثم في جامعة أكسفورد حيث درس القانون. اصبح رئيس حزب بوتسوانا لاند الديمقراطي وعضو المجلس التشريعي والمجلس التنفيذي (١٩٦١-١٩٦٥)، ثم رئيس وزراء (١٩٦٥-١٩٦٦)، واصبح عضوًا في البرلمان، ثم رئيسًا لجمهورية بوتسوانا. انتهج سياسة حذرة تجاه جنوب افريقيا. ادان سياسة التمييز العنصري (الأبارتيد). ولكنه اعلن، في الوقت نفسه، انه ليس في امكانه الدخول في معركة غير متكافئة مع خصم جبار مثل جنوب افريقيا، وأبقى بوتسوانا داخل الاتحاد الجمركي مع جنوب افريقيا، ولكنه أقام علاقات دبلوماسية مع كل من الاتحاد السوفياتي والصين، كما اعلن عن تأييده المبدئي لحركات التحرر في افريقيا الجنوبية، ما دفع بزعماء الدول الافريقية الاعضاء في «خط المواجهة» (زامبيا، تنزانيا، موزامبيق، وأنغولا) إلى قبول اشتراكه في مداولاتهم الدورية.

*** مازيري، كت كتيمولي Masire, K.K.** (١٩٢٥-): رئيس جمهورية بوتسوانا. انتخبه البرلمان حلفًا للرئيس خاما في ١٨ تموز ١٩٨٠، وأعيد انتخابه في آذار ١٩٨٤، وفي ١٩٨٩ للمرة الثالثة (راجع النبذة التاريخية).

بوركينا فاسو

بطاقة تعريف

الاسم: «بوركينـا»، تعـني «وطـن الرجــال المستقيمين»، و«فاسو» تعني «أرض اجدادنـا». و«بـور كينـابي» هـم مواطنـو بوركينـا فاسـو. وإسم «بوركينا فاسو» بدأ يعتمـد رسميًا ابتـداء مـن ٤ آب ١٩٨٤، وقبـل هـذا التـاريخ كـان الاسم المعروف «فولتا العليا».

الموقع: في غربي افريقيا. تحيط بها مالي، النيجر، بينن، توغو، غانا وساحل العاج.

المساحة: ٢٧٤ ألف و٢٠٠ كلم م..

العاصمة: أواغادوغو (نحـو ٦٠٠ ألـف نسـمة).

أهم المدن: بوبو-ديولاسـو، كودوغـو، بـانفورا، أوياهيغوا.

اللغات: الفرنسية (رسمية). وهنـاك عـدة لغـات قبائلية محكية محليًـا، أشـهرها: موسـي، سينوفو، دوغون، ديولا (في التعامل التجاري)، فولغولدي (تتكلمها قبائل «بـول» Peuls)، ولغـة تماشـيك (يتكلمها الطوارق الذين يسـكنون في الجـزء التـابع لبوركينـا فاسـو مـن أزواد، أو بـلاد الطوارق).

الأديان: الديانات الإحيائية (٥٢٪ مـن مجمـوع السكان)، الاسلام (٣٥٪)، والمسيحية (١٣٪).

الحكم: نظام الحكم جمهوري. الدستور المعمـول بـه يعـود إلى ٢ حزيـران ١٩٩١. رئيـس الجمهوريـة منـذ اول كـانون الاول ١٩٩١ هـو بليز كومبـايوري (مولـود ١٩٥١) الـذي كـان رئيسًا للجبهـة الشـعبية منـذ ١٥ تشـرين الاول ١٩٨٧. رئيس الوزراء منذ ٢٠ حزيران ١٩٩٢ هـو يوسـف أويدرايوغـو. تقسـم البـلاد إلى ٣٠ مقاطعة و٣٠١ دائرة.

الاحـزاب السياسـية: منظمـة الديمقراطيـة الشـعبية/حركـة العمـل الـتي تأسسـت في ١٥ نيسان ١٩٨٩ علـى أسـاس المبادىء الماركسية اللينينية التي سرعان ما تخلـت عنهـا في ١٠ آذار ١٩٩١؛ والمـيثاق القومـي لـلوطنـيـين

التقدميين/الحزب الاجتماعي الديمقراطي، يتزعمه بيار تابسوبا؛ والتجمع الديمقراطي الافريقي؛ والتحالف من اجل الديمقراطية والفديرالية. مجلس النواب من ١٠٧ اعضاء منتخبين لخمسة اعوام. الانتخابات التشريعية الأخيرة في ٢٤ ايار ١٩٩٢، نالت فيها المنظمة الديمقراطية الشعبية ٧٨ مقعدًا، والميثاق القومي للوطنيين التقدميين ١٢ مقعدًا، واحزاب وجهات أخرى ٢٧ مقعدًا.

السكان: يبلغ تعدادهم نحو ١٠ ملايين نسمة. وتشير التقديرات إلى انهم سيبلغون نحو ١١ مليونًا في العام ٢٠٠٠. نسبة قبائل الموسي منهم ٤٨٪، والبول ١٠٪، والغورونسي ٥٪، والبيزا ٥٪، والغورمانشي ٥٪. وهناك نحو ٣٣٥٠ أوروبيًا اكثر من نصفهم من الفرنسيين، نحو ٩٥٪ من مجموع السكان يقيمون في الارياف. وهناك نحو ٢،٥ مليون مهاجر خاصة إلى غانا وساحل العاج.لقبائل الموسي أهمية خاصة ليس فقط تعدادًا، بل تاريخًا وأثرًا متواصلاً في السلطة والاقتصاد والاجتماع. حكم ملوكها البلاد من القرن الحادي عشر حتى بداية القرن الحالي. وما يزال هناك «مملكة موسي»، لكن دورها شرفي ورمزي فقط.

الاقتصاد: بوركينا فاسو على لائحة البلدان الأفقر في العالم. معدل دخلها الفردي السنوي لا يتجاوز ٣٢٠ دولارًا (في العام ١٩٨٠، كان ١٨٠ دولارًا). نحو ٨٠٪ من سكانها يعيشون على الزراعة وتربية الماشية.

في البلاد نحو ٨ ملايين و٧٤٥ ألف متر مكعب غابات. والقسم الاكبر من السكان يعيش في وسط البلاد. أهم المزروعات: الذرة. اكتشفت مناجم كبيرة من المانغانيز في شمال شرقي البلاد. لكن استغلالها ما يزال متعلقًا بانجاز مشروع الطريق الحديدية أبيدجان-أوغادوغو، وبفرعها الذي يصل إلى دوري في أقصى الشمال الشرقي للبلاد .

نبذة تاريخية

قبل الاوروبيين: في منطقة «لوبي» من البلاد آثار جدران من احجار وخزف يبلغ ارتفاعها من ٣ إلى ٧ امتار تدفع إلى الاعتقاد بأن الفينيقيين، أو المصريين، أو البرتغاليين أو البربر هم الذين وصلوا إلى هناك وسكنوا المنطقة.

ويرجح المؤرخون ان غزاة قدموا من غامباغا (غانا حاليًا) وغزوا هضاب بوركينا فاسو في القرن الحادي عشر وواصلوا تقدمهم في منطقة بوسانسي (في الجنوب) حيث اقاموا واختلطوا بالسكان الاصليين، فتكون، نتيجة هذا الاختلاط شعب الموسي الذي أسس اول مملكة له ودعاها تنكودوغو.

واتخذ أوبري، حفيد مؤسس مملكة تنكودوغو، لقب مورونابا (أي ملك العالم)، وأسس مملكة أواغادوغو على

الهضبة الوسطى. كما أسس خلفاء أوبري مملكتين أخريين للموسي هما: ياتنغا في الشمال وفادانغورما في الشرق. وتمكنت قبائل مملكة ياتنغا، في حروب عديدة، من صدّ هجمات مملكة سونغائي من الشمال التي كانت تغير على بلاد الموسي لفرض الاسلام عليها. واحيانا كانت ياتنغا تتعقب سونغائي حتى بلادها، فأحرقت إحدى المرات، مدينة تومبوكتو (اليوم مدينة مالي) في ١٣٢٩. ويعتقد ان الموسي تمكنوا في فترة تقع بين ١٤٠٠ و١٥٠٠ من السيطرة على كل المنطقة الممتدة من غامباغا في الجنوب حتى تومبكوتو في الشمال. لكن، في اواسط القرن السادس عشر، عادت مملكة سونغائي وتمكنت من الموسي وحصرتهم في هضابهم الأصلية.

مجيء الفرنسيين: أول اوروبي دخل بلاد موسي كان مستكشفاً ألمانيًا جاء من المستعمرة الألمانية توغو، وذلك عام ١٨٨٦. ثم تبعه اوروبيون آخرون من ألمان وبريطانيين وفرنسيين. وتمكن الفرنسيون من احتلال المنطقة الشمالية من مملكة ياتنغا في ١٨٩٣، ثم اخضعوها لنظام حمايتهم الاستعماري في ١٨٩٥، وتابع جيشهم زحفه نحو الجنوب، فأخضع مملكة أواغودوغو في ١٨٩٦.

ألحقت فرنسا هذه المناطق الجديدة بمستعمرتها السنغال الاعلى-النيجر، فأوجدت لها نظامًا خاصًا في ١٩٠٤. ثم فصلتها عنها في ١٩١٩ لتشكل منها مستعمرة قائمة بذاتها باسم «فولتا العليا»، وعينت إدوار هلسنغ حاكمًا عامًا عليها. وقد عمل هذا الحاكم على ادخال زراعة القطن وتشجيعه، وشق الطرقات. إلا ان هذه السياسة الاقتصادية لم توقف هجرة اليد العاملة الواسعة إلى مناطق غربي افريقيا. وانتهى الامر بالحكومة الفرنسية إلى ان تخضع لارادة كبار المزارعين الراغبين بالحصول على يد عاملة رخيصة، فقسمت البلاد، في ١٩٣٢، بين ساحل العاج والنيجر والسودان.

اشترك عدد كبير من الموسي في القتال إلى جانب فرنسا طيلة الحرب العالمية الثانية. وفي ١٩٤٧، استجابت الحكومة الفرنسية لنداء شخصي وجهه زعيم الموسي مورو نابا ساغا الثاني، فاعادت فرنسا إلى البلاد هويتها وحدودها. وفي ١٩٥٨، أصبحت فولتا العليا (بوركينا فاسو) جمهورية عضو في المجموعة الفرنسية، ونالت دستورها الاول.

الاستقلال: أعلن استقلال بوركينا فاسو (وكانت ما تزال تدعى فولتا العليا) في ٥ آب ١٩٦٠، وصدر دستورها الاستقلالي (وهو الدستور الثاني) في تشرين الثاني من العام نفسه.

بعد نزاع بين الحكومة والنقابات في ١٩٦٦، استلم الجيش السلطة، وعلّق دستور ١٩٦٠، وحكم البلاد مجلس حكومي ولجنة استشارية إلى ان صدر دستور جديد (الثالث) في ١٩٧٠. وفي ١٩٧٤، علّق رئيس الجمهورية، الجنرال أبوكار سانغول لاميزانا، الدستور وحلّ الاحزاب الوطنية، وتشكلت حكومة جديدة من ضباط في الجيش ومدنيين، فضلاً عن لجنة استشارية. وكان على النظام الجديد ان ينوّع المساعدات الخارجية بهدف تخفيف تبعية البلاد الاقتصادية، ويباشر ببرنامج اصلاحي، ويواجه النزاع الحدودي مع

مالي. وجاءت رغبة الرئيس لاميزانا لقيام حزب واحد وحيد (حزب الحركة الوطنية للتجديد) لتضعه في مواجهات النقابات التي نجحت في فرض إضراب عام في ١٧ و١٨كانون الاول ١٩٧٥، وفي انتزاع وعد من لاميزانا بالعمل على اعادة الديمقراطية خلال ثلاثة اعوام.

ومع صدور دستور ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٧، ولدت «الجمهورية الثالثة» (الجمهورية الثانية مع دستور ١٩٧٠). فاصبح رئيس الجمهورية ينتخب بالاقتراع العام والمباشر، وحدّد عدد الاحزاب بثلاثة فقط. وقد تكرس هذا العدد إثر انتخابات ٣٠ نيسان ١٩٧٨، بحيث اصبحت الاحزاب الثلاثة التي نالت العدد الاكبر من الاصوات هي الاحزاب الشرعية: الاتحاد الديمقراطي الفولتي، الاتحاد للدفاع عن الديمقراطية (أنصار الرئيس السابق موريس يامياغو)، والاتحاد التقدمي الفولتي (بزعامة زربو). وفاز الرئيس لاميزانا مرة أخرى في الانتخابات الرئاسية في ١٤ و٢٨ ايار ١٩٧٨.

لكن، في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٠، أطاح الرئيس لاميزانا (في السلطة منذ ١٩٦٦) انقلاب عسكري جرى دون إراقة دماء، وحلت محله «اللجنة العسكرية للتقدم الوطني»، بقيادة الكولونيل ساي زربو، فعلقت الدستور وحلّت الجمعية الوطنية (البرلمان) ووضعت القادة الرئيسيين في الاقامة الجبرية، وأعلنت انها «تضمن الحريات الفردية والجماعية». وكان هذا الانقلاب كامنا، دون شك، في الاضراب الذي كان قد أعلنه المدرّسون منذ اول تشرين الاول (أي قبل نحو شهرين)، وفي الوضع الاقتصادي المتردي، خاصة بعد موجة الجفاف التي ضربت مناطق الساحل.

بعد نحو عامين (أي في تشرين الثاني ١٩٨٢) وقع انقلاب عسكري آخر أطاح نظام الكولونيل زربو، وشكل «مجلسًا موقتا للانقاذ» اختار المقدم الطبيب جان باتيست أويدرايغو رئيسًا لجمهورية فولتا العليا (بوركينا فاسو). وبعد نحو أربعة أشهر، أعلن الحكم الجديد عن اكتشافه لمؤامرة دبّرها عسكريون موالون للنظام السابق.

في آب ١٩٨٣، أطاح الكابتن سانكارا (رئيس الوزراء المستقيل وقريب من الزعيم الليبي معمر القذافي) حكم الرئيس أويدرايغو، وشكّل حكومة مدنية بأغلبية اعضائها، شغل هو، بالاضافة إلى كونه رئيس المجلس الوطني للثورة ورئيس الدولة، منصب وزير الداخلية والأمن. وفي حزيران ١٩٨٤، أعدم ٧ أشخاص اتهموا بمحاولة انقلابية قبل نحو شهر. وبمناسبة مرور عام على استيلائه على السلطة، اتخذ توماس سانكارا قرارًا (في آب ١٩٨٤) يقضي بتغيير إسم البلاد من فولتا العليا إلى بوركينا فاسو الديمقراطية الشعبية، وكذلك العلم الوطني والشعار الوطني الذي اصبح «الوطن او الموت، سننتصر» بعد ان كان «وحدة-عمل-عدالة».

في ٦ آب ١٩٨٥، صدر عفو عن زربو وجان باتيست أويدرايغو. وفي ١٧-١٨ تشرين زار الرئيس الفرنسي (ميتران) بوركينا فاسو. وبين ١٩-٢٩ كانون الاول، نشب نزاع حدودي مع مالي (أدّى إلى مقتل نحو ١٠٠ شخص) حول منطقة أغاشر.

في شباط ١٩٨٦، زار الرئيس توماس

سانكارا باريس. وفي ٢٩ آب شكّلت حكومة جديدة. وفي ٢٢ كانون الاول، صدر حكم محكمة العدل الدولية (في لاهاي) حول النزاع الحدودي مع مالي قبله الطرفان.

في ١٥ تشرين الاول ١٩٨٧، وقع انقلاب عسكري دموي أدّى إلى مقتل نحو ١٠٠ شخص بينهم الرئيس سانكارا؛ وفي تموز ١٩٨٨، جرى تحويل «لجان الدفاع عن الثورة» التي كان قد أنشأها سانكارا، إلى «لجان الثورة» في إطار سياسة «التقويم» التي اعلنتها هذه اللجان. وفي ايلول ١٩٨٩، فشل انقلاب عسكري ضد هذه اللجان، وأعدم جان باتيست لينغاني (وزير الدفاع) وهنري زونغو (وزير الاقتصاد). وفي ٢٥ كانون الاول ١٩٨٩، فشل انقلاب آخر.

في ١٨ كانون الثاني ١٩٩١، جرى الأخذ بمبدأ تعددية الاحزاب. وفي ٢ حزيران، استفتاء على دستور جديد (٩٣٪ مؤيد والمقترعون لم يتعدوا نسبة ٤٩٪ من الذين يحق لهم الاقتراع، ومقاطعة المعارضة للانتخابات الرئاسية). وفي اول كانون الاول ١٩٩١، انتخاب بليز كومبايوري رئيسًا للجمهورية (٨٦،٤٪). وبعد اسبوع، جرت عمليات اغتيال ضد المعارضة: مقتل كليمان أويدرايغو، وجرح آخرين.

زعماء ورجال دولة

* **أويدرايغو Ouedrago** (جان باتيست، وكليمان، ويوسف): راجع النبذة التاريخية و«الحكم» في بطاقة تعريف.

* **زربو، ساي .Zerbo,S** (١٩٣٢-): عسكري ورجل دولة من قبيلة سامو (في بوركينا فاسو) التي يتحدر منها ايضًا الجنرال لاميزانا الذي كان زربو قد انقلب عليه واطاح حكمه. دخل المدرسة الحربية في باريس وتخرج منها بشهادة ضابط اركان. وزير الخارجية في حكومة «التحديد الوطني» (١٩٧٤-١٩٧٦) التي شكلها الجنرال لاميزانا. وعندما حاول رئيس الدولة (لاميزانا) نقله إلى مناصب أقل أهمية انقلب عليه في ٢٥ تشرين الاول ١٩٨٠، واستلم الحكم مكانه وشكل «اللجنة العسكرية» (راجع النبذة التاريخية).

* **سانكارا، توماس .Sankara,T** (١٩٤٩-١٩٨٧): راجع النبذة التاريخية.

* **كوليبالي، دانيال ويزين Koulibaly,D.O.** (١٩٠٩-١٩٥٨): زعيم سياسي وثوري افريقي من بوركينا فاسو، ومؤسس اول نقابة في افريقيا الغربية الناطقة بالفرنسية. ولد في نونا شمال غربي بوركينا فاسو (كانت تدعى فولتا العليا). درس في داكار (عاصمة السنغال). أسس مع مامادو كوناته (من السودان الفرنسي-مالي حاليًا) اول نقابة افريقية غربية للدفاع عن حقوق المعلمين. التقى فيليكس هوفويت بوانييه (ساحل العاج) وقام

بين الرجلين صداقة جعلتهما رفيقي درب في كل عمل نقابي وسياسي، افريقي او محلي. رشح كوليبالي لعضوية المجلس النيابي الفرنسي في ١٩٤٦، وانتخب نائبًا عن منطقة يوبو.
في ١٩٤٧، استعادت فولتا العليا (بوركينا فاسو) وحدة اراضيها بعد ١٥ عامًا كانت فيها ممزقة بين ساحل العاج والنيجر والسودان الفرنسي (مالي). وكان كوليبالي قد أسس فروعًا جديدة للتجمع الديمقراطي الافريقي برغم حملة الفرنسيين وتشكيلهم بعض احزاب المعارضة.

وفي مطلع الخمسينات، اصطدم كوليبالي بالحاكم الفرنسي، وكان يومها مديرًا لجريدة «الديمقراطي» الناطقة باسم التجمع، وكان يتمتع بالحصانة النيابية. وقد نجا من محاولات اغتياله المتعددة، بينما صُرف اعضاء حزبه من وظائفهم الحكومية. وفي ربيع ١٩٥٠، قتل عدد من الافريقيين وجرح مئات منهم، وألقي عدد كبير من اعضاء التجمع في السجون.

في ١٩٥٣، انتخب المجلس المحلي لساحل العاج كوليبالي عضوًا في مجلس الشيوخ الفرنسي. سافر إلى غينيا، في العام التالي، لتمثيل حزبه في تضامنه مع الحزب الديمقراطي الغيني الذي كان ضحية التزوير في انتخابات ١٩٥٤ النيابية. وبعد موافقة البرلمان الفرنسي على التغييرات الدستورية في افريقيا الغربية الفرنسية وإنشاء مجالس تنفيذية ونيابية ومجالس رؤساء افريقيين، انتخب كوليبالي رئيسًا لاول حكومة في فولتا العليا (بوركينا فاسو).

كان الجنرال ديغول (في ١٩٥٨) قد اقترح إجراء استفتاء على اسنقلال فولتا العليا، يعطي البلد بموجبه استقلالاً تامًا، او ادارة ذاتية داخل المجموعة الفرنسية، حسب النتائج. غير أن كوليبالي توفي فجأة في ٧ ايلول ١٩٥٨، أي قبل ثلاثة اسابيع من موعد الاسنفتاء، في باريس، أثناء اجتماع لجنة تنسيق «التجمع» لوضع سياسة موحدة إزاء الاستفتاء.

*** كومبايوري، بليز .Compaore,B**: راجع النبذة التاريخية و«الحكم» في بطاقة تعريف.

*** لاميزانا، سانغولي .Lamizana,S** (١٩١٦-): سياسي وعسكري ورئيس جمهورية بوركينا فاسو من ١٩٦٦ إلى ١٩٨٠. ولد في توغا. انتسب إلى القوات المسلحة، وتدّرج فيها إلى ان اصبح رئيسًا لاركان القوات المسلحة (١٩٦٢-١٩٦٦). تولى رئاسة الجمهورية في كانون الثاني ١٩٦٦ إثر عودة رئيس الوزراء الجيش لتولي السلطة في البلاد. في ايار ١٩٧٨، انتخب رئيسًا للجمهورية لمدة خمس سنوات. إلا ان انقلابًا عسكريًا بقيادة العقيد ساي زربو اطاح حكمه في تشرين الثاني ١٩٨٠.

*** ياميجو، موريس .Yameogo,M** (١٩٢١-): رئيس جمهورية بوركينا فاسو. ولد في كودوجو من قبيلة موسي. انتخب عضوًا في مجلس غربي افريقيا الفرنسي الكبير (١٩٤٨). شارك في الحركة النقابية العمالية (١٩٥٤). أسس حزب فولتا العليا الديمقراطية (١٩٥٧). فاز بعدة مقاعد في المجلس الاقليمي. تولى وزارة الداخلية، فرئاسة الوزراء (١٩٥٨). عمل على مصالحة الاحزاب في بلاده. ونجح إلى فترة قصيرة. في انتخابات نيسان ١٩٥٩، حقق حزبه فوزًا ساحقًا، فألف وزارة ائتلافية. في كانون الثاني ١٩٦٠، أوقف النشاط الحزبي المعارض. رئيس الجمهورية فور الاستقلال. وُصفت سياسته بالتعسف، واندلعت مظاهرات ضده.

قام رئيس أركان حرب الجيش، سانجولي لاميزانا، بانقلاب في ٤ كانون الثاني ١٩٦٦ وأطاح ياميجو واستولى على السلطة.

Pagode de Skwe Dagon Rangoon

بـورمـا

(إتحاد مِيَنْمَار)

بطاقة تعريف

الاسـم: كـان إسمهـا الرسمـي، قبـل ٢٥ ايـار ١٩٨٩، «جمهوريـة اتحـاد بورمـا الاشـتراكية». وفي هذا التاريخ (٢٥ ايار ١٩٨٩) أصبح «إتحاد مِيَنْمَـار» (Union de Myanmar) الـذي يضـم ٦٠ أقلية إتنية تؤلـف شـعب البـلاد. اما إسـم «بورمـا» فعـائد إلى عنصـر، أو إتنية مـن هــذه الاتنيات وتدعى «البورم» أو «البورمانيون».

وتقول الاسطورة التي يردّدهـا سـكان البـلاد ان «عقولاً نيّرة» (Bya Ma) توصلت إلى خلق بلدًا رائعًا (Myan Ma). حرّف الانكليز هـذا الإسـم وجعلوه «بورما» (Burma)، وترجمه الفرنسيون إلى بيرمانيا (Birmanie).

الموقع: جنوب شرقي آسيا. تحيط بهـا بنغـلادش (طول الحدود معها ٢٤٤ كلم)، الهند (١٥٣٩

كلم)، الصين (٦٤٨٠ كلم)، لاوس (٢٣٥ كلم)، تايلاند (٢١١٥ كلم)، وخليج البنغال (طول شاطىء بورما على هذا الخليج ١٣٨٥ كلم).

المساحة: ٦٧٦ ألف و٥٧٧ كلم م..

العاصمة: رانغون. أهم المدن: ماندلاي، مولماين، بساين، باغان.

اللغات: البورمية (رسمية) ويتكلمها ٨٠٪ من السكان. ولغات الاقليات الاتنية الاخرى: كارين (٢٠٪)، مون (١٢٪)، شان (٧٪)، كاشين (٥٪)، شين (٣٪)، كاياه (٢٪)، آراكان (٢٪).

الاديان: البوذيون (٨٥٪)، المسيحيون (١٠٪)، المسلمون (٤٪)، وعدة آلاف من اليهود (أحفاد قبيلة مانوسي)، وهناك ديانات إحيائية قبلية قديمة.

الدستور يضمن حرية المعتقد الديني، ولكنه يمنع حق الاقتراع لرجال الدين.

الحكم: نظام الحكم جمهوري. الدستور المعمول به عائد إلى ٣ كانون الثاني ١٩٧٤. مجلس عسكري حاكم منذ ١٨ ايلول ١٩٨٨. رئيس هذا المجلس منذ ٢٣ نيسان ١٩٩٢ هو الجنرال ثان شيو (مولود ١٩٣٣). الجمعية التأسيسية من ٤٨٥ عضوًا منتخبًا في انتخابات ٢٧ ايار ١٩٩٠.

الاحزاب: حزب الوحدة الوطنية، حكم حتى ايلول ١٩٨٨، وكان تأسس في ١٩٦٢، زعيمه يو ثا كياو. الرابطة القومية للديمقراطية، تأسس في ٢٤ ايلول ١٩٨٨، زعيمته السيدة أون صن سوتشي (إبنة أون صن الذي اغتيل في ١٩٤٧، وزوجة العالم الانكليزي مايكل أريس، وضعت في الاقامة الجبرية في رانغون منذ تموز ١٩٨٩، وافرج عنها في ١٠ تموز ١٩٩٥).

التقسيمات الادارية: (بموجب تقسيم ١٩٨٣): الولايات: أراكان، ٣٦٧٧٨ كلم م. ونحو ٢،١ مليون نسمة. شين، ٣٦٠١٩ كلم م. ونحو ٣٧٠ ألف نسمة. كاشين، ٨٩٠٤١ كلم م. ونحو ٩٢٥ ألف نسمة. كارين ٣٠٣٨٣ كلم م. ونحو ١،١٥٠ مليون نسمة. كاياك، ١١٧٣٣ كلم م. ونحو ١٧٠ ألف نسمة. مون ١٢٢٩٧ كلم م. ونحو ١،٧٥٠ مليون نسمة. شان، ١٥٥٨٠١ كلم م. ونحو ٣،٨ مليون نسمة. وكل ولاية تقسم إلى عدد من المحافظات، وكل محافظة إلى عدد من الدوائر.

السكان: تعدادهم نحو ٤٦ مليون نسمة. والتقديرات تشير إلى انهم سيبلغون نحو ٥٨ مليون نسمة في العام ٢٠٠٠. شكل البورميون ٦٨٪ من مجموع السكان، والكارين ٤٪، والشان ٧٪، والكاشين ٣٪، والصينيون ٢٪، والهنود ٣٪. يتركّز البورميون في سهل نهر إيراوادي. اما المناطق الحدودية فتسكنها الأقليات الاتنية الأخرى. نحو ٨٥٪ من مجموع السكان يقيمون في الارياف.

الاقتصاد: يعمل في الزراعة نحو ٦٥٪ من مجموع العاملين. أهم المنتوجات الزراعية الارز (بورما سابع بلد منتج للارز في العالم) والأخشاب (في بورما نحو ٢٣ مليون متر مكعب، منها ٦٣٪ من خشب التك). أهم الثروات الباطنية: القصدير، الفحم، النفط، الرصاص والزنك. وتؤمن الصناعة (وهي في حال نمو مطرد) أكثر من ٥٠٪ من الناتج العام؛ وابتداء من ١٩٧٩، بدأت الصناعة النفطية المتطورة.

وبرز اهتمام خاص بالسياحة، واعلن المجلس العسكري الحاكم (في ايار ١٩٩٥) ان العام ١٩٩٦ سيكون عام السياحة.

نبذة تاريخية

من التاريخ القديم: من الصعب تحديد سكان بورما الاوائل. ويعتقد المؤرخون ان هجرات قادمة من آسيا الوسطى استوطنت بورما منذ نحو ألفي سنة. وكانت أولى هذه الهجرات من أصل الخمير، واستوطنت مناطق الدلتا (على خليج البنغال)، والمناطق الواقعة على الساحل عند اقدام سلسلة جبال تناسيريم في أقصى جنوبي البلاد، حاملة معها ثقافة البوذية وتقاليدها. وعلى مدى القرون الاولى بعد الميلاد، دخل البلاد أناس اتوا من التيبت، ويدعون «بيوس»، ومن الصين، ثم من كاشمير، وأقاموا فيها. وموجة الهجرة الثالثة كانت هجرة قبائل شانز-تاييز التي سيطرت مدة قصيرة على مملكة نان-تشاو في جنوب الصين، قبل ان تضطر على اللجوء إلى تايلاند ولاوس وبورما تحت ضربات المغول في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

أسر مالكة وازدهار: يمكن اعتبار القرن الحادي عشر الميلادي القرن الذي ظهرت فيه الامة البورمية في التاريخ. فالملك أناروتا (الذي حكم من ١٠٤٤ إلى ١٠٧٧) أسس اول اسرة بورمية مالكة في مدينة باغن الواقعة في وسط البلاد على نهر إيراوادي. وقد حاربت باغن على مدى قرنين القبائل الاخرى المتواجدة في باقي مناطق البلاد، وفرضت عليها ثقافتها البوذية. وكان دور باغن، في هذا المجال، شبيهًا بدور أثينا في عصر بريكلس، فقد نمت فيها المكتبات، وأنشئت الهياكل والمعابد واصبحت مركز اشعاع مدني-ديني (بوذي) بالنسبة إلى المناطق المجاورة.

في ١٢٨٧، غزا الجيش المغولي، بقيادة كوبيلاي خان، بورما، وقضى على نظامها القائم، فانفجرت شيعًا متحاربة، وانتهت سيطرة مدينة باغن وأسرتها المالكة.

وعند نهاية القرن الخامس عشر، قامت أسرة جديدة هي أسرة تونغو (وهو إسم إحدى المدن)، فاستلمت السلطة واعادت إلى المملكة وحدتها في عصر الملك بايناونغ الذي حكم بين ١٥٥١ و١٥٨١. ولكن خلفاءه لم يتمكنوا من الصمود في وجه الحروب الخارجية والفتن الداخلية، حتى كانت ثورة قبائل المون (مون، أو مونز) في ١٧٤٠ التي قضت على حكم أسرة مونغو.

وثالث الأسر البورمية المالكة وآخرها كانت أسرة كونباونغ التي أسسها الملك ألاونغبايا (حكم بين ١٧٥٢ و١٧٦٠). انتصر هذا الملك على المون، وفرض سلطته على كل البلاد، وانتصر على السياميين، وردّ غزوًا صينيًا. فعرفت البلاد عصرها الذهبي بين ١٧٨٢ و١٨٢٠.

الاستعمار البريطاني: إبان توسع أسرة كونباونغ المالكة على بورما نحو الغرب اصطدمت بالجيش الانكليزي المتمركز في الهند، فكانت خلال القرن التاسع عشر ثلاث حروب بورما-انكليزية (عدا المناوشات العديدة). وفي نهاية الحرب الأخيرة (١٨٨٥) كانت الاجزاء التي تبقت من بورما قد وقعت تحت سيطرة السلطات البريطانية التي جعلت من بورما مقاطعة هندية قبل ان تخصها بنظام استعماري خاص ضمن نطاق الامبراطورية البريطانية، ثم منحتها نوعًا من الحكم الذاتي في ١٩٣٧.

الاستقلال: في بداية الحرب العالمية الثانية غزا الجيش الياباني البلاد واحتلها مدة ثلاثة اعوام، ونشأت فيها حركة مقاومة شعبية قدمت دعمًا كبيرًا للحلفاء. وبعد هزيمة اليابان (١٩٤٥)، استمر الوطنيون، بقيادة أون صن، بمعاركهم حتى الحصول على الاستقلال. وتمّ لهم ذلك، واعترفت بريطانيا باستقلال بورما في ٤ كانون الثاني ١٩٤٨، واصبح يونو (كان زعيم المقاومة قد اغتيل في ١٩٤٧) أول رئيس وزراء لها، وبدأ بتنفيذ الدستور الذي وضع قبل اعلان الدستور بأربعة أشهر.

الاقليات، أولى مشكلات الاستقلال: بعد سنوات قليلة من الاستقلال، واجهت الحكومة انتفاضات متعاطفة مع الشيوعيين، وقد توصل الجيش إلى ضربها، ولكنه لم يستطع القضاء عليها. لكن المشكلة الأساسية كانت في الاقليات الاتنية، إذ كانت تظهر من حين إلى آخر حركات تطالب بانفصال المناطق التي تسكنها اقليات قومية مثل كاشين وكارين وشان... وبعد فترة من عدم الاستقرار الحكومي والسياسي، وقع انقلاب عسكري في ١٩٦٢، وصل إلى السلطة على أثره الجنرال ني وين. فعلق دستور ١٩٤٧، وانتهج حكمًا شبه دكتاتوري، يعاونه مجلس من العسكريين، ومجلس آخر من المدنيين، والمجلسان يكوّنان «مجلس الثورة»، وألف حزبًا رسميًا هو «حزب البرنامج الاشتراكي البورمي»، ومنع الاحزاب الاخرى، وحاول إقامة نظام اشتراكي، فأمّم بعض النشاطات الاقتصادية.

في ١٩٧١، أعلن ني وين عن اعداد دستور جديد يهدف إلى تحويل بورما إلى دولة ديمقراطية اشتراكية. وفي ١٩٧٣، جرى استفتاء على الدستور الجديد وبدأ العمل بموجبه، وانتخب ني وين (١٩٧٤) رئيسًا للجمهورية.

وخلال الاعوام ١٩٧٤ و١٩٧٥ و١٩٧٦، تصاعدت حركة الاقليات المطالبة بالاستقلال، ووقعت عدة صدامات بينها وبين القوات الحكومية خاصة على الحدود الصينية. وكانت حكومة بورما تتهم الصين بدعم هذه النزعات الانفصالية.

ومشكلة الشيوعيين: في شباط ١٩٧٧، أقر مجلس «حزب البرنامج الاشتراكي البورمي» إتباع خط اقتصادي جديد أقل تشدّدًا من السابق. وفي انتخابات ١٩٧٨، تمّ تجديد انتخاب ني وين رئيسًا للجمهورية لمدة اربعة اعوام جديدة.

وفي شباط وتشرين الاول ١٩٧٧، وفي نيسان ١٩٧٨، نشبت معارك عنيفة بين القوات الحكومية والشيوعيين الذين كانوا يحاولون توسيع رقعة نفوذهم في المناطق الغربية من سالوين. وكانت سياسة الحكومة تبغي إبعاد أي دعم خارجي لمختلف المتمردين (إتنيًا وشيوعيًا). لكن على الرغم من الزيارات المتبادلة بين ني وين والمسؤولين الصينيين، استمرت الصين تقدم دعمها للحزب الشيوعي البورمي.

في ايلول ١٩٧٩، اعلنت بورما انسحابها من حركة عدم الانحياز، التي كانت تعقد مؤتمرها في هافانا، احتجاجًا على النفوذ الكوبي والفيتنامي الذي كان يعمل على تغليب وجهات النظر السوفياتية (ومن المشكلات الاتنية المستمرة التي عاشتها بورما، في اواخر السبعينات، لجوء نحو ٢٠٠ ألف مسلم بورمي إلى بنغلادش

على أثر بعض الاجراءات التي اتخذتها الحكومة واعتبرها المسلمون مجحفة بحقهم. إلا ان بنغلادش، وبسبب عجزها عن توفير الغذاء والخدمات لهؤلاء، اتفقت مع بورما على إعادتهم تدريجيًا إلى وطنهم بدءًا من تشرين الاول ١٩٧٨).

في تشرين الاول ١٩٨١، جرت انتخابات تشريعية (٤٧٥ مقعدًا، وجميع المرشحين من الحزب الوحيد «حزب البرنامج الاشتراكي التقدمي» الذي يتزعمه ني وين)، وانتخب البرلمان المنبثق عن هذه الانتخابات الجنرال صن يو رئيسًا لمجلس الدولة لشغل هذا المنصب إلى جانب رئيس الجمهورية.

وتميز العام ١٩٨٧ بمعارك بين الجيش والشيوعيين، وبانضمام الاقليات المتمردة إلى رحال العصابات الشيوعيين، وكذلك باضطرابات طلابية في المدن.

وفي النصف الاول من ١٩٨٨، اندلعت مظاهرات طلابية (ومقتل نحو ٢٠٠ شخص). وفي ٢٣ تموز، استقال ني وين من رئاسة الحزب الوحيد في البلاد، وعين الجنرال صين لوين (مولود ١٩٢٤) رئيسًا للحزب والدولة، وانتخب تون تن رئيسًا للوزراء. وفي آب، تجدّدت المظاهرات الطلابية وادّت إلى فرض حال الطوارىء والاحكام العرفية في رانغون، ثم إلى استقالة صين لوين، واستلام الدكتور مونغ مونغ خا مقدرات الدولة؛ وفي أواخر الشهر نفسه (آب ١٩٨٨)، اضراب عام ومظاهرات اشتركت فيها مئات الألوف في العاصمة والمدن، وتأسيس اول تنظيم معارض منذ ١٩٦٢ برئاسة مان وين نو، وزعامة فعلية لآخر رئيس وزراء منتخب ديمقراطيًا،يو نو.

وبعد نحو اسبوع، أعلن يو نو نفسه رئيسًا للوزراء، وويين مونغ (أول رئيس للجمهورية) رئيسًا موقتًا للدولة. لكن بعد مضي نحو عشرة ايام، وقع انقلاب عسكري قاده الجنرال صو مونغ و١٨ ضابطًا، وبدأ معه الحكم العسكري الدكتاتوري الذي ما يزال قائمًا (خريف ١٩٩٥)، وأول ما واجه هذا الحكم انتفاضات شيوعية في المدن، بدعم صيني (وكانت المساعدات الصينية للحزب الشيوعي البورمي توقفت منذ ١٩٧٨)، قمعها بشدة؛ ومن أول الاجراءات والقرارات التي اتخذها إلغاء عبارة «الجمهورية الاشتراكية» من إسم الدولة الرسمي (تشرين الاول ١٩٨٨).

نظرة عامة على الحكم العسكري الحالي (١٩٨٨-١٩٩٥): الحكومة العسكرية المؤلفة من مجموعة جنرالات من قادة الوحدات العسكرية اطلقت على نفسها، منذ إنقلابها العسكري في ٨ ايلول ١٩٨٨، «مجلس اعادة النظام وقانون الدولة»، وأحكمت قبضتها على السلطة إثر قمع الانتفاضة الشعبية التي اندلعت في شهري آب وايلول ١٩٨٨ مطالبة بالديمقراطية، وشنت حملة اعتقالات واسعة استهدفت ابرز رموز المعارضة السياسية والطلابية والعمالية، ثم اعلنت بعد ذلك عن إجراء انتخابات حرة (أول مناسبة أبرزت فيها المعارضة قوتها الشعبية: اشتراك أكثر من ١٠٠ ألف في جنازة أرملة أون، بطل الاستقلال، في ٢ كانون الثاني ١٩٨٩).

في ٢٧ ايار ١٩٩٠، أجرت الحكومة الانتخابات التشريعية (الأولى منذ ١٩٦٢)، فسارعت أون صن سوتشي (إبنة أون صن) لتشكيل حزب «التحالف القومي

الديمقراطي» للمشاركة في الانتخابات. إلا ان الجنرالات سارعوا إلى فرض الاقامة الجبرية على أون لصن في ١٩٨٩ في محاولة لاضعاف حزبها وتمزيقه. غير ان اعتقالها ضاعف من تضامن الناخبين مع حزبها فحقق فوزًا ساحقًا (٣٩٢ مقعدًا من أصل ٤٨٥). مع ذلك، رفض الجنرالات قبول نتائج الانتخابات واعتقلوا من تبقى من رموز الحزب، وبلغ عدد المعتقلين السياسيين في تلك الحملة نحو ١٠٠ ألف. واشترط الجنرالات للافراج عنها تخليها عن السياسة ومغادرة البلاد إلى أي جهة تريدها، غير انها رفضت هذه الشروط وفضّلت السجن على مغادرة بلادها. وتعرضت، خلال اعتقالها، للضغوط النفسية والمعنوية على انواعها؛ وعندما فشلوا هددوا بتصفيتها جسديًا بشكل تبدو فيه انها اقدمت على الانتحار. غير ان العسكر أدركوا سريعًا عدم جدوى تلك الوسائل مع «إبنة شهيد استقلال بورما وبطله»، فحازت على اعجاب العالم وتضامنه معها، واضطر العسكر للرضوخ، ووافقوا على زيارة المنظمات الانسانية لها. وتحول منزلها المطل على بحيرة رانغون (وهي في الاقامة الجبرية) إلى مزار لأبناء بورما وللصحافيين والزوار الاجانب.

في شباط ١٩٩٢، شن الحكم العسكري إحدى أعنف الحملات القمعية بحق مسلمي منطقة أراكان (يقال لهم «روهينغياس») البالغ تعدادهم نحو مليوني نسمة، وقد لجأ منهم نحو ٢٥٠ ألفًا إلى بنغلادش، وفي اواخر العام عاد منهم ٥ آلاف فقط. والمعروف ان منطقة أراكان (ومعروفة ايضًا باسم «روهينغا») الواقعة غربي بورما ظلت تحت حكم المسلمين إلى ان احتلها البوذيون في ١٨٧٤، وتعرّض اهلها للتهجير من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٨، ومن ١٩٧٨ إلى ١٩٩١.

في ٩ كانون الثاني ١٩٩٣، كُلفت «لجنة تأسيسية» باعداد دستور جديد للبلاد.

في ١٠ تموز ١٩٩٥، أفرجت السلطات عن زعيمة المعارضة أون صن سوتشي بعد ستة أعوام تقريبًا من وضعها في الاقامة الجبرية، إثر ضغوط دبلوماسية دولية على النظام العسكري، وفي أجواء داخلية وُصفت بأنها مستقرة وبأن العسكر «واثقين من سيطرتهم على الاوضاع». وبعد ايام قليلة من الافراج عن زعيمة المعارضة، قالت في حديث إلى صحيفة «نيويورك تايمز» انه من الممكن «النظر في إمكانية حصول تقاسم للسلطة»، وانها ستبحث ذلك مع أنصارها في الحركة الديمقراطية البورمية.

وقد أعقب هذا الافراج تخفيف الضغوط الدولية على النظام العسكري، وهذا ما «سيعطيه فرصة لالتقاط الأنفاس وإمكانية التهرب من الاستحقاقات المتوجب القيام بها سريعًا لدرء عودة الاحتقان الشعبي إلى الشارع سواء لجهة اشاعة الديمقراطية او لجهة إجراء مصالحة وطنية عامة من خلال حوار مفتوح مع المعارضة على اختلاف انتماءاتها السياسية والعرقية والاتنية تمهيدًا لاجراء انتخابات حرة تسمح للمواطنين بحرية اختيار ممثليهم في السلطة من دون ضغوط او إكراه... ويتضح يومًا بعد آخر (خريف ١٩٩٥) ان تردد الحكم العسكري في بورما وعدم اتخاذه لخطوات جديدة ملموسة من اجل احلال السلم الأهلي واكتفاءه بالافراج عن زعيمة

المعارضة هـو محاولـة لامتصـاص النقمـة الدوليـة، ولتشـجيع تدفـق رؤوس الامـوال الاجنبية للاستثمار في بورما لعل ذلك يزيـد من وتائر النمو التي تشهدها البـلاد حاليًـا، وهذا ما سيغري الغرب ويجعله يغـض النظـر عن استمرارية الطغمة العسـكرية في الحكـم وغياب الديمقراطية على غـرار مـا يجـري في بلدان عالمثالثية كثيرة» (هذه الفقرة الاخـيرة موجـز تحليـلات كثـيرة ظهـرت في وسـائل الاعلام العربية والعالمية في خريف ١٩٩٥).

مدن ومعالم

* **باغان Pagan**: مدينة في وسط بورما علـى نهـر إيراوادي. عاصمة مملكة بورما بين القرنين الحـادي عشر والثالث عشر. مساحتها واسعة حدًا، وتؤلّف اليوم مـن عـدة بلـدات وقـرى. كـانت تحتـوي في اواخر القرن الثالث عشر على أكـثر مـن ٥ آلاف معبد ودير بـوذي، ولم يبـق منهـا حاليًـا أكـثر مـن ١٥٠٠ تشـهد علـى الطـراز المعمـاري والفنـون البوذية.

منها (وكانت بلدة مغمورة) برز أحد أكـبر ملـوك بورما ويدعـى أناوراتـا (١٠٤٤-١٠٧٧). انطلـق من باغان وغزا سهل كيوكس حيث انشأ شبكات كبرى للري. وبعـد اعتناقـه البوذيـة علـى مـدارس الجنوب، غـزا بورمـا الواطئة الـتي كـانت تسيطر عليها قبـائل المـون. عرفـت البـلاد في ايامـه نهضـة فنية، وجعل باغان عاصمتـه. كـان صيـادًا مـاهرًا، ورغم ذلك صرعه ثور وحشي. خلفه ابنه ساولو.

ومن ملوك بورما الذين حملوا إسم «باغـان» كـان الملك باغان مـين (١٨٤٦-١٨٥٣) الـذي عُـرف بكثرة الذين أعدمهم، بقراراتـه العشـوائية وبكرهـه الأجانب. على أثر احتجازه لمراكب إنكليزية، نزل الانكلـيز في رانغـون. في ١٨٥٣، خلفـه شـقيقه ميندون مـين الـذي توصـل إلى عقـد اتفـاق مـع الانكليز الذين بقوا، مع ذلك، في بورما الواطئة.

* **رانغون Rangoon**: عاصمة بورما واكـبر مدنهـا (هناك نحو خمسين مدينة في بورمـا)، وتـأتي بعدهـا ماندلاي. تعد رانغون نحو ٣،٥ ملايين نسـمة، بمـا فيها الضواحي. وتقع على الضفة اليسرى من نهـر رانغون وعلى بعد ٣٤ كلـم مـن مصبـه علـى بحـر أندامـان. ورانغـون هـي المرفـأ الرئيسـي للبـلاد، ومركز صناعي وتجاري مهـم، وعقـدة المواصـلات الرئيسية لكـامل البـلاد. في رانغـون آثـار تاريخيـة، أهمها باغود (معبد بـوذي متعـدد الادوار في مبنـاه وطرازه الهندسي) سـكوي داغـون الشـهير بسـقفه الذهبي وقبتـه الـتي يبلـغ طولهـا ١١٢م. وفي المدينـة عدة معاهد وكليات جامعية.

* **ماندلاي Mandalay**: مدينة في بورما واقعة عند وسط نهر إيراوادي. نحو ٥٣٣ ألف نسمة. كانت عاصمـة بورمـا بـين ١٨٥٧ و١٨٦٥. قصفهـا الحلفاء في ١٩٤٢ و١٩٤٥ ودمّـروا أجـزاء كبـيرة منها. تعتبر اليوم العاصمـة الثقافيـة للبـلاد. شـهيرة بأشـغالها اليدويـة، مـن تمـاثيل المرمـر، والحرائـر والادوات الفضية. مركز توزيع الارز الذي ينتجـه سهل كيوكس.

زعماء ورجال دولة

* **أون صن سوتشي Aung San Sun Kyi** (١٩٤٥-): زعيمة معارضة الحكم العسكري الحالي في بورما. نشأت في بيت سياسي عريق يكن له الشعب البورمي الاحترام والتقدير، ذلك انها إبنة الزعيم أون صن الذي قاد الكفاح من اجل الاستقلال عن التاج البريطاني، فأصبح في نظر الشعب «شهيد استقلال بورما». ولعل اغتيال والدها في تموز ١٩٤٧ بمكيدة سياسية قيل انها من «تدبير قوى خارجية وتنفيذ أياد محلية عسكرية»، وهي لم تتجاوز العام الثاني من عمرها، جعلها تتشبع من عدم الثقة بحكم العسكر.

تلقت تعليمها في بورما والهند حيث كانت والدتها تشغل منصب سفيرة لبلادها. وحصلت على منحة دراسية في جامعة أوكسفورد البريطانية. وبعد تخرجها حصلت على وظيفة في الامانة العامة للامم المتحدة في نيويورك. وكانت، في ١٩٧٢، قد تزوجت من أكاديمي بريطاني، مايكل أريس، وانجبت منه ولدين. وفي ١٩٨٨، وبينما كانت تسعى إلى الحصول على درجة علمية في جامعة لندن، قطعت دراستها وعادت إلى بورما لرعاية أمها المريضة. ولم يكن في نيتها، آنذاك، خوض المعترك السياسي بعد ان ابتعدت عنه نحو ربع قرن ونيف، خاصةً وان امها كانت تحرص على ابعادها

أون صن سوتشي.

عن السياسة ودهاليزها. لكن عودتها تزامنت مع تزايد حال الغليان الشعبي التي كانت تعم البلاد نقمة على الحكم العسكري، ما جعل جذوة الانتماء إلى ماضي والدها الكفاحي تستفيق في ذاتها بعد ان لامست عن قرب مدى الفساد المستشري ومدى القمع الذي يمارس ضد من يعارض النظام. فنزلت إلى الشارع وتقدمت مظاهرات الطلبة وفئات الشغيلة والاحزاب السياسية التي كانت تفتقد الشخصيات القيادية. واستطاعت من خلال خطابها السياسي الجريء ان تلامس وجدان الشعب، وتحولت إلى رمز مهم للقوى الشابة وخصوصًا الطلاب الذين اندفعوا بأثرها في تظاهرات العام ١٩٨٨، ما أثار الرعب في صفوف العسكر الذين يحكمون البلاد منذ ١٩٦٢. فسارعت مجموعة جنرالات من قادة الوحدات العسكرية، وشكلت ما أطلق عليه لقب «مجلس اعادة النظام وحماية الدولة»، ففتك بالمتظاهرين بعنف، وسقط في المواجهات مع الشعب (في التظاهرات خاصة) أكثر من ١٠ آلاف مواطن بين قتيل وجريح، واعتقل بحدود ١٠٠ ألف من رموز المعارضة السياسية. وعمدت قوات الجيش، في أكثر من مناسبة، لاصطياد أون صن سوتشي إلا ان أنصارها تمكنوا من انقاذها واخفائها غير مرة.

حازت أون صن سوتشي على جائزة نوبل للسلام في ١٩٩١، لكفاحها السلمي من اجل الديمقراطية. وافرج عنها الحكم من دون قيود او شروط في ٩ تموز ١٩٩٥ (راجع النبذة التاريخية).

* **تاكين تان تون** (١٩١٥-١٩٦٨): قائد عسكري وسياسي وزعيم الحزب الشيوعي في بورما. سكرتير عام عصبة حرية الشعب المعادية للفاشية (١٩٤٦). تولى زعامة الحزب الشيوعي البورمي (١٩٤٧)، وتمسك بخط متعاطف مع الصين ومتصادم مع السوفيات. سيطر، منذ ١٩٥٠، وبعد حرب أهلية دامت زهاء سنتين، على معظم ارياف بورما والعديد من المدن والقرى دون ان يتمكن من السيطرة على العاصمة رانغون. ومع حصول حكومة أونو وخليفته نـي ويـن على أسلحة حديثة من بريطانيا والولايات المتحدة، ومع استفادتها من تجربة المستوطنين اليهود في فلسطين عن طريق اقامة كيبوتزات لاغراض عسكرية حدودية لمقاومة الثوار، فإنها تمكنت من استعادة معظم مناطق البلاد من الثوار. إلا ان تاكين تان تون قام بحملة عسكرية قوية ومضادة وناجحة لاستعادة سيطرته، لكنه قتل اثناء المعارك (١٩٦٨).

* **صن يو Sun Yu**: راجع النبذة التاريخية.

* **نـي ويـن Ne Win** (١٩١٠-): عسكري (جنرال) ورجل دولة بورمي؛ استولى على الحكم في بورما في ١٩٦٢ فنادى بالقومية والاشتراكية على الصعيد الداخلي، وانتهج خط عدم الانحياز على الصعيد الخارجي.
التحق بالقوات المسلحة البورمية في سن مبكرة. أصبح قائدًا لاركان الجيش في ١٩٦٠، ثم رئيسًا للوزراء ووزيرًا للدفاع. في آب ١٩٦٢، اطاح حكم الرئيس ثيو نو، وأرسى أسس نظام اقتصادي جديد يرمي إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي. اصطدم بمعارضة الاقليات الاتنية والثوار الشيوعيين المسلحة، وتعرّض لمحاولة اغتيال فاشلة في ١٩٧٨. فرض نظام الحزب الواحد، «حزب البرنامج الاشتراكي» الذي تولى رئاسته بنفسه. استقال من منصبه كرئيس للدولة في ١٩٨١، غير انه احتفظ برئاسة الحزب. ولئن نجح في تعزيز استقلال بورما على الصعيد السياسي، فقد فشل في المقابل في ان يمنحها القاعدة الاقتصادية المتينة التي طمح بها. وقد تراجع عن حلمه الاولي الهادف إلى قيادة بورما إلى الاشتراكية بدون الاعتماد على أي

مساعدة خارجية. فبعد فترة انطواء استمرت نحو عشرة اعوام، عاد إلى فتح باب التعاون مع الخارج. وقد اقترن هذا الانفتاح بتخليه عن سياسة منح الاولوية لنطوير الصناعة الثقيلة وباعطاء هذه الاولوية للزراعة. اختار مساعده، الجنرال صن يو، ليخلفه في رئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس الدولة في ١٩٨١.

* **يو ثانت سيثو U Thant Sithu** (١٩٠٩-١٩٧٤): سياسي بورمي. ثالث أمين عام للامم المتحدة (١٩٦١-١٩٧١) عقب وفاة الامين العام داغ همرشولد. ولد في بورما، وتعلم في جامعة رانغون. تولى عدة مناصب تربوية واشتغل في الصحافة والاذاعة (١٩٤٩-١٩٥٧). انتخب ممثلاً دائمًا لبورما في هيئة الامم المتحدة (١٩٥٧). انتخب امينًا عامًا لهيئة الامم المتحدة في ١٩٦١، وأعيد انتخابه في ١٩٦٦، وبقي في هذا المنصب على مدى عشر سنوات متواصلة.

بورنيو

الموقع: جزيرة في جنوب شرقي آسيا. يمر فيها خط الاستواء.
يفصلها بحر الصين عن الفيليبين من جهة الشمال، ومن الشمال الشرق بحر سيليبس، ومضيق ماكاسار يفصلها عن جزيرة سولاويسي، وبحر جاوا يفصلها عن جزيرة جاوا لجهة الجنوب، ومضيق كاريمنتا يفصلها عن جزيرة سومطره للجهة الجنوبية–الغربية.

المساحة: ثالث أكبر جزيرة في العالم. مساحتها ٧٣٦ ألف كلم م.. جبلية (بعض القمم يتخطى ارتفاعها ٤ آلاف م.). غابات كثيفة، بعضها ما يزال مجهولاً.

التقسيم السياسي: تقسم جزيرة بورنيو بين أندونيسيا، وماليزيا (ساراواك، صباح)، وبروناي.

السكان والاقتصاد: يبلغ تعداد سكان بورنيو نحو ١٠ ملايين نسمة (الكثافة السكانية لا تتعدى ١٢ شخصًا في الكلم م. الواحد). غالبية السكان تعيش على ضفاف الانهر العديدة التي تخترق الجزيرة. ويقسم السكان، إتنيًا، إلى فئتين قبائليتين كبيرتين: قبائل من أصل أندونيسي، وأخرى تدعى «داياك» ويتفرع عنها عدد كبير من القبائل، ما يزال بعضها يعيش على الصيد. لكن أغلبية السكان يزرعون الارز، والتبغ. واستخراج النفط وتصنيعه في نمو مطرد (آبار في تراكان وبانجو، ومصفاة في باليكبابان).

نبذة تاريخية: أقام الاوروبيون على شواطىء بورنيو ابتداء من القرن السادس عشر، وما لبثت الجزيرة أن أصبحت موضوع صراع بين الشركة الهولندية للهند الشرقية، والاسبان، والانكليز. القسم الهولندي من بورنيو (كاليمنتان، اليوم، ومساحته ٥٣٩ ألفًا و٤٠٠ كلم م.) احتله اليابانيون بين ١٩٤٢ و١٩٤٥، وهو اليوم جزء من أندونيسيا. والقسم الشمالي من بورنيو (اليوم، صباح) وساراواك، أنضما في ١٩٦٣ إلى ماليزيا. أما بروناي فتشكل سلطنة مستقلة، وما تزال تحت الحماية البريطانية.

بوروندي

بطاقة تعريف

الموقع: في وسط افريقيا. بلاد مغلقة، على بعد نحو ١٢٠٠ كلم عن المحيط الهندي و٢٠٠٠ كلم عن المحيط الاطلسي. تحيط بها رواندا، زائير، وتانزانيا. يبلغ طول حدودها ٨٢٥ كلم.

المساحة: ٢٧ ألفًا و٨٣٤ كلم م.، منها ١٨٨٥ كلم م. بحيرات.

العاصمة: بوجومبورا (كانت تدعى قبلاً أوزومبورا، وقد أسسها الألمان في ١٨٩٧ وتعد نحو ٣٠٠ ألف نسمة). وأهم المدن: جيتيغا (نحو ٢٠ ألف نسمة)، رومونج (نحو ١٥ ألف نسمة)، نغوزي (نحو ١٠ آلاف نسمة).

اللغات: كيروندي (وهي لغة مجموعة من قبائل بانتو)، لغة وطنية، والفرنسية (اللغة الثانية في الادارة)، وكيسواحيلي، إضافة إلى عدد من اللغات القبائلية المحلية.

الاديان: الكاثوليك (٦٥٪)، إحيائيون-ديانات محلية-(٢٣٪)، بروتستانت (١٠٪)، مسلمون (١،٥٪)، أي نحو ٥٦ ألف نسمة، بموجب إحصاءات غربية، فيما تقول مصادر عربية وإسلامية ان عددهم يزيد عن المليون نسمة، وان الاسلام بدأ يدخل إلى بوروندي-وإلى رواندا- في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عن طريق التجار).

الحكم: جمهورية موحدة، علمانية وديمقراطية منذ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٦. الدستور المعمول به حاليًا وضع في ١٣ آذار ١٩٩٢. الحزب الوحيد حتى ١٩٩٢: «الاتحاد من اجل التقدم الوطني» (أوبرونا) الذي اسسه بوبويا في ١٩٥٨. وحزب «الجبهة من اجل الديمقراطية في بوروندي»

(فروديبو) الذي يتزعمه الرئيس ندادايه. و«حزب تحرير شعب الهوتو» (بالبيهوتو)، وهو حزب متطرف، وتأسس في ١٩٨٠.

السكان: تعدادهم نحو ٦،٥ ملايين نسمة. قبائل الهوتو نحو ٨٥٪، والتوتسي ١٤٪، وتوا (Twa) ١٪. وتشير التقديرات إلى انهم سيبلغون نحو ٧ ملايين في العام ٢٠٠٠. سكان الريف ٩٤٪. المهاجرون نحو ٢٠٠ ألف موزعين بين أوغندا، وروندا، وتانزانيا. والمهاجرون إليها من رواندا نحو ٢٥٠ ألفًا، ومن زائير نحو ٢٠ ألفًا، وهناك نحو ٣آلاف بين اوروبي وآسيوي.

وعن المسلمين في بوروندي، جاء في «الاقليات

المسلمة في العالم» (الصادر عن وزارة الاعلام-الاعلام الخارجي في المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥، ص٣٢): يعيش في بوروندي أكثر من مليون مسلم. لم تعرف بوروندي الاسلام إلا في اواخر القرن الثالث عشر الهجري عن طريق العرب العثمانيين الذين جاؤوا من شرق القارة الافريقية وكانت زنجبار هي صاحبة السلطة في هذه المنطقة. ويتركز المسلمون في عدة مناطق أهمها: جستيقيا، موارمفيا، بخوزي، بورودي وبوجومبورا، وهي العاصمة وبها عدد من المساجد. ومعظم مسلمي بوروندي من أهل السنة، وأغلبهم على المذهب الشافعي».

الاقتصاد: يعتمد كليًا تقريبًا على الزراعة. أهم المزروعات: البن (نحو ٣٠ ألف طن سنويًا، ويشكل ٧٥٪ من إجمالي الصادرات)، الموز، البطاطا، الذرة، القمح، القطن، الحبوب، الارز. وقطاع كبير من السكان ما يزال يعتمد على تربية الماشية والرعي. صيد السمك (نحو ١٨ ألف طن سنويًا). المناجم: نيكل (٥٪ من إحتياطي العالم) ويورانيوم وفوسفات، ولكن هذه المناجم لم يُعمد بعد إلى استغلالها. السياحة: نحو ٨٠ ألف سائح سنويًا، وفي مقدمة المناطق السياحية المقصودة: منابع النيل (٢١٤٥م عن سطح البحر، وتقع أقصى جنوبي روتوفو والتي اكتشفها الألماني بورتشارد وُلديكر في ١٩٣٤)، شلالات كاريرا، هضبة مكسوة بالاشجار «المقدسة» في بانغا، غابة كيبيرا، الحديقة الوطنية في روفوبو، بحيرة تنجانيقا.

نبذة تاريخية

نظرة عامة (كرونولوجيا أهم الاحداث)

سكنت قبائل توا (Twa، وتنتسب إلى قبائل بيغمي) بوروندي قبل قبائل الهوتو (لغة قبائل البانتو) وقبائل التوتسي (أو القبائل الحامية). في القرن السابع عشر، توصل نتار روشاتسي إلى إقامة مملكة موحدة في بوروندي. وقبل هذا القرن وفيه وإبان المملكة الموحدة، كانت قبائل التوتسي (وهي اقل عددًا بكثير) تخضع لسيطرتها قبائل الهوتو.

وأول عهد الاوروبيين في البلاد عندما نزل المبشر دافيد ليفنغستون جنوبي بوجومبورا ومعه المستكشف هنري مورتون ستانلي، بعد ان اتفقا على ذلك في لقائهما التاريخي في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٧١ في مورجيري على بعد ١٠ كلم من بوجومبورا.

وفي ١٨٩٠، ضمت ألمانيا إلى ممتلكاتها الافريقية بوروندي ورواندا وتنجانيقا (تانزانيا). وفي ١٩١٩، اصبحت المستعمرات الألمانية تحت إشراف عصبة الامم، وفي ١٩٢٣، انتدبت بلجيكا لادارتهما، فعملت السلطات على دعم

قبائل التوتسي. وبعد الحرب العالمية الثانية، أصبح الاقليمان المذكوران تحت وصاية الامم المتحدة، وبقيت بلجيكا منتدبة عليهما. وفي ١٩٦١، جرت فيهما انتخابات عامة تحت إشراف الامم المتحدة، ونال كل منهما استقلاله في السنة التالية. وفي حين أعلنت رواندا جمهورية، قام في بوروندي نظام ملكي (الملك موامي) من قبائل التوتسي.

في ١٩٦٦، قاد رئيس الحكومة،ميشال ميكومبيرو، انقلابًا أطاح الموامي (الملك) نتاري الخامس، وأعلن الجمهورية وأصبح أول رئيس لها. وكانت سبقت هذا الانقلاب حرب أهلية رهيبة (التوتسي-الهوتو) ذهبت بحياة نحو ١٠٠ ألف. لكن الجمهورية بقيت عاجزة عن القضاء على البنى الاقطاعية في البلاد. وفي ١٩٧٦، أطاح الجيش ميكومبيرو، وعيّن في السنة التالية «المجلس الأعلى للثورة» الضابط جان باتيست باغازا رئيسًا للجمهورية، كما شكل مجلس وزراء جديدًا، سارع رئيسه للاعلان عن عزم الحكام العسكريين تسليم السلطة لحكومة مدنية ابتداءً من ١٩٨١. وقد وضع الحكم الجديد الخطة الخمسية الثالثة (١٩٧٨-١٩٨٢) حيث زاد من حصة الاستثمارات المخصصة للقطاع الزراعي، وأفرد جانبًا مهمًا للمشاريع الزراعية-الصناعية.

في تشرين الثاني ١٩٨١، ولاول مرة منذ ما قبل ١٦ عامًا، دعي الشعب لاعطاء رأيه في دستور جديد. وقد نصّ هذا الدستور على انتخاب رئيس للجمهورية بالاقتراع الشعبي العام، كما أكد ان «حزب الاتحاد من أجل التقدم الوطني» هو الحزب الحاكم الوحيد. وفي تشرين الاول ١٩٨٢، زار الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران بوروندي. وفي ١٦ تموز ١٩٩٣، مات ميكومبورو لاجئا خارج بلاده.

في ٣١ آب ١٩٨٤، انتخب باغازا رئيسًا (انتخابات عامة ومباشرة)، وفي كانون الاول ١٩٨٤، افتتح باغازا القمة الفرنسية-الافريقية الحادية عشرة في بوجومبورا العاصمة، شارك فيها الرئيس الفرنسي، ميتران، و٣٦ دولة تمثلت ١٦ منها برؤسائها؛ وفي نهاية القمة، اعتبر ميتران ان نتائجها «ممتازة».

خلال العامين ١٩٨٦ و١٩٨٧، تمّ طرد المرسلين الاجانب من البلاد. وفي ٣ ايلول ١٩٨٧، وقع انقلاب عسكري أطاح باغازا وأتى بالضابط بيار بويويا (مولود ١٩٤٩، من التوتسي) رئيسًا للدولة، فسارع إلى إعادة الحرية الدينية بما فيها عمل المرسلين الاجانب.

في آب ١٩٨٨، وقعت مذابح رهيبة بين التوتسي والهوتو في شمالي البلاد: مزارعون من الهوتو قتلوا مزارعين من التوتسي بعد ان تملكهم الخوف من خطر إبادتهم على يد التوتسي، فقام الجيش، وأكثرية عديده من التوتسي، بحملة قمع وتقتيل ذهب ضحيتها الآلاف من الهوتو الذين لجأ منهم ٦٥ ألفًا إلى رواندا؛ وقد رفضت الحكومة إجراء تحقيق دولي في هذه الاحداث. لكن، في الشهر التالي، تشكلت حكومة جديدة برئاسة أدريان سيبومانا (هوتو) أغلبية اعضائها من الهوتو، ما سمح للاجئين إلى رواندا في العودة إلى ديارهم (١٩٨٩).

في كانون الثاني ١٩٩١، توصلت

الحكومة إلى وضع «ميثاق الوحدة الوطنية» الذي أسس للتعددية الحزبية في البلاد، ووافق عليه ٨٩٪ من المقترعين. لكن الحرب الاهلية (التوتسي-الهوتو) عادت في الأشهر الأخيرة من السنة لتوقع القتلى وتهجّر نحو ١٠ آلاف من الهوتو إلى رواندا.

في ٤ آذار ١٩٩٢، جرت محاولة انقلاب عسكري فاشلة. وبعد نحو أسبوع، صدر دستور جديد ينص على التعددية وينال موافقة ٩٠٪ من الاصوات؛ وفي أول نيسان، تشكلت حكومة جديدة ٦٠٪ من أعضائها من الهوتو.

في أول حزيران ١٩٩٣، جرت انتخابات رئاسية فاز بها ملكيور نداداي (مولود ١٩٥٣، من الهوتو) بأغلبية ٦٤،٧٩٪ من أصوات المقترعين. وفي ٢٨ حزيران، انتخابات تشريعية أسفرت عن نيل حزب «الجبهة من أجل الديمقراطية في بوروندي» أغلبية المقاعد (٦٥ مقعدًا من أصل ٨١). وفي ٢ تموز، محاولة انقلابية عسكرية فاشلة.

في ٢٢ تشرين الاول ١٩٩٣، أنهى قادة الجيش (تسيطر عليه قبيلة التوتسي) تجربة هذه الديمقراطية الوليدة (ولدت قبل ثلاثة أشهر فقط) وأطاحوا نظام الرئيس نداداي (وقتلوه) الذي كان أول رئيس منتخب بصورة ديمقراطية بعد حقبة طويلة من الحكم العسكري، وشكلوا «لجنة الانقاذ الوطني» التي انتخبت رئيسًا للبلاد كان وزيرًا سابقا في حكومة بيار بويويا العسكرية التي هزمت في الانتخابات التعددية الاولى (حزيران ١٩٩٣)، وهو فرنسوا نغيزي (من الهوتو). وقد ادانت منظمة الوحدة الافريقية الانقلاب. وقطعت الدول الغربية مساعداتها عن بوروندي.

لكن بعد أقل من أسبوع واحد، عادت حكومة الرئيس القتيل، نداداي، وتمكنت من الامساك بالوضع، واعلنت تفكيك قوات المظلات التي نفذت الانقلاب واعتقلت قادتها. ورئيسة الوزراء هي سيلفي كينيغي. وكانت اعقبت الانقلاب أعمال عنف بين الهوتو والتوتسي، وصفت بأنها من «حروب القرون الوسطى»، كما بدأت دول افريقية تعلن عن نيتها التدخل في بوروندي لايقاف الحرب الأهلية فيها، وسط عجز الحكومة عن ضبط الامور (اضطرت رئيسة الوزراء للاختباء في السفارة الفرنسية لمدة أيام، وإحصائيات تناقلتها وسائل الاعلام العالمية عن حصيلة مجازر تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٩٣ فاقت ١٠٠ ألف قتيل و٧٠٠ ألف مهجّر إلى خارج البلاد خاصة إلى رواندا).

في كانون الثاني ١٩٩٤، انتخب البرلمان البوروندي، بالإجماع، سفريان تمياميرا رئيسًا للدولة خلفًا للرئيس نداداي. وأعلن تمياميرا نيته عدم فتح صفحة الماضي، ولا الخلافات الاتنية، وعزمه على اشراك ممثلي جميع البورونديين في السلطة، ما أعاد إلى أذهان المواطنين صورة رئيسهم الديمقراطي نداداي. ولهذا السبب بالذات كانوا يخشون على حياته، فيلاقي مصيرًا شبيه مصير سلفه.

في ١٧ آذار ١٩٩٤، عادت المجازر وانفجرت بين الهوتو والتوتسي في بوروندي، وفرّ الرئيس تمياميرا إلى مسقط رأسه في مناطق سيطرة قبائل الهوتو، وحاصر الجيش (أكثريته الساحقة من الاقلية التوتسي) قصره.

وفي ٦ نيسان ١٩٩٤، لقي الرئيسان، البوروندي تميامیرا والرواندي جوفينال هابياريمانا، مصرعهما في تحطم طائرة تقلهما كانت تستعد للهبوط في مطار العاصمة الرواندية كيغالي. واعلنت وزارة الدفاع الرواندية ان الطائرة اصيبت بصاروخ فيما كانت تستعد للهبوط على مدرج المطار. وينتمي الرئيسان إلى قبائل الهوتو. وبدأت الاشتباكات والمجازر بين القبيلتين في كيغالي (عشرات ألوف القتلى في مدى نحو أسبوعين).

في ٢٥ نيسان ١٩٩٤، فشلت محاولة انقلاب قامت بها جماعة من ضباط التوتسي في إطاحة النظام في بوروندي، لكن التوتر استمر قائمًا ومتزايدًا بين القبيلتين في بوروندي بسبب استمرار المجازر بينهما في رواندا.

في شباط ١٩٩٥، اعتبر الرئيس البوروندي سيلفستر تيبنغانيا (كان انتخب رئيسًا بعد مقتل سلفه الرئيس تميامیرا) ان بلاده «مهدّدة بحرب إبادة أسوأ من تلك التي شهدتها رواندا»، وانه «مع تدخل أجنبي» في بلاده إذا وصلت الازمة إلى «الحد الذي يتطلب هذا التدخل».. وأعرب عن حذره الشديد من القوات المسلحة البوروندية التي تسيطر عليه قبيلة التوتسي (أقلية في البلاد). وكانت زوجته قتلت في محاولة الانقلاب الفاشلة التي قامت بها عناصر من الجيش في تشرين الثاني ١٩٩٣، واغتيل فيها الرئيس ملكيور نداداي.

واستمرت أعمال العنف والتقتيل بين القبيلتين في بوروندي بصورة متقطعة، لكن وسط مخاوف من اندلاع المجازر مجدّدًا، ما دفع بالاجانب (الاميركيون والبلجيكيون بصورة خاصة) إلى مغادرة بوروندي، ووسط أنباء (في نيسان وايار ١٩٩٥) عن خطة لاقامة دولتين للهوتو والتوتسي تبحث في واشنطن ويؤيدها بعض الزعماء الافارقة، منهم الرئيس الكيني دانيال آراب موي الذي اعتبر (في ٢٩ نيسان ١٩٩٥) ان «أحد

بلجيكيتان في طريقهما الى مطار بوجومبورا في إطار عمليات إجلاء الاجانب (نيسان ١٩٩٥).

سبل حل النزاع قد يكون تجميع كل الهوتو في بوروندي وكل التوتسي في رواندا أو العكس». وجاء كلام الرئيس الكيني هذا بعد اجتماعه مع مساعد وزير الخارجية الاميركي للشؤون الافريقية بعد الزيارة التي قام بها الأخير إلى رواندا وبوروندي.

في أول تشرين الثاني ١٩٩٥، اندلعت معارك عنيفة في العاصمة (نحو ٢٥٠ قتيل من الهوتو برصاص القوات المسلحة)، وسيطرت أجواء من المخاوف من ان تعود بوروندي إلى دائرة العنف. وقبل ايام قليلة من معارك العاصمة كانت حكومة بوروندي قد اتهمت جنود التوتسي بذبح ٢٥٣ مواطناً من الهوتو في منطقة نائية شمالي البلاد.

خلفية وواقع ما بين الهوتو والتوتسي

في ١٨٩٨، أحكمت المانيا سيطرتها الاستعمارية على عدد من دول القارة السوداء، من بينها بوروندي ورواندا اللتان كانتا تشكلان دولة واحدة. وفي ١٩٢٣، دخلت الدولتان تحت الانتداب البلجيكي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. ولم تبرز بوروندي كدولة مستقلة إلا في أول تموز ١٩٦٢، لكن نفوذ بلجيكا ظل طاغيًا في تسيير شؤون الحكم في البلاد. وهذا النفوذ لعب، قبل الاستقلال وأثناءه وبعده لمصلحة تسليم السلطة للاقلية التوتسية التي لا تمثل أكثر من ١٤٪ من السكان.

شكل الملك وامبوتسا الرابع اربع حكومات في خلال عامين فقط، بين ١٩٦٣ و١٩٦٥. وفي كانون الثاني ١٩٦٥، اغتالت عناصر توتسية متطرفة رئيس وزراء بوروندي جاندادو الهوتي فغرقت البلاد في حمام دم إثر اشتعال مواجهات عرقية بين التوتسي والهوتو. ومن المفارقات ان وافق الملك البوروندي على إجراء انتخابات اشتراعية في البلاد بغية احتواء الموقف بناء على نصيحة بلجيكية. وجاءت النتيجة ٢٣ مقعدًا للهوتي في مقابل ١٠ مقاعد للتوتسي، ومع ذلك اختار الملك رئيس الحكومة من بين نواب قبيلته التوتسي. وعلى أثر انقلاب فاشل دبّره الهوتو شنّ الحكم والجيش حملة إبادة جماعية ضد الهوتو وتصفية معظم قياداتهم السياسية (القبائل التوتسية التي لا تشكل أكثر من ١٤٪ من شعب بوروندي تسيطر على الجيش بنسبة ٩٥٪).

حاول الهوتو، من دون جدوى، قلب النظام في ١٩٦٩، ودفعوا الثمن غاليًا، علاوة على ان التوتسي احكموا قبضتهم على كل المرافق الامنية والعسكرية. وإزاء شعور الاستكبار لدى التوتسي، والعزل والمهانة لدى الهوتو، انفجر الوضع في ١٩٧٢ بين الهوتو المسلحين بالسيوف والسكاكين والحجارة، والتوتسي المدججين بالاسلحة الحديثة، في معركة غير متكافئة (بين ٢٠٠ و٣٠٠ ألف قتيل).

واندلعت شرارة الحرب الاتنية للمرة الرابعة في ١٩٨٨. ومع هبوب رياح الديمقراطية (١٩٨٩-١٩٩٠، تداعي جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفياتي)، اقتحمت بوروندي في تجربة الانتخابات الرئاسية والاشتراعية، وفاز بالرئاسة مرشح الهوتو ميلكور نداداي، فأضحى أول رئيس هوتي في بوروندي (في تموز ١٩٩٣) منذ اربعة قرون كاملة. لكن تجربة الديمقراطية هذه لم تؤد إلى حل، وبقيت المشكلة على حالها بين

الهوتو والتوتسي (راجع الموضوع السابق «نظرة عامة»، و«زعماء ورجال دولة»).
ثمة قسمة نفسية-اجتماعية تباعد بين القبيلتين. فالتوتسي هم من ارستقراطية الرعاة الذين يشعرون دائمًا بتميزهم عن الهوتو، المزارعين الذين ندر ان امتلك واحد منهم ارضًا خاصة به.
والتوتسي اعتادوا في غابر الازمان ان يعاملوا الهوتو وكأنهم عبيد لهم. ثم أتى الاستعمار البلجيكي ليجعل من التوتسي نخبة حاكمة في كل من الدولتين رواندا وبوروندي، ضاربًا عرض الحائط بمنطق يفرض ان يكون للأكثرية العددية مكانتها. وهكذا، مع مضي الزمن ازداد استعلاء التوتسي وازداد حقد الهوتو، وكان الانفجار محتم الحدوث على الدوام.
والسبب الأهم في التباعد كامن في الاصل الاتي. فالهوتو (٨٧٪ من سكان رواندا، و٨٥٪ من سكان بوروندي) هم عناصر قبائل تنتمي إلى مجموعة شعوب البانتو الذين أتوا منذ مطلع التاريخ الميلادي من غرب افريقيا ووسطها، ووصل بعضهم إلى جنوبها في زيمبابوي وزامبيا وجنوب افريقيا، ويعملون في الزراعة وتربية المواشي. أما التوتسي (١٢٪ في رواندا و١٤٪ في بوروندي)، فيرجح أنهم أتوا من الشمال والشرق أو شمال شرق افريقيا والصومال في القرن السادس عشر الميلادي. والتوتسي من العرق الذي يعرف باسم «هيمه» ويسكن أفراده منطقة البحيرات العظمى وبعض مناطق أوغندا الجنوبية، ويعمل معظمهم في الرعي، ويتميزون بتقاليد حربية عريقة مكّنتهم من فرض سيطرتهم على الحكم في البلدين منذ القرن السادس عشر وحتى انتهاء الاستعمار البلجيكي وإعلان الاستقلال عام ١٩٦٢ من خلال نظام ملكي، لا بل حتى ١٩٩٣، تاريخ انتخاب أول رئيس من الهوتو، ميلكور نداداي. وثمة اساطير شعبية في بوروندي تدور حول ان التوتسي من نسل الشياطين، وان مجموعة صغيرة منهم وصلت البلاد التي تشكل حاليًا رواندا وبوروندي وأقاموا فيها، وأحبهم أهل تلك البلاد «المسالمين الطيبين». لكن في صباح يوم أسود أفاق هؤلاء الأهالي ليجدوا الآلاف من التوتسي يحملون الاسلحة الحديدية، وعلى صهوات الخيل، يقتلون كل من تقع اعينهم عليه من الهوتو.
أما أقدم سكان البلدين (أقدم من الهوتو والتوتسي) فهم من قبائل توا (Twa)، وينتمون إلى مجموعة أقوام «بيغمه» القاطنين في أدغال الكونغو، لكنهم لا يشكلون سوى ١٪ من مجموع سكان بوروندي.

زعماء ورجال دولة

* **باغازا، جان باتيست Bagaza, J. B.** (١٩٤٦ -): راجع النبذة التاريخية.

* **بويويا، بيـار Buyoya, P.** (١٩٤٩-): راجع النبذة التاريخية.

* **تميامـيرا، سـفريان Tamyamyra,S.** (- ١٩٩٤):راجع النبذة التاريخية.

* **تيبنغانيـا، سيلفستر Tybengania,S.**: الرئيـس الحالي لبوروندي خلفًا للرئيس تميامبرا. من الهوتـو، وأسند رئاسة الحكومـة إلى أنـاتول كـانينكيو (مـن التوتسي). ومع ذلك، لم يرض الجيـش البورونـدي بتقاسم السلطة على مستوى هرم الدولـة، إذ بـات يخشى حـدوث اتفـاق بين رئيـس الدولـة ورئيس الحكومـة علـى قضايـا تمس المؤسسـة العسـكرية بصورة مباشرة، أي اجراء اصلاحات راديكالية في الجيش بحيث لا يكون تحت سيطرة الاقلية التوتسية بنسبة ٩٥٪. وتفاديًا لقيام الجيش بمحاولة انقـلاب جديـدة، أجـرى تيبنغانيـا تعديـلات جذريـة في تشـكيلة الحكومـة، بحيـث أعيـد توزيـع الحقـائب الوزاريـة (ربيـع ١٩٩٥) مناصفـة بـين الهوتـو والتوتسـي، أي ١٢ وزيـرًا هوتيًـا في مقـابل ١١ وزيرًا توتسـيًا، ووافـق علـى مضض علـى مطلـب المعارضة التوتسية في حلول دوايو محل كانينكيو في رئاسة الحكومـة. إلا ان الاحـزاب الهوتيـة اعتـبرت هذه الاجراءات تنـازلات مرفوضـة لأنهـا تكشـف مـدى ضعـف رئيـس الدولـة إزاء الضغوطـات والمطـالب التعجيزيـة الـتي يتعرض لهـا مـن قبـل القيادات التوتسية (راجع ايضًا النبذة التاريخية).

* **ميكومبـيرو، ميشـال Micombero,M.** (١٩٤٠-١٩٩٣): رئيـس دولـة بورونـدي مـن تشرين الثاني ١٩٦٦ إلى ١٩٧٦.
تعلـم في كليـة الـروح القـدس الكاثوليكيـة في بوجومبـورا. أتـم دراسته في الاكاديمية الحربيـة في بروكسـيل. عـين رئيسًـا للاركـان في ١٩٦١، ثـم وزيرًا للدفاع القومـي. وزيـر الخارجيـة (١٩٦٥-١٩٦٦). رئيـس الـوزراء في تمـوز ١٩٦٦، وفي تشرين الثاني عـين رئيسًـا للدولـة حتى عزلـه إثـر انقلاب عسكري ضـده في تشـرين الثـاني ١٩٧٦ (راجع النبذة التاريخية).

* **نـداداي ميلكـور Ndadaye,M.** (١٩٥٣-١٩٩٣): رئيـس بورونـدي لنحـو شـهرين فقـط (صيف ١٩٩٤، راجع النبذة التاريخية)، لكنه تـرك أثرًا كبيرًا ومدرسة في «الوحدة الوطنيـة» لخـلاص بورونـدي مـن فواجعهـا ومجازرهـا الأهليـة. فـور إعـلان نبـأ فـوزه في الانتخابـات الرئاسـية قـال: «فوزي لا يعـني إطلاقًـا انتصـار جـزء مـن سـكان بوروندي على جزء آخر، ولا هزيمة مجموعـة اثنيـة مـا مـن قبـل مجموعـة أخـرى، بقـدر مـا هـو، في تقديـري، فـوز للديمقراطيـة في بلدنـا لا أقـل ولا أكثر».
حرص الرئيس نـداداي، منـذ اليـوم الأول لولايتـه، علـى قلـب صفحـة المـاضي بكـل مـا تحملـه مـن ذكريات أليمة، بدليل سماحه للرئيس السابق باغازا (١٩٧٦-١٩٨٧) بـالعودة إلى بوجومبـورا، وإطلاقـه سـراح سـفريان بونمبـا، وزيـر الخارجيـة السابق الـذي تـورط في محاولـة انقـلاب فاشـلة في ١٩٩١، ضـد الرئيـس بيـار بويويـا (١٩٨٧-١٩٩٣) وتعيـين سـيلفي كينيجيـي (توتسـية) أول إمرأة كرئيسة للـوزراء. وكـان بصـدد العمـل لـرد الاعتبـار لكـل البورونديـين الذيـن سـقطوا إبـان الحروب الأهلية طوال تاريخ البـلاد منـذ استقلالها قبل ٣١ سنة، واشـتراك كـل الفعاليـات السياسـية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في رسم مشروع

إعادة بناء بوروندي وتنفيذه على قاعدة وطنية سليمة، بعيدة عن أمراض الحسابات الفئوية والعشائرية والقبلية والاتنية.

وكان الرئيس نداداي يحلم بالقيام باصلاحات راديكالية في المؤسسة العسكرية القائمة على خلفية عرقية، باضفاء بعد وطني على كل هياكلها، هذا البعد الذي لم تتمتع به منذ استقلال البلاد. فكان يخطط لحصر دور الجيش في حماية الحدود والدفاع عن الشعب، فلا يزج نفسه خلف أي ذريعة كانت في معمعة المعارك السياسية بين الاحزاب الوطنية.

لكن سياسة نداداي الوطنية، خاصة منها الشق المتعلق بانفتاحه على التوتسي (وكان هو من الهوتو وأول رئيس هوتي على البلاد)، لم تشفع عنه، إذ رفض الجيش منذ البداية ان يكون خاضعًا لرئيس هوتي، فدبّر انقلابًا دمويًا بعد شهرين فقط من أداء الرئيس نداداي القسم امام الشعب، وقضى الرئيس المنتخب للمرة الاولى في تاريخ البلاد في حمام دم الانقلاب الذي اجتاح بوجومبورا في ٢١ تشرين الاول ١٩٩٣.
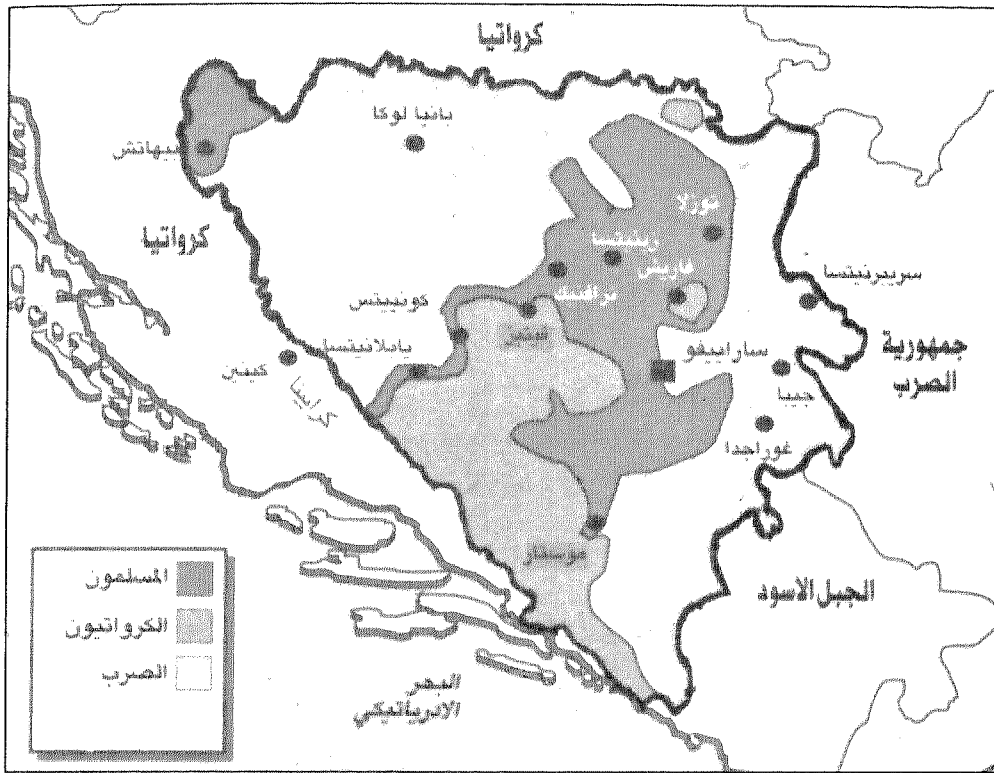
مناطق تواجد المسلمين والكروات والصرب في البوسنة–الهرسك.

خريطة يوغوسلافيا قبل الحرب العالمية الثانية (راجع ايضا البلقان في هذا الجزء).

البوسنة-الهرسك

بطاقة تعريف

الموقع: في البلقان (أوروبا). شكّلت البوسنة-الهرسك، بين ١٩٤٥ و١٩٩١، إحدى الجمهوريات الست في يوغوسلافيا الفدرالية. وإسم الهرسك مشتق من الاسم الألماني «هرتسوغ» الذي يعني «الدوق»، ويطلق على نحو ثلث المناطق الواقعة قرب الساحل.

المساحة: ٥١١٢٩ كلم م. (منها ٩١١٩ مساحة الهرسك).

العاصمة: سارايفو، كانت تعد نحو ٥٥٠ ألف نسمة في العام ١٩٩١، فأصبحت تعد نحو ٣٠٠ ألف في العام ١٩٩٤ (بسبب الحرب).

اللغة: الصربية-الكرواتية.

الاديان: المسلمون (سلاف اعتنقوا الاسلام إبان الحكم العثماني) ٤٤٪ وأكثريتهم سكان المدن. صرب (أرثوذكس) ٣٣٪، وأكثريتهم سكان الارياف. كروات (كاثوليك) ١٨٪، ويسكنون المناطق الشمالية والمناطق الجنوبية الغربية.

اعترف نظام الرئيس تيتو، في ١٩٦٨، بالهوية الخاصة لسلاف البوسنة-الهرسك الذين ليسوا صربًا ولا كرواتًا، والذين يدينون بالاسلام. «والهوية الاسلامية عند مسلمي البوسنة-الهرسك لا يعني بالضرورة انتماء دينيًا وطائفيًا غالبًا على الانتماء الوطني والقومي» (هذا الرأي تجمع عليه المراجع الأجنبية ولا تنفيه المراجع العربية والاسلامية).

السكان (ومحطات تاريخية كبرى): يبلغ تعدادهم نحو ٤،٥ ملايين نسمة (لتوزعهم الديني، راجع «الاديان»). وهذه بعض التواريخ-المحطات الكبرى في كل من البوسنة والهرسك:

البوسنة:

في القرن السابع، كان يسكنها شعب سلافي. في القرن العاشر، بدء إقامة هيكلية تنظيمية للدولة. في ٩٤٨، خضعت لسيطرة الحاكم الصربي كاسلاف كلونيميروف بمساعدة أسياده البيزنطيين. في ٩٩١، خضعت لسيطرة البلغار، وفي ١٠١٨ لسيطرة البيزنطيين مباشرة. في ١٠٤٢، ضمها الملك إتيان الاول للملكة الكرواتية. بين اواخر القرن العاشر والعام ١٢٥٠، انتشار البوغوميلية (مذهب مسيحي). في بداية القرن الثاني عشر، عرفت البلاد استقلالها وبات الحكم فيها لزعماء (بان) محليين. في ١١٣٨، مقاطعة من المملكة الهنغارية-الكرواتية، واستقلال ذاتي (زعماؤها يقال لهم «بان»). في ١٢٩٩، من ممتلكات الامراء الكروات، وفي ١٣٢٢، عادت لتكون إقطاعية هنغارية-كرواتية. في ١٣٧٧، أكبر زعماء البوسنة، توج ملكًا على الصرب والبوسنة، ويدعى تفرتكو كوترومانيك. في ١٤٦٣، غزو تركي وبداية الحكم العثماني والأسلمة، والسلطان محمد الثاني يضمن حرية المعتقد الديني للمسيحيين في سنجقية البوسنة. في ١٥١٦، حملات قمعية متفرقة. في ١٨٧٨، المملكة النمساوية-الهنغارية تحتل البوسنة، وفي ١٩٠٨ تضمها إليها من دون أن توحّد بين البوسنة والهرسك. في ٢٨ حزيران ١٩١٤، حادثة سارايفو الشهيرة (اغتيال وريث عرش النمسا-هنغاريا). في ٢٦ تشرين الاول ١٩١٨، إعلان استقلال الاقاليم السلوفينية والكرواتية والصربية عن النمسا-هنغاريا، و«المجلس-

الوطني» في زغرب يقرر الاتحاد بين الصرب والكروات والسلوفين: أول حكومة وطنية للبوسنة-الهرسك.

الهرسك:
في القرن السابع، كان يسكنها شعب سلافي. في القرن التاسع، كانت مقسمة إلى إمارات (يقال لها «راسكا» و«زيتا»). بين ١٣٢٢ و١٤٦٣، كانت منضمة إلى البوسنة. بين ١٣٩١ و١٤٨٢، حكمها دوقيات كروات وبشكل مستقل. في ١٤٤٨، الدوق إتيان فوكتشيتش، منحه الامبراطور الألماني فريدريك الثالث لقب «هرتسوغ»، حكم الهرسك ومن لقبه كان الإسم المعروف اليوم (الهرسك). في ١٤٧٠-١٤٨٢، الغزو التركي، وفي ١٥٨٠، ضمّها الاتراك إلى البوسنة. بين ١٨٣٢ و١٨٥١، مستقلة استقلالاً داخليًا، ويحكمها الوزير علي باشا ستوتشيفيتش. في ١٨٧٥-١٨٧٨، انتفاضة مسيحية. في ١٩٠٨، المملكة النمساوية-الهنغارية تضمها إلى البوسنة (راجع النبذة التاريخية).

الحكم والاحزاب في البوسنة-الهرسك: نظام الحكم جمهوري: رئاسة جماعية، للرئيس ستة نواب رئيس منتخبين بالاقتراع العام والتسامل. الرئيس الحالي علي عزت بيكوفيتش (من حزب العمل الديمقراطي)، انتخب في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٠ بين ٢٨ مرشحًا. رئيس الوزراء منذ ١٩٩٠، جور ريليفان. البرلمان: المجلس الاجتماعي الاقتصادي (١٣٠ عضوًا منتخبين بالاقتراع النسبي) ومجلس النواب (١١٠ اعضاء بالانتخاب الأكثري وعلى دورتين). رئيس البرلمان يكون صربيًا، ورئيس الوزراء كرواتيًا.
في البوسنة-الهرسك ثلاثة احزاب رئيسية تمثل شعوب البوسنة-الهرسك الثلاثة: حزب العمل الديمقراطي (المسلمون، ٤٠٪)، والاتحاد الديمقراطي الكرواتي (الكروات، ١٨٪)، والحزب الديمقراطي الصربي (الصرب، أقل من ٤٠٪).
يعمل حزب العمل الديمقراطي على إقامة دولة موحدة بجيشها وشرطتها ونقدها. ويعمل الاتحاد الديمقراطي الكرواتي على إقامة دولة فدرالية مكوّنة من عدة كانتونات إتنية وتضمن حقوق الاقليات. ويعمل الحزب الديمقراطي الصربي على تقسيم البوسنة-الهرسك إلى ثلاث دول، حيث دولة صرب البوسنة تشكل ثلثي اراضي البوسنة-الهرسك؛ أما الكروات فيكون لهم الهرسك الغربية وجيب في وسط البوسنة يسكنه نحو ١٢٥ ألف كرواتي؛ والباقي يكون من نصيب المسلمين؛ وهذا التقسيم (الذي يقترحه صرب البوسنة) لا يأخذ بعين الاعتبار الاقليات المتواجدة في المناطق الصربية.

في أجواء استمرار المعارك في البوسنة-الهرسك، انصب الاهتمام الدولي على إيجاد حل للمشكلة. وأول خطة وضعت (رفضها الصرب واستمرت الحرب) كانت تحت إسم «خطة المؤتمر الوطني للسلام» (أو خطة فانس-أوين)، وقضت بتقسيم البوسنة-الهرسك إلى عشر مقاطعات على أساس إتني (٣ مقاطعات غالبية سكانها صرب وتشكل ٤٣٪ من مجموع مساحة البلاد، و٣ مقاطعات غالبية سكانها كروات وتشكل ١٥٪ من المساحة، و٣ مقاطعات غالبية سكانها مسلمون وتشكل ٢٥٪ من المساحة في حين ان المسلمين كانوا يشكلون ٤٤٪ من مجموع السكان قبل بدء الحرب)، ومقاطعة ساراييفو التي تصبح منزوعة السلاح وتتمتع بنظام خاص. الدستور يكون دستورًا لدولة غير مركزية، ولكل مقاطعة برلمان لكن من دون ان يكون لها شخصية قانونية دولية. ورئاسة الجمهورية مجلس من ثلاثة اعضاء يمثلون المجموعات الثلاث، ـــــ

وتجري أول انتخابات برعاية الامم المتحدة والمجموعة الاوروبية. قبل الكروات هذه الخطة، وكذلك المسلمون، ورفضها برلمان صرب البوسنة-الهرسك، واستمرت الحرب، واستمرت المبادرات والخطط الدولية وصولاً إلى الخطة الاميركية الاخيرة في صيف ١٩٩٥ (راجع «البلقان» في هذا الجزء، والنبذة التاريخية التالية).

نبذة تاريخية

تحول البوسنيين إلى الاسلام: عندما احتاح الاتراك البلقان في نهاية القرن الرابع عشر، تحول البوسنيون، ولا سيّما ملاّك الاراضي، إلى الاسلام. أما الصربيون فقد خاضوا معارك طاحنة ضد الاتراك وتحولت مقاومتهم المسلحة إلى نوع من الاسطورة الوطنية التي ما تزال حية في ذاكراتهم حتى اليوم (للمرحلة السابقة على الاجتياح التركي، راجع «السكان، ومحطات تاريخية كبرى» في بطاقة تعريف).

عن أساس هذا التحول، جاء على قلم الصحافي والكاتب اللبناني محمد السماك («الحياة»، العدد ١٠٩٩٠، تاريخ ١٥ آذار ١٩٩٣، ص٨):

في الأساس كان البوسنيون اصحاب عقيدة مسيحية خاصة تؤمن بالسعادة المباشرة مع الله وتعرف بـ«البوغوميل» (Bogomile)، نسبة إلى مؤسسها الراهب بوغوميل. وثمة نظرية أخرى تنسب نشؤ هذا المذهب المسيحي إلى راهب آخر هو جيرميه (Jermieh). وقد يكون هذا الأخير مجرّد مساعد للراهب بوغوميل. وربما يعود هذا الالتباس إلى أمرين: الاول ندرة المعلومات عن البوغوميلية، والثاني هو ان مصادر هذه المعلومات اما ان تكون كاثوليكية أو أرثوذكسية، والاثنتان معاديتان للبوغوميلية.

تتميز عناصر الايمان المسيحي لدى هذا المذهب عن بقية المذاهب المسيحية بالامور الآتية: ١- انكار الولادة الالهية للمسيح؛ ٢- عدم الايمان بنظرية الثالوث المقدس (الآب والابن والروح القدس)؛ ٣- اعتبار ان معجزات السيد المسيح حدثت بالمعنى الروحي وليس بالمعنى المادي؛ ٤- رفض المراسم والاحتفالات الدينية؛ ٥- عدم الاعتراف بالهيكلية الدينية (الاكليروس) وممارسة الصلاة في أي مكان وليس بالضرورة في مبنى عام اسمه الكنيسة، ويمكن ان يترأس الصلاة أي واحد من المؤمنين من دون ان يكون رجل كهنوت؛ ٦- عمادة المؤمنين يجب ان تتم بعد سن البلوغ وليس عندما يكونون أطفالاً، والعمادة لا تكون لا بالماء ولا بالزيت انما بالصلاة والتطهر النفسي.

هذا المذهب المسيحي الذي ظهر في بلغاريا في عهد الملك بطرس (٩٢٧-٩٦٨) انطلق من معتقدات دينية كانت سائدة في

ذلك الوقت في بلغاريا وروسيا وحوض البحر الأسود (وتقول بثنائية الكون)، ووصل إلى صربيا وانتشر فيها فترة طويلة من الزمن. ولكن حدث ان ملك صربيا ستفين نيمانيا ارتد عن البوغوميلية واعتنق الارثوذكسية، ثم اضطهد اتباع مذهبه السابق، ونكل بهم وأعدم اعداداً كبيرة، فهاجر كثيرون من صربيا إلى البوسنة-الهرسك وعرفوا باسم «باتاران»، وامتد نفوذهم حتى ايطاليا.

وظل اتباع البوغوميلية يتعرضون لحملات عسكرية، بتهمة انهم زنادقة، من الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية، حتى ان روما جيّشت قوات من رومانيا للقضاء عليهم. واستمر الامر على هذه الحال حتى نهاية القرن الخامس عشر عندما اجتاح الاتراك البلقان، وكان البوغوميليون يستنجدون بالاتراك منذ ١٤٥٣. ومع موت الملك الروماني هونياوس الذي كان متحالفاً مع روما ضد البوغوميلية، واعتلاء السلطان محمد الثاني العرش العثماني، بادرت السلطنة إلى غزو صربيا في ١٤٦٣ بقيادة محمد الثاني نفسه الذي اعتقل الملك الصربي، توروماشيفيك، وأعدمه، وحوّل البوسنة إلى مقاطعة تركية عاصمتها الادارية كرافنيك (ثم سارايفو). وفي ١٤٨٣، احتل الاتراك الهرسك ايضاً. وخلال الاحتلال التركي تعرّف البوغوميليون على الاسلام واعتنقوا الدين الجديد، وتولّى عدد منهم مناصب مهمة في الدولة العثمانية من بينهم الوزير محمد سوكولي (الحقيقة انه حتى المراجع الاجنبية التي يمكن اعتبارها معادية للاسلام لم تستطع ان تذكر، او تبرهن، ان تحوّل البوسنيين المسيحيين البوغوميليين قد حدث بالاكراه والضغط والعنف).

يتهم اليوم (والكلام ما يزال لمحمد السمّاك) الصرب والكروات شعب البوسنة بأنه تحول إلى الاسلام للمحافظة على أملاكه من الاراضي. غير ان الواقع هو انه هناك هوة عميقة في العقيدة الدينية بين البوغوميلية وكل من الارثوذكسية والكاثوليكية. وقد وجد البوغوميليون أنفسهم اقرب إلى الاسلام ولفطرته البسيطة، فاعتنقوه. ولو انهم فعلوا ذلك من اجل المحافظة على املاكهم لما وقفوا قبل الغزو التركي ضد الصرب والكروات لسنوات طويلة ولما آثروا الهجرة بمعتقداتهم الدينية من بلغاريا إلى صربيا، ومن صربيا إلى البوسنة-الهرسك تاركين وراءهم مزارعهم وبيوتهم. ثم ان الاتراك لم يكونوا يصادرون املاك المسيحيين (بصفتهم اهل كتاب). المهم ان العداء السابق للغزو التركي للمنطقة بين البوسنيين وكل من الصرب والكروات الذي كان ينطلق من خلافات دينية مسيحية فقط، أخذ ابعاداً أشد حدة بعد الغزو التركي حين قامت أسس جديدة للعداء، على قاعدة خلافات دينية مسيحية-اسلامية. فقد اسقط الصرب الصفة القومية المحلية عن المسلمين وربطوهم بالقومية التركية باعتبار ان الاتراك المسلمين كانوا يسيطرون على المنطقة.

يقول الاديب البوسني محمد فيليبوفيتش: «منذ القرن الخامس عشر بدأ سكان هذه المنطقة اعتناق الاسلام، دين الامبراطورية العثمانية التي فتحت عموم البلقان، وكان سكان البوسنة منذ ذلك الوقت خليطاً من الاجناس والاعراق: سلافيين وصربيين وغجراً وكرواتيين،

الحروب التركية – الصربية، أزياء العصر: الرجال الثلاثة الى يسار الصورة أتراك: ضابط ومدني وجندي. والرجال الثلاثة الى اليمين: ضابط صربي (الى اليسار)، وبوسني (في الوسط) ورجل من الجبل الاسود – مونتينيغرو
(«لوموند ديبلوماتيك»، عدد تشرين الاول ١٩٩٥، ص ١٣)

وإيطاليين ويونانيين. وهم ما يزالون على هذا القدر من التعدد العرقي حتى اليوم، أضيف إليهم في ما بعد الاتراك والآسيويون والعرب والارمن الذين وصلوا بعد الفتح العثماني ومعه، وكان الذين يدخلون الدين الجديد هنا من جميع هذه الاعراق والاجناس، غير ان نظام الامبراطورية كان في ذلك الوقت يعترف بخصائص الشعوب وقومياتها واتجاهات تطورها وحياتها ويحترمها، وهذه القاعدة هي في الواقع جزء من قواعد الاسلام كدين.

لقد خضعت البوسنة، اذًا، إلى أربعة مؤثرات: الاول، تأثير الامبراطورية العثمانية؛ الثاني، اتجاه الداخلين في الاسلام إلى التخلي عن عاداتهم وتقاليدهم القومية والدينية السابقة واحلال عادات وتقاليد نابعة من الاسلام شيئًا فشيئًا، حتى صارت تشكل نمط حياة واحدًا يجمع هؤلاء السكان المسلمين من مختلف الاتنيات؛ الثالث، إطار الروح الثقافية الذي شكله الاسلام والمتمثل في نظام فكري وادبي (وحتى لغوي) بين هؤلاء المسلمين الجدد المتعددي القوميات؛ الرابع، وهو العامل الحاسم، تمسك هؤلاء بالارض التي يعيشون عليها منذ مئات السنين، أرض البوسنة–الهرسك وعدم مغادرتها، مما جعل هوية الانتماء إلى الارض تمتزج بهوية الانتماء إلى الاسلام، وتكون بالنتيجة هذه الرابطة الفريدة».

اندحار العثمانيين واحلال النمسا–المجر محلها: إن مقاومة الصرب للعثمانيين كانت الأشد في البلقان كافة. فكانت الحروب سجالاً بين العثمانيين وبين الصرب الذين تحصنوا في الجبال والغابات. ولم يتمكن العثمانيون من اقتحام بلغراد إلا بعد ١٣٢ سنة من وجودهم في كوسوفو و٨٦

سنة من وجودهم في سارايفو. وكان ذلك في ١٥٢١ اثر حملة اعتبرها المؤرخون من اقوى حملات الفتح العثماني التي أعدّها وقادها السلطان سليمان القانوني، ومع هذا استمرت غارات الصرب على المراكز التركية، واستطاعوا في ١٦٨٨ و١٨٠٦ و١٨١٥ اخراج العثمانيين لسنوات عدة من بلغراد.

وفي ١٨٦٢، ترك العثمانيون بلغراد نهائيًا، فصفا الجو للصرب وزحفوا على ما تبقى من المواقع العثمانية وأخذوا بالضغط على المسلمين للحاق بالاتراك. واستمر الأمر إلى ان انفجرت حروب البلقان في ١٩١٢-١٩١٣ وبسط الصرب سيطرتهم على السنجق وكوسوفو، وقسّموا مقدونيا بينهم وبين البلغار واليونانيين.

في ١٨٧٦-١٨٧٨، خسر العثمانيون الحرب امام روسيا المدعومة من عموم اوروبا. وفي اعقاب هذه الحرب عقد مؤتمر برلين برئاسة بسمارك مستشار المانيا، وعضوية السلطنة العثمانية، ومعظم الدول الاوروبية النافذة، وكانت حصيلة المؤتمر «معاهدة برلين ١٨٧٨» التي اضطر العثمانيون، بموجبها، ترك البلاد (البوسنة-الهرسك) من دون قتال، فدخلت في حكم امبراطورية النمسا-المجر (استمر وجود العثمانيين في سارايفو ٤٤٣ عامًا، وفي كل البوسنة-الهرسك ٤١٥ عامًا).

حدود البوسنة-الهرسك التاريخية:

جاء في مقال لسفير جمهورية البوسنة-الهرسك في الرياض (المملكة العربية السعودية)، سناهد بريستريتش، نشرته «الحياة» (في عددها الصادر تاريخ ٢٨ آب ١٩٩٥):

«... فحدود البوسنة معروفة بالادلة والوثائق منذ أمد طويل حتى أثناء التغييرات التي طرأت على المنطقة خلال القرون الوسطى، كما انها كانت محدّدة ومعروفة قبل مجيء العثمانيين إلى المنطقة وخروجهم منها، كذلك كان هذا هو حال حدودها في إطار الامبراطورية النمساوية-المجرية، وفي عهدي يوغوسلافيا الاولى والثانية. وأثبتت هذه الحدود ووثقتها عدة مؤتمرات ومعاهدات دولية نورد بعضًا منها:

١- في عقد دولي موقع في ٢٦ كانون الثاني ١٦٩٩ في سريمسكي كارلوفتسي بين النمسا وبولندا والبندقية وروسيا من جانب والامبراطورية العثمانية من جانب آخر.

٢- عقد موقع في ٢١ تموز ١٧١٨ في بوزاريفاتس بين النمسا والبندقية مع انكلترا وهولندا كوسيطين من جانب، والامبراطورية العثمانية من جانب آخر.

٣- بعد الحرب النمساوية-التركية التي انتهت بعقد السلام في ١٨ ايلول ١٧٣٩، حدّد هذا العقد حدود الامبراطورية النمساوية-المجرية من جانب، والحدود العثمانية من جانب آخر على شمال نهر سافا كحدود نهائية للبوسنة.

٤- وعقد آخر وقع في ٤ آب ١٧٩١ في مدينة سفيستوفو بين النمسا وروسيا وانكلترا وبروسيا من جانب، والعثمانيين من جانب آخر أكدوا فيه من جديد الحدود البوسنية القائمة.

٥- في مؤتمر فيينا في ١٨١٥ بين النمسا وبروسيا وانكلترا وروسيا من جانب، والعثمانيين من جانب آخر، بالاضافة إلى مؤتمرات أخرى من بينها ما

عقد في سانت جيرمان وبرلين وغيرها».

في إطار المملكة الصربية-الكرواتية (يوغوسلافيا): كانت الامبراطورية النمساوية-المجرية قد دمجت البوسنة (دون الهرسك) بها في ١٩٠٨، في حين كانت مطالب الصرب ودعواتهم وحركاتهم وتنظيماتهم السياسية تنصبّ على العمل من أجل قيام دولة صربيا الكبرى، فتضم البوسنة وكرواتيا وسلوفينيا إلى صربيا، مما يستدعي طرد النمساويين من البلقان بأسره. وجاء اغتيال وريث عرش النمسا الارشيدوق فرنسوا فرديناند، في ٢٨ حزيران ١٩١٤، في سارايفو، على يد طالب صربي هو غافريلو برينتسيب، في سياق هذه المطالب الصربية. والرأي الغالب لدى المؤرخين أن أحدًا من البوسنيين، في تلك الفترة (سنوات ما قبل الحرب العالمية الاولى وإبانها)، لم يكن يفكر في الصراعات الدينية أو القومية؛ فحتى الطالب الصربي الذي اغتال ولي عهد النمسا كان عضوًا في منظمة «بوسنا الفتاة» التي كانت غالبية اعضائها من المسلمين العاملين من اجل انهاء الهيمنة الاجنبية على البلاد. وبعد الحرب، لم تسجّل الوقائع معارضة اسلامية لتشكيل مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين (١٩١٨) التي سميت في ما بعد «مملكة يوغوسلافيا»، ثم بعد الحرب العالمية الثانية «جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الفدرالية».

المؤرخ البوسني محمد فيليبوفيتش يقول: «انه بعد اندحار امبراطورية النمسا-المجر في الحرب العالمية الاولى وانهيارها تشكلت للمرة الاولى حكومة مستقلة في البوسنة لم تدم طويلاً، وحين قامت المملكة الصربية-الكرواتية رفضت الاعتراف باستقلالنا، وضمتنا إليها بقوة النظام الدولي الذي أنشأ بنفسه تلك الدولة الاتحادية للمرة الاولى في التاريخ في معاهدة فرساي بباريس عام ١٩١٨ من دون رأي السكان والشعوب فيها، ونتيجة لتقاطع المصالح الدولية بين الحلفاء المنتصرين. ولكن فورًا وبعد قيام المملكة، ظهرت ردود فعل الصربيين والكرواتيين تجاهنا، حيث بدأوا اولاً برفض الاعتراف بنا كشعب، وأصرّوا على تقسيمنا حسب أصولنا العرقية والدينية القديمة، أي كما كانت الحال قبل قرون عدة من دخولنا الاسلام، فأصبحنا بين صربي وكرواتي وسلافي على رغم اننا جميعًا مسلمون، وسلبت جميع أراضينا الوقفية والخاصة وتحولنا إلى أقنان وعبيد لا نملك شيئًا ولا حقوق لنا. وفي ١٩٣٩، ومع بداية الحرب وتفكك المملكة، اقتسم الصربيون والكرواتيون أراضينا وضموها إليهم، فأخذت كرواتيا ١٩ مدينة او جزءًا، وأخذت صربيا الباقي. ومارس كل من الطرفين ابشع الاساليب في اضطهادنا وقمعنا محاولين اعادتنا إلى ديانتنا السابقة ودمجنا ثقافيًا وقوميًا في القومية الصربية او الكرواتية. وتم تدمير كامل لكل ما يرمز إلى ثقافتنا واسلامنا وقوميتنا من مساجد ومقابر وتكايا ورموز. وأحرقوا كتبنا وقتلوا رجال الدين والمفكرين والمعارضين. وأحرقوا املاكنا ومنازلنا بقسوة لم يعرفها غيرنا عبر التاريخ، وانا اقول هذه الكلمات بدقة العالم والمؤرخ، وأعني كل حرف أقوله» (نقلاً عن محمد السماك، «الحياة»، العدد ١٠٩٩٠، تاريخ ١٥ آذار ١٩٩٣، ص٨).

منذ قيام الدولة الفتية، «المملكة

الصربية-الكرواتية»، واجهتها معضلات مستعصية، على رأسها رفض الاقليات القومية لهيمنة العنصر الصربي على الدولة. واعتقد الملك ألكسندر الاول، عام ١٩٢٩، انه وجد حلولاً لهذه المعضلات باعادة بعث البرلمان وفرض دكتاتورية تعتمد على الصربيين. وفي السنة ذاتها اتخذت المملكة إسم «المملكة اليوغوسلافية». لكن الوضع القومي في المملكة لم يتحسن، واستمرت الاقليات، أخصها في كرواتيا ومقدونيا، وإلى حد في البوسنة، على المطالبة بالاستقلال. واعتبر اغتيال الملك الكسندر الاول (١٩٣٤) في مرسيليا (فرنسا) من أعمال متطرفين كرواتيين. وكان بيار الثاني، وريث الملك ألكسندر، ما يزال قاصراً، فحكم خاله الوصي عليه، الامير بول.

في إطار «جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الفدرالية»: شكلت الفاشية الايطالية والنازية الالمانية أكبر خطر على المملكة اليوغوسلافية. ففي آذار ١٩٤١، وبعد ان وقعت كل البلدان المجاورة (باستثناء اليونان) في قبضة هتلر وموسوليني، أعلنت الحكومة اليوغوسلافية انضمامها إلى الحلف الثلاثي الالماني-الايطالي-الياباني، مخالفة بذلك رغبة أكثر مواطنيها. فانتفضت بلغراد واجبرت الملك ووزراءه على الهرب من البلاد. وفي غضون ذلك، غزت الجيوش الالمانية يوغوسلافيا، مما اضطر حكومة الرايخ على تأجيل موعد غزوها للاتحاد السوفياتي. ونظم اليوغوسلاف مقاومة في الجبال. وقد قادت هذه المقاومة حركتان متنافستان، واحدة بقيادة دراجا ميخائيلوفيتش، وأخرى بزعامة جوزف بروز تيتو. وتمكنت هاتان الحركتان، بعد اربع سنوات من اعادة الاستقلال ليوغوسلافيا. وكان الثمن باهظاً، إذ لاقى واحد من تسعة رجال حتفه، ودمرت أغلب المدن اليوغوسلافية بما فيها المنشآت الصناعية. واستلم الشيوعيون، بقيادة تيتو، السلطة رسمياً في تشرين الثاني ١٩٤٥، ومن ثم أعلنت «جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الفدرالية» في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٦، بعد ان تمّ خلع الملك بطرس الثاني.

اعتمد انتصار تيتو بالدرجة الاولى على الصرب لأنهم كانوا يشكلون الغالبية في قواته، ليس لأنه شيوعي (والحزب الشيوعي لم تكن له بعد قاعدة قوية)، وانما كرهاً للألمان، الأعداء التاريخيين للصرب، ولأنه وقف إلى جانب الروس الحلفاء التقليديين للصرب؛ وكان تيتو اختار قيادته قبل الحرب بتكليف خاص من ستالين بعد عزل القيادة السابقة للحزب.

كان الصرب، حتى الحرب العالمية الثانية، مهيمنين على يوغوسلافيا. فهم يشكلون نحو نصف مجموع السكان، ومنهم الملك، وبيدهم السلطات والوظائف الرئيسية. وبعد الحرب، انقلبت الاحوال، وصاروا جزءاً من قرار جماعي يوجهه الكرواتيون والسلوفينيون من خلال تمركز السلطات في يد تيتو (كرواتي) ونائبه ادوارد كارديل (سلوفيني). وتضاءل وجود العناصر الصربية القوية التي شاركت في قيادة قوات الانصار إثر القطيعة بين يوغوسلافيا والدول الشيوعية الأخرى في ١٩٤٨، إذ عارضت غالبية القياديين الصرب ذلك، مما أدّى إلى تصفية الكثيرين منهم جسدياً وعزل الباقين عن المراكز

المهمة. وقسّم تيتو جمهورية الصرب إلى ثلاثة اجزاء، بينما ترك كرواتيا والجمهوريات الأخرى التي لها ظروف مماثلة على حالتها الموحدة. والمجال الوحيد الذي لم يستطع تيتو إبعاد الصرب عنه هو القوات المسلحة، لأن التجنيد العام أعطى الصرب مركز القوة فيها ما دامت لهم الغلبة السكانية.

قبل ذلك، وفي أجواء الحرب الاهلية (والمجازر بين الصرب والكروات) بين ١٩٤١ و١٩٤٣، كان المسلمون عامة، ومسلمو البوسنة خاصة، ضحايا هذه الاعمال العنفية رغم العداء المستحكم بين طرفيها الصربي والكرواتي (راجع «البلقان» في هذا الجزء). ورغم كونه كرواتيًا، فقد اتخذ تيتو، اول الامر، جانب الصرب قبل ان ينقلب عليهم. فاتجه، في ١٩٤٣، نحو البوسنة وأعلن قيام حركة التحرير الشعبية (بارتيزان) المناهضة للفاشية، والتقت مصالحه مع مصالح المسلمين، ووقعت المعارك الضارية بين العصابات الصربية بقيادة دراجا ميخائيلوفيتش من جهة وقوات حركة التحرير الشعبية من جهة أخرى، وأسفرت عن انتصار تيتو في ١٩٤٤ بعد ان دعمته قوات الحلفاء والاتحاد السوفياتي، وتمكن من طرد القوات الالمانية من كرواتيا. وكان تيتو قد أعلن في ١٩٤٣ قيام جمهورية البوسنة كجمهورية مستقلة داخل مشروع اتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية الاشتراكية، و لم يعترف بالقومية البوسنية لشعب «البوشناق» المسلم. وفي ١٩٤٦، وقف ميلو فان جيلاس (راجع «البلقان» في هذا الجزء)، في المؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي في البوسنة-الهرسك، ليعلن «ان الاسلام هنا ديانة وليس قومية». وأيدّه الشيوعي اليهودي موشي بيادة بقوله: «الاسلام علاقة عقائدية، اما السكان هنا فهم إما صرب وإما كروات فقط». وكان هذا المؤتمر للحزب في البوسنة يعكس آراء الحزب الشيوعي اليوغوسلافي وزعيمه تيتو. وفي هذا السياق تمّ إلغاء الاحتفالات الدينية الاسلامية بشكل رسمي في ١٩٤٦ بدعوى انها تشجع على البطالة، وإلغاء العطلة الاسلامية الاسبوعية يوم الجمعة (الجدير ذكره هنا انه في العام نفسه كان تيتو امر باعتقال الكاردينال ستيناك رئيس الاساقفة الكاثوليك في زغرب، فرد البابا بقطع علاقات الفاتيكان بيوغوسلافيا)، في حين استمرت بعض المؤسسات الاسلامية في عملها مثل «المجلس الاسلامي الأعلى» ومقره في سارايفو. لكن، في ١٩٦٨، عاد نظام الرئيس تيتو واعترف بالهوية الخاصة لسلاف البوسنة-الهرسك «الذين ليسوا صربًا ولا كرواتًا، والذين يدينون بالاسلام».

دستور الطائفة الاسلامية لجمهورية يوغوسلافيا: وفي نيسان ١٩٩٠، صدر دستور الطائفة المسلمة في جمهورية يوغوسلافيا سابقًا، وأهميته انه يعترف باستقلال الاقلية المسلمة ويحدد صلاحياتها وتنظيماتها التي تعطيها حق إدارة شؤونها الذاتية. وقد تمّ العمل بمواد هذا الدستور إلى ان جاءت الحرب الاهلية واطاحت الاتحاد اليوغوسلافي، وانتهت وضعية الاقلية المسلمة كطائفة مستقلة تدير شؤونها الداخلية.

يتضمن الدستور على ٧٨ مادة. وقد نصت مقدمته (بعد البسملة) على: «انطلاقًا

من ان تـابعي الطائفـة الاسلامية لجمهوريـة يوغوسلافيا الاشتراكية الاتحادية قد توصلـوا إلى إنجـازات هامـة في حيـاتهم الروحيـة والمادية وانهـم قـد ضمنوا شروطًا للتقـدم أكثر غنى وأكثر شمولاً لطائفتهم الدينية،

وانطلاقًـا مـن ان تنظيـم الطائفـة الاسلامية يقوم علـى المبادىء الاسلامية في ادارة الشؤون العامـة وبمعيار التقـدم المتفـق عليه من قبل العالم المتحضر بصورة عامة،

وانطلاقًـا مـن أن أعمـال الطائفـة الاسلامية تقوم علـى أساس الامانـة لتعـاليم الاسلام العظيمة، كما انها تسير في الحـدود المقررة لدستور الدولة وقوانينها،

وافق المجلس النيـابي الاعلى للطائفة الاسلامية علـى دستور الطائفة الاسـلامية لجمهوريـة يوغوسـلافيا الاشـتراكية الاتحادية».

ونصت المـادة الاولى منه: «الطائفة الاسـلامية في جمهوريـة يوغوسـلافيا الاشـتراكية الاتحاديـة طائفـة دينيـة موحـدة ومستقلة ينتمي إليهـا جميـع المسـلمين في جمهورية يوغوسلافيا الاشـتراكية الاتحاديـة، كمـا ينتمـي إليهـا المهـاجرون والمواطنـون اليوغوسـلاف الذيـن يعتنقـون الاسـلام ويقيمون في الخارج.

تقوم الطائفـة الاسلامية في جمهوريـة يوغوسلافيا الاشتراكية الاتحادية على أسـاس القرآن والسنة والاوامر المستخرجة منهمـا، وعلى دستور الطائفة الاسلامية في جمهوريـة يوغوسلافيا الاشتراكية الاتحاديـة والاحكـام المبنية على اساس هذا الدستور وعلى أحكام القانون.

تدين الطائفـة الاسـلامية بالاسـلام وتقوم بتعليمه بحريـة، كمـا تقـوم بوظائفهـا وشعائرها الدينية بحرية.

تقـوم الطائفـة الاسـلامية بتنظيـم شؤونها الدينية والتعليمية والوقفية والادارية وبأعمال أخرى بصورة مستقلة».

وتتوزع المواد الأخرى من الدستور حـول الشـخصية الاسـلامية ووحدتهـا التاريخية والتشريعية، والهيئات الاسلامية مـن دار الافتاء ورئيس العلماء ومجلس الشورى والمشيخة الاسلامية، ونظـام الانتخابـات ووظائفه الدينية.

تميزّ المسؤولون المسلمون بأنهم كانوا مـن أكثر المسؤولين اليوغوسلاف حرصًا على بقاء الاتحاد اليوغوسلافي وعدم تعريضه للتفكك والانهيار. فالرئيس علي عـزت بيكوفيتـش (رئيـس جمهوريـة البوسـنة-الهرسـك) كـان أحـد أكـثر رؤسـاء الجمهوريات اليوغوسلافية رفضًا لانهيـار يوغوسلافيا، وقـد وقـف علنًا إلى جـانب الصرب في مواقفهـم الرافضـة لاسـتقلال الجمهوريات. لكنه بعـد ان أصبح الانهيـار واقعًا، أعلن استقلال البوسنة أسوة بغيرهـا. وقبل ذلك، عندمـا أصـدر الصـرب، في ١٩٨٩، دستورًا جديدًا لجمهوريتهم يعيد وحدتها ويلغي الحكم الذاتي الواسـع في منطقـتي كوسـوفو وفويفودينـا، عـارض الكروات والسلوفينيون الدستور بشـدة، لكن وجـود رايـف ديزداريفيتش في حينه، وهو مسلم بوسني، على راس هيئة الرئاسة اليوغوسلافية، كان العامل الوحيد الـذي أدّى إلى اقـرار الدسـتور، إذ وقـف ديزداريفيتـش بكـل نفـوذه إلى جـانب الصرب.

إستقلال البوسنة-الهرسك (والحرب)

تبين التواريخ المدرجة، بعناوين احداثها، مسار هذا الاستقلال واحداثه اللاحقة في إطار أحداث يوغوسلافيا السابقة عامة.

١٩٩١

• في أيار، بدء المواجهات المسلّحة الاتنية.
• في ٢٥ حزيران، الحكومة الفدرالية ترفض استقلال كرواتيا وسلوفينيا.
• في ٢٧-٣٠ حزيران، تدخل عسكري فدرالي للسيطرة على الحدود الاتحادية.
• في ٢٨-٣٠ حزيران، مهمة وفاقية للمجموعة الاوروبية في بلغراد وزغرب، وتعليق اعلان استقلال كرواتيا وسلوفينيا لمدة ثلاثة أشهر.
• في ٢ تموز، معارك مسلحة بين الجيش الفدرالي وقوات الدفاع السلوفينية.
• في ٥ تموز، المجموعة الاوروبية تقرر حظر السلاح وتجميد المساعدات المالية.
• في ٧ تموز، محادثات في بريوني بين ممثلي المجموعة الاوروبية والقادة الصرب والكروات والسلوفينيين، وقرار بوقف النار وانسحاب الجيش الفدرالي.
• في ٢٢ تموز، مواجهات عسكرية في كرواتيا بين القوات الكرواتية والجيش الاتحادي وأغلبية عديده من الصرب.
• في ١٦ آب، مذكرة الرئيس الكرواتي فرانجو توجمان للسلطات الفدرالية: يجب احترام السيادة الكرواتية.
• حزيران-ايلول، اعلان الاستقلال الذاتي لسنة جيوب صربية في البوسنة.
• في ٧ ايلول، افتتاح مؤتمر السلام في لاهاي.
• في ١٢ ايلول، استقالة الوزراء الكروات من الحكومة الفدرالية.
• في ١٥ أيلول، أعلان مقدونيا استقلالها. معارك قرب زغرب.
• في ١٧ أيلول، وقف النار، لكن الجيش الفدرالي (أغلبية صربية) يضاعف من حملته في كرواتيا حيث القوات الكرواتية تحاصر الثكنات.
• في ٢٥ ايلول، مجلس الامن يقترع على حظر شحن الاسلحة ليوغوسلافيا.
• في ٢٩ أيلول، معاودة المعارك.
• في ٣ تشرين الاول، صربيا ومونتينيغرو (الجبل الاسود) تستأثران بسلطات البرلمان الفدرالي، يدعمهما الجيش الفدرالي، وحصار تضربه صربيا على المرافىء الكرواتية وعلى مدينة دوبرونيك.
• في ٧ تشرين الاول، استقالة الرئيس الفدرالي، ستيب مسيك (كرواتي).
• في ٨ تشرين الاول، وقف اطلاق النار للمرة الثامنة.
• في ١٥ تشرين الاول، قرار برلمان البوسنة-الهرسك بالاستقلال، وقد بدا حليًا التحالف الكرواتي-المسلم.
• في ٢٢ تشرين الاول، صربيا تقترح إقامة «يوغوسلافيا الصغرى» التي تتضمن الجمهوريات الراغبة بالانضمام إليها والمناطق الصربية المتمتعة باستقلالها الذاتي في كرواتيا والبوسنة-الهرسك.
• في ٢٨ تشرين الاول، الصرب يرفضون مذكرة المجموعة الاوروبية.
• في ٨ تشرين الثاني، عقوبات اقتصادية اوروبية على صربيا.
• في ١٣ تشرين الثاني، وقف اطلاق النار في دوبرونيك (سيبرينتسا) وإخلاء المدنيين.
• في ١٩ تشرين الثاني، الجيش الفدرالي والميليشيات الصربية يسيطران على مدينة فوكوفار (كرواتيا) التي كانت محاصرة منذ قبل ثلاثة أشهر (نحو ٣ آلاف قتيل).

• في ٢٣ تشرين الثاني، وقف إطلاق النار الرابع عشر.

• في ٦ كانون الاول، عقوبات أميركية، والجيش الفدرالي يحاول كسب أكبر قدر من الاراضي قبل تدخل الامم المتحدة.

• في ١٩ كانون الاول، اعلان استقلال كارادينا، وهي جيب تابع لكرواتيا وسلوفينيا.

• في ٢٨ كانون الاول، الجيش الفدرالي يقصف زغرب (صواريخ أرض-أرض).

• خلال كانون الاول، مواجهات مسلحة بين المجموعات في البوسنة-الهرسك: المسلمون يؤيدون الاستقلال، الكروات مع الانضمام إلى كرواتيا، والصرب متمسكون بالفدرالية.

١٩٩٢

• في أول كانون الثاني، وقف اطلاق النار الخامس عشر؛ ومبعوث الامم المتحدة، سايروس فانس، يتوصل إلى نشر قوات الامم المتحدة (القبعات الزرق) في كرواتيا، حيث كان الصرب قد توصلوا إلى احتلال ٢٠٪ من اراضيها.

• في ٧ كانون الثاني، الجيش الفدرالي يسقط طائرة هليكوبتر تابعة للمجموعة الاوروبية، ومقتل خمسة مراقبين.

• في ١٤ كانون الثاني، ٥٠ مراقبًا من الامم المتحدة في كرواتيا.

• في ٢١ شباط، مجلس الامن يقرر بالاجماع إرسال ١٤ ألف عنصر من القوات الدولية (الامم المتحدة)؛ نحو نصف مليون مهجر في كرواتيا، وخسائر بقيمة نحو ٢١ مليار دولار.

• ٢٩ شباط-آذار، استفتاء حول الاستقلال في البوسنة-الهرسك وأعمال عنف ومواجهات مسلحة: مشاركة ٦٠٪ في الاستفتاء، ومقاطعة الصرب، ٦٢،٧٨٪ من المقترعين صوتوا للاستقلال (٩٩،٤٣٪ منهم من المسلمين).

• في ٢٠ آذار، إتفاق ساراييفو في نهاية مفاوضات تحت رعاية المجموعة الاوروبية حول دستور دولة اتحادية في البوسنة-الهرسك تضم كيانات ثلاثة: مسلم، صربي، كرواتي.

• في ٢٨ آذار، صرب البوسنة-الهرسك يعلنون قيام «جمهورية صربيا في البوسنة-الهرسك» (فتكون هذه الجمهورية المعلنة منذ انهيار يوغوسلافيا الاتحادية، الثامنة، وتكون ايضًا الدولة الصربية الرابعة).

• في ٥ نيسان، المجموعة الاوروبية تعترف باستقلال البوسنة-الهرسك. استقالة رئيس وزراء البوسنة-الهرسك، ومظاهرات سلمية في ساراييفو مؤيدة للتعايش بين الاتنيات ومناهضة لسياسة الاحزاب الثلاثة في البلاد: عشرات الالوف من سكان ساراييفو، إلى ألوف من مدن البوسنة الأخرى، يتظاهرون من اجل السلام ووحدة الجمهورية امام برلمان البوسنة-الهرسك، مرددين شعارات مثل «البوسنة! البوسنة!» و«لا للتقسيم!». وفجأة، في التظاهرة السلمية التي سار فيها جنبًا إلى جنب المسلمون والصرب والكروات واليهود، تحولت الهتافات إلى صرخات رعب وتحذير واستنكار، عندما دوت طلقات الرصاص من مبنى فندق «هوليدي إن» حيث مكاتب الحزب الديمقراطي الصربي برئاسة رادوفان كاراجيتش. تلك الطلقات كانت بداية حملة الارهاب الدموية ضد نصف مليون من سكان عاصمة البوسنة. وبعد ساعات قليلة من هذا الحادث، بعد ظهر اليوم نفسه، اطلقت ميليشيات الصرب النار على تظاهرة اخرى على جسر فربانيا، حيث قتلت طالبة الطب سعاد ديلبرفيتش، لتكون اول ضحية للحصار والقتال.

• في ٧ نيسان، الولايات المتحدة تعترف بالبوسنة-الهرسك.

• خلال نيسان وأيار، تدخل الجيش الفدرالي ومحاصرته ساراييفو، ومعارك.

• في ٨ نيسان، اعلان حالة الطوارىء في البوسنة–الهرسك.

• في ٢٢ أيار، قبول عضوية البوسنة–الهرسك في الامم المتحدة.

• في ٢٧ تموز، طرد يوغوسلافيا من المنظمات الدولية.

• في ١٣ آب، مجلس الامن الدولي يجيز استعمال القوة لحماية قوافل المساعدات الانسانية، ويدين عمليات «التطهير العرقي».

• في ٢٦–٢٧ آب، مؤتمر السلام في لندن، برئاسة اللورد كارينغتون الذي حلّ محل اللورد أوين، وإنشاء مؤتمر دائم للسلام.

• في ٣٠ أيلول، اتفاق (في جنيف) بين الرئيسين، توجمان (كرواتيا) ودوبرا كوزيك (صربيا) حول تطبيع العلاقات بين بلديهما.

• في ٨ تشرين الاول، مجلس الامن الدولي ينشىء منطقة حظر جوي في البوسنة–الهرسك (تم خرقها أكثر من ٢٠٠ مرة خلال الشهرين الاولين فقط).

• في ١٥ تشرين الاول، وصول أول دفعة من القوات الدولية.

• في ٢٣ تشرين الاول، اجتماع بين مسؤولي المجموعات الثلاث العسكريين في ساراييفو برعاية الامم المتحدة.

• في ٢ تشرين الثاني، تزايد الضغط العسكري على ساراييفو.

• خلال كانون الاول، الميليشيات الصربية (نحو ٢٠٠ ألف رجل)، بزعامة رادوفان كراجيتش، واكثر من ١٠٠ ألف من الجيش اليوغوسلافي الاتحادي السابق، يسيطرون على أكثر من ٧٠٪ من اراضي–البوسنة–الهرسك. والكروات أقاموا (في البوسنة–الهرسك) دولة مستقلة استقلالاً ذاتيًا (عاصمتها موستار). ولم يعد للمسلمين في البوسنة سوى نحو ١٠ آلاف كلم م. من اراضي البلاد. وحصيلة الخسائر في البوسنة–الهرسك (حتى آخر ١٩٩٢) نحو ٥٠ ألف قتيل، ونحو ٥٠ ألف جريح، وأكثر من ٨٥٠ ألف لاجىء، وتهدم نحو ٦١٢ مسجدًا من أصل ألفي مسجد.

١٩٩٣

• في ٢ كانون الثاني، مؤتمر للسلام في جنيف: مشروع نظام جديد للبوسنة–الهرسك.

• في ٨ كانون الثاني، اغتيال نائب رئيس الوزراء البوسني على يد أحد عناصر ميليشيا الصرب.

• في ١٣ كانون الثاني، المجموعة الاوروبية تهدّد يوغوسلافيا (ما تبقى منها– صربيا والجبل الأسود– وعاصمتها استمرت بلغراد) بفرض العزلة عليها إذا لم يرضخ صرب البوسنة–الهرسك ويقبلوا بمناقشة خطة أوين–فانس.

• في ٢٧ كانون الثاني، معارك ضارية بين الكروات والمسلمين في البوسنة–الهرسك.

• في ٢٩ كانون الثاني، الحكومة اليوغوسلافية تطلب تمديد عمل القوات الدولية بسبب «العدوان الكرواتي» في كارادينا (أو كاراينا).

• في ٥ شباط، مفاوضات في نيويورك تحت رعاية مجلس الامن الدولي.

• في ١٧ آذار، المفاوضات في نيويورك وهجوم صربي على البوسنة الشرقية.

• في ١٩ آذار، اول قافلة للمساعدات الانسانية تصل إلى سربينيكا.

• في ٢٥ آذار، الكروات والمسلمون يوقعون خطة أوين–فانس، والصرب يرفضونها.

• في ٢٨ آذار، اتفاق وقف إطلاق نار جديد.

• ٨ نيسان، محكمة العدل الدولية في لاهاي تصدر حكمًا يدين يوغوسلافيا (صربيا)

طفل بوسني مسلم يمارس لعبة الحرب في مخيم للاجئين في ضواحي زغرب.

طفلان بوسنيان مسلمان يحاولان الوصول عبر الاسلاك الشائكة الى نقطة لتوزيع المساعدات الانسانية (ايار ١٩٩٣).

بارتكاب «جرائم إبادة».

• في ١٢ نيسان، طائرات الحلف الأطلسي تبدأ طلعاتها لفرض احترام منطقة الحظر الجوي.

• في ٢ ايار، قمة في اثينا جمعت أطراف النزاع «اليوغوسلافي»، وتم التوصل إلى اتفاق في شأن خطة أوين-فانس للسلام بعدما وافق عليها زعيم صرب البوسنة رادوفان كاراجيك (كاراجيتش)؛ والرئيسان، الاميركي بيل كلينتون، والروسي بوريس يلتسن، يعربان عن «ارتياحهما لنتائج قمة أثينا».

• في ٥ ايار، برلمان صرب البوسنة يرفض خطة أوين-فانس: الرئيس الاميركي يقول: «إن اعمال صرب البوسنة تهدد بتوسيع الصراع»، وبطرس غالي، الامين العام للامم المتحدة، يحدد الخطوط العريضة لخطة تشكيل قوة دولية من ٧٠ ألف رجل في البوسنة.

• في ٨ أيار، قام الصرب بنسف جوامع بانيا لوقة.

• في ٩ ايار، تزايد التوتر في موستار، وبدأ التعاون بين المسلمين والكروات يتفكك، وفي اليوم التالي، معارك بين المسلمين والكروات في موستار، وتوقع انتقال المعارك إلى قلب البوسنة.

• في ١٠-١٤ أيار، وصلت قوات الامم المتحدة إلى مدينة جيبا (شرقي البوسنة) فوجدتها محروقة على يد الصرب الذين كانوا يقصفون ايضًا مدينة توزلا في شمال شرقي البوسنة. ومجلس الامن يدين الكروات ويطالبهم بالانسحاب فورًا من موستار ومناطقها، ويصدر بيانًا في ١١ ايار، ويجدد تأكيده «سيادة واستقلال ووحدة اراضي البوسنة-الهرسك»، وإدانته التطهير العرقي الذي يمارسه الصرب والكروات بحق المسلمين. وامين عام منظمة «المؤتمر الاسلامي» الدكتور حامد الغابد يوجه رسالة إلى الرئيس الكرواتي يناشده فيها إيقاف القتال وإعادة الوئام والتحالف بين الكروات والمسلمين. واستمر القتال (لليوم الخامس على التوالي) بين المسلمين والكروات في موستار، ولم ينفذ اتفاق هدنة جديد، ومعارك بالسلاح الابيض في الشوارع، وكرواتيا تزج بقوات من جيشها لدعم كروات البوسنة، وأخذ خط المعارك يمتد من موستار إلى مناطق أخرى في البوسنة. وعلى خطٍ موازٍ كانت الميليشيات الصربية تواصل هجومها على مواقع المسلمين في مدينة بريتشكو الاستراتيجية.

• في ٢٥ حزيران، اجتماع في زغرب لمناقشة تقسيم البوسنة-الهرسك. وبرلمان ما تبقى من «يوغوسلافيا»، أي الاتحاد المؤلف من جمهوريتي الصرب والجبل الاسود، انتخب زوران ليليتش رئيسًا جديدًا للاتحاد محل الرئيس السابق دوبريتسا تشوسيتش الذي عزله البرلمان في مطلع حزيران؛ والرئيس الجديد (ليليتش) صربي ينتمي إلى الحزب الاشتراكي الحاكم الذي يقوده رئيس صربيا ميلوسيفيتش.

• في ٢٨-٢٩ حزيران، استئناف محادثات جنيف للسلام. مواصلة المعارك بين المسلمين والكروات، والرئيس البوسني علي عزت بيكوفيتش ناشد مجلس الامن التدخل لوقف القتال؛ وزعيم صرب البوسنة رادوفان كاراجيتش أعلن، اثر محادثات جنيف انه تم التوصل إلى اتفاق مع كرواتيي البوسنة على وقف نار شامل يبدأ تنفيذه عندما يوافق المسلمون على خطة جديدة لتقسيم البوسنة-الهرسك إلى ثلاث جمهوريات ضمن اتحاد كونفدرالي؛ فيما كشف الصرب خريطة جديدة لتقسيم البوسنة-الهرسك إلى ثلاث دويلات «الاولى صربية تسيطر على نحو نصف مساحة الجمهورية، والثانية إسلامية تقوم على ٣٠٪ من اراضيها. والثالثة كرواتية وتشمل ٢٠٪ منها». عارض المسلمون الخطة، ووجهت الحكومة السعودية دعوة من اجل الوقف الفوري للقتال في

البوسنة وطالبت مجددًا ان ترفع الامم المتحدة حظر السلاح المفروض على مسلمي البوسنة.

• في ٢ تموز، انسحاب القوات البريطانية (من ضمن القوات الدولية) من مثلث ماغلاي-جيبيتشي-زافيدوفتشي في البوسنة، وانسحاب الكتيبة الاسبانية من موستار.

• في ٤ تموز، نسف اربعة مساجد في مدينة بانيالوقة احد معاقل صرب البوسنة.

• في ١٢-٢٤ آب، زعيم صرب البوسنة يهدّد بضربات نووية في اوروبا في حال قرر الغرب التدخل العسكري في البوسنة؛ وكانت واشنطن وجهت أقوى تحذير لصرب البوسنة لمنعهم من «خنق سارايفو» بعد ان توصلوا إلى احتلال مواقع في جبلي بيلاشنيتسا وايغمان المطلين على العاصمة. والرئيس البوسني يعلن تأييده تقسيم البوسنة «لإنهاء الحرب والحفاظ على البلاد». واجتماع قمة لزعماء يوغوسلافيا السابقة في جنيف لوضع مشروع سلام في البوسنة ينال موافقة الزعماء. والرئيس البوسني يرفض المشروع إذ «يظهر واضحًا في الخريطة المقدمة في قمة جنيف استحواذ الصرب والكرواتيين على مناطق ذات غالبية مسلمة. وهذا لا يمكن القبول به».

• في ٢ ايلول، الرئيس البوسني، علي عزت بيكوفيتش غادر جنيف وحمّل مسؤولية توقف المفاوضات وفشلها للطرف الكرواتي، وقال: «طالبنا بالحد الادنى من التنازلات لكنهم رفضوا. اننا نطلب المساندة من العالم كله في الغرب كما في الشرق».

خريطة تقسيم البوسنة – الهرسك كما جرى تداولها إعلامياً في ايلول ١٩٩٣ على أساس انها مقترحة من الوسطاء الدوليين («الحياة»، العدد ١١١٧٥، تاريخ ١٨ أيلول ١٩٩٣ ص٧، عن « نيويورك تايمز» المحتفظة بحقوق نشرها).
ولم تطرأ تعديلات كبرى على خرائط الحلول التقسيمية التي وُضعت بعد هذا التاريخ.

• في ١٧ ايلول، عاود الوسيطان الدوليان، ديفيد أوين وثورفالد شتولتنبرغ، تحركهما لدى الزعماء المعنيين في الحرب في البوسنة واطلاعهم على خطط جديدة للسلام، فيما استمر القتال في انحاء البوسنة-الهرسك.

• في ١٨ تشرين الاول، حكومة البوسنة، وفي اطار التحرك الجديد للوسيطين الدوليين، تطلب استئناف المفاوضات.

• في ٢٢ تشرين الاول، استبعد الزعيم البيخاتشي، فكرت عبديتش، من الرئاسة البوسنية، فردّ باعلان قيام تحالف بين القوات التابعة له والميليشيات الكرواتية الانفصالية في منطقة بيخاتش، وبعقده اتفاق مع زعماء الصرب، وقد رعت حكومتا زغرب وبلغراد هذه الخطوة، فيما اعتبرتها البوسنة «خيانة من الزعامة المسلمة الانفصالية في منطقة بيخاتش»، وتدخل «سافر من صربيا وكرواتيا في شؤون دولة البوسنة-الهرسك».

• في ٢٩ تشرين الثاني، الامم المتحدة اتهمت الصرب باستخدام القنابل العنقودية في معاركهم ضد المسلمين؛ ورؤساء صربيا وكرواتيا والبوسنة أعلنوا «موافقتهم المبدئية» على خطة السلام الاوروبية، وذلك في اجواء افتتاح اجتماع بين الوزراء الاوروبيين وقادة الفرقاء المتحاربين في جنيف.

١٩٩٤

• في ٢٦-٢٧ كانون الثاني، رفض الرئيس البوسني الخطة الروسية الداعية إلى فرض تقسيم الاراضي بالقوة بدل شن ضربات جوية (أطلسية) ضد الصرب. استمرار القتال ومواصلة مساعي الامم المتحدة والحلفاء الغربيين لايجاد تسوية لانهاء ٢١ شهرًا من الحرب. وجددت فرنسا، التي تختلف مع الولايات المتحدة بشأن البوسنة، الدعوة لاجراء دبلوماسي دولي لاقناع مسلمي وصرب وكروات البوسنة بالتوصل إلى تسوية عن طريق التفاوض.

• في ٢ شباط، جيرينوفسكي، الزعيم الروسي المتطرف، هدّد باستعمال سلاح صوتي سري ضد من يضرب صرب البوسنة. ورئيستا وزراء باكستان وتركيا، بوتو وتشيلر، في زيارة ساراييفو لدعم مسلمي البوسنة.

• في ٥-٨ شباط، مجزرة في ساراييفو ضحيتها ٦١ قتيلاً، والرئيس البوسني ينتقد المواقف الدولية حيال بلاده، والدول الاسلامية تسعى لقرارات ملموسة من الاطلسي.

• في ١١ شباط، روسيا تراجعت عن معارضتها تحرك الاطلسي، وفرنسا حرّكت حاملة طائرات. اتصال بين الرئيسين الاميركي (كلينتون) والروسي (يلتسن). واستئناف مفاوضات السلام في جنيف، ووقف النار في ساراييفو.

• في ١٢-١٣ شباط، انهيار وقف النار، وتوقف مفاوضات جنيف بسبب تمسك الاطراف بمواقفها، وتشدّد الحلف الاطلسي حيال الاطراف المتحاربة وإنذاره الصرب بوجوب فك الحصار عن ساراييفو.

• في ٢٨ شباط، قضية البوسنة دخلت مرحلة جديدة بعدما اسقطت مقاتلتان اميركيتان تعمل تحت غطاء حلف الاطلسي اربع طائرات تابعة لصرب البوسنة، وأثر ذلك اشتعل القتال على جبهات عدة في البوسنة-الهرسك.

• في ٥ آذار، تبنى مجلس الامن الدولي، بالاجماع، قرارًا يدعو الامين العام للامم المتحدة إلى اتخاذ إجراءات سريعة لاعادة الخدمات العامة الاساسية إلى ساراييفو. واندفاعة دبلوماسية اميركية لدفع المفاوضات بين الكروات والمسلمين نحو حل سياسي للازمة.

• في ١٨ آذار، وقع بيكوفيتش (البوسنة-الهرسك) وتوجمان (كرواتيا) في واشنطن وبرعاية

الولايات المتحدة، على وثائق الاتحاد بين المسلمين والكروات، وذلك بعد ضغوط اميركية على مسلمي وكروات البوسنة لدفعهم نحو الاتفاق على مشروع دستور موحد للفدرالية الثنائية بينهم والكونفدرالية مع جارتهم كرواتيا.

• في ٢٥ آذار، برلمان صرب البوسنة رفض الانضمام إلى الاتحاد الفدرالي بين المسلمين والكروات؛ وبرلمان البوسنة صادق (٣١ آذار) على دستور الاتحاد بين المسلمين والكروات.

• في ٩ نيسان انهارت محادثات السلام التي ترعاها الامم المتحدة بين حكومة البوسنة والصرب إثر استخدام الصرب الاسلحة الكيماوية في هجومهم على بلدة غوراجدا المسلمة. ومؤتمر دولي حول البلقان في اسطنبول اشترك فيه حوالي ٨٠ مندوبًا عن الحكومات والمنظمات الشعبية في دول البلقان الثماني إضافة إلى مدعوين من مختلف الدول العربية والاسلامية، واصدر بيانًا، يدعو إلى «التأييد المطلق لحكومة البوسنة-الهرسك في الحفاظ على وحدة وسيادة واستقلال الجمهورية على أساس الاتحاد الفدرالي الذي تمّ الاتفاق عليه بين المسلمين والكروات».

• في ١٧-٢٤ نيسان، قصفت القوات الصربية مدينة غوراجدا (نحو ٦٥ ألف نسمة) استعدادًا لاجتياحها، والتدخل الدولي يمنع سقوطها ويرسل بقوات دولية إلى المدينة.

• في ١١ حزيران، الهدنة رقم ٣٦، انتهكت على نطاق واسع، وعلى كل الجبهات، وواصل الصرب شن الهجمات.

• خلال تموز، سلّم وزراء خارجية دول مجموعة الاتصال خريطة تقسيم البوسنة-الهرسك على أساس عرقي إلى الاطراف الثلاثة (المسلمون والكروات والصرب) في جنيف؛ ولا تتضمن الخريطة مناطق محايدة («ومجموعة الاتصال بشأن البوسنة» تضم خمس دول هي الولايات المتحدة الاميركية وروسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا)، واعطت الاتحاد الكرواتي الاسلامي ٥١٪ من اراضي البوسنة-الهرسك، والصرب ٤٩٪، على رغم ان كثافة السكان لا تتناسب مع هذه الخطة. وقد قررت الدول الخمس (في ٣٠ تموز) «تشديد العقوبات الدولية على يوغوسلافيا (صربيا والجبل الاسود) وصرب البوسنة الذين يحظون بحماية صربيا» من اجل ارغامهم على القبول بخطة التقسيم.

• في ٢١ آب، حققت قوات الحكومة البوسنية «انتصارًا حاسمًا» على حركة التمرد التي تزعمها فكرت عبديتش في بيخاتش.

• في ١٤ أيلول، محادثات في زغرب بين الرئيس البوسني علي عزت بيكوفيتش والرئيس الكرواتي فرانيو توجمان أسفرت عن «تذليل العقبات التي تعترض تطبيق إتفاق إقامة الاتحاد الكونفدرالي بين البوسنيين والكروات» (هذا الاتفاق هو المعروف بـ«اتفاق واشنطن» والموقع في آذار ١٩٩٤). أقر مجلس الشيوخ الاميركي خطة الرئيس كلينتون لرفع حظر السلاح عن الحكومة البوسنية في مواجهة اصرار صرب البوسنة على رفض خطة السلام الدولية.

• في ٢٢ ايلول، غارة أطلسية على الصرب بعدما هاجموا كتيبة فرنسية، جاءت في سياق تصاعد المعارك قبل ايام فاعتبرت الاعنف منذ بدء الحرب والتي خسر فيها الصرب على أكثر من محور.

• في ٤-٦ كانون الاول، اجتماع القمة لمؤتمر الأمن والتعاون في اوروبا (في بودابست، وضم ٥٠ دولة) فشل في اتخاذ أي موقف رسمي من الحرب في البوسنة-الهرسك «أسوأ نزاع في القارة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية».

• ١٧ كانون الاول، وساطة الرئيس الاميركي الاسبق جيمي كارتر ووصوله إلى

ساراييفو. موافقة الصرب على معظم ما جاء به كارتر: هدنة موقتة والقبول بخطة لجنة الاتصال الدولية.

ومع نهاية ١٩٩٤، تكون قد مرّت ٣٢ شهرًا على ابتداء الحروب التي اعقبت انهيار الاتحاد اليوغوسلافي، وقد شهدت هذه الحروب عدة تطورات حيث بدأت الحرب الصربية-السلوفينية، ولكن موقف المانيا المؤيد لانفصال سلوفينيا بحزم، وما تمتع به من تأييد المجموعة الاوروبية وضع حدًا للصراع الصربي-السلوفيني، ونعمت جمهورية سلوفينيا بالرعاية الاوروبية. ثم اندلعت الحرب الصربية-الكرواتية، واسفرت عن استيلاء الصرب على منطقة كرايينا، لكنهم عجزوا عن احتياح كرواتيا بسبب ما تلقته من دعم عسكري واقتصادي اوروبي ساهم إلى أبعد الحدود في صمود كرواتيا في وجه صربيا.

وبعدما فشل الصرب في مدّ حدود صربيا الكبرى إلى سلوفينيا وكرواتيا بسبب الدعم الاوروبي لدولتي كرواتيا وسلوفينيا اتجهت انظارهم نحو جمهورية البوسنة-الهرسك لابتلاعها باعتبارها الحلقة الاضعف التي لا سند لها ولا معين، وبدأ الاحتياح الصربي.

١٩٩٥

(راجع «البلقان» في هذا الجزء).

في أول تشرين الثاني، بدأت محادثات السلام البوسنية في قاعدة رايت باترسون التابعة لسلاح الجو الاميركي قرب دايتون في ولاية أوهايو في الولايات المتحدة الاميركية. وترأس وزير الخارجية الاميركية، كريستوفر، مراسم الافتتاح التي حضرها الرؤساء البوسني علي عزت بيكوفيتش، والكرواتي فرانيو توجمان والصربي سلوبودان ميلوشيفيتس الذي يرأس وفدًا مفاوضًا مشتركًا يمثل ايضًا صرب البوسنة. وقال هولبروك، مساعد وزير الخارجية الاميركي، الذي يعود إليه الفضل الاكبر في إقناع الاطراف الثلاثة بالاستجابة إلى دبلوماسية المحادثات هذه: «إن الاطراف الثلاثة يتحدثون عن السلام لكنهم لا يبدون أدنى استعداد للمساومة وهم شدّدوا مواقفهم خلال الايام القليلة الماضية تحسبًا لمحادثات صعبة للغاية. ونحن لا نعد بأي شيء هنا سوى ان نبذل أقصى ما في وسعنا». وكان هولبروك أعلن مراراً انه إذا فشلت محادثات دايتون فإن منطقة البلقان سترتد إلى حال الحرب، وستكون حربًا تفوق ما سبقها دمارًا وتلحق بشكل خاص اضرارًا بمصالح صرب البوسنة.

في ٢١ تشرين الثاني، وقّع رؤساء الدول الثلاث (البوسنة، صربيا وكرواتيا)، في قاعدة رايت باترسون الجوية الاميركية في ولاية أوهايو الاميركية، وبالاحرف الاولى اتفاق سلام أعلنه الرئيس الاميركي بيل كلينتون في مؤتمر صحافي حيث أبرز نقاط الاتفاق كالآتي:

– تبقى البوسنة دولة واحدة داخل حدودها الحالية. وتتكون الدولة من قسمين: اتحاد فديرالي بوسني-كرواتي، وجمهورية لصرب البوسنة مع «توزيع عادل للاراضي بين الاثنين».

– تبقى العاصمة ساراييفو موحدة، وتقوم فيها حكومة مركزية «فعالة» تشمل برلمانًا وطنيًا ورئاسة الدولة ومحكمة دستورية. وتتولى هذه الحكومة مسؤولية السياسة الخارجية والجنسية والهجرة والمسؤوليات المهمة الأخرى.

– يجري احتيار رئاسة الدولة والبرلمان من طريق انتخابات حرة ديمقراطية في اشراف دولي.

– يسمح للاجئين بالعودة إلى مواطنهم. ويمكن الناس من التحرك بحرية في أنحاء البوسنة. وتتولى لجنة دولية وقوة شرطة مدربة دوليًا مراقبة الاوضاع في ما يتصل بالحقوق الانسانية «لكل مواطن بوسني».

– يستبعد الافراد المتهمون بارتكاب جرائم

حرب عن الحياة السياسية.

– يحال مصير مدينة برتشكو التي يسيطر عليها الصرب على التحكيم الدولي.

– تشرف «قوة دولية قوية» على الفصل بين القوات لاعطاء هذه القوات الثقة بأن كل جانب سيحترم الاتفاقات التي أقرها.

وأعلنت الدول الاوروبية وروسيا ترحيبها بهذا الاتفاق الذي استمرت مفاوضاته ثلاثة أسابيع والذي يفترض انه يحل السلام في يوغوسلافيا السابقة التي أدّى تفككها عام ١٩٩١ إلى أخطر صراع دموي في اوروبا منذ الحرب العالمية الثانية أوقع مدى ثلاث سنوات ونصف سنة الالوف من القتلى وشرّد الملايين من ضحايا التطهير العرقي.

مناقشة: «بشائر» حل دولي لازمة البوسنة؟

تحت هذا العنوان كتب شفيق المصري، استاذ محاضر في الجامعة الاميركية وكلية الحقوق في الجامعة اللبنانية («الحياة»، العدد ١١٩٤٢، تاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٩٥، ص ١٧):

الوضع الراهن: انضمت جمهورية البوسنة والهرسك إلى منظمة الامم المتحدة بناء على توصية من مجلس الامن الدولي في ايار ١٩٩٢، وبموجب قرار مؤيد صادر عن الجمعية العامة (تحت الرقم ٤٦/٢٣٧).

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت جمهورية البوسنة عضوًا كاملاً في المنظمة الدولية تتمتع بكل الحقوق، وتلتزم كل الواجبات التي تحددها المنظمة الدولية (كذلك القانون الدولي) لجميع الدول الاعضاء فيها.

ولعل ابرز هذه الحقوق التي يقرها القانون الدولي لهذه الجهة: الحق في الاستقلال الناجز وفرض السيادة الوطنية على كامل اقليم الدولة، والحق في المساواة في هذه السيادة مع جميع الدول الاخرى المستقلة، والحق في الدفاع عن النفس وفقًا للمادة ٥١ من ميثاق المنظمة، وهو حق اصيل لا جدال فيه ولا مساومة عليه.

أما ما يلحظه القانون الدولي في هذا الاطار، من واجبات تقع على الدول الأخرى لصيانة حقوق الدولة، فهي: موجب عدم التدخل بالشؤون الداخلية للدولة وذلك بشكل مباشر او غير مباشر، وموجب احترام القانون الدولي بمبادئه وقواعده ونصوصه الأساسية والتانوية، وموجب تسوية النزاعات سلميًا وعدم إكتساب الارض بالقوة، وعدم القيام بما يخالف حقوق الانسان... والواقع ان جميع القرارات التي صدرت عن مجلس الامن والتوصيات التي صدرت عن الجمعية العامة تستند، في حيثياتها، إلى هذه الحقوق والموجبات، وتطالب بإزالة التعديات والتجاوزات وتصر على وحدة البوسنة دولة مستقلة موحدة.

وإذا راجعنا القرار الأخير الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة (وهو القرار الرقم ٤٩/١٠ تاريخ ١٩٩٤/١١/٣) بصدد جمهورية البوسنة-الهرسك نجد ان الجمعية العامة تصر على:

– ان جمهورية البوسنة دولة سيدة مستقلة وعضو في الامم المتحدة، ولها بالتالي كافة الحقوق الملحوظة في ميثاق الامم المتحدة، بما في ذلك حق الدفاع عن النفس المشار إليه في المادة ٥١.

– شجب أي إكتساب للارض بواسطة إستخدام القوة لأن ذلك يتعارض مع مبادىء الامم المتحدة.

– الموافقة على مشروع لجنة الاتصال المعلن في ١٩٩٤/٧/٣٠، والتوكيد على قرار مجلس الامن في شأن المناطق الآمنة والترحيب بالتعاون بين الامم المتحدة وقوى إقليمية أخرى

الرؤساء الثلاثة: من اليمين، الكرواتي فرانيو تودجمان، والبوسني علي عزت بيكوفيتش، والصربي سلوبودان ميلوسيفيتش، يوقعون في ٢١ تشرين الثاني ١٩٩٥ بالاحرف الاولى اتفاق السلام ليوغوسلافيا السابقة في قاعدة رايت باترسون الجوية الاميركية.
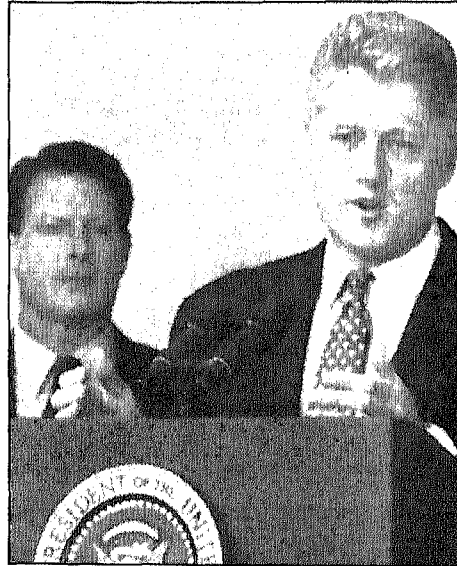
الرئيس الاميركي بيل كلينتون يعلن، في ٢١ تشرين الثاني ١٩٩٥ التوصل الى اتفاق السلام في يوغوسلافيا السابقة والى جانبه نائبه آل غور.

(إشارة هنا إلى الحلف الاطلسي).

- شجب التصفيات العرقية والترحيب بالمحكمة الخاصة لحقوق الانسان في يوغوسلافيا السابقة ودعوة جميع الدول لمساعدتها.

- المحافظة على الوحدة الاقليمية لجمهورية البوسنة ضمن حدودها المعترف بها دوليًا، والمطالبة بعودة الاراضي التي يحتلها الصرب إلى اقليم جمهورية البوسنة، وإعلان بطلان أي مكسب إقليمي يتم من خلال الإكراه والقوة...

أما في ما يعود إلى شكل النظام السياسي في هذه الدولة أو في غيرها وطريقة توزيع العلاقة الدستورية بين أطرافها (دولة موحدة أو فدرالية) فإن هذا الموضوع شأن داخلي يقرره السكان أنفسهم الذين يملكون الحق الاصيل في أختيار نظامهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يريدون. والمهم بالنسبة إلى القانون الدولي هو أن تكون الحكومة ذات تمثيل شعبي متكافيء، وان لا تميز بين مواطنيها بأشكال وحالات مختلفة، وان تراعي حقوق الانسان وتحافظ على استقلال البلاد السياسي ووحدتها الاقليمية، وان تحترم المواثيق الدولية.

وعندما تتعرض أي دولة للعدوان يقتضي تحرك مجلس الامن الدولي لرفع هذا العدوان من خلال قيامه بإجراءات الامن الجماعي المنصوص عنها في الفصل السابع من الميثاق أو من خلال تفويضه بعض المنظمات الاقليمية الأخرى للقيام بهذه المهمة تحت إشرافه.

والذي جرى في البوسنة، حتى غاية الساعة، يخالف القانون الدولي في أكثر من مجال وحالة:

إذا كان من المفترض ان يتاح للبوسنة ممارسة حق الدفاع عن نفسها إزاء أعمال العدوان والتطهير العرقي والممارسات المروعة الأخرى التي تعرضت لها من قبل دول أخرى، ولا سيما صربيا، مباشرة أو من جانب جزء من شعبها بتحريض سافر وتدخل مكثف من هذه الدول، فيكون الحظر الذي فرض على البوسنة في استقدام الاسلحة للدفاع عن نفسها مخالف للمادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة. وكان من الواضح ايضًا ان كل المحاولات التي قامت بها الامم المتحدة للدفاع عن البوسنة باءت بالفشل الذريع لعدد من الاسباب أهمها:

أ- ان القرار الذي قضى بفرض المناطق الآمنة (الرقم ٨٢٤ تاريخ ١٩٩٣/٥/٦) زاد في التفرقة الدينية بين السكان وعزل هذه المناطق بشكل كامل و لم يستطع ان يؤمن لها الحماية المطلوبة، فضلاً عن إبعاد هؤلاء السكان وتحويلهم إلى عاطلين عن العمل... وهذا كله مخالف لمنطق السيادة الذي يفرضه القانون الدولي، فضلاً عن مخالفته حقوق الانسان. إذ إن مجلس الامن الذي لم يستطع معاقبة المعتدي حاول أن يخبيء.

ب- ان استعانة الامم المتحدة بقوات حلف شمال الاطلسي أمر مسموح به في المادة ٥٣ من ميثاق الامم المتحدة، إلا ان هذه المادة تشترط تفويضًا محددًا من المجلس، وإشرافًا مباشرًا من جانبه، وقيادة تحافظ على حق هذا المجلس في استعادة مبادرته العسكرية في أي وقت. إلا ان استعانة المجلس بقوات الحلف الاطلسي جاءت خالية من أي حق عملاني للمجلس وضد أي سلطة فعلية مباشرة وغير مباشرة عليها.

ج- لم يستطع مجلس الامن توقيع عقوبات زاجرة فعلاً على الدول المعتدية بسبب الفيتو الذي كانت تهدد به إحدى الدول الاعضاء في مجلس الامن، وبسبب تردد السياسة الاميركية إزاء البوسنة، والاصرار الاوروبي على اعتماد القوات الاطلسية فقط لحل النزاعات الاوروبية.

د- إن المحكمة الدولية الخاصة لمحاكمة مجرمي الحرب والمجرمين ضد الانسانية في

يوغوسلافيا السابقة، منذ ١٩٩١، لم تستطع، بسبب الضغوط المتعددة، من ممارسة مهماتها بطريقة شاملة وعادلة.

مستقبل البوسنة: كانت لجنة الاتصال (التي تضم ممثلين عن الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا وفرنسا وألمانيا) أصدرت منذ ١٩٩٤/٧/٦ خريطة لتقسيم اراضي البوسنة بنسبة ٥٢٪ إلى اتحاد بوسني-كرواتي، و٤٩٪ للصرب البوسنيين، و لم تؤد هذه الخريطة المقترحة إلى حلول إيجابية وسريعة بسبب إصرار كل فريق من الاطراف المتنازعة على توسيع رقعة سيطرته على المزيد من الاراضي وتحصيل المزيد من المكاسب. وبعد تدخل الولايات المتحدة والجهود التي بذلها مساعد وزير الخارجية الاميركي ريتشارد هولبروك لدى مختلف الاطراف اصبح في الامكان البحث عن حلول جديدة بعد تثبيت وقف إطلاق النار. وهذه الحلول الجديدة تقوم كلها على قاعدة توزيع الاراضي بين الاطراف الثلاثة، متجاوزة هكذا مبدأ عدم شرعية اكتساب الارض بالقوة وعدم التدخل في شؤون الدولة الداخلية والحفاظ على الحقوق الرئيسية للدولة... ألخ.

وإذا كان القصد الرئيسي من هذه التصفية العرقية يهدف إلى عدم إقامة حكم إسلامي في قلب اوروبا يتحكم بالبحر الادرياتيكي وينشر نفوذه فوق رقعة اوروبية، فإن هذا القصد يخالف حقوق الانسان كما يخالف نصوصًا قانونية سبق لها ان اعترفت بوجود المسلمين كفئة متميزة عن سواها، خصوصًا الدستور اليوغوسلافي نفسه الصادر في العام ١٩٧٤.

وجاء اتفاق نيويورك (ايلول ١٩٩٥) امتدادًا لاتفاق جنيف الذي قضى بوجود كيانين في البوسنة: الاول صربي والثاني لاتحاد كرواتي-مسلم. ومن المنتظر وفقًا لهذا الاتفاق ان تساهم قوات متعددة الجنسيات في تطبيق هذا الحل المقترح على ان تشارك فيها قوات اميركية (وهي التي تصر على قيادة الحلف الاطلسي لجميع القوى في المنطقة). وستشارك ايضًا قوى روسية في هذه المهمات، إلا ان روسيا ترفض ان تعمل قواتها تحت إشراف حلف الناتو، وتطالب بموقف متوازن في البوسنة.

وكانت المشكلة الاساسية في البوسنة تتمثل في اعتماد الارض معيارًا أساسيًا للحل من دون أي شروط يحكمها القانون الدولي، ويتوافق عليها السكان. والذي دفع البوسنيين إلى التشبث بهذه الارض أو احتلالها أو استرجاعها ان الحل لن يسأل عن مشروعية اكتساب هذه الارض أو عدم مشروعيته. هذا مع العلم ان مطالب الامم المتحدة (وقد رأينا ذلك في القرار الاخير للجمعية العامة) تقضي بإعادة هذه الاراضي إلى أقليم البوسنة. إلا ان الحلول التي تبحثها لجنة الاتصال لا تستند إلى أحكام القانون الدولي ولا تسعى إلى تفعيل قرارات الامم المتحدة. واليوم يلاحظ ان جميع الخروقات لاتفاقات وقف اطلاق النار يكون سببها اصرار هذا الفريق أو ذاك على احتلال إضافي للارض أو على استعادتها وهكذا... وانطلاقًا من هذا الواقع ظهر اتفاق جنيف وكذلك اتفاق نيويورك من دون أي اعتبار لمشروعية اكتساب الارض أو عدم مشروعيته.

والمشكلة الاساسية الأخرى في مسألة البوسنة تتمثل في التسابق الاوروبي-الاوروبي على رعاية الحل المقترح، وفي التعارض الاوروبي الغربي-الروسي على إشراف الحلف الاطلسي دون سواه، وفي التناقض الذاتي الاميركي-الاميركي بين الاقدام الرئاسي على المساعدة العسكرية المطلوبة (عشرون ألف جندي) للبوسنة وبين الاحجام النيابي، في الكونغرس، عن هذه المهمة وتمويلها. وإذا كان الرئيس الاميركي قادرًا على إرسال الجنود إلى البوسنة وإن بشكل موقت

فإنه غير قادر على تمويل نفقاتهم (بليون ونصف بليون دولار) إلا بعد موافقة الكونغرس على ذلك.

وإزاء هذه الاجواء المتنافسة والمتعارضة والمتناقضة كيف يمكن للبوسنة وقياداتها السياسية والعسكرية ان تثق بصدقية هذه الحلول وبصدقية تنفيذها؟

يبدو ان المحادثات الحالية: الاوروبية-الاميركية-الروسية التي تقرر مصير البوسنة (وهي تجري من دون مشاركة فاعلة للامم المتحدة ومن دون التقيد بمبادئها) تتناول ايضًا مسائل تتعلق بوضع الحلف الاطلسي ذاته وبامكانية اشراك دول اوروبا الشرقية فيه، كما تتناول مصالح اميركية-غربية من جهة وروسيا من جهة مقابلة. وهذا ما يفسر اصرار وزير الخارجية الروسي على ان بلاده تريد ان تشارك «على أساس المساواة». وهي لذلك ترفض ان تخضع قواتها لقيادة الحلف الاطلسي.

ويشير بعض الاخبار الاخيرة إلى ان «روسيا قد توافق على اقتراح نشر قواتها في اراضي صرب البوسنة وتكون الوحدات الاطلسية (الاميركية ضمنًا) في الجانب الذي توجد فيه قوات المسلمين والكروات على ان تكون القيادتان تحت إشراف مجموعة الاتصال».

وكان من المنتظر ان تتداول وسائل الاعلام أبعاد هذه الاخبار والتصريحات. ويؤكد بعضها ان المشروع المطروح لمستقبل البوسنة سيؤدي في مرحلته الاولى إلى تكريس تقسيم دولة مستقلة إلى كيانين منفصلين، وفي المرحلة الثانية إلى إلحاق الكيان الكرواتي-المسلم بالدولة الكرواتية وإلحاق الكيان الصربي بالاتحاد اليوغوسلافي على ان تبقى هذه وتلك منطقتي نفوذ اميركية-اطلسية من جهة وروسيا من جهة أخرى.

وإذا كان هذا المشروع المطروح سيؤدي إلى مثل هذا الحل (وليس مستبعدًا أبدًا في مرحلته الاولى بل أنه قيد التنفيذ الآن) فإن كل أحكام القانون الدولي وقرارات مجلس الامن وقرارات الجمعية العامة حول الوحدة الاقليمية والاستقلال السياسي لدولة مستقلة وعضو في هيئة الامم المتحدة تكون قد ذهبت هباءً منثورًا. وتكون جهود الوسطاء على مدى أربع سنوات كاملة قد افضت، بسكوت الامم المتحدة إلى إزالة دولة معترف بها عن خريطة العالم.

(بعد نحو ثلاثة اسابيع من هذا المقال، وُقّع اتفاق «دايتون» في الولايات المتحدة).

مدن ومعالم

*** بيخاتش (أو بيهاتش، أو بهكه) Bihatsh:** مدينة ومنطقة في البوسنة-الهرسك. تحد منطقة بيخاتش كرواتيا من الشمال والغرب والجنوب الغربي، وتحدها من الشرق مقاطعة بانيالوقة (منحت في الحرب، وعلى يد الوسطاء الدوليين للصرب)؛ وبذلك تكون هذه المنطقة جزيرة بين الصرب والكروات، وتبلغ مساحتها نحو ٢٥٠٠ كلم م.، أي ٥٪ من مساحة البوسنة-الهرسك.

شكلت المنطقة في ايام العثمانيين سنجقًا يضم ٨ أقضية، منها قضاء المدينة بيخاتش (بهكه). وتقع المدينة في غربي البوسنة وتبعد عن العاصمة سارايفو مسافة ٢٧٥ كلم على ضفاف نهر أونه. يبلغ عدد سكانها (إحصاء ١٩٩٠) نحو ٧١ ألف

نسمة، ٨٠٪ منهم مسلمون.
ازدهر العلم في بيخاتش. ففي العام ١٨٦٧، بلغ عدد الصفوف المدرسية فيها ٣٣ صفًا وعدد الطلاب ١٩٥٠. وبعد هذا التاريخ، أخذت المدينة تتعرض للضغوطات الاوروبية، فتناقص عدد سكانها ومدارسها.
فيها عدد من المساجد، وبرج (يبلغ طول ضلعه ١٠ أمتار) وقلعة يعود تاريخها إلى الفترة السابقة على الفتح العثماني، واستخدمها ملوك المجر كحصن من حصون الحرب، كما استخدمها الكروات لحفظ كنوزهم، ثم استخدمها العثمانيون بعد الفتح اعتبارًا من ١٥٩٢. واصبحت سبع قلاع أخرى تابعة لقائد قلعة بيخاتش، وجميعها شكلت ثغرًا اسلاميًا متقدمًا. وقد حصّن هذه القلعة علي باشا، وبعد ذلك جهزت بـ٢٨ مدفعًا ضخمًا، وتحيط بالقلعة مياه نهر أونه. وبعد تراجع العثمانيين وتقدم القوات النمساوية استخدمت تلك القلعة في ١٨٩٠، فتعرضت للدمار، وما تزال اطلالها موجودة.
(راجع «عبديتش، فكرت» في زعماء ورجال دولة).

*** ترافنيك Travnik:** مدينة في البوسنة-الهرسك. تعد نحو ٧٥ ألف نسمة، يشكل المسلمون ٩٠٪، والكروات ٨٪، والصرب ٢٪ من سكانها.
كانت مقرًا لوالي البوسنة-الهرسك في العام ١٤٦٣، وذلك بعدما فتحت صربيا والبوسنة والهرسك على يد السلطان محمد الفاتح. وفي العام ١٦٣٩، نقل العثمانيون مركز إيالة البوسنة وسنجقها من مدينة بانيالوقة (التي كانت مركز هذه الايالة منذ ١٥٥٢) إلى ترافنيك التي استمرت عاصمة البوسنة-الهرسك حتى العام ١٨٥٠ حين صارت العاصمة سارايفو. والمدن الثلاث: بانيالوقة وترافنيك وسارايفو اكتسبت مكانة خاصة في نفوس المسلمين حيث اصبحت تشكّل رموزًا للحضارة الاسلامية.
في القرن السابع عشر، كانت تضم نحو ألفي منزل و١٧ جامعًا والعديد من المدارس. بلغ عدد طلابها (ذكور وإناث) نحو ٣ آلاف طالب. وقد انجبت ترافنيك عددًا من العلماء. منهم أبو بكر البوسنوي الذي ألّف شرحًا على المقدمة الغزنوية، والشيخ مصلح الدين البوسنوي وله شرح على المقدمة الغزنوية ايضًا.

*** سارايفو Sarajevo:** «سراي البوسنة» (سراي ايفو)، عاصمة البوسنة. تقع في وسط البلاد، وتنتشر على ضفتي نهر البوسنة. وتفيد الاحصاءات الحكومية الاخيرة (١٩٩٤-١٩٩٥) ان سارايفو التي كان يعيش فيها، في وقت السلم، نحو ٣٠٠ ألف نسمة، تقلص عدد سكانها إلى ١٨٠ ألفًا، بينهم ٨٠ ألف شخص من المهجرين الذين لجأوا إليها من القرى المحيطة. وقد غيّرت الحرب تمامًا من بهاء هذه المدينة التاريخي الذي كان سببًا لأن يطلق عليها في سنوات السلام إسم «ياقوت البلقان».
فتح العثمانيون الموقع المسمّى (فرح بوسنة، أو فره بوسنة) عام ١٤٦٣، وأطلقوا على الموقع إسم «دار الجهاد»، فشيّدوا القلعة، وبدأوا بإنشاء الجوامع والتكايا، وبدأت الدروس في أروقة المساجد، ثم انتشرت المدارس الاسلامية والمكتبات، وأصبحت «سراي البوسنة» منارة من منارات العلم. ومضت تكتسب تعدديتها على توالي الأيام، إذ لم ينقض القرن السادس عشر حتى أستقرت في المدينة مجموعات من السكان تدين بالديانات السماوية الثلاث، إلى طوائف وأعراق عديدة: الكاثوليك، الأرثوذكس، المسلمون واليهود؛ وكان الناس فيها يتكلمون التركية والعربية والفارسية والمجرية والالمانية والايطالية والعبرية، إلى جانب الكرواتية-الصربية المحلية. وقد نالت المدينة حظوة الباب العالي العثماني بفضل ذلك الطابع التعددي.

اتسمت «سراي البوسنة»، «ساراييفو» (وهو الاسم الذي أطلقه العثمانيون على ذلك المكان إذ لم يجدوا، لدى وصولهم إليه، سوى آثار قصر على ضفة نهر البوسنة-البوشناق-) بسمة المدن الاسلامية، إذ تشكلت بشكل مغاير لما كانت عليه المدن الاوروبية في العصور الوسطى التي كانت على شكل حصون إقطاعية مغلقة. أما المدن الاسلامية فكانت تشكل، أول ما تشكل، من الجامع والمدرسة والحمام والسوق ودار الحكومة والقلعة (الثكنة) ومجموعة من المساكن (أحياء).
ويرجح أن أول مدرسة اسلامية شيّدت في سارايفو هي المدرسة التي بناها والي البوسنة إيساس بك عام ١٤٧٧. وقد بني العديد من المدارس لا تزال آثار بعضها قائمة إلى الآن. واشتهرت سارايفو بمكتباتها كمكتبة خسرو بك، وعرفت الطباعة باللغة العربية (إلى جانب اللغات الأخرى)، وما يزال فيها أكثر من مطبعة قديمة بالحروف العربية، وقد تضمنت مجلات كثيرة صادرة في البوسنة (حتى السنوات الاخيرة) نصوصًا باللغة العربية مع ترجماتها إلى اللغة الصربو-كرواتية.
بدأت الحرب الحالية في وسطها التجاري (كما كان الحال في بيروت!)، ومحللو مثل هذه الحروب يتوقفون عند فكرة ان «ضرب الوسط التجاري في مدينة حضارية تعددية (مثل سارايفو وبيروت...) انما هو أول السعي إلى تفكيك الروابط الوظيفية التي كان ابناء المدينة اقاموها على مر الاجيال... ولا يمكن لحرب اهلية ان تدوم وتزدهر دون خلخلة مصدر التلاقي بين ابناء الشعب».

* **موستار Mustar**: عاصمة الهرسك، ويتخذها الكروات عاصمة لمقاطعتهم في البوسنة-الهرسك. تعد نحو ١٣٠ ألف نسمة. واقعة على نهر نرتوه (نيريتفا) الذي يشق مجراه عبر جبال الهرسك ويقسم موستار قسمين.

بعدما فتحها العثمانيون، بقيادة عيسى بك اسحاقوفيتش، عام ١٤٦٦، بدأت تستقر فيها عائلات قادمة من آسيا الوسطى ومن مصر ومن الهند ومن الحجاز.

عندما استولت الامبراطورية النمساوية-المجرية على البوسنة والهرسك في ١٨٧٨، كان في موستار ٣٦ جامعًا، وكنيستان للروم الأرثوذكس، ثم أنشئت كنيسة للكاثوليك. وكانت الآثار الاسلامية تتعرض للتخريب بين فترة وأخرى، منذ ١٨٧٨ إلى قيام النظام الملكي اليوغوسلافي إلى النظام الشيوعي.

في نيسان ١٩٩٢، شهدت موستار أعنف صراع دموي إذ أمطرتها القوات الصربية بوابل من القذائف، فدمرت المنشآت الدينية الاسلامية والمسيحية الكاثوليكية الكرواتية، ووقف المسلمون والكروات ضد الصرب كحلفاء، لكن الامم المتحدة اقترحت منح المدينة للكروات حسبما جاء في خطة «أوين-فانس»، وتبدلت التحالفات والتقى الكروات والصرب، وبدأت المجازر الأهلية في المدينة التي انقسمت إلى غربية كرواتية كاثوليكية، وشرقية اسلامية والحد الفاصل هو مياه النهر.

أقدم جسور المدينة «جسر موستار» الذي تمّ بناؤه في العام ١٥٥٦ وظل مستمرًا حتى نسفه وسقوطه في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٣، وهو واحد من ١٧ جسرًا تصل بين شطري المدينة. والجسور الأخرى سقطت كلها في الاربعين يومًا الأولى من بداية الحرب على أيدي الصرب وبالمتفجرات التي وضعت حول ركائزها.

وتتبع موستار مقاطعة هوم (Hum) الواقعة جنوب غربي البلاد وتشمل معظم اراضي الهرسك، وتضم المنفذ البحري الوحيد للبوسنة على ساحل البحر الادرياتيكي.

زعماء ورجال دولة

بيكوفيتش، علي عزت (١٩٢٥-): رئيس هيئة رئاسة جمهورية البوسنة-الهرسك منذ ١٩٩١. ولد في مدينة بوسانسكي شاماتس (القريبة من بوسانسكي برود) في شمال شرقي البوسنة، والمطلة على مصب نهر بوسنا في نهر سافا الذي يشكل الحدود بين جمهوريتي البوسنة-الهرسك وكرواتيا، وقد وضعتها خطط وخرائط الحل التقسيمي كلها خارج منطقة المسلمين. ويدل لقبه على ان عائلته كانت تتمتع بمكانة مرموقة في عهد الوجود العثماني في البوسنة، وكانت تحمل لقب «بك» الذي يلازم إسم عائلته «بيكوفيتش» وهو أرفع تكريم كانت تقدمه السلطات العثمانية لأهل تلك البلاد.

انتقل في مطلع شبابه (مع نهاية الحرب العالمية الثانية) إلى سارايفو بهدف الدراسة، وفي وقت كان الشيوعيون المنتصرون في أوج نشاطهم وسلطانهم، إلا انه التزم، على رغم ذلك، النهج الديني وانتسب (١٩٤٦) إلى تنظيم «الشبان المسلمين» السري، ليدخل في صراع مع نظام الحكم الشيوعي حيث اعتقل وحوكم وسجن لمدة ثلاثة اعوام. ومنذ بداية الخمسينات، اتجه إلى الكتابة ونشر المقالات التي تعبّر عن آرائه الاسلامية تحت أسماء مستعارة في وسائل الاعلام المحلية والاجنبية.

في ١٩٨٣، اعتقل وحوكم كزعيم «جماعة اسلامية تسعى إلى تغيير النظام الدستوري من خلال بث الفرقة والبغضاء بين الشعوب اليوغوسلافية»، ضمن مجموعة ضمت ١٣ من المثقفين المسلمين البوسنيين، وحكم عليه بالسجن ١٤ عامًا، إلا انه اطلق سراحه في اواخر ١٩٨٨ في إطار إجراء عام لاخلاء سبيل المساجين السياسيين.

في بداية ١٩٩٠، شرع بتشكيل «حزب العمل الديمقراطي» الذي تحول بسرعة إلى حركة جماهيرية اسلامية غدت أكبر تنظيم سياسي في البوسنة-الهرسك، وانتخب مرشحا الحزب (علي عزت بيكوفيتش وفكرت عبديتش) في ايار ١٩٩٠ لعضوية هيئة الرئاسة الجماعية للجمهورية، والتي تضم سبعة اعضاء، ثلاثة مسلمون وصربيان وكرواتيان.

في اواخر ١٩٩١، تمّ انتخابه رئيسًا لهيئة الرئاسة، أي رئيسًا للجمهورية لمدة عام، إلا انه بقي حتى الآن (اواخر ١٩٩٥) يشغل هذا المنصب بسبب ظروف الحرب.

وضع كتابين، «الاسلام بين الشرق والغرب» و«البيان الاسلامي». صدر الاول في ١٩٧٥ في تركيا والهند والولايات المتحدة، وطبع لاول مرة في بلغراد عام ١٩٨٨ وفي سارايفو عام ١٩٩٠، وترجم إلى العديد من اللغات العالمية، وهو يتناول بأسلوب تفاؤلي تصوره لمستقبل المسلمين في ضوء المبادىء والاخلاق الدينية السمحاء والمآثر الحضارية والثقافية والوقائع الراهنة الخاصة بما يعتبره من صميم المسلمين على عدم الخضوع للافكار المادية، وقد تمّ تقييم الكتاب خلال اجتماع مسلمي شرقي اوروبا في سارايفو بأنه «أفضل بحث صدر حتى الآن في الموضوع الذي يتناوله».

أما كتاب «البيان الاسلامي» فقد طبعه في سارايفو عام ١٩٩٠، وكانت قد نشرت مقتطفات منه مترجمة إلى اللغة العربية في كراس من ٧٠ صفحة، من دون ذكر إسم المؤلف الحقيقي، بعنوان «مقومات العمل الاسلامي-اتجاهات وبرامج وآراء للحركة الاسلامية- اعداد جماعة مسلمي يوغوسلافيا» في الكويت عام ١٩٨١ ضمن سلسلة «الحركة الاسلامية»؛ والكتاب هذا يتناول الاسباب التي أدّت إلى ضعف حركة

الجماهير الاسلامية، وتخلفها، والقضايا الضرورية الراهنة لمقومات ونجاح وتقدم النظام الاسلامي واسباب ذلك وسبل تجاوز المعوقات.

وللرئيس بيكوفينش إبنة وولد. اشتهرت إبنته سابينا بيروفيتش (لقب زوجها) باعتبارها سكرتيرة والدها والمسؤولة عن جهاز أمنه الخاص، وهي تتكلم الانكليزية والفرنسية، ورافقت والدها في جميع رحلاته إلى الخارج، وكانت معه حين احتجزه الصرب لمدة يومين في مطار ساراييفو ونقلوه إلى إحدى ثكناتهم العسكرية عند بداية الحرب. ومن انطباعات سابينا عن والدها انه مؤمن با لله إلى أقصى الحدود، ولهذا كثيرًا ما بقي في مكتبه يقرأ القرآن الكريم بهدوء أثناء القصف العنيف على ساراييفو ويرفض الامتثال للطلبات بالنزول إلى الملجأ الخاص بالقصر الرئاسي.
يؤخذ على الرئيس بيكوفيتش انه كثيرًا ما يغير مواقفه بشأن قضايا البوسنة، ولكن الذين يدركون المحن التي تحيط به وضخامة مسؤولياته وصعوبة التعامل مع مشاكل بلاده والتقلبات التي جابهتها مشاريع السلام التي تفاوض في شأنها، يعلمون سبب التباين بين تقييماته وأحاديثه إلى وسائل الاعلام.

لقد كان في بداية انتخابه من أشد المناصرين لبقاء يوغوسلافيا فدرالية أو كونفدرالية، لأنه كان يرى في ذلك ضمانة للحفاظ على استقرار البوسنة-الهرسك، وكانت صدمته كبيرة حين هدم الآخرون يوغوسلافيا وأُرغم هو وشعبه على تحمّل العبء الاكبر لنتائج ما حدث من دون ان يكون هو، أو جمهوريته، طرفًا في المسؤولية عن ذلك.

ومعاناة الرئيس بيكوفيتش لم تقتصر على محاولات اعدائه الصرب واصدقائه القدامى الكروات تقويض وحدة بلاده ووجودها، فقد لدغه بعض أشقائه المسلمين ايضًا وحاولوا بعثرة العشرة في المئة من الاراضي التي ما زالت في حوزته. فعلى رغم تباين وجهات نظره مع زميله السابق في عضوية هيئة الرئاسة وقيادة حزب العمل الديمقراطي، فكرت عبديتش، فإنه لم يكن ليتصور ان يتجرأ هذا «الساعد الأيمن» إلى حد إقتطاع منطقة بيخاتش المسلمة في غربي البوسنة واعلان صلح أبو رغال مع الصرب والكروات، وتحريض المسلمين الآخرين على التمرد واستخدام السلاح (من جميل روفائيل، «الحياة»، العدد ١١٢٣٨، تاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٣، ص تيارات).

في ١٦ شباط ١٩٩٣، حاز بيكوفيتش على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام. وبررت لجنة الجائزة منحه إياها «لتسليطه الضوء في كتاباته على الدور العالمي للاسلام في تقدم الفرد والمجتمع وإنشائه حزبًا اسلاميًا قاد شعبه المسلم إلى الاستقلال». وجائزة الملك فيصل (العربية السعودية) العالمية بدأ منحها منذ عام ١٩٧٩.

* **عبديتش، فكرت** (١٩٤٢-): عضو في هيئة رئاسة البوسنة-الهرسك ومتمرد منشق عنها.
ولد في قرية دونيا فيدوسكا في منطقة بيخاتش. أصيب، وهو صغير، بمرض أدّى إلى تقصير قدمه اليمنى، فأعفي من الخدمة العسكرية الالزامية، إلا انه كان دائمًا طالبًا مجدًا.

وبعد ان تخرج من كلية الزراعة في ساراييفو، اختار العمل مديرًا لتعاونية زراعية في فيليكا كلادوشا كانت على أبواب الافلاس، فأنقذها، وخلال عشر سنوات، تمكن من تحويلها إلى مجمع زراعي-تجاري عملاق باسم شركة «أغروكوميرتس» التي تقدمت بسرعة مدهشة بحيث صارت الكبرى من نوعها في كل مناطق يوغوسلافيا السابقة، يعمل فيها ١٣٥٠٠ مستخدم، وتضم ١٥ مصنعًا و٦٠ مزرعة ويتعاون معها اكثر من ٦ آلاف فلاح، وترتبط بعلاقات تجارية مع العديد من دول العالم.

وبينما كان عبديتش يواصل النجاح في اعمال شركته والشهرة في كل يوغوسلافيا السابقة، جابهته معاناة شديدة عام ١٩٨٧، حين أحيل هو و١٦ من كبار مساعديه إلى القضاء بتهمة اصدار صكوك لصالح الشركة بمئات ملايين الدولارات من دون غطاء مستفيدًا من ثغرات في القوانين المالية للدولة اليوغوسلافية. واطلقت وسائل الاعلام في حينه على القضية «فضيحة عبديتش غيت»، وطالت عدة مسؤولين بوسنيين كبار، خاصة المسلمين، بتهمة التواطؤ معه وكان من بينهم نائب رئيس هيئة الرئاسة اليوغوسلافية حينذاك حمدي بوزادريتش الذي استقال بسببها وفقد منصب رئيس الهيئة (رئيس الجمهورية) في السنة التالية، ليحل محله رائف دزداريفيتش الذي اصبح رئيسًا لهيئة الرئاسة اليوغوسلافية عام ١٩٨٨. وبعد الحكم بالسجن على فكرت عبديتش، فقد رئاسة الشركة اضافة إلى مناصبه الرسمية التي من بينها عضوية اللجنة المركزية لرابطة شيوعيي البوسنة-الهرسك.

لكن عبديتش لم يجعل فترة الـ ١٤ شهرًا التي قضاها في السجن تمر من دون نشاط، إذ كتب كتابين إقتصاديين. وحين غادر السجن اعتبره الكثيرون من المسلمين بطلاً، لأنه تزامن مع التغييرات الديمقراطية التي شرعت تجتاح يوغوسلافيا، فعاد رئيسًا لشركة «أغروكوميرتس»، وشارك في تأسيس حزب العمل الديمقراطي (الاسلامي) الذي ترأسه علي عزت بيكوفيتش، بينما انتخب هو نائبًا للرئيس؛ ورشح نفسه لانتخابات هيئة رئاسة البوسنة-الهرسك عام ١٩٩٠ في قائمة الحزب مع الرئيس بيكوفيتش، فحصل على أكثرية الاصوات من بين المسلمين.

مع مطلع ١٩٩٤، شهر عبديتش سلاح التمرد جهارًا على حكومة سارايفو، و لم تكن القيادة البوسنية المسلمة راضية عن سلوكه منذ بدء الحرب. فقد كان يتصرف بمعزل عن هذه القيادة إلى حد الاضرار بها من خلال علاقاته الخاصة مع الصرب والكروات. فهو، وإن كان عضوًا في هيئة رئاسة جمهورية البوسنة-الهرسك، ترك العاصمة سارايفو دون رجعة عندما اشتد أوار الحرب ليستقر في منطقة بيخاتش ويعقد الصفقات مع «المعتدين على المسلمين، ويتبجح بانه استطاع ان يبقي المنطقة خارج أتون الحرب»، وكأنها ليست في البوسنة. وهو ما اعتبرته القيادة المسلمة هروبًا من الميدان في وقت المحنة، ولكنها التزمت الصمت على مضض لأنها كانت تتحاشى ظهور انشقاق بين المسلمين في هذا الوقت العصيب.

لكن، حين أعلن عبديتش الحكم الذاتي لمنطقة بيخاتش من جانب واحد، رفضته حكومة سارايفو بشدة واعتبرت عبديتش خائنًا وعزلته من مناصبه الحكومية والحزبية. واعتبر عبديتش كل الاجراءات التي اتخذت ضده غير شرعية، وشكل ميليشيا مدعومة من الصرب والكروات، وشرع يقاتل وحدات الفيلق الخامس التابعة للجيش البوسني المرابطة في بيخاتش، فاندلعت الحرب بين المسلمين أنفسهم إلى ان وصلت إلى ذروتها في صيف ١٩٩٤، حيث بدأ الجيش البوسني يضيق الخناق عليه بينما ابتعد عنه الكروات الذين كانوا في مقدمة من اعتمد عليهم في بداية تمرده، احترامًا لاتفاقهم مع حكومة سارايفو. وانتهى الأمر بهزيمة عبديتش وفراره (راجع النبذة التاريخية).

Encyclopédie Historique et Géographique

Continents, Régions, Pays, Nations,
Villes, Sujets, Signes et Monuments

Tome V

PAR
Massoud Khawand

تمّ طبع الجزء الخامس
في كانون الاول ١٩٩٥
وتليه الأجزاء الأخرى تباعًا

Ed. Décembre 1995